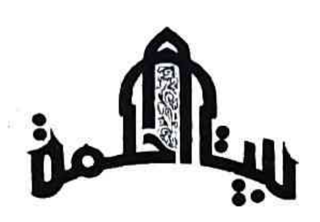


بغداد
في كتابات الرحالة العرب والأجانب
من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر الميلادي

د.عبد الجبار ناجـي
حسين داخل البهادلي

2003



بغداد

في كتابات الرحالة العرب والأجانب
من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر الميلادي

(الجزء الأول)

د. عبدالجبار ناجي
حسين داخل البهادلي

بغداد
٢٠٠٣

المحتويات

مقدمة

أهمية المؤلفات البلدانية والرحلات

بقي إسهام العرب المسلمين في الجغرافية الوصفية، ومنها الفلكية محصورا الى حد كبيرعلى الباحثين العرب المتخصصين في علم الجغرافية، ولاسيما في حقل علم جغرافية المدن، ولم ينل الا اهتماما ضئيلا من المؤرخين، وهذا الحقل يدخل ضمن اختصاصات المتخصصين في العلوم عند العرب بجعله مفردة من المفردات العلمية في مؤلفاتهم، ومن الجهة الاخرى نجد المستشرقين عامة والمستشرقين الفرنسيين والألمان والروس والبريطانيين خاصةً قد حققوا انجازات كبيرة في اهتمامهم بهذا الارث الغني من تراثنا العربي، منذ حقبة تاريخية بعيدة ترجع الى القرن السادس عشر الميلادي، وتوجه المستشرقون الى دراسة المؤلفات الجغرافية والبلدانية العربية في اتجاهات عدة منها على سبيل المثال: -

١. اتجاه تحقيق النصوص البلدانية سواء على شكل تحقيق لها أم دراستها وتحليل أهميتها، ويأتي على رأس هذه القائمة من الاهتمام في التحقيق العمل الكبير الذي اضطلع به المستشرق الهولندي دي غوية منذ عام ١٨٧٠م، اذ حقق سلسلة قيمة من التراث العربي في الجغرافية وأطلق على عمله عنوان (المكتبة الجغرافية العربيةBiblotheq Geogrphorum Arabicorumtol) وهي مجموعة من الكتب تضم تسعة مجلدات هي: الاصطخري، وابن حوقل، والمقدسي، وابن خرداذبة، وابن رستة، واليعقوبي، والمسعودي(كتاب التنبيه والاشراف)، وابن الفقيه الهمذاني، وقدامة بن جعفر.
٢. اتجاه نشر المؤلفات البلدانية الجغرافية، تحقيقها، ودراست.ها تحليلياً، وقد أرسى قواعد هذا الاتجاه المستشرق الفرنسي رينو Reinaud في تحقيقه ودراسته كتاب (تقويم البلدان) لأبي الفداء ودراسة دي غوية للمكتبة الجغرافية العربية ودراسة مينورسكي كتاب حدود العالم لمؤلف مجهول ودراسة بارتولد المكتبة الجغرافية العربية.
٣. وتمثل الاتجاه الثالث بالدراسات العامة بشأن الحضارة العربية الاسلامية، فخصص المستشرق الالماني بروكلمان مسحا مصدريا قيّما للمؤلفات الجغرافية

في كتابه الذائع (تاريخ الأدب العربي)، وجورج سارتون في موسوعته الشاملة (تاريخ العلم)، اذ ضمن هذه الموسوعة معلومات مهمة عن علم الجغرافية عند العرب المسلمين، والمستشرق الفرنسي كارادي في مؤلفه العلمي الشامل (مفكرو الاسلام) وغيرهم.

وفيما يتعلق بمشروعنا هذا بغداد في كتابات الرحالة والبلدانيين العرب والأجانب (العصر الاسلامي)، الذي يمثل الجزء الأول من المشروع الكبير (بغداد في كتابات الرحالة العرب والأجانب)، فإن المدينة عامة والمدينة العربية خاصة تعدّ من العناصر المهمة في النهوض الحضاري بوصفها الانموذج الواقعي للاستقرار الحضري، إذ تزاول فيه العناصر البشرية المستقرة فيها الانشطة الحضارية المادية منها والمعنوية كافة.

والمعروف ان نشوء المدن وتطورها يعدّ ظاهرة حضارية مرت بها المجتمعات في العالم عبر التاريخ، وليس غريبا أن تكون انظمة سياسية في بلاد وادي الرافدين قديما اشتهرت بأسماء مدنها ومراكزها الحضرية نظير: سلالة أور، وسلالة الوركاء، وسلالة لكش، وسلالة ايسن، وسلالة لارسا، وسلالة بابل، وما الى ذلك من دول وأنظمة عرفت عند المتخصصين في تاريخ العراق القديم بدويلات المدن السومرية كما هو الحال في التاريخ اليوناني والروماني، اذ اشتهرت امبراطوريات بمدنها مثلا امبراطورية اثينا ودولة اسبارطة وامبراطورية روما.

وعلى الرغم من أن العوامل السياسية قد أسهمت أساسا في أن تبلغ تلك المدن القديمة ذلك الشأو من التقدم والشهرة، لكن ينبغي الا تغفل أو نقلل من حجم العوامل الأخرى التي ساعدت على نشوء المدن، وتطورها كالعوامل الدينية (مدن المعابد والمراقد المقدسة)، والعوامل الاقتصادية بما في ذلك توسع العلاقات التجارية، وزيادة حجم التبادل التجاري بين الامبراطوريات، ومدينة بغداد على سبيل المثال كانت خاضعة في تأسيسها، في الموضع الذي اختاره أبو جعفر المنصور، لهذا المؤثر بقدر كبير.

المؤرخون والبلدانيون العرب خلافا للمؤرخين والبلدانيين اليونان والرومان قد انشدوا خلال حقب التاريخ العربي الاسلامي الى الكتابة التاريخية والجغرافية الوصفية للمدن العربية الاسلامية، واهتموا بدراستها اهتماما متميزا، اذ خصصوا عدداً من الكتب الصغيرة او المؤلفات التي تقع في أجزاء ومجلدات عن هذه المدينة او تلك، ولم

أكن مبالغا اذ قلنا إنه يندر وجود مدن في الدولة العربية الاسلامية بلا مؤرخ ولا بلداني يخلدها بكتاب أو مجلدات من الكتب.

وفوق هذا وذاك فإن هذا التوجه الفكري العربي لم يقتصر على دراسة امور عامة هامشية كما هو الحال في تجربة المؤرخ الايطالي ليفي في كتابه (تاريخ روما)، انما هي مؤلفات ذات اطر ومفاهيم بحثية علمية تتألف من دراسة حياة المدينة اجتماعيا وتركيب مكانها وحركتها الثقافية ومتابعة خططها العمرانية من أنهار، ومحلات، وأسواق، ومساجد، وقصور وأسوار، ودروب، والوقوف على أهميتها ومكانتها الاقتصادية، والسياسية، والفكرية، بتراجم رجالها، وطبقاتهم، وعلمائها، ومحدثيها، وفقهائها، ومدارسها، وربطها، وغيرها من المنشآت العمرانية كالجسور، والمستشفيات، والقبور، والمشاهد.

فالتاريخ العربي قد شهد ظهور عدد كبير من المدن التي أدت ادوارا مركزية في المجالات العسكرية والتجارية والدينية كافةً، وشهد نموها وتدهورها، ولقد ساعدت جملة عوامل على تطوير نشاط المؤرخين والجغرافيين العرب واهتمامهم في البحث التاريخي عن المدينة العربية من بينها:ـ

١. حركات الفتوح الاسلامية، حيث من الواضح أن هذه العمليات العسكرية قد افرزت نتائج ايجابية عدة، من بينها على الصعيد الحضاري تأسيس عدد من المخيمات التي اشتملت على خصائص موافقة للمتطلبات العسكرية القائمة انذاك، تلك المراكز والمخيمات تطورت الى أمصار ومدن كالبصرة والكوفة والفسطاط والموصل والقيروان، وهي مدن أتسمت بطابع البساطة في بنيتها العمرانية، والواقع ان هذه الأمصار قد أدت دورا مركزيا عند تأسيسها وبعد ذلك في الجانب العسكري والاداري، فهي أضحت قواعد لتجميع المقاتلين العرب وانطلاقهم نحو جبهات القتال، وما انتهت العمليات العسكرية الأساسية في جبهتي الروم (الشام) والفرس (المشرق) وصارت الأراضي المحررة والمفتوحة تحت خيمة الدولة العربية الاسلامية حتى بدأ عصر جديد في الاستقرار الحضري، اذ تحول اهتمام الخلفاء والأمراء منذ أواخر العصر الأموي وجميع العصر العباسي الى تأسيس مدن كبيرة مؤسسة على اسس حضرية وعمرانية جديدة غير عسكرية بالدرجة الأساس انما اجتماعية واقتصادية وفنية وحضرية وأوضح انموذج على ذلك مدينة بغداد المدورة.

٢. وهناك أمر آخر مهم برز نتيجة التوجه الحضري لتأسيس المدن، الأمصار منها والمدن الاخرى، الا وهو ذلك الاهتمام الكبير من سكان هذه المدينة او تلك واعتزازهم بها من دون غيرها فشجع هذا الى ان يسارع مفكرو المدن في الكتابة عن مدنهم تعبيرا عن حبهم لها ورمزا للمواطنة، وهذا ما صار يسمى بالكتب (مدح المدينة وذمها) وهو نوع من المنافسة العلمية بين المدن فبادر المؤلفون بالكتابة عن مدنهم التي ينتمون اليها بما يتلاءم وابراز الصفحات المشرقة، وهي ظاهرة حضارية متطورة، حيث لولا هذا الضرب من أدب المدح والذم لما استطعنا متابعة ذلك متابعة جدية ومفصلة للواقع الحضري في هذه المدينة او تلك.

فعند تصفحنا كتاب ابن الفقيه الهمذاني(البلدان) بطبعته الجديدة أو كتاب ياقوت الحموي(معجم البلدان) نجدهما يفردان بابا عن مدح بغداد والاخرعن ذمها سواء كان الأمر شعرا أم فيما يتعلق بالسكان والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

وظهرت هذه الظاهرة بوضوح أبان العصر الأموي عندما كان يعقد الخلفاء المجالس للمناقشات والحوارات الثقافية بين ممثلين عن أمصار متعددة كالذي يشير اليه المؤرخ المدائني(ت سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م) عن خالد بن صفوان البصري عند ترأسه وفد أهل البصرة إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، فكان في المجلس الذي عقد وفود مدن من الأمصار، فقد وجه الخليفة اسئلة عن المنشآت (المصانع) الموجودة في أمصارهم، فتكلم وفد مكة ووفد الكوفة ووفد البصرة، وقد أصبح حديث وفد البصرة مصدرا عما تشتهر به المدينة، اذ قال " يغدو قانصنا فيجئ بالشبوط والشيم ويجي بالظبي والظليم، ونحن أكثر الناس عاجا وساجا وخزا وديباجا و..... بيوتنا الذهب ونهرنا العجب أوله الرطب وأوسطه العنب واخره القصب .... "(ياقوت الحموي:معجم البلدان،جـ١،ص٤٣٨) وليس هناك من وصف بعدد انتاجات المدينة بوضوح كهذا الوصف، وهناك أمثلة كثيرة.

وعن بغداد قال أبو سهل بن نوبخت قال": أمرني المنصور لما أراد بناء بغداد بأخذ الطالع فقلت فاذا الطالع في الشمس وهي في القوس فخبرته بما تدل النجوم عليه من طول بقائها وكثرة عمارتها ونجد في أدلة النجوم أنه لايموت بها خليفة أبدا حتف أنفه" (ياقوت الحموي:معجم البلدان،جـ١، ص٤٦٠).

وفي مدح بغداد قال بعض الفضلاء "بغداد جنة الأرض ومدينة السلام وقبة الاسلام ومجمع الرافدين وثمرة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن

والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف وبها أرباب الغايات من كل فن وآحاد الدهر في كل نوع" (ياقوت الحموي:معجم البلدان،جـ١،ص٤٦١)، وكان ابن العميد (يقصد الوزير أبا الفضل،٣٦٠هـ/٩٧٠م) اذا طرأ عليه احد من منتحلي العلوم والاداب وأراد امتحان عقله سأله عن بغداد، فإن فطن بخواصها وتنبه على محاسنها وأثنى عليها جعل ذلك مقدمة فضله وعنوان عقله ...... وان وجده ذاما لبغداد غفلا عما يجب أن يكون موسوما به من الانتساب الى المعارف التي يختص منها الجاحظ لم ينفعه بعد ذلك شئ من المحاسن، فلما رجع الصاحب عن بغداد (يقصد الصاحب بن عبّاد ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) سأله ابن العميد عنها فقال: "بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد فجعلها مثلا في الغاية في الفضل" (ياقوت الحموي:معجم البلدان،جـ١،ص٤٦١).

من هذا الفهم الحضاري بأصالة عطاء هذه المدينة – مدينة السلام – العريقة، يتوجه قسم الدراسات التاريخية في بيت الحكمة لمتابعة أوصاف مدينة بغداد منذ تأسيسها على يد مؤسسها الخليفة المنصور حتى القرن العشرين، الأوصاف التي سجلها الرحالة والبلدانيون العرب والاجانب على وفق منهج أقرب الى النشر والتعليق من دون التحقيق والتحليل والتمحيص، إنها شهادات بحق هذه المدينة العظيمة وعطائها الحضاري، تقدم تسلسلا موضوعيا عن التطورات التي شهدتها في مناحيها العمرانية والخططية، وفي الوقت نفسه تقدم تسلسلا موضوعيا لما واجهته المدينة من محن سياسية متمثلة بعوامل الغزو والتدمير لمعالمها وخططها حتى أنها أصبحت خلال العصور الحديثة (منذ الغزو المغولي مرورا بالحقبة الاليخانية والتركمانية والعثمانية) صغيرة الحجم تقتصر على الجانب الشرقي المحاط بأربعة أبواب: باب سوق السلطان، باب الظفرية (الباب الوسطاني)، بابُ طريق خراسان، باب الحلبة (باب الطلسم)، وباب البصلية (باب كلواذي).

وحسب ماهو مخطط له فإن هذا هو الجزء الاول الذي يشير الى بغداد خلال الحقبة الاسلامية منذ أول نص مكتوب ومتوافر عنها وهو نص البلاذري(ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) في كتابه (فتوح البلدان) وانتهاء بنص الحميري (ت سنة ٩٠٠هـ/١٥٩٤م) في كتابه(الروض المعطار في خبر الأقطار)، والذي قدم الى غرناطة واستقربها.

لم يزر الحميري بغداد بل اعتمد في وصفه لها على أوصاف المشارقة كاليعقوبي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي وياقوت الحموي لكننا اثرنا على وضع أقواله وأوصافه ضمن هذا المشروع ممثلا للحقبة التي أعقبت أوصاف الرحالة الفارسي حمد الله القزويني والرحالة الايطالي ماركو بولو.

ونأمل ان يعقب هذا الجزء جزءا ثانيا يضم الرحالة الاوربيين الذين زاروا بغداد في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد، وقد اجتمعت لدى القسم رحلات عدة عن هذه الحقبة تركية وفارسية وانجليزية وفرنسية بعضها قد ترجم فعلا من مترجمين عراقيين أفاضل والبعض الاخر أحاله القسم الى مترجمين داخل بغداد وخارجها من الأساتذة الجامعيين والباحثين، والذين خبروا اللغات الاجنبية.

لقد نهج هذا المشروع منهجا مزدوجا، هدفه تسليط الضوء على مدينة بغداد السلام (خططها ووصفها) من أقدم نص مكتوب متوافر عنها، وهذا المنهج المزدوج قد جمع بين رحالة عرب ومسلمين ورحالة أجانب قطعوا المسافات من بلدانهم في رحلات طويلة، فكانت بغداد احدى المحطات التي زاروها ومكثوا فيها مدة قصيرة وهو مايتفق مع عنوان الكتاب، والذين كتبوا عن بغداد سواء من أهلها أم من الذين وفدوا اليها واستقروا بها أم الذين كانوا بعيدين عنها واستقوا أوصافها من تجار ومسافرين وعلى هذا الاساس نقدم في أدناه عرضاً سريعا مع نبذة من حياة العلماء(الرحالة والبلدانيين) ضمن الاتجاهين السالفي الذكر، فأول نص مكتوب ومتوافر وان لم يكن بتلك السعة والشمول فهو نص المؤرخ البغدادي الرحالة أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، اذ تضمن معلومات خططية مهمة عن اقطاعات الجانب الغربي والقناطر التي انشأت على الأنهر لتنظيم شبكة المياه الداخلة الى المدينة، فضلا عن تخطيط المدينة الشرقية من الجانب الشرقي(مدينة المهدي ابن الخليفة أبي جعفر المنصور) واستحداث الرصافة في الجانب الشرقي.

وأما أول وصف تفصيلي لم يسبقه نظير وصار مصدرا اعتمده البلدانيون والمؤلفون فهو نص أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي قيل إن جده كان من أبناء موالي أبي جعفر المنصور لهذا اضاف ياقوت الحموي في (معجم الادباء،جـ٥،ص١٥٣) تسميته بالاخباري العباسي، ورد انه توفي سنة (٢٨٤هـ/٨٩٧م) والاصح في سنة (٢٩٢هـ/ ٩٠٥م) اعتمادا على أمرين، الأول انه ختم كتابه(مشاكلة الناس لزمانهم،ص٣٥) بالخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-

٩٠٢م)، والثاني في كتابه (البلدان، ص٣٧٢)، اذ يذكر انه في ليلة عيد الفطرمن سنة (٢٩٢هـ/٩٠٥م) سمع في نومه هاتفا يقول " ذهب الملك والتملك والزينة لما مضى بنو طولون".

واليعقوبي في هذا الميدان يعدّ من أعلام بغداد المشهورين ممن كتب عن المدينة بعد أحمد بن ابي طاهر المعروف بطيفور، وهو مؤرخ حولي كتب تاريخا حسب السنوات بجزئين.

في الوقت نفسه أنه يعدّ من الجغرافيين البلدانيين الذائعي الصيت، اذ ألف كتابا (مع أن النسخة الموجودة ناقصة) هو من المؤلفات المهمة عن حواضر العراق ومصر والشام والمغرب.

وعرف اليعقوبي بانه قام برحلات واسعة وأسفارعدة قادته الى الهند والمغرب ومصر ثم عاد الى موطنه بغداد بعد أن جال في الأقطار جولة طويلة.

وأما فيما يخص بغداد فإن الفصل الذي بقي من كتابه لايمكن الاستغناء عنه في الكتابة عن عوامل تأسيس مدينة السلام وخططها المختلفة من شوارع ودروب وأسواق ومربعات وقصور وجوامع وحمامات، وهو في كثير من المعلومات كان فريداً، اذ لاتضاهيها معلومات اخرى، وقد أوقعه حب الأسفار منذ شبابه الى جمع أخبار البلدان والمسالك التي تربط الأقاليم والحدود والمسافات بين بلد واخر، وكان دؤوبا على الاستفسارعن أوصاف البلدان الجغرافية والطبيعية والاقتصادية والاجتماعية كان يدونها فيقول "ثم أثبت كل ما يخبرني به من أثق بصدقه واستظهر بمسألة قوم بعد قوم حتى سألت خلقا كثيرا وعالما من الناس في الموسم وغير الموسم من أهل المشرق والمغرب وكتبت أخبارهم ورويت أحاديثهم ...." (البلدان،ص٢٣٢).

كان وصفه مدينة بغداد وصفا دقيقا ومنظما يثير الاعجاب وانه في هذا الصدد يضاهي ماورد عند ابن الفقيه الهمذاني في (البلدان) الطبعة الجديدة، اذ كان وصفه الخططي موضوعيا ومتسلسلا، وقد اقتبس منه الخطيب البغدادي معلومات غير قليلة نصا حرفيا مع أنه لم يشر اليه صراحة الا مرة واحدة (تاريخ بغداد،جـ١،ص٦٩).

وكان لتحديداته الدقيقة لقصر الخلد ومواضع من الجانب الغربي من بغداد تحديدات مهمة، وأما الامر المهم الاخر في وصف اليعقوبي مدينة بغداد السلام فهو يعدّ أول من ميز بوضوح بين نهر عيسى الأعظم الذي يأخذ من الفرات، وبين الفرع الذي يأخذ منه ويحمل اسمه، الأمر الذي بنى عليه المرحومان أحمد سوسة ومصطفى

جواد في كتابهما(دليل خارطة بغداد) خلال نقدهما السديد دراسة المستشرق الانكليزي كي لسترنج في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية) بسبب عدم تمييزه بين نهر عيسى الأعظم من نهر عيسى الفرع.

واذا كان بعض الباحثين يأخذ على اليعقوبي أنه كتب مادته الخططية عن بغداد، وهو بعيد عنها استنادا الى قوله " وبلغني "،(البلدان،ص٢٤٢)، فإن ذلك في الواقع ليس منّقبة عليه بقدر ما انه يؤشر الى حسن متابعته وهذا متأتٍ من نهجه الفريد في اطلاع القارئ على التغيرات العمرانية المتلاحقة على هذا الاقطاع أو ذلك الربض أو تلك السويقة.

والى جانب هذا الوصف المسهب عن خطط بغداد وعمارتها بدءاً من تأسيسها حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، نجد رحالة اخر هو أحمد بن محمد بن اسحاق بن ابراهيم ابن الفقيه الهمذاني (ت حوالى سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م)، المعروف بالاخباري أبي عبد الله والملقب بحالان وهو صاحب(كتاب البلدان) روى عن أبيه واخرين ويحتمل انه انتهى من كتابه(البلدان) سنة (٢٩٠هـ/٩٠٢م)، وانه كان حيا سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م).

لقد أسهب ابن الفقيه الهمذاني في توصيف عمارة بغداد وخططها، اذ اشتمل وصفه على تحديدات جديدة لإقطاعات المدينة والجسور التي انشئت على نهر دجلة لربط جانبيها الشرقي والغربي، فضلا عن معلومات مهمة اخرى تتعلق بأسوارها وأبوابها وقصورها ومساجدها وحماماتها والى جانب هذا الوصف الوافي، فإن نص ابن الفقيه الهمذاني عن بغداد تضمن أيضا الكثير من الأخبارعن مناقب هذه المدينة وفضائلها وصفاتها، وهو بذلك أسدى فائدة عظيمة للباحثين، اذ أورد الكثير من النصوص المقتبسة حرفيا من كتب الفت عن بغداد في هذا المجال أوهي في الواقع تُعدّ من الكتب الضائعة، فقد نقل نصوصا مهمة من يزدجرد بن مهبنداد الكسروي (المتوفى حوالى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) وهذا الأخير واعتمادا على ابن النديم (الفهرست،ص٢٠٥) قد ألف كتابا عن بغداد هو (فضائل بغداد وصفتها)، كذلك نقل نصوصا مهمة من أبي العباس احمد بن الطيب السرخسي (ت٢٨٦هـ/٨٩٩ م) وهذا بحسب ابن النديم (الفهرست،ص٤٢١- ٤٢٢) قد ألف أيضا كتابا عن بغداد هو(فضائل بغداد وأخبارها).

وابن الفقيه الهمذاني نقل أيضاً بعض المعلومات المهمة عن مساحة بغداد بجانبيها الغربي والشرقي من (كتاب بغداد) لأبي الفضل أحمد بن ابي طاهر بن طيفور (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م) الذي يعدّ أول كتاب صنف عن بغداد، لكنه للأسف ضاع ولم يصل الينا منه سوى الجزء السادس الخاص بأخبار بغداد في عهد الخليفة المأمون.

وأعتمدنا البلداني الاخر أبا علي أحمد بن عمر المعروف بابن رستة(المتوفى أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) مؤلف كتاب (الأعلاق النفيسة) وهو كتاب صغير الحجم يتناول مباحث معروفة في الجغرافية متنوعة، وليس لدينا معلومات وافية عن هذا العالم سوى انه كان من أهالي اصفهان وانه قام برحلة الى الحجاز سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م، وان كتابه الأعلاق النفيسة لم يبق منه سوى الجزء السابع، ومن المحتمل جدا قد كتبه بين سنة (٢٩٠-٣٠١هـ/٩٠٢-٩١٣م).

ويعكس النص المتوافر من الأعلاق أن مؤلفه ذو ثقافة واسعة، وهناك احتمال بأن ابن رستة قد أطلع على كتاب المسالك للجيهاني وكتاب مسالك ابن خرداذبة، وأما فيما يخص روايته عن بغداد السلام فكانت موجزة لكنها مهمة وقد وصفها تحت عنوان(خبر بغداد وصفتها على ايجاز واختصار) ركز فيها على المدينة المدورة.

وتضمن هذا المشروع رواية الجغرافي الفلكي ابن سرابيون المعروف أيضا بـ(سهراب) مؤلف كتاب (عجائب الأقاليم السبعة الى نهاية العمارة)، والواقع ان معرفتنا بهذا العالم قليلة جدا ومن المحتمل انه عاش في (النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، ففي مقدمته لكتابه الانف الذكر(ص٥) يصف سرابيون نفسه بسهراب، واعتمادا على وصفه المفصل لأنهار بغداد فإنه كان يعيش في المدينة أو مكث بها مدة.

اما عن كتابه فإن هناك احتمالا على انه قد ألّفه بين سنوات (٢٨٩- ٣٣٤هـ/٩٠١ -٩٤٥م) كما يعتقد الاستاذ سعيد مقبول أحمد في بحثه عن ابن سرابيون واستنتج أيضا بأن (عجائب الاقاليم) هو كتابه الذي جمع فيه معلومات من مصادر مختلفة سبقته ولاسيما كتاب الخوارزمي (صورة الارض).

وفيما يتعلق الأمر ببغداد فإن وصفه نهر عيسى ونهر موسى ونهر المعلى والصراة له أهمية خاصة لأنه يذكر الوحدات الخططية التي تمر بها هذه الأنهار، كذلك أوردنا وصف الجغرافي المعروف أبي اسحاق ابراهيم بن محمد الاصطخري الكرخي وهو

يعدّ واحدا من بين البلدانيين الذين يمثلون اتجاها عربيا خاصا من غير أن تؤثر فيه فلسفة الجغرافية البطليموسية.

والاصطخري من مدينة اصطخر، مع أن المقدسي يطلق عليه نسبه الكرخي ربما نسبة الى كرخ التي قطنها هذا العالم مدة، ويشير ابن حوقل (صورة الارض،ص٢٨٤) انه التقى الاصطخري في السفر وربما كان هذا الالتقاء في بغداد.

كتب الاصطخري كتابين ولعلهما كتاب واحد هما(المسالك والممالك) وكتاب(صور الاقاليم) وليس هناك معلومات دقيقة عن حياته ومن المحتمل انه كان حيا خلال(الربع الأخير من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، ويعدّ لقاؤه بأبن حوقل سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م دليلا ساطعا على ذلك، ومع كل هذا تبقى سنة وفاته غامضة تتراوح بين سنة٣٤٦ و ٣٤٨هـ/ ٩٥٧-٩٥٩م.

وروايته عن بغداد مختصرة جدا وعامة غيرانها تتضمن ملاحظات ومشاهدات جديرة وقيّمة ولاسيما المتعلقة بتطور(عسكر المهدي) الى الرصافة، وفهمه للشماسية(الصليخ) بأنها تحاذي محلة الحربية في الجانب الغربي، وملاحظته عن جسور بغداد.

ويأتي البلداني أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي البغدادي عالم جغرافي ورحالة قضى أكثر حياته جوالا بين حواجز العالم الإسلامي، إذ ولد في مدينة نصيبين في الجزيرة الفراتية الواقعة الى القرب من ماردين ربما في بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وقد مكث في نصيبين سنوات حياته الأولى إلى السابع من شهر رمضان سنة ٣٣١هـ/١٥ مايس ٩٤٣م حينما بدأ سلسلة من الرحلات إلى شمال افريقيا واسبانيا وجنوب الصحراء ومصر وأرمينية واذربيجان والجزيرة والعراق وخوزستان(عربستان) وبلاد فارس وخوارزم وبلاد ماوراء النهر وأخيرا صقلية التي زارها سنة ٣٦٢ هـ/ ٩٧٣م، وقد تابع الاستاذ A.Miquel رحلاته هذه وحدد تواريخها.

ألف ابن حوقل مؤلفات عدة التي يعنينا منها كتابة(صورة الارض) وله (المسالك والممالك)، وكتاب عن صقلية وحسب رأي الاستاذ مكويل ان الرواية الأولى للصورة قد ظهرت في حوالى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م وأما الرواية الثانية وهي الرواية الكاملة فظهرت سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م، ولذلك فإن البعض يرى أن وفاته كانت في

٣٦٧هـ/٩٧٧م مع أن السنة التي أعاد فيها كتابة (الصورة) والبعض الاخر يميل الى السنة الثانية.

وروايته عن بغداد تشابه الى حد كبير رواية الاصطخري وفي أحيان متطابقة حرفيا ومن السهل مطابقتها ومعرفتها ولاسيما فيما يخص عسكر المهدي والشماسية والكرخ والجسور.

وهناك نص رواية المقدسي البشاري أبي عبد الله محمد بن احمد المقدسي ولد في بيت المقدس في فلسطين، وهو من كبار الرحالة الذين تجشموا عناء السفر ويبدو انه كآبن حوقل تاجر زار أكثر الحواضر الاسلامية ماعدا الهند والاندلس، وألف كتابا قيّماهو (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) في مدينة شيراز سنة ٣٧٥ هـ/ ٩٨٢م وقد أخطأ الكثير من الباحثين حينما يجعلون تلك السنة هي سنة وفاته التي من المحتمل أن تكون سنة ٣٨٥ هـ/٩٩٥م أو بعد ذلك.

وروايته عن بغداد في كتابه لها أهمية خاصة، فإنه الرحالة الوحيد الذي يذكر ان أباالعباس السفاح(١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م) قد أحدث مدينة بغداد وأن المنصور قد بنى فيها مدينة السلام وزاد فيها الخلفاء من بعده، وهي رواية فريدة لاتؤيدها النصوص التاريخية، وأما مصدر معلوماته فغير واضح لكن يحتمل جدا أنه استقاها من اليعقوبي أو ابن الفقيه الهمذاني أو الطبري وهذا لايعني انه لم يزر المدينة، فالمقدسي زار بغداد ووصف أحوالها الاجتماعية والدينية كوصفه مشاهد الأولياء نحو قبر الامام أبي حنيفة وموقعه خلف سوق يحيى وقبر أبي يوسف في مقابر قريش ومقابر اخرى.

ان الحديث عن مشاهدات الرحالة والبلدانيين العرب لمدينة السلام لا يكتمل بلا استشهاد برواية مؤرخ بغداد الخطيب البغدادي، حقيقة انه لا يدخل ضمن مشروع الرحالة على الرغم من خروجه من بغداد قبل أكثر من اثنتي عشرة سنة من وفاته بسبب تنفذ القائد التركي ابي الحارث البساسيري (ت٤٥١هـ/١٠٥٩م) واتخذ الشام موطنا، مع كل هذه الأسباب فإن روايته المفصلة التي أعتمد فيها على مصادر متنوعة بدءا من كتاب بغداد لابن طيفور ومرورا بوصف اليعقوبي وكتاب بغداد لمحمد بن خلف وكيع (ت٣٠٦هـ/٩١٨م) وكتاب الصولي (٣٣٥هـ/٩٤٦م) والصابيء (٤٤٨هـ/١٠٥٦) وغيرهم تعد من أهم الروايات التي وصفت خطط بغداد العمرانية المدورة منها والرصافة والكرخ ودار الخلافة، انه الحافظ أبو بكر احمد بن علي بن

ثابت بن احمد بن مهدي الشافعي المعروف بالخطيب البغدادي ولد في ٢٤ جمادى الاخرة سنة ١٠/٣٩١ مايس ١٠٠٢م والمتوفى في ٧ ذي الحجة من سنة ٤٦٣هـ/١٨اب ١٠٧٠م، خصص الخطيب البغدادي أكثر من مائة صفحة بقليل من سفره (تاريخ بغداد أو مدينة السلام) لوصف تأسيس المدينة المدورة وبنائها وخططها ومعالمها العمرانية وتوسعها الحضري إلى الرصافة والكرخ خلال مرحلة ازدهارها ونشوئها وتطورها، والمعلومات التي اتى بها الخطيب البغدادي في هذه الصفحات وصفحات اخرى مجلدات كتابة لا يمكن الاستغناء عنها من حيث الموضوعية ولبنائها وتماسكها وبعدها الحضري والعمراني.

والوصف الذي يأتي بعد وصف الخطيب البغدادي هو وصف الشريف الادريسي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني القرطبي المعروف بالشريف الادريسي أحد علماء الجغرافية العرب.

ولد الادريسي في سنة ٤٩٣هـ وتوفي سنة ٥٦٠هـ/١٠٩٩-١١٦٥م، كان رحالة تجول في حواضر شمال افريقيا وعرف مدنها وقراها وقد زار بعض المدن الواقعة على الشاطيء الفرنسي ورحل الى المشرق فزارمصر والشام وسائر بلاد اسيا الصغرى، غير انه لم يزر بغداد انما اعتمد على الاسئلة التي كان يوجهها الى التجار القادمين من العراق، وهو في هذا الميدان اعتمد أوصاف الاصطخري وابن حوقل.

ويعدّ الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي وهو الرّبي بنيامين بن يونة التطيلي النباري الأندلسي الذي قام برحلته سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م وظل يتجول في البلدان الى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، إذ أنه وصل بغداد زمن الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م) ووصفه قصر الخليفة وبيمارستان بغداد ومساحة بغداد(استدارتها) وأوضاع اليهود وأعدادهم يتضمن معلومات مفيدة جدا.

وبعد حوالى خمس عشرة سنة زار بغداد رحالة يهودي اخر هو الرّبي بطاخيا أو فتاخيا بن يعقوب الراتسبوني الذي قام برحلة سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م بدأها من بولندا وانتهى منها سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م، وقد وقف فتاخيا على الجوانب التعليمية اليهودية في بغداد وأعطى وصفا لمساحتها (استدارتها) وأبوابها لم يذكره بنيامين أو غيره من الرحالة.

وفي سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م زار بغداد الرحالة ابو الحسين محمد بن احمد بن جُبير الكناني البلنسي وهو رحالة اندلسي ولد في بلنسة سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م.

كان ابن جُبير مشهورا بالأدب والشعر، لكن شهرته بوصفه رحالة فاقت ذلك وقد واظب منذ أن رحل الى الشرق أول مرة والى مكة بشكل خاص على تدوين مشاهداته، غادر غرناطة في ١٩ شوال من سنة ٥٧٨هـ/٣ شباط ١١٨٣م برفقة زميله أحمد بن حسان عبر القاهرة، فقوس، فعيذاب الى مكة، وبعد الموسم اتجه الى المدينة، ثم الى الكوفة، فالحلة، فبغداد، فالموصل، فالجزيرة فحلب، فدمشق، فعكا ثم الى بلاده ثانية.

كان مكوثه في بغداد لمدة وجيزة من عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م، وقد استثمر وجوده فاخذ ملاحظات قيّمة ودوّن مشاهدات مهمة سجلها بعد عودته من رحلته الذائعة الصيت (رحلة ابن جُبير) التي صارت معروفة في اوربا منذ منتصف القرن التاسع عشر.

والرحالة الاخر الذي زار بغداد هو أبو الحسن علي بن ابي بكر الهروي السائح (المتوفى سنة ٦١١هـ/١٢١٤ م) الذي بدأ رحلته إلى الحواضر الاسلامية خلال خلافة الناصر لدين الله (٥٧٥- ٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م)، ومن المحتمل أنه زار بغداد خلال العقد الاخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

اهتم الهروي في كتابه (الاشارات الى معرفة الزيارات) بتدوين مشاهداته عن القبور والمشاهد التي زخرت بها بغداد من جانبيها الشرقي والغربي وتحديد مواضعها.

وضمن هذا المشروع أيضا أوصاف بغداد عند ياقوت الحموي المولود سنة ٥٧٤هـ/١١٧٩م والمتوفى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م في معجمه الفخم(معجم البلدان) الذي أنتهى من كتابته سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٤م، وياقوت الحموي من مشاهير الرحالة والجغرافيين غير ان ذلك لا يعني انه رحل الى بغداد، فهو نشأ في بغداد منذ أن كان عمره خمس سنوات، وفي سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م أرسله مولاه بتجارة الى جزيرة قيس، وبعدها بدأ برحلة طويلة الى الشام والمشرق الاسلامي لأكثر من عشر سنين، ثم عاد بعدها الى حلب سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢٠م، وبعدها توجه الى مصر سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٥م، ولهذا فإن وصفه بغداد يعدّ من الأوصاف المهمة لأنه يحتوي على ملاحظات ومشاهدات خططية ترجع الى حوالى الربع الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، فضلا عن اعتماده على مصادر بلدانية وتاريخية كالبلاذري واليعقوبي والاصطخري وغيرهم.

وأعتمد الكتاب على أوصاف زكريا ين محمد بن محمود القزويني المولـــود فــي قزوين سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م والمتوفى سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م.

ألف القزويني كتابين احدهما (عجائب المخلوقات وغرائب الموجـودات) والاخـر الذي يهمنا كتاب (اثار البلاد وأخبار العباد)، وفي وصفه وزيارته بغداد دون مشـاهداته المعاصرة كاشارته الى المدينة الشرقية من بغداد وتعقيبه "والان هي مدينة عظيمـــة" وهو يقصد الجانب الشرقي من بغداد، اما عن الجانب الغربي فيقـــول عـــن المدينـــة الغربية وربما يقصد المدورة قائلا "والان لم يبق منها أثر" وهو أيضا اعتمد الخطيـــب البغدادي واخرين.

ومن الرحالة الاوربيين الذين زاروا بغداد الرحالة الفينيسي ماركوبولو المولود عام ١٢٥٤م والمتوفى عام ١٣٢٤م في البندقية قام برحلة طويلة الى المشـــرق الاسـلامي دخل فيها الى بكين في الصين، وعاد بحرا عبر الخليج العربي.

صحيح أن ماركو بولو قد دون معلومات تتعلق ببغداد التي يسميها "بلداش" وعـــر هولاكو وغزوه بغداد وقتله الخليفة المستعصم(٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٢م)، لكـــو يبدو انه سمع تلك المعلومات ولاسيما أنه قد أملى قصة رحلاته وهو في الأســـر الـــ زميله، وصار زميله مصدر رحلته الأساس التي نسخت منها مخطوطات كثيرة أحتوت على معلومات متباينة ولذلك جاءت في النسخة المترجمة الى الانجليزية ثم الى العربية معلومات مملوءة بالأخطاء التاريخية.

ومن الكتب البلدانية والرحلات كتاب (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) لمؤلفـــه شمس الدين عبد الله محمد الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م،والدمشقي أيضا لـــم يزر بغداد ويبدو انه أعتمد على مصادر سبقته.

يقدم شيخ الربوة معلومة عن أصل تسمية بغداد من انها جاءت من" بك دار" التركية الاصل وتعني دار العدل او الحاكم العادل، وانها مدينة السلام لأنها يسلم فيـــها علـــى الخلفاء، ويبدو انه أخطأ الوصف حينما قال انها زمنه تتألف من سبع محالات.

والجغرافي الاخر الذي قدم وصفا لبغداد هو أبو الفداء اسماعيل بـــن علـــي ابـــن محمود بن شاهنشاه أيوب عماد الدين الايوبي المولود في دمشق سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م والمتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م، وهنا يبدو ان أبا الفداء لم يزر بغداد أيضاً بل اعتمـــد

مصادر منها ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) في معجمه النسبي (اللباب في تهذيب الانساب) وياقوت الحموي في كتابه (المشترك وضعا والمفترق صقعا).

غير أن الرحالة الفارسي حمد الله مستوفي القزويني (المتوفى سنة ٧٤٠هـ/١٣٤٠م) قد زار بغداد وكتب عنها وصفا قيّما ولاسيما فيما يخص الى استدارتها وأبوابها وانتاجاتها وارداتها ومشاهدها وقبور الأولياء فيها ومساحة مقبرة قريش والمسافات بالفراسخ بينها وبين المدن العراقية الأخرى.

كذلك كانت رحلة الرحالة شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي، ولد في طنجة سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م وتوفي في المغرب سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م او ٧٧٩هـ/١٣٧٧م، بعد أن قام برحلات طويلة جدا عُدّ من الجوالين العرب المشهورين، بدأ رحلته من طنجة سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م الى شمال افريقيا، ومصر، ومصر العليا، والشام، ودمشق، ومكة، وخوزستان (عربستان)، وفارس، والجبال، وتبريز، وبغداد، وسامراء، والموصل، ثم عاد الى بغداد ثانية ليرجع الى الجزيرة العربية وزار عدن وافريقيا والاناضول.

ورحلته الى بغداد ومكوثه فيها من الرحلات المهمة التي أعقبت رحلة ابن جُبير، ويبدو أن محمد الكلبي (ابن جزي) كاتب السلطان المريني هو الذي تولى كتابة مدونات ابن بطوطة ومشاهداته عن الحواضر التي زارها.

ومن الملاحظ أن مدوناته عن بغداد تتشابه بل تتطابق مع مشاهدات ابن جُبير ويرجع هذا الى ابن جزي الذي دوّن ملاحظات ابن بطوطة وقد أضاف اليها ما كتبه ابن جبير الذي زار بغداد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، ولذلك ينبغي على القارئ ملاحظة هذا الأمر لئلا يلتبس عليه الوصف بأنه لابن بطوطة وهو في الحقيقة لابن جبير، ومع هذا فإن الاستنتاج السابق لايعني اطلاقا ان رواية ابن بطوطة لبغداد كلها مأخوذة او منتزعة كلها من رحلة ابن جبير، وقد أوضحنا ذلك في هامش الرحلة البطوطية.

وانتهت رحلات الرحالة العرب ووصف البلدانيين في هذا الجزء بوصف الحميري محمد بن عبد المنعم صاحب المعجم الجغرافي المعروف (الروض المعطار في خبر الأقطار) ومؤلفه الصنهاجي الذي ربما توفي سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م حسب رأي

المحقق احسان عباس أو سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م حسب ما كان سائدا من أن مؤلفه هو أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري.

ولعله من الصحيح الاشارة الى أن الحميري لم يزر بغداد بل اعتمد مؤلفات البلدانيين العرب الذين سبقوه، ومن أهمهم اليعقوبي، وابن الفقيه الهمذاني، والخطيب البغدادي، والهدف من ادخال وصف الحميري ضمن هذا المشروع هو ابراز أهمية بغداد في الافاق، فإن الحميري الصنهاجي آثر أن يفصل في وصفه مدينة بغداد السلام ضمن مفردات معجمه الجامع.

وختاما نسأل الله تعالى الموفقية والسداد في أن يقدم هذا العمل خدمة متواضعة لمحبي العلم والباحثين ولمحبي بغداد السلام، وشكرنا وتقديرنا الى بيت الحكمة المعطاء على دعمه وتشجيعه لاكمال هذا المشروع الكبير الجامع.

ومن الله الموفقية والفلاح.

أ. د. عبد الجبار ناجي

الفصل الاول

بغداد في كتابات البلدانيين والرحالة
خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/
التاسع والعاشر الميلاديين

وصف البلاذري(*)
مدينة بغداد

قالوا: وكانت بغداد قديمة فمصرها أمير المؤمنين المنصور رحمه الله وابتنى بها مدينة، وابتدأها في سنة خمس وأربعين ومئة، فلما بلغه خروج محمد وابراهيم أبني عبد الله بن حسن بن حسن، عاد الى الكوفة، ثم حول بيوت الأموال والخزائن والدواوين من الكوفة الى بغداد سنة ست واربعين ومئة، وسماها مدينة السلام، واستتم بناء حائط مدينته وجميع أمره وبناء سور بغداد القديم سنة سبع وأربعين ومئة(1)، وتوفي سنة ثماني وخمسين ومئة بمكة، ودفن عند بئر ميمون بن الحضرمي حليف بني امية.

وبنى المنصور للمهدي الرصافة في الجانب الشرقي ببغداد، وكان هذا الجانب يدعى عسكر المهدي لأنه عسكر فيه عند خروجه الى الري فلما قدم من الري وقد بدا للمنصور في انفاذه الى خراسان للاقامة بها تزل الرصافة، وذلك في سنة احدى وخمسين ومئة، وقد كان المنصور أمر فبنى للمهدي، قبل انزاله الجانب الشرقي، قصره الذي يعرف بقصر الوضاح وبقصر المهدي وبالشرقية، وهو مما يلي باب الكرخ، والوضاح رجل من أهل الأنبار كان قد تولى النفقة عليه فنسب اليه.

وبنى المنصور مسجدي مدينة السلام، وبنى القنطرة الجديدة على الصراة وابتاع أرض مدينة السلام من قوم من أرباب القرى بادوريا وقطربل ونهر بوق ونهر بيّن،وأقطعها أهل بيته وقواده وجنده وصحابته وكتابه، وجعل مجمع الأسواق بالكرخ(2)، وأمر التجار فابتنوا الحوانيت وألزمهم الغلة(3).

(*) أحمد بن يحيى بن جابر (ت سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان،(تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة ١٩٥٦، من صفحة ٣٦١ - ٣٦٤).

(1) عند الطبري(تاريخ،جـ٨،ص٢٨) "في سنة تسع وأربعين ومائة"، كذلك الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٦٧).

(2) يشير الطبري (تاريخ،جـ٨ص٥٢) الى أن الخليفة المنصور أمر في سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٣م بنقل الأسواق من مدينته المدورة الى باب الكرخ وغيره من المواضع.

(3) اختلف المؤرخون في تاريخ فرض الجباية على الأسواق ببغداد، فالطبري(جـ٩،ص٦٥٣) يؤيد ماذكره البلاذري لكنه يزيد عليه ويقول ان الجباية(الغلة)كانت على قدر ذراع في حين ان اليعقوبي

وحدثني العباس بن هشام الكلبي، عن ابيه قال: يسمى المخرّم ببغداد مخرّما لأن مخرّم بن شريح بن حزن الحارثي نزله.

قال: وكان ناحية قنطرة البردان للسري بن الحطيم صاحب الحطيمية التي تعرف ببغداد، وحدثني مشايخ من أهل بغداد أن الصالحية ببغداد نسبت الى صالح بن المنصور[١].

قالوا: والحربية نسبت الى حرب بن عبد الله البلخي، وكان على شرط جعفر بن أبي جعفر بالموصل[٢] والزهيرية تعرف بباب التبن نسبت الى زهير بن محمد من أهل أبيورد، وعيساباد نسبت الى عيسى بن المهدي وكان في حجر منازل التركي وهو ابن الخيزران وقصر عبدويه مما يلي براثا نسب الى رجل من الأزد يقال له عبدويه وكان من وجوه أهل الدولة.

قالوا: وأقطع المنصور ببغداد سليمان بن مجالد[٣] ومجالد شروي مولى لعلي بن عبد الله موضع داره، وأقطع المهلهل بن صفوان قطيعة بالمدينة واليه ينسب درب مهلهل، وكان صفوان مولى علي بن عبد الله، وكان اسم مهلهل يحيى فاستنشده محمد ابن علي[٤] شعرا فأنشده:

اليلتنا بذي خشم أنيري

وهي لمهلهل، وسماه مهلهلا ومحمدا أعتقه(؟).

وأقطع المنصورعمارة بن حمزة الناحية المعروف به خلف مربعة شبيب بن وأج، وأقطع ميمونا أبا بشر بن ميمون عند بستان القس ناحية باب الشام، وطاقات[٥]

(تاريخ،جـ٢،ص٢٨)والخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٨١) يحددان بدء الجباية في عهد الخليفة المهدي.

[١]المعروف بـ (المسكين).

[٢] قتل سنة ١٤٧هـ/ ٧٤٦م (ياقوت الحموي:معجم البلدان،جـ٢،ص٢٣٧).

[٣] من أهل الاردن، أخو الخليفة أبو جعفر المنصور بالرضاعة، وكان مع بني العباس بالحميمة قرب دمشق، ولما آل الامر الى الخليفة المنصور ولاّه الري (ابن عساكر:تاريخ دمشق،جـ٢٢،ص٣٦٥-٦٦).

[٤] والد الخليفة المنصور، يلقب بـ (أبي الخلفاء العباسيين)، توفي سنة ١٢٥هـ/ ٧٤٨م (البلاذري: أنساب الاشراف، جـ٥،ص١٠٧).

[٥]مفردها طاق: وهو البناء المعقود (ياقوت الحموي:البلدان، جـ٤،ص٥).

بشر تنسب إلى بشر بن ميمون هذا، وكان ميمون مولى علي بن عبد الله، وأقطع شبيلا مولاه قطيعة عند دار يقطين، وهناك مسجد بشبيل، وأقطع أم عبيدة، وهي حاضنة لهم ومولاة لمحمد بن علي، قطيعة، واليها تنسب طاقات أم عبيدة بقرب الجسر، وأقطع منيرة مولاة محمد بن علي واليها ينسب درب منيرة، وخان منيرة في الجانب الشرقي، وأقطع ريسانة موضعا يعرف بمسجد بني رغبان مولى حبيب بن مسلمة الفهري، يدخل في قصر عيسى بن جعفر أو جعفر بن جعفر المنصور، ودرب مهروية في الجانب الشرقي نسب الى مهروية الرازي، وكان من سبي سنفاذ فأعتقه المهدي.

ولم يزل المنصور رحمه الله بمدينة السلام الى اخر سني خلافته، ثم حج منها وتوفي بمكة، ونزلها بعده المهدي أمير المؤمنين ثم شخص منها الى ماسبذان فتوفي بها، وكان أكثر نزوله من مدينة السلام بعيساباد في ابنية بناها هناك[1]، ثم نزلها الهادي موسى بن مهدي فتوفي بها، ونزلها الرشيد هارون بن المهدي، ثم شخص عنها إلى الرافقة[2] فاقام بها وسار بها الى خراسان، فتوفي بطوس، ونزلها محمد بن الرشيد فقتل بها، وقدمها المأمون عبد الله بن الرشيد من خراسان فأقام بها[3]، ثم شخص عنها غازيا فمات بالفذندون ودفن بطرسوس، ونزلها أمير المؤمنين المعتصم بالله ثم شخص عنها الى القاطول[4]، فنزل قصرا للرشيد كان ابتناه حين حفر قاطولة الذي دعاه أبا الجند لقيام ما يسقى من الأرضين بأرزاق جنده، ثم بنى بالقاطول بناء نزله ودفع ذلك القصر الى اشناس التركي مولاه، وهم بتمصير ما هناك وأبتدأ بناء مدينة تركها، ثم رآى تمصير سر من رآى فمصرها، ونقل الناس اليها، واقام بها، وبنى مسجدا جامعا في طرف الأسواق وسماها سر من رآى.

---

[1] يذكر الطبري (تاريخ،جـ٨،ص١٥٠) في أحداث سنة ١٤٦هـ/ ٧٨٠م أن الخليفة المهدي بنى في عيساباذ الكبرى قصرا من لبن سماه قصر السلامة، وقد أستتم بناءه في سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م (جـ٩،ص١٦٢) ويرى الدكتور صالح أحمد العلي (معالم بغداد الادارية والعمرانية،ص٥١) أن الخليفة المهدي آتخذ من عيساباذ مقراً له.

[2] من أعمال الجزيرة الفراتية بناها الخليفة أبو جعفر المنصور على بناء بغداد في أبوابها وفصولها وشوارعها (الطبري:تاريخ،جـ٨،ص٤٦؛ ياقوت الحموي:البلدان،جـ٣، ص١٥٥).

[3] في سنة٢٠٣أو ٢٠٤هـ/ ٨١٨-٨١٩م.

[4] من القطل (أي القطع) وقد قطعته أي قطعه ولقطيل المقطول، أي المقطوع وهونهر كانه مقطوع من دجلة كان بموضع سامراء قبل أن تبنى (ينظر :ياقوت الحموي:البلدان، جـ٤،ص٢٩٧).

وصف اليعقوبي (*)
مدينة بغداد

وانما ابتدأت بالعراق لأنها وسط الدنيا وسرة الأرض وذكرت بغداد لأنها وسط العراق والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة وكثرة مياه وصحة هواء ولأنه سكنها من أصناف الناس وأهل الأمصار والكور وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية واثرها جميع أهل الافاق على أوطانهم، فليس من أهل بلد الا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف، فاجتمع بها ما ليس في المدينة في الدنيا، ثم يجري في حافتيها النهران الأعظمان دجلة والفرات فيأتيها التجارات والمير برا وبحرا بأيسر السعي حتى تكامل بها كل متجر يحمل من المشرق والمغرب من أرض الاسلام وغير أرض الاسلام، فإنه يحمل اليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة وسائر البلدان حتى يكون بها من تجارات البلدان أكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها، ويكون مع ذلك أوجد وأمكن حتى كأنما سيقت اليها خيرات الأرض وجمعت فيها ذخائر الدنيا وتكاملت بها بركات العالم، وهي مع هذا مدينة بني هاشم ودار ملكهم ومحل سلطانهم، لم يبتد بها أحد قبلهم ولم يسكنها ملوك سواهم، ولأن سلفي كانوا القائمين بها وأحدهم تولى أمرهم[1]، ولها الاسم المشهور والذكر الذائع،ثم هي وسط الدنيا لأنها على ما أجمع عليه قول الحساب وتضمنته كتب الأوائل من الحكماء في الاقليم الرابع[2]، وهو الاقليم الأوسط الذي يعتدل فيه الهواء في جميع الأزمان والفصول فيكون الحر بها شديدا في أيام القيظ والبرد شديدا في أيام الشتاء ويعتدل الفصلان الخريف والربيع في أوقاتهما

(*) أحمد بن ابي يعقوب بن واضح(ت سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م): البلدان، (طبعة ليدن ١٨٩١، من صفحة ٢٣٣-٢٥٢).

(1) يبدو من خلال سياق النص، أنه ليس له علاقة بالنص السابق.

(2) أقاليم العالم القديم كما قال العلماء الاوائل سبعة، والاقليم الرابع الذي تقع عليه مدينة بغداد يعرف باقليم بابل، وهو أوسط الاقاليم وأعمرها وأكثرها إعتدالا، وتظهر في مناطقه واقاليمه الفصول الأربعة وحدوده تقريبا تشمل الأراضي مما يلي الهند وحتى =ساحل البحر الابيض المتوسط (المسعودي:التنبيه والاشراف،ص٤٨- ٥٥؛ الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد،جـ١،ص٢٢-٢٣).

ويكون دخول الخريف الى الشتاء غير متباين الهواء ودخول الربيع الى الصيف غير متباين الهواء، وكذلك كل فصل ينتقل من هواء الى هواء ومن زمان الى زمان فلذلك أعتدل الهواء وطاب الثرى وعذب الماء وزكت الاشجار وطابت الثمار وأخصبت الزروع وكثرت الخيرات وقرب مستنبط معينها، وباعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم وانفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والأدب والنظر والتمييز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكل مناظرة واحكام كل مهنة واتقان كل صناعة، فليس عالم أعلم من عالمهم ولا أروى من راويتهم ولا أجدل من متكلمهم ولا أعرب من نحويهم ولا أصح من قارئهم ولا أمهر من متطببهم ولا أحذق من مغنيهم ولا ألطف من صانعهم ولا أكتب من كاتبهم ولا أبين من منطقيهم ولا أعبد من عابدهم ولا أورع من زاهدهم ولا أفقه من حاكمهم ولا أخطب من خطيبهم ولا أشعر من شاعرهم ولا أفتك من ماجنهم.

ولم تكن بغداد مدينة في الأيام المتقدمة اعني ايام الأكاسرة و الاعاجم وانما كانت قرية من قرى طسوج[1] بادوريا وذلك أن مدينة الأكاسرة التي خاروها من مدن العراق المدائن وهي من بغداد على سبعة فراسخ[2] وبها ايوان كسرى انوشروان، ولم يكن ببغداد الا دير على موضع مصب الصراة الى دجلة الذي يقال له قرن الصراة وهو الدير الذي يسمى الدير العتيق قائم بحالة الى هذا الوقت نزله الجاثليق[3] رئيس النصارى النسطورية، ولم تكن أيضا بغداد في أيام العرب لما جاء الاسلام لأن العرب اختطت البصرة والكوفة فاختط الكوفة سعد بن أبي وقاص الزهري في سنة سبعة عشرة وهو عامل عمر بن الخطاب واختط البصرة عتبة بن غزوان المازني مازن قيس في سنة سبع عشرة وهو يومئذ عامل عمر بن الخطاب واختطت العرب في هاتين المدينتين خططهما الا أن القوم جميعا قد انتقل وجوههم وجلتهم ومياسير

---

(1) طسوج: بوزن سبوح وقدوس، أقل من الكورة والرستاق والاستان، كأنه جزء من أجزاء الكورة ويستعمل في سواد العراق الذي كان مقسما على ستين طسوجا، أي ستين ناحية ادارية (ياقوت الحموي:البلدان،جـ١،ص٣٨).

(2) مفردها فرسخ: ويساوي ٣أميال، والميل يساوي ٤٠٠٠ذراع شرعية والذراع الشرعية تساوي ٤٩,٨٧٥سم(فالترهنتس:المكاييل والأوزان الاسلامية،ص٩٣-٩٥).

(3) الجاثليق: هو الرئيس الاعلى في الكنيسة الشرقية، والكلمة يونانية الاصل تعني (العمومي).

تجارتهم الى بغداد، ولم ينزل بنو امية العراق لأنهم كانوا نزولا بالشام وكان معاوية بن ابي سفيان عامل الشام لعمر بن الخطاب ثم لعثمان بن عفان عشرين سنة وكان ينزل مدينة دمشق وأهله معه، فلما غلب على الأمر وصار اليه السلطان جعل منزله وداره دمشق التي بها كان سلطانه وأنصاره وشيعته، ثم نزل بها ملوك بني امية بعد معاوية لأنهم بها نشأوا لايعرفون غيرها ولايميل اليهم الا أهلها، فلما افضيت الخلافة الى بني عم رسول الله صلى الله عليه واله من ولد العباس بن عبد المطلب عرفوا بحسن تمييزهم وصحة عقولهم وكمال آرائهم، فضل العراق وجلالتها وسعتها ووسطها للدنيا وانها ليست كالشام الوبية الهواء الضيقة المنازل الحزنة الأرض المتصلة الطواعين الجافة الأهل، ولا كمصر المتغيرة الهواء الكثيرة الوباء التي انما هي بين بحر رطب عفن كثير البخارات الردية التي تولد الأدواء وتفسد الغذاء وبين الجبل اليابس الصلد الذي ليبسه وملوحته وفساده لاينبت فيه خضر ولاينفجر منه عين ماء ولا كأفريقية البعيدة عن جزيرة الاسلام وعن بيت الله الحرام الجافية الأهل الكثيرة العدو، ولا كأرمينية النائية الباردة الصردة الحزنة التي يحيط بها الأعداء، ولامثل كور الجبل الحزنة الخشنة المثلجة، دارالأكراد الغليظي الاكباد، ولاكأرض خراسان الطاعنة في مشرق الشمس التي يحيط بها من جميع أطرافها عدو كلب ومحارب حرب، ولا كالحجاز النكدة المعاش الضيقة المكسب التي قوت أهلها من غيرها وقد انبأنا الله عز وجل في كتابه عن ابراهيم خليله عليه السلام فقال (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ)[1] ولا كالتبت التي بفساد هوائها وغذائها تغيرت ألوان أهلها وصغرت أبدانهم وتجعدت شعورهم، فلما علموا أنها أفضل البلدان نزلوها مختارين لها، فنزل أبو العباس أمير المؤمنين وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الكوفة أول مرة ثم انتقل الى الأنبار فبنى مدينة على شاطئ الفرات وسماها الهاشمية، وتوفي أبو العباس رضي الله عنه قبل أن يستتم المدينة، فلما ولي أبو جعفر المنصور الخلافة وهو أيضا عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب بنى مدينة بين الكوفة والحيرة سماها الهاشمية وقام بها مدة الى أن عزم على توجيه ابنه محمد المهدي لغزو الصقالبة في سنة أربعين ومائة

---

[1] سورة ابراهيم: الاية ٣٧.

فصار الى بغداد فوقف بها، وقال: ما اسم هذا الموضع، قيل له بغداد قال[1]: هذه والله المدينة التي أعلمني أبي محمد بن علي اني أبنيها وأنزلها وينزلها ولديَ من بعدي، ولقد غفلت عنها الملوك في الجاهلية والاسلام حتى يتم تدبير الله لي وحكمة فيّ وتصح الروايات وتبين الدلائل والعلامات والا فجزيرة بين دجلة والفرات دجلة شرقيّها والفرات غربيّها مشرعة للدنيا كل مايأتي في دجلة من واسط والبصرة والأبلة والأهواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين ومايتصل بذلك فاليها ترقى وبها ترسى وكذلك ما يأتي من الموصل وديار ربيعة واذربيجان وأرمينية مما يحمل في السفن في دجلة وما يأتي من ديار مصر والرقة والشام والثغور ومصر والمغرب مما يحمل في السفن في الفرات فيها يحتط وينزل، ومدرجة أهل الجبل وأصبهان وكور خراسان، فالحمد لله الذي ذخرها لي واغفل عنها كل من تقدمني والله لابنيها ثم أسكنها أيام حياتي ويسكنها ولداي من بعدي ثم لتكونن أعمر مدينة في الارض ثم لأبنيّن بعدها أربع مدن لاتخرب واحدة منهن أبدا فبناها، وهي الرافقة ولم يسمها، وبنى ملطية وبنى المصيصة وبنى المنصورة بالسند، ثم وجه في احضار المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين حتى اختط مدينته المعروفة بمدينة أبي جعفر واحضر البنائين والفعلة والصناع من النجارين والحدادين والحفارين، فلما اجتمعوا وتكاملوا اجري عليهم الارزاق وأقام لهم الاجرة وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئا من البناء فحضره مائة ألف من أصناف المهن والصناعات، خبر بهذا جماعة من المشايخ، أن أبا جعفر المنصور لم يبتد البناء حتى تكامل له من الفعلة وأهل المهن مائة ألف، ثم اختطها في شهر ربيع الأول سنة احدى وأربعين ومائة[2]

---

[1] لم ترد هذه الرواية في المؤلفات التاريخية والبلدانية، إذ كان إجماع المؤرخين والبلدانيين على رواية (المقلاص) التي سيرد ذكرها لاحقا.

[2] لم يرد هذا التاريخ عند أحد من المؤرخين أو البلدانيين سوى عند اليعقوبي، وهناك شبه اجماع بين المؤرخين بأن بناء بغداد كان في سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م.

وجعلها مدورة[1] ولاتعرف في جميع أقطار الدنيا مدينة مدورة غيرها[2]، ووضع أساس المدينة في وقت اختاره نوبخت المنجم وما شاء الله بن سارية.

وقبل وضع الاساس ما ضرب اللبن العظام وكان في اللبنة التامة المربعة ذراع[3] في ذراع وزنها مائتا رطل واللبنة المنصفة طولها ذراع وعرضها نصف ذراع ووزنها مائة رطل، وحفرت الابار للماء وعملت القناة التي تأخذ من نهر كرخايا وهو النهر الاخذ من الفرات فأتقنت القناة واجريت الى داخل المدينة للشرب ولضرب اللبن وبل الطين.

وجعل للمدينة أربعة أبواب[4]، بابا سماه باب الكوفة وبابا سماه باب البصرة وبابا سماه باب خراسان وبابا سماه باب الشام، وبين كل باب منهما الى الاخر خمسة الاف ذراع بالذراع[5] السوداء من خارج الخندق وعلى كل باب منها بابا حديد عظيمان جليلان ولايغلق الباب الواحد منها ولا يفتحه الا جماعة رجال يدخل الفارس بالعلم والرامح بالرمح الطويل من غير ان يميل العلم ولا يثنى الرمح، وجعل سورها باللبن العظام التي لم ير مثلها قط على ما وصفنا من مقدارها والطين.

---

[1] للتدوير يذكر الطبري (تاريخ،جـ٧،ص٦٥١) معان عدة ليست للمربعة، ذلك ان المربعة اذا كان الملك في وسطها كان بعضها أقرب اليه من بعض والمدورة كان أمرها الى وسطها مستويا لايزيد بعضه على بعض.

[2] هناك اشارات عدة في المصادر التاريخية تفيد الى وجود مدن مدورة اخرى أقدم من بغداد كمأرب والحضر والمدائن، وهي مدن يرجع تاريخها الى حقب قديمة، لكن ذلك لا يعني ان الشكل المدور أوالمستدير لمدينة المنصور المدورة كان بفعل ايحاء مباشر من خطط سابقة أخرى.

[3] ذكر هنتس (المكاييل،ص٨٣) ان هناك عدداً لايستهان به من الأذرع في الاسلام لكن نقطة الانطلاق لجميع الحسابات هو ذراع مقياس النيل الذي يرجع الى سنة ٨٦١م ويبلغ معدل طول هذه الذراع ٥٤،٠٤ سم٢.

[4] يرى الطبري (تاريخ،جـ ٧،ص٦٥١)، ان تخطيط بغداد على أربعة أبواب رئيسة انما كان على تدبير العساكر في الحروب.

[5] تساوي: ٥٤،٠٤ سم٢ وقد استحدثت في عهد الخليفة المأمون وتسمى بالذراع السوداء العباسية وهي ذات أربعة وعشرين اصبعا، ينظر:(هنتس:المكاييل،ص٨٨).

وجعل عرض أساس السور تسعين ذراع بالسوداء[1] ثم ينحط حتى يصير في أعلاه على خمس وعشرين ذراعا[2] وارتفاعه ستون ذراعا[3] مع الشرافات، وحول السور فصيل جليل عظيم بين حائط السور وحائط الفصيل مائة ذراع بالسوداء[4]، وللفصيل أبرجة عظام وعليه الشرافات المدورة وخارج الفصيل كما يدور مسناة بالاجر والصاروج متقنة محكمة عاليه ــ والخندق بعد المسناة قد أجرى فيه الماء من القناة التي تأخذ من نهر كرخايا وخلف الخندق الشوارع العظماء، وجعل لأبواب المدينة أربعة دهاليز عظاما أزاجا كلها، طول كل دهليز[5] ثمانون ذراعا كلّها معقود بالاجر والجص فاذا دخل من الدهليز الذي على الفصيل وافى رحبة مفروشة بالصخر، ثم دهليزا على السور الأعظم عليه بابا حديد جليلان عظيمان لايغلق كل باب ولايفتحه الا جماعة رجال، والأبواب الأربعة كلها على ذلك فاذا دخل من دهليز السور الأعظم سار في رحبة الى طاقات معقودة بالاجر والجص فيها كواء رومية يدخل منها الشمس والضوء ولايدخل منها المطر وفيها منازل الغلمان، ولكل باب من الأبواب الأربعة طاقات، وعلى كل باب من أبواب المدينة التي على السور الأعظم قبة معقودة عظيمة مذهبة وحولها مجالس ومرتفقات يجلس فيها فيشرف على كل ما يعمل به يصعد الى هذه القباب علي عقود مبنية بعضها بالجص والاجر وبعضها باللبن العظام قد عملت أزاجا بعضها أعلى من بعض فداخل الأزاج للرابطة والحرس وظهورها عليها المصعد الى القباب التي على الدواب وعلى المصعد أبواب تغلق فاذا خرج الخارج من الطاقات خرج الى رحبة ثم الى دهليز عظيم أزج معقود بالاجر والجص عليه بابا حديد يخرج من الباب الى الرحبة العظمى وكذلك الطاقات الأربعة على مثال واحد وفي وسط الرحبة القصر الذي سمي بابه باب الذهب والى جنب القصر، المسجد

---

[1] عند الطبري (تاريخ،جـ٧،ص٦١٩) "عرض السور من أسفله خمسين ذراعا" وعند الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ ١،ص٧٤) "عرض السور من الأسفل عشرين ذراعا".

[2] عند الطبري (تاريخ،جـ ٧،ص٦١٩) "عشرين ذراعا".

[3] عند الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٧٤) "خمسة وثلاثون ذراعا".

[4] عند الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٧٤) عرض الفصيل "ستين ذراع".

[5] عند الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٧٤)، كل دهليز له طول مختلف، وأكثرها طولا ذلك المؤدي الى باب خراسان، إذ يبلغ طوله ثلاثين.

الجامع[1] وليس حول القصر بناء ولا دار ولامسكن لأحد الا دار من ناحية باب الشام للحرس وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالاجر والجص يجلس في أحدهما صاحب الشرطة وفي الأخرى صاحب الحرس وهي اليوم يصلي فيها الناس وحول الرحبة كما تدور منازل أولاد المنصور الأصاغر، ومن يقرب من خدمته من عبيده وبيت المال وخزانة السلاح وديوان الرسائل وديوان الخراج وديوان الخاتم وديوان الجند وديوان الحوائج وديوان الأحشام ومطبخ العامة وديوان النفقات، وبين الطاقات الى الطاقات السكك[2] والدروب تعرف بقواده ومواليه وبسكان كل سكة، فمن باب البصرة الى باب الكوفة سكة الشرط وسكة الهيثم وسكة المطبق وفيها الحبس الأعظم[3] الذي يسمى المطبق وثيق البناء محكم السور وسكة النساء وسكة سرجس وسكة الحسين وسكة عطية وسكة مجاشع وسكة العباس وسكة غزوان وسكة أبي حنيفة والسكة الضيقة، ومن باب البصرة الى باب خراسان، سكة الحرس وسكة النعيمية وسكة سليمان وسكة الربيع وسكة مهلهل وسكة شيخ بن عميرة وسكة المروروذية وسكة واضح وسكة السقائين وسكة ابن بريهة بن عيسى بن المنصور وسكة أبي احمد والدرب الضيق، ومن باب الكوفة الى باب الشام، سكة العكي وسكة أبي قرة وسكة عبدويه وسكة السميدع وسكة العلاء وسكة نافع وسكة أسلم وسكة منارة، ومن باب الشام الى باب خراسان سكة المؤذنين وسكة دارم وسكة اسرايل وسكة تعرف في هذا الوقت بالقواريري قد ذهب عني اسم صاحبها وسكة الحكم بن يوسف وسكة سماعة وسكة

---

[1] عند الخطيب البغدادي (جـ١،ص١٠٧-١٠٨) مساحته ٢٠٠ذراع ×٢٠٠ ذراع، ومواد بنائه كانت من أساطين الخشب الغربي وضبات الحديد، جدده الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) بعد أن أنقض بناءه السابق وعمله بالآجر والجص وكتب عليه أسمه، ثم جدد بناءه الخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م) بعد أن شكا الناس من ضيقه، فأمر الخليفة المعتضد بزيادته من قصر المنصور (الذهب) الملاصق له وفتح بينهما سبعة عشر طاقا، وكان الفراغ من توسيعه سنة ٢٨٠هـ-٨٩٣م، وفي سنة٢٩٢هـ/٩٠٥م جدد مرة اخرى.

[2] السكة: الطريق المستوية المصطفة من النخل، وقد سميت الأزقة سككا لاصطفاف الدور فيها كطريق النخل (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٣،ص٢٣١).

[3] ذكر الخطيب البغدادي (تاريخ:جـ١،ص٧٥)، أن العامة كسرت الحبوس في مدينة المنصور، فافلت من كان بها.

صاعد مولى ابي جعفر وسكة تعرف اليوم بالزيادي، وقد ذهب عني اسم صاحبها وسكة غزوان، هذه السكك بين الطاقات والطاقات داخل المدينة وداخل السور، وفي كل سكة من هذه السكك جلة القواد الموثوق بهم في النزول معه وجلة مواليه ومن يحتاج اليه في الأمر المهم، وعلى كل سكة من طرفيها الأبواب الوثيقة ولا تتصل سكة منها بسور الرحبة التي فيها دار الخلافة لأن حوالى سور الرحبة كما تدور الطريق، وكان الذين هندسوها عبد الله بن محرز والحجاج بن يوسف[1] وعمران بن الوضاح وشهاب بن كثير بحضرة نوبخت وابراهيم بن محمد الفزاري والطبري المنجمين أصحاب الحساب، وقسم الأرباض أربعة أرباع وقلد للقيام بكل ربع رجلا من المهندسين وأعطى أصحاب كل ربع مبلغ ما يصير لصاحب كل قطيعة من الذرع ومبلغ ذرع ما لعمل الأسواق في ربض ربض، فقلد الربع من باب الكوفة الى باب البصرة وباب المحوّل والكرخ وما اتصل بذلك كله المسيب[2] بن زهير والربيع[3] مولاه وعمران بن وضاح المهندس، والربع من باب الكوفة الى باب الشام وشارع طريق الأنبار الى حد ربض حرب بن عبد الله، سليمان بن مجالد وواضحا مولاه وعبد الله بن محرز المهندس، والربع من باب الشام الى ربض حرب وما اتصل بربض حرب وشارع باب الشام وما اتصل بذلك الى الجسر على منتهى دجلة، حرب بن عبد الله وغزوان مولاه والحجاج بن يوسف المهندس، ومن باب خراسان الى الجسر الذي على دجلة مادا في الشارع على دجلة الى البغبيين وباب قطربل هشام بن عمرو التغلبي وعمارة بن حمزة وشهاب بن كثير المهندس، ووقع الى كل أصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الذرع ولمن معه من أصحابه وما قدره للحوانيت والأسواق في

---

[1] عند الطبري (تاريخ،جـ٧،ص٦٥٢) "الحجاج بن أرطاة" وهو الذي خط المسجد الجامع، توفي سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م (ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ ٢،ص٥٦).

[2] اختلف في اسمه، فتارة يذكر المسيب بن زهير الضبي كما ورد عند الخطيب البغدادي (تاريخ:جـ١،ص٨٥) وتارة اخرى زهير بن المسيب الضبي كما ذكر ابن الفقيه الهمذاني.

[3] أبو الفضل الربيع بن يونس صاحب الخليفة أبي جعفر ومولاه، استوزره بعد اعفاء الوزير أبي أيوب المورياني، ثم استوزره من بعده ابنه الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) ومن بعدهما الخليفة موسى الهادي (١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-= ٧٨٦م)، توفي سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م)،(ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٢،ص٢٩٤-٢٩٩).

كل ربض وأمرهم أن يوسعوا في الحوانيت ليكون في كل ربض سوق جامعة تجمع التجارات وأن يجعلوا في كل ربض من السكك والدروب النافذة وغير النافذة وما يعتدل بها من المنازل وان يسموا كل درب بأسم القائد النازل فيه او الرجل النبيه الذي ينزله او أهل البلد الذين يسكنونه وحدّ لهم أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين[1] ذراعا بالسوداء والدروب ست عشرة ذراعا، وأن يبتنوا في جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفي بها من في كل ناحية ومحلة وأمرهم جميعا أن يجعلوا من قطائع القواد والجند ذراعاً معلوما للتجار يبنونه وينزلونه ولسوقة الناس وأهل البلدان.

وكان أول من اقطع خارج المدينة من أهل بيته عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد ابن علي بن عبد الله ابن العباس بأزاء باب الكوفة على الصراة السفلى التي تأخذ من الفرات فربض يعرف بسويقة عبد الوهاب وقصره هناك قد خرب، وبلغني ان السويقة أيضا قد خربت[2] وأقطع العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، الجزيرة التي بين الصراتين فجعلها العباس بستانا ومزدرعا وهي العباسية المذكورة المشهورة التي لا تنقطع غلاتها في صيف ولاشتاء ولافي وقت من الأوقات، وأستقطع العباس لنفسه لما جعل الجزيرة بستانا في الجانب الشرقي، وفي آخر العباسية تجتمع الصراتان والرحا العظمى التي يقال لها رحا البطريق وكانت مائة حجر تغل في كل سنة مائة ألف ألف درهم[3]، هندسها بطريق[4]، قدم عليه من ملك

---

[1] ذكر الخطيب البغدادي (تاريخ:جـ١،ص٧٩-٨٠)، أن الخليفة أبا جعفر المنصور عندما نقل الأسواق من المدينة المدورة الى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول في سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م كلف الربيع بن يونس بتوسيع طرق المدينة المدورة وجعلها أربعين ذراعا وأمر بهدم ما شخص من الدور عن ذلك المقدار.

[2] ذكر الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٨٦) عن طريق أبي مريم انه قال "مررت بسويقة عبد الوهاب وقد خربت منازلها وعلى جدرانها مكتوب:

هذي منازل أقوام عهدتهم   في رغد عيش ماله خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا   الى القبور فلا عين ولا اثر"

[3] عند الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٩٢) "خمسمائة ألف درهم".

[4] في روايتي ابن الفقيه الهمذاني (البلدان،ص٣٠٣ - ٣٠٤) والخطيب البغدادي (تاريخ: جـ١،ص٩٢) طاراث بن الليث بن العيزار بن طريف، يقال أن والده كان ملكا على الروم

الروم فنسبت اليه، وأقطع الشروية وهم موالي محمد بن علي بن عبد الله بن العباس دون سويقة عبد الوهاب مما يلي باب الكوفة وكانوا بوابيه رئيسهم حسن الشروي، وأقطع المهاجر بن عمرو صاحب ديوان الصدقات في الرحبة التي تجاه باب الكوفة، فهناك ديوان الصدقات وبازائه قطيعة ياسين صاحب النجائب وخان النجائب، ودون خان النجائب اصطبل الموالي، وأقطع المسيب ابن زهير الضبي صاحب الشرطة يمنة باب الكوفة للداخل الى المدينة مما يلي باب البصرة، فهناك دار المسيب ومسجد المسيب ذو المنارة الطويلة وأقطع ازهر بن زهير أخا المسيب في ظهر قطيعة المسيب مما يلي القبلة وهو على الصراة هناك دار أزهر وبستان أزهر الى هذه الغاية، ويتصل بقطيعة المسيب وأهل بيته، قطيعة أبي العنبر مولى المنصور مما يلي القبلة وعلى الصراة قطيعة الصحابة وكانوا من سائرقبائل العرب من قريش والأنصار وربيعة ومضر ويمن، وهناك دار عياش المنتوف وغيره، ثم قطيعة يقطين بن موسى أحد رجال الدولة وأصحاب الدعوة ثم تعبر الصراة العظمى التي اجتمعت فيها الصراتان الصراة العليا والصراة السفلى وعليها القنطرة[3] المعقودة بالجص والآجر المحكمة الوثيقة التي يقال لها القنطرة العتيقة لأنها أول شيء بناه وتقدم في احكامه فتعرج من القنطرة ذات اليمين الى القبلة الى قطيعة اسحاق بن عيسى بن علي وقصوره ودوره شارعة على الصراة العظمى من الجانب الشرقي والطريق الأعظم بين الدور والصراة، ومن قطيعة عيسى بن علي الى قطيعة ابي السري الشامي مولى المنصور، ثم الطاق المعقود عليه الباب المعروف بباب المحوّل فتصير منه الى ربض حميد[2] ابن قحطبة الطائي وربض حميد شارع على الصراة العليا وهناك دار حميد وأصحابه

في أيام الخليفة الاموي الأول معاوية بن ابي سفيان (٤١ -٦١هـ/٦٦١ -٦٨٠م) وقد على الخليفة محمد المهدي بعد استخلافه لتهنئته، فكان عنده ذا حظوة ومنزلة، وقد أمر المهدي وزيره الربيع بن يونس بأن يبنى لهذا البطريق مستغلا في موضع الأرحاء، وكان يبعث بغلته اليه في كل سنة وهو في بلاده حتى وفاته سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م حينها أمر الخليفة المهدي بأن يكون من مستغلاته.

[1] أزج يبنى بالآجر أو بالحجارة على الماء، يعبر عليه (ابن منظور:لسان العرب، جـ١١،ص٣٢٠)

[2] من قواد الخليفة أبي جعفر المنصور، وهو ابن أحد نقباء الدعوة العباسية (قحطبة بن شبيب الطائي)، تولى ادارة ولايات عدة في زمن الخليفة المنصور ومن بعده الخليفة المهدي توفي سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م (الطبري:تاريخ،جـ٨،ص١١٦).

وجماعة من ال قحطبة بن شبيب ثم يتصل ذلك بقطيعة الفراشين وتعرف بدار الروميين وتشرع على نهر كرخايا ثم تعود الى الشارع الأعظم وهو شارع باب المحول وفيه سوق عظيمة فيها أصناف التجارات ثم يتصل ذلك بالحوض العتيق وهناك منازل الفرس أصحاب الشاه ثم يستمر المسير الى الموضع المعروف بالكناسة فهناك مرابط دواب العامة ومواضع نخاسي الدواب، ثم المقبرة القديمة المعروفة بالكناسة مادة الى نهر عيسى بن علي الذي يأخذ من الفرات والدباغين وبازاء قطيعة الروميين على نهر كرخايا الذي عليه القنطرة المعروفة بالروميين دار كعيوبة البستانبان الذي غرس النخل ببغداد، ثم بساتين متصلة غرسها كعيوبة البصري الى الموضع المعروف ببراثا، ثم رجعنا الى القنطرة العتيقة، فقبل أن تعبر القنطرة مشرقا الى ربض أبي الورد[1] كوثر بن اليمان خازن بيت المال وسوق فيها سائر البياعات تعرف بسوق أبي الورد الى باب الكرخ، وفي ظهر قطيعة أبي الورد كوثر بن اليمان قطيعة حبيب بن رغبان الحمصي وهناك مسجد ابن رغبان ومسجد الأنباريين[2] كتاب ديوان الخراج وقبل أن تعبر الى القنطرة العتيقة وانه مقبل من باب الكوفة في الشارع الأعظم قطيعة سليم مولى أمير المؤمنين صاحب ديوان الخراج، وقطيعة أيوب بن عيسى الشروي، ثم قطيعة رباوة الكرماني وأصحابه وتنتهي الى باب المدينة المعروف بباب البصرة وهو مشرف على الصراة ودجلة وبازائه القنطرة الجديدة لأنها اخر ما بنى من القناطر وعليها سوق كبيرة فيها سائر التجارات مادة متصلة ثم ربض وضاح مولى أمير المؤمنين المعروف بقصر وضاح صاحب خزانة السلاح وأسواق هناك وأكثر من فيه في هذا الوقت الوراقون أصحاب الكتب، فإن به أكثر من مائة حانوت للوراقين، ثم الى قطيعة عمرو بن سمعان الحراني وهناك طاق الحراني، ثم الشرقية وانما سميت الشرقية[3] لأنها قدرت مدينة المهدي قبل أن يعزم على أن يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي من دجلة فسميت الشرقية وبها المسجد الكبير وكان يجمع

---

[1] هناك اختلاف في اسم أبي الورد عند كل من اليعقوبي وابن الفقيه الهمذاني(البلدان، ص٢٩٦) والخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٨٨)، اذ ذكر كل منهم اسما ووظيفة لصاحب هذا الربض أو السويقة مختلفاً تماما.

[2] ذكر الخطيب البغدادي (تاريخ:جـ١،ص٨٩)، أن هذا المسجد انما نسب الى الأنباريين لكثرة من سكنه منهم.

[3] عند الخطيب البغدادي (تاريخ:جـ١،ص٨١)، "وسميت الشرقية لانها شرقي الصراة".

فيه ليوم الجمعة وفيه منبر وهو المسجد الذي يجلس فيه قاضي الشرقية ثم اخرج المنبر منه وتنعرج من الشرقية مارا الى قطيعة جعفر بن المنصور على شط دجلة وبها دار عيسى بن جعفر وتقرب منها دار جعفر بن جعفر المنصور، ثم تخرج من هذه الطرق الأربعة التي ذكرنا الى شارع باب الكرخ، فاولها عند باب النخاسين قطيعة سويد مولى المنصور، ورحبة سويد في ظهر النخاسين، ثم الأسواق مادة في جانبي الشارع وتنعرج من باب الكرخ متيامنا الى قطيعة الربيع مولى أمير المؤمنين التي فيها التجار تجار خراسان من البزازين واصناف ما يحمل من خراسان من الثياب لايختلط بها شئ، وهناك النهر الذي يأخذ من نهر كرخايا عليه منازل التجار يقال له نهر الدجاج لأنه كان يباع عليه الدجاج في ذلك الوقت، وفي ظهر قطيعة الربيع منازل التجار وأخلاط الناس من كل بلد يعرف كل درب بأهله وكل سكة بمن ينزلها.

والكرخ السوق العظمى مادة من قصر وضاح الى سوق الثلاثاء طولا بمقدار فرسخين ومن قطيعة الربيع الى دجلة عرضاً مقدار فرسخ فلكل تجار وتجارة شوارع معلومة وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت وعراص وليس يختلط قوم بقوم ولاتجارة بتجارة ولايباع صنف مع غير صنفه ولايختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم، وكل سوق مفردة وكل أهل منفردون بتجارتهم وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم، وبين هذه الأرباض التي ذكرنا والقطائع التي وصفنا منازل الناس من العرب والجند والدهاقين والتجار وغير ذلك من أخلاط الناس ينتسب اليهم الدروب والسكك فهذا ربع من أرباع بغداد وهو الربع الكبير الذي تولاه المسيب بن زهير والربيع مولى أمير المؤمنين وعمران بن وضاح المهندس وليس ببغداد ربع أكبر ولا أجل منه، ومن باب الكوفة الى باب الشام ربض سليمان بن مجالد لأنه كان يتولى هذا الربع فنسب اليه، وفيه قطيعة واضح، ثم قطيعة عامر ابن اسماعيل المسلي، ثم ربض الحسن بن قحطبة ومنازله ومنازل أهله شارعة في الدرب المعروف بالحسن، ثم ربض الخوارزمية أصحاب الحارث بن رقاد الخوارزمي، وقطيعة الحارث في الدرب ثم قطيعة.....[1] مولى أمير المؤمنين صاحب الركاب وهي الدار التي صارت لاسحاق بن عيسى بن علي الهاشمي ثم اشتراها كاتب لمحمد بن عبد الله بن طاهر يقال له طاهر بن الحارث، ثم ربض الخليل بن هاشم الباوردي، ثم ربض الخطاب بن نافع

---

[1] في الأصل بياض (ص٢٤٦).

الطحاوي، ثم قطيعة هاشم بن معروف وهي في درب الاقفاص، ثم قطيعة الحسن بن جعفرات وهي في درب الاقفاص أيضا متصل بدرب القصارين ومن شارع طريق الأنبار فأول القطائع قطيعة واضح مولى أمير المؤمنين وولده ودرب أيوب بن المغيرة الفزاري بالكوفة والدرب يعرف بدرب الكوفيين، ثم قطيعة سلامة بن سمعان البخاري واصحابه ومسجد البخارية والمنارة الخضراء فيه، ثم قطيعة اللجلاج المتطبب، ثم قطيعة عوف بن نزار اليمامي ودرب اليمامة النافذ الى دار سليمان بن مجالد، وقطيعة الفضل بن جعونة الرازي وهي التي صارت لداود بن سلمان الكاتب كاتب أم جعفر المعروف بداود النبطي، ثم السيب ودار هبيرة بن عمرو وعلى السيب قطيعة صالح البلدي في درب صباح النافذ الى سويقة عبد الوهاب، وقطيعة قابوس بن السميدع وبازائه قطيعة خالد بن الوليد التي صارت لأبي صالح يحيى بن عبد الرحمن الكاتب صاحب ديوان الخراج في أيام الرشيد فتعرف بدور أبي صالح، ثم قطيعة شعبة بن يزيد الكابلي، ثم ربض القس مولى المنصور وبستان القس[1] المعروف به، ثم ربض الهيثم بن معاوية ويعرف بشار سوق الهيثم وهناك سوق كبيرة متصلة ومنازل ودروب وسكك كله ينسب الى شار سوق الهيثم، ثم قطيعة المروروذية ال أبي خالد الانباري، ثم ربض أبي يزيد الشروي مولى محمد بن علي وأصحابه، ثم قطيعة موسى بن كعب[2] التميمي وقد ولي شرطة المنصور، ثم قطيعة بشر بن ميمون ومنازله ثم قطيعة سعيد بن دعلج التميمي، ثم قطيعة الشخير وزكرياء بن الشخير، ثم ربض أبي ايوب سليمان بن أيوب المعروف بأبي أيوب الخوزي المورياني[3] وموريان قرية من كورة من كور الأهواز يقال لها مناذر، ثم قطيعة رداد بن زاذان المعروفة بالردادية ثم الممددار، ثم حد ربض حرب ودونه الرملية وهذا الربع الذي تولاه سليمان بن مجالد وواضح مولى أمير المؤمنين والمهندس عمران بن وضاح، والربع من باب الشام

---

(1) ذكر كل من ابن الفقيه الهمذاني (البلدان،ص٢٩٥) والخطيب البغدادي (تاريخ،جـ٨،ص٨٥) ان هذا البستان كان موجوداً قبل بناء بغداد.

(2) من نقباء الدعوة العباسية تولى مناصب ادارية وعسكرية مهمة في الدولة منها ولاية مصر، توفي سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م (الكندي:ولاة مصر،ص١٢٨ – ١٢٩؛ مؤلف مجهول:اخبار العباس وولده،ص٢١٦).

(3) وزير الخليفة أبي جعفر المنصور، توفي سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م (الطبري:تاريخ،جـ٨،ص٤٤).

فأول ذلك قطيعة الفضل بن سليمان الطوسي والى جنبه السجن المعروف بسجن باب الشام والأسواق المعروفة بسوق باب الشام، وهي سوق عظيمة فيها جميع التجارات والبياعات ممتدة ذات اليمين وذات الشمال آهلة عامرة الشوارع والدروب والعراص وتمتد في شارع عظيم فيه الدروب الطوال كل درب ينسب الى أهل بلد من البلدان ينزلونه في جنبتيه جميعا الى ربض حرب بن عبد الله البلخي[1] وليس ببغداد ربض أوسع ولا أكبر ولا أكثر دروبا وأسواقا في الحال منه وأهله أهل بلخ واهل مرو وأهل الختل وأهل بخارا و أهل أسبيشاب وأهل اشتاخنج وأهل كابل شاه وأهل خوارزم، ولكل أهل بلد قائد ورئيس وقطيعة، الحكم بن يوسف البلخي صاحب الحراب وقد كان ولي الشرطة، ومن باب الشام في الشارع الأعظم الماد الى الجسر الذي على دجلة سوق ذات اليمين وذات الشمال، ثم ربض يعرف بدار الرقيق كان فيه رقيق أبي جعفر الذين يباعون من الافاق وكانوا مضمومين الى الربيع مولاه ثم ربض الكرمانية والقائد بوزان بن خالد الكرماني، ثم قطيعة الصغد ودار خرفاش الصغدي، ثم قطيعة ماهان الصامغاني وأصحابه، ثم قطيعة مرزبان أبي أسد بن مرزبان الفاريابي وأصحابه اصحاب العمد، ثم تنتهي الى الجسر، فهذا الربع الذي تولاه حرب بن عبد الله مولى أمير المؤمنين والمهندس الحجاج بن يوسف والربع من باب خراسان الى الجسر على دجلة وما بعد ذلك بازاءها الخلد[2] وكان فيه الاصطبلات وموضع العرض وقصر

---

[1] صاحب حرس الخليفة أبي جعفر المنصور، نسبت اليه المحلة الكبيرة (الحربية) التي تقع قرب مقبرة بشر الحافي واحمد بن حنبل، تولى شرطة الموصل في ولاية جعفر ابن أبي جعفر المنصور، قتل سنة ١٤٧هـ/ ٧٤٦م (ياقوت الحموي:البلدان، جـ٢،ص٢٣٧).

[2] قصر كبير شرع ببنائه واتمه في سنة واحدة الخليفة أبوجعفر المنصور في سنة ١٥٧هـ/ ٧٧٣م، اختلفت المصادر في التحديد المكاني الدقيق لموضعه، ولكن ثمة روايتان، الأولى رواية اليعقوبي الانفة الذكر والأخرى للخطيب البغدادي (تاريخ، جـ١،ص٧٥)، ولقد ارتبط تاريخ هذا القصر بمناسبات سياسية واجتماعية عدة، ففيه كما يقول الشابشتي(الديارات،ص١٥٦ – ١٥٧) بنى الرشيد على زبيدة في سنة ١٦٥هـ/ ٧٨١م وفيه أقام الخليفة موسى الهادي ردحا من خلافته، ثم اتخذه الخليفة الرشيد قصرا له لبعض الوقت، ثم أصبح في عهد الخليفة محمد الأمين المقر الرسمي للخلافة العربية الاسلامية حتى مقتله سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م، وفي سنة ٢٠٣هـ/ ٨١٨م، دخله الخليفة المأمون بعد عودته الى بغداد، وبعد هذا التاريخ فإن المعلومات المتوفرة [illegible] قليلة جدا،

يشرع على دجلة لم يزل أبو جعفر ينزله وكان فيه المهدي قبل أن ينتقل الى قصره بالرصافة[1] الذي بالجانب الشرقي من دجلة فاذا جاوز موضع الجسر فالجسر ومجلس الشرطة ودار صناعة للجسر فاذا جاوزت ذلك فأول القطائع قطيعة سليمان بن أبي جعفر في الشارع الأعظم على دجلة وفي درب يعرف بدرب سليمان والى جنب قطيعة سليمان في الشارع الأعظم، قطيعة صالح بن أمير المؤمنين المنصور وهو صالح المسكين مادة الى دار نجيح مولى المنصور التي صارت لعبد الله ابن طاهر واخر قطيعة صالح، قطيعة عبد الملك بن يزيد الجرجاني المعروف بأبي عون وأصحابه الجرجانية، ثم قطيعة تميم الباذغيسي متصلة بقطيعة أبي عون، ثم قطيعة عباد الفرغاني وأصحابه الفراغنة، ثم قطيعة عيسى بن نجيح المعروف بآبن روضة وغلمان الحجابة، ثم قطيعة الأفارقة، ثم قطيعة تمام الديلمي مما يلي قنطرة التبانين، وقطيعة حنبل بن مالك، ثم قطيعة البغيين أصحاب حفص بن عثمان ودار حفص هي التي صارت لاسحاق بن ابراهيم، ثم السوق على دجلة في الفرضة، ثم قطيعة لجعفر ابن أمير المؤمنين المنصور صارت لأم جعفر ناحية باب قطربل تعرف بقطيعة أم جعفر، ومما على القبلة، قطيعة مرار العجلي، وقطيعة عبد الجبار بن عبد الرحمن الازدي وقد كان يلي الشرطة ثم عزله وولاه خراسان فعصى هناك فوجه اليه المهدي في الجيوش فحاربه حتى ظفر به فحمله الى أبي جعفر فضرب عنقه وصلبه[2] وفي هذه الأرباض والقطائع مالم نذكره لأن كافة الناس بنوا القطائع وغير

ويشير الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٧٥) ان هذا القصر اندرس فلا عين له ولا أثر، ويرى ياقوت الحموي(البلدان،جـ٢،ص٣٨٢) ان موقع قصر الخلد ربما كان البيمارستان العضدي او جنوبه، اذ بنيت حواليه منازل فصارت محلة كبيرة عرفت بالخلد.

[1] لم تذكر المصادر سنة بنائه لكن ذلك على الأرجح كان بعد بناء مسجد الرصافة سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م، اذ يذكر الطبري (تاريخ:جـ٨،ص١١٦) في أحداث هذه السنة أن الخليفة المهدي بنى مسجد الرصافة، وفي موضع اخر (جـ٧،ص٦٥٢) يقول إن قبة مسجد الرصافة أصوب من قبة مسجد المدينة(مدينة المنصور) لأن مسجد المدينة بني على القصر، ومسجد الرصافة بني قبل القصر، وبني القصر عليه.

[2] قال الطبري (تاريخ،جـ٧،ص٥١٠) "واختلفوا في أمر عبد الجبار وجنده، فقال الواقدي: كان ذلك في سنة اثنتين وأربعين ومائة وقال غيره كان ذلك في سنة إحدى وأربعين ومائة".

القطائع وتوارثوا واحصيت الدروب والسكك فكانت ستة الاف درب وسكة واحصيت المساجد فكانت ثلاثين ألف[1] مسجد سوى مازاد بعد ذلك، واحصيت الحمامات فكانت عشرة آلاف حمام سوى مازاد بعد ذلك وجر القناة التي تأخذ من نهر كرخايا الاخذ من الفرات في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالصاروج والاجر من أعلاها معقودة عقدا وثيقا فتدخل المدينة وتنفذ في أكثر شوارع الأرباض تجري صيفا وشتاء قد هندست هندسة لاينقطع لها ماء في وقت، وقناة أخرى من دجلة على هذا المثال وسماها دجيل، وجر لأهل الكرخ وما اتصل به نهر يقال له نهر الدجاج وانما سمي نهر الدجاج لأن أصحاب الدجاج كانوا يقفون عنده، ونهر يسمى نهر طابق بن الصمية، ولهم نهر عيسى الاعظم[2] الذي يأخذ من معظم الفرات، تدخل فيه السفن العظام التي تأتي من الرقة ويحمل فيها الدقيق والتجارات من الشام ومصر وتصير الى فرضة عليها الأسواق وحوانيت التجار لا تنقطع في وقت من الأوقات، فالماء لاينقطع ولهم الابار التي يدخلها الماء من هذه القنوات فهي عذبة شرب القوم جميعا منها، وانما احتيج الى هذه القنوات لكبر البلد وسعته والا فهم بين دجلة والفرات من جميع النواحي تدفق عليهم المياه حتى غرسوا النخل الذي حمل من البصرة فصار ببغداد أكثر منه بالبصرة والكوفة والسواد وغرسوا الأشجار وأثمرت الثمر العجيب وكثرت البساتين والأجنة في أرباض بغداد من كل ناحية لكثرة المياه وطيبها، وعمل فيها كل ما يعمل في بلد من البلدان لأن حذاق أهل الصناعات انتقلوا اليها من كل بلد واتوها من كل أفق ونزعوا

---

[1] ثمة اختلاف في التحديد الدقيق أو التقريبي لعدد مساجد بغداد عامة ومساجد الجانب الغربي خاصة ولعل مرد ذلك يرجع الى تخمينات الرواة المبينة في بعضها على فرضية وجود خمسة مساجد ازاء كل حمام فاذا كان هناك على سبيل المثال عشرة الاف حمام يقابلها خمسون ألف مسجد وكلما زاد عدد الحمامات زادت النسبة التي تقابلها من المساجد، (الخطيب البغدادي: تأريخ، جـ١، ص١١٧ – ١١٨).

[2] يُعدّ اليعقوبي من أوائل الجغرافيين الذين ميزوا نهر عيسى من النهر الذي يتفرع منه ويحمل اسمه ايضا، وهذا النهر ينسب الى عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة أبي جعفر المنصور وكان يعرف قبل ذلك بأسم نهر (رفيل) نسبة الى أحد الدهاقنة الذين أسلموا على يد الصحابي سعد بن أبي وقاص (دليل خارطة بغداد، ص٦-٧).

اليها من الأداني والأقاصي، فهذا الجانب الغربي من بغداد وهو جانب المدينة وجانب الكرخ وجانب الأرباض وفي كل طرف منه مقبرة وقرى متصلة وعمارات مادة.

والجانب الشرقي من بغداد نزله المهدي بن المنصور وهو ولي عهد أبيه وابتدأ بناءه في سنة ثلاث وأربعين ومائة[1] فاختط المهدي قصره بالرصافة الى جانب المسجد الجامع الذي في الرصافة وحفر نهرا يأخذ من النهروان سماه نهر المهدي يجري في الجانب الشرقي، وأقطع المنصور اخوته وقواده بعد ما أقطع من الجانب الغربي وهو جانب مدينته، وقسمت القطائع في هذا الجانب وهو يعرف بعسكر المهدي، كما قسمت في جانب المدينة وتنافس الناس في النزول على المهدي لمحبتهم له ولاتساعه عليهم بالأموال والعطايا ولأنه كان أوسع الجانبين أرضا لأن الناس سبقوا الى الجانب الغربي وهو جزيرة بين دجلة والفرات فبنوا فيه وصار فيه الأسواق والتجارات، فلما ابتدئ البناء في الجانب الشرقي امتنع على من أراد سعة البناء، فأول القطائع على رأس الجسر لخزيمة بن خازم التميمي وكان على شرطة المهدي، ثم قطيعة اسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ثم قطيعة العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب لأنه جعل قطيعته في الجانب الغربي بستانا ثم قطيعة السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب، ثم قطيعة قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب عامل أبي جعفر على اليمامة، ثم قطيعة الربيع مولى أمير المؤمنين لأنه جعل قطيعته بناحية الكرخ أسواقا ومستغلات فأقطع مع المهدي وهو قصر الفضل بن الربيع والميدان، ثم قطيعة جبريل ابن يحيى البجلي، ثم قطيعة أسد بن عبد الله الخزاعي، ثم قطيعة مالك بن الهيثم الخزاعي، ثم قطيعة سلم بن قتيبة الباهلي، ثم قطيعة سفيان بن معاوية المهلبي، ثم قطيعة روح بن حاتم، ثم قطيعة أبان بن صدقة الكاتب، ثم قطيعة حمويه الخادم مولى المهدي، ثم قطيعة نصير الوصيف مولى المهدي، ثم قطيعة سلمة الوصيف صاحب

---

[1] يؤكد معظم الروايات التاريخية بان نزول المهدي في الجانب الشرقي كان في سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م (ينظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص٤٦١؛ الطبري: تاريخ، جـ٧، ص٣٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ، جـ١، ص٨٢).

خزانة سلاح المهدي، ثم قطيعة بدر الوصيف مع سوق العطش[1]وهي السوق العظمى الواسعة، ثم قطيعة العلاء الخادم مولى المهدي، ثم قطيعة يزيد بن منصور الحميري، ثم قطيعة زياد بن منصور الحارثي، ثم قطيعة أبي عبيد معاوية بن برمك البلخي على قنطرة بردان، ثم قطيعة عمارة بن حمزة بن ميمون، ثم قطيعة ثابت بن موسى الكاتب على خراج الكوفة وماسقى الفرات، ثم قطيعة عبد الله بن زياد بن أبي ليلى الخثعمي الكاتب على ديوان الحجاز والموصل والجزيرة وارمينية وآذربيجان، ثم قطيعة عبيد الله بن محمد بن صفوان القاضي، ثم قطيعة يعقوب بن داود السلمي الكاتب الذي كتب للمهدي في خلافته، ثم قطيعة منصور مولى المهدي وهو الموضع الذي يعرف بباب المقير، ثم قطيعة أبي هريرة محمد بن فروخ القائد بالموضع المعروف بالمخرّم[2]، ثم قطيعة معاذ آبن مسلم الرازي جد اسحاق بن يحيى بن معاذ، ثم قطيعة الغمر بن العباس الخثعمي صاحب البحر، ثم قطيعة سلام مولى المهدي بالمخرّم وكان يلي المظالم، ثم قطيعة عقبة بن سلم الهنائي، ثم قطيعة سعيد الحرشي في مربعة الحرشي، ثم قطيعة مبارك التركي، ثم قطيعة سوار مولى أمير المؤمنين ورحبة سوار، ثم قطيعة نازي مولى أمير المؤمنين صاحب الدواب واصطبل نازي، ثم قطيعة محمد بن الاشعث الخزاعي، ثم قطيعة عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب، ثم قطيعة أبي غسان مولى أمير المؤمنين المهدي،

---

[1] من الأسواق الكبيرة في بغداد، بناه الخليفة المهدي في الجانب الشرقي على غرار سوق الكرخ في الجانب الغربي وسماه سوق الري لكن غلب عليه سوق العطش، ويشير ياقوت الحموي(البلدان،جـ٣،ص٢٨٤)، الى ان هذه السوق خربت واندرست اثارها وكانت في عصره (أي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) خراباً ولا أحد من أهل بغداد يعرف موضعها.

[2] ذكر ياقوت الحموي(البلدان،جـ٥،ص٧١) انه محلة كبيرة في بغداد بين الرصافة ونهر المعلى تنسب الى مخرّم بن يزيد بن مخرّم بن شريح بن مخرّم بن زياد بن مالك بن ربيعة الذي كان ينزله أيام نزول العرب في السواد قبل بدء الاسلام وقبل أن تعمر بغداد بمدة طويلة، وفيها كانت الدار التي سكنها الأمراء البويهيون والسلاطين السلاجقة وقد خربها الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م.

وبين القطائع منازل الجند وسائر الناس من التناء[١] ومن التجار ومن سائر الناس في كل محلة وعند كل ربض، وسوق هذا الجانب العظمى التي تجتمع فيها أصناف التجارات والبياعات والصناعات على رأس الجسر مارا من رأس الجسر مشرقا ذات اليمين وذات الشمال من أصناف التجارات والصناعات، وينقسم طرق الجانب الشرقي وهو عسكر المهدي خمسة أقسام فطريق مستقيم الى الرصافة الذي فيه قصر المهدي والمسجد الجامع وطريق في السوق التي يقال لها سوق خضير وهي معدن طرائف الصين وتخرج الى الميدان ودار الفضل بن الربيع وطريق ذات اليسار الى باب البردان وهناك منازل خالد بن برمك وولده وطريق الجسر من دار خزيمة الى السوق المعروفة بسوق يحيى بن الوليد والى الموضع المعروف بالدور إلى باب بغداد المعروف بالشماسية[٢] ومنه يخرج من أراد الى سر من رأى، وطريق عند الجسر الأول الذي يعبر عليه من اتى من الجانب الغربي يأخذ على دجلة الى باب المقير والمخرّم وما اتصل بذلك وكان هذا أوسع الجانبين لكثرة الأسواق والتجارات في الجانب الغربي كما وصفنا، فنزله المهدي وهو ولي عهد وفي خلافته ونزله موسى الهادي ونزله هارون الرشيد ونزله المامون ونزله المعتصم، وفيه أربعة الاف درب وسكة وخمسة عشر ألف مسجد سوى مازاده الناس وخمسة الاف حمام سوى مازاده الناس بعد ذلك، وبلغ اجرة الأسواق ببغداد في الجانبين جميعا مع رحا البطريق وما اتصل بها في كل سنة اثني عشر ألف ألف درهم[٣]، ونزل ببغداد سبعة خلفاء المنصور والمهدي وموسى الهادي وهارون الرشيد ومحمد الأمين وعبد الله

---

[١] التناء: جمع تانيء وهو الطاريء الغريب.

[٢] ينسب الى أحد شماسي النصارى وهو مجاور الى دار الروم التي في أعلى بغداد، وفيه المحلة الكبيرة المعروفة بـ (الشماسية) التي ابتنى فيها معزّ الدولة البويهي(ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) دارا ظلت اثار مسناتها شاخصة حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، في حين كان باقي المحلة كما يذكر ياقوت الحموي(البلدان:جـ٣، ص٣٦١) "صحراء موحشة يتخطف فيها اللصوص ثياب الناس".

[٣] عند الخطيب البغدادي(تاريخ:جـ١،ص٨١) "لم يضع المنصور على الأسواق غلة حتى مات، فلما استخلف المهدي أشار عليه أبو عبيد الله، فأمر فوضع على الحوانيت الخراج وولى سعيد الحرشي سنة سبع وستين ومائة".

المأمون والمعتصم فلم يمت بها منهم واحد الا محمد الأمين بن هارون الرشيد فإنه قتل خارج باب الأنبار عند بستان طاهر.

وهذه القطائع والشوارع والدروب والسكك التي ذكرتها على ما رسمت في أيام المنصور ووقت ابتدائها وقد تغيرت ومات المتقدمون من أصحابها وملكها قوم بعد قوم وجيل بعد جيل وزادت عمارة بعض المواضع وملك قوم ديار قوم وأنتقل الوجوه والجلة والقواد وأهل النباهة من سائر الناس مع المعتصم الى سر من رأى في سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ثم آتصل بهم المقام في أيام الواثق والمتوكل، ولم تخرب بغداد ولانقصت أسواقها لأنهم لم يجدوا منها عوضا ولأنه اتصلت العمارة والمنازل بين بغداد وسر من رأى في البرّ والبحر أعني في دجلة وفي جانبيّ دجلة.

وصف ابن الفقيه الهمذاني[*]
مدينة بغداد

قال بعض العلماء: بغداد تسمى بغداذ وبغدان[1]، قالوا: وهي تسمى مدينة السلام أيضا، فأما الزوراء فهي مدينة المنصور خاصة، وسميت مدينة السلام[2] لأن دجلة يقال لها وادي السلام.

وقال موسى بن عبد الحميد النسائي: كنت جالسا عند عبد العزيز بن أبي داؤد فأتاه رجل فقال: من أين انت ؟ قال من بغداد، قال: لا تقل بغداذ، فإن بغ صنم وداد عطاء، ولكن قل مدينة السلام، فإن الله هو السلام والمدائن كلّها له.

وقالوا: سميت بغداد لان كسرى اهدي له خصي من المشرق فأقطعه بغداد، وكان لقوم ذلك الخصي صنم بالمشرق يقال له البغ، فقال الخصي: بغداد، يعني ذلك الصنم أعطاه ذلك الموضع.

ويقال: إن بغداد كانت سوقا يقصدها تجار الصين بتجاراتهم فيربحون الربح الواسع، وكان اسم ملك الصين بغ، فكانوا اذ انصرفوا الى بلادهم قالوا: بغ داد، أي ذلك الربح الذي ربحناه أعطاناه الملك.

وداد لفظة بالفارسية وهو الاعطاء، وقال قوم: سميت مدينة السلام أرادوا أنها مدينة الله[3]، لأن الله هو السلام المؤمن، وقد جرى لها هذا الاسم على ضرب الدنانير

---

[*]أحمد بن محمد بن اسحاق(توفي حوالى سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م): البلدان، (تحقيق يوسف الهادي، بيروت١٩٩٦، من صفحة ٢٧٨ – ٣٥٦).

[1] عن معنى اسم بغداد واشتقاقاته اللغوية، ينظر: الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ١،ص٥٨ – ٦٢؛ ياقوت الحموي:البلدان،جـ١،ص٤٥٧ – ٤٥٨).

[2] يذكر الخطيب البغدادي(تاريخ،جـ١،ص٥٨)ان أبا جعفر المنصور هو الذي سماها (مدينة السلام).

[3] لم يكن الاستاذ يعقوب لسنر مطلعا على القسم المتعلق ببغداد في مخطوطة البلدان لابن الفقيه الهمذاني لذلك نسب تعبير (مدينة الله) الى ياقوت الحموي مع ان=الأخير (البلدان،جـ١،ص٤٥٧) قد سلخ حرفيا نص ابن الفقيه(خطط بغداد في العهود العباسية،ص١٣٧).

والدراهم وما تقع به الاشرية في الكتب ويتبايع به الناس وما يقع فيـــه مـــن غـــلات الطساسيج من الحنطة والشعير وما يسمى به القفيز[1] فيقال مدينة السلام.

واسمها الأول الزوراء، والزوراء مدينة أبي حعفر، والناس يسمونها بغداد والخلفاء يسمونها مدينة السلام، ومدينة بغداد بناها أبو جعفر المنصور سنة خمـــس وأربعيـــن ومائة.

وقال عبيد الله بن اسحاق: بنى أبو جعفر بغداد سنة خمس واربعين ومائة وآرتفـــع بناؤها سنة تسع وأربعين.

وقال إبراهيم بن الجنيد: قطن أبو جعفر بغداد سنة تسع وأربعين ومائـــة، وكـــان أسسها قبل ذلك بسنة أو آثنتين، وكانت قديمة فمصرها وأخذ في بناء المدينة فلما بلغـــه خروج محمد وابراهيم ابني عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام، تـــرك البنـــاء وعاد الى الكوفة وحول بيوت الاموال والخزائن اليها، فلما انقضى أمر محمد وابراهيم رجع فاستتم بناءها وبنى سورها القديم سنة سبع وأربعين ومائة وتوفـــي ســـنة ثمـــان وخمسين ومائة، وقبل ذلك بنى الرصافة في جانب الشرقي للمهدي، وكانت الرصافـــة تعرف بعسكر المهدي لأنه عسكر به حين شخص الى الري، فلما قدم من الري نـــزل الرصافة، وذلك في سنة احدى وخمسين ومائة.

وقد كان المنصور أمر ببناء قصر للمهدي، وهو المعروف بقصـــر الوضـــاح فـــي الشرقية، فبنى ونسب الى الوضاح، والوضاح رجل من أهل الأنبار تولى النفقة عليـــه فنسب اليه.

وبنى المنصور مسجديَ مدينة السلام، وبنى القنطرة الجديدة على الصراة وابتـــاع ارض مدينة السلام من أرباب القرى ببادوريا وقطربل ونهر بوق ونهر بيّن، وأقطعـــها الى أهل بيته وقواده وجنده وصحابته وكتابه وجعل مجمع الأسواق بـــالكرخ، وأمـــر التجار فابتنوا الحوانيت وألزمهم الغلة.

---

[1] كان القفيز في زمن الوالي الاموي على العراق الحجاج بن يوســف الثقفـــي(ت ٩٥هـــ/٧١٣م) يساوي ٤,٢١٢٥ لتر، وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي كان في العراق قفيزان: الكبير، ويستعمل تحديدا في بغداد والكوفة ويساوي تقريبا(٤٥كغم) قمح، وامـــا القفـــيز الصغـــير فكـــانوا يتعاملون به في البصرة وواسط وكان يساوي تقريبا (٢٣,٩٦٢) كغم قمح(هنتس:المكاييل،ص٦٦).

وروي أن رجلا من أهل الحيرة جاء الى المثنى بن حارثة الشيباني فقال: الا أدلك على قرية يأتيها تجار من مدائن كسرى والسواد ويجتمعون بها في كل سنة يوما ومعهم من الأحوال مما لايحد، وهذه أيام سوقهم، فإن أنت أغرت عليهم أصبت فيها مالا يكون غناء للمسلمين وتقوية على عدوهم.

قال: فأي شئ يقال لهذه القرية ؟

قال: بغداد.

قال: وكم بينها وبين المدائن ؟

قال: بعض يوم.

قال: وكيف لي بها ؟

قال: تأخذ طريق البرّ حتى تنتهي إلى الخنافس، فإن أهل الأنبار سيصيرون اليها ويخبرون عنك فيأمنون، ثم تعرج على أهل الأنبار وتأخذهم بالأولى وتسير ليلتك من الأنبار حتى تأتيهم صبحا فتغير عليهم وهم غارون، فخرج من أليس إلى الخنافس ثم عرج حتى رجع إلى الأنبار، فلما احسه صاحبها تحصن وهو لايدري من هو وذلك ليلا فلما عرفه نزل اليه فاطمعه وخوفه واستكتمه وقال: اني اريد أن أغير فابعث معي الأدلاء حتى أغير منها على المدائن، قال: أنا أجيء معك، قال: قال: لا ولكن ابعث معي من هو أدل منك فبعث معهم الأدلاء، حتى إذا كانوا بالمنصف قال لهم المثنى: كم بيننا وبين هذه القرية ؟ قالوا: أربعة فراسخ، فقال لأصحابه: من ينتدب للحرس ؟ فانتدب له قوم، فقال: اذكوا حرسكم ونزل، فلما كان في آخر الليل اسرى اليهم وصبحهم وهم في أسواقهم فوضع فيهم السيف، فقتل وأخذ ماشاء، ثم قال: يا أيها الناس لاتأخذوا الذهب والفضة ولا تأخذوا من المتاع الا ما يقدر الرجل أن يحمله على دابته، وهرب أهل السوق وملأ المسلمون أيديهم من الصفراء[١] والبيضاء[٢]، ثم سار حتى وافى الأنبار وذلك في سنة ثلاث عشرة[٣].

قال: وخرج المنصور منحدرا الى جرجرايا ليرتاد منزلا، ثم صار الى بغداد ومنها الى الموصل، ثم عاد الى موضع بغداد، فقال هذا موضع معسكر جيد، هذه دجلة

---

[١] الدنانير الذهبية.

[٢] الدراهم الفضية.

[٣] وردت هذه الرواية عند الطبري(تاريخ،جـ٣،ص٤٧٣ - ٤٧٤).

يأتينا كل ما في البحر منها، وتأتينا ايضا فيها الميرة من الجزيرة وأرمينية وما والاها، وهذا الفرات يحمل فيه متاع الشام والرقة وذلك البلد فنزل وضـــرب عسـكره علـى الصراة واختط المدينة ووكل بكل ربع قائدا.

وقال سليمان بن مجالد: أفسد أهل الكوفة جند المنصور فخرج نحو الجبل يرتـــاد منزلا وطريق الناس يومئذ على المدائن فخرجنا على ساباط فتخلف بعـض أصحابنـا لرمد اصابه فاقام يعالج عينه فسأله الطبيب أين يريد أمير المؤمنين؟ قال: يرتاد مـنزلا قال: فإنا نجد في كتاب عندنا أن رجلا يدعى مقلاصا يبني مدينة بين الصراة ودجلـة تدعى الزوراء فاذا أسسها اتاه فتق من الحجاز[1] فقطع بناءها وأقبل على اصلاح ذلـك الفتق فاذا كاد أن يلتئم أتاه فتق اخر من البصرة[2] هو أعظم عليه من الأول فلا يلبـث الفتقان أن يلتئما، ثم يعود الى بنائها فيتمه فيعمر عمرا طويلا ويبقى الملك فـي عقبـه قال: فأخبرت المنصور بذلك فقال: الله اكبر! والله هو لقد لقبت مقلاصا وأنـا صبـي لخبر كان لي ثم انقطع ذلك اللقب عني.

وقال ابن عياش: لما أراد المنصور الانتقال من الهاشمية، بعث روادا يرتادون لـه موضعا يبني فيه مدينة، ويكون الموضع واسطا رافقا بالعامة والجند فنعت له موضـع قريب من بارما وذكر له عنه غذاء وطيب فخرج اليه بنفسه حتى نظر اليه وبات فيـه فرآه موضعا طيبا فقال لجماعة من خاصته منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب الخوزي وعبد الملك بن حميد الكاتب: مارأيكم في هذا الموضع ؟ قالوا: هـو موضـع طيـب موافق صالح قال: صدقتم هو كذلك ولكنه لايحتمل الجند والناس وانما أريد موضعـا ترتفق به الرعية ويوافقها ولاتغلو عليها فيه الأسعار ولاتشتد به المؤونة فإني ان اقمت في موضع لايجلب اليه في البرّ والبحر غلت الأسعار وقلت المادة واشـتدت المؤونـة وشق ذلك على الناس وقد مررت في طريقي بموضع قد اجتمعت فيه هذه الخصال فأنا راجع اليه وبائت فيه فإن اجتمع لي ما أريد من طيب الليل فهو موافق لما أريـده لـي وللناس.

قال: فاتى موضع بغداد وعبر في موضع قصر السلام ثم صلى العصر وذلك فـي صيف وحر شديد، قال: وكان في ذلك المكان بيعة فبات اطيب مبيت وأقام يومه فلـم

---

[1] يقصد حركة محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى الملقب بـ(ذي النفس الزكية).

[2] يقصد حركة ابراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى أخي محمد ذي النفس الزكية.

ير الا خيرا فقال: هذا موضع صالح للبناء، فإن المادة تأتيه من الفرات ودجلة وجماعة الأنهار، ولايحمل الجند والرعية الا مثله، فخط المدينة وقدر البناء ووضع أول لبنة بيده وقال: بسم الله والحمد الله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا على بركة الله.

وذكر سليمان بن مجالد، ان المنصور لما قدم القائد الذي بعث به يرتاد منزلا وكان من ثقاته انصرف راجعا حتى نزل عند الدير الذي بحذاء القصر المعروف بالخلد، ثم دعا صاحب الدير وامره باحضار البطريق وكان هناك بطريق مقيم وصاحب بغداد وصاحب المخرّم وصاحب دير القس وصاحب العتيقة وهؤلاء تناء بالناحية لكل واحد منهم ضياع حول بغداد فلما حضروا عنده سألهم عن مواضعهم وكيف هي في الحر والبرد والأمطار، فكل واحد منهم قال قولا يقدر ما عنده، ثم انه وجه رجالا من ثقاته فبات كل واحد منهم في قرية من القرى القريبة من بغداد، فلما عادوا اليه اتفق قولهم على طيب الموضع وصحة هوائه، فقال لصاحب بغداد وهو الدهقان الذي قريته قائمة الى اليوم في المربعة المعروفة بأبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي وداره قائمة على بنائها وكان عاقلا فهما: ما الرأي عندك فيما قد عملت عليه من البناء في أحد هذه المواضع، فقال: يا أمير المؤمنين ! سألتني عن هذه الامكنة وطيبها، وهي كلّها طيبة والاختيار اليك فيها، فقال له المنصور :دع اختياري وأخبرني عما عندك في مكان منها، فقال: الذي أراه يا أمير المؤمنين أن تنزل في نفس بغداد، فإنك بين أربعة طساسيج، منها طسوجان في الجانب الغربي وطسوجان في الجانب الشرقي فاللذان في الغربي فهما قطربل وبادوريا، وأما اللذان في الشرقي فهما نهر بوق وكلواذي فإن خرب منها طسوج او تأخرت عمارته كان الاخر عامرا وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة ودجلة تجيئك الميرة من المغرب في الفرات ومنها في الشام ومصر وسائر تلك البلدان وتحمل اليك طرائف الهند والصين والسند والبصرة وواسط في دجلة وتجيئك ميرة أرمينية واذربيجان وما يتصل بها في تامرا وتجيئك الميرة من الروم وامد وميافارقين وارزن والثغور والخزرية ومن الجزيرة والموصل وبلد ونصيبين الى مشارق الشام في دجلة وانت بين الأنهار لايصل اليك عدوك الا على جسر أو قنطرة فاذا قطعت الجسر واخربت القنطرة لم يصل اليك، وأنت بين دجلة والفرات لايجيؤك أحد من المشرق والمغرب الا احتاج الى العبور وأنت متوسط للبصرة والكوفة وواسط السواد، وأنت قريب من البر والبحر والجبل، فازداد المنصور رغبة في الموضع وأمر

بالبناء فيه، وقال له ذلك الدهقان: نعم يا أمير المؤمنين، وهاهنا شئ اخر قال: وما هو؟ قال: ان المدن تحصن بالأسوار والخنادق وقد رزقك الله سوقا وخندقا لم يعمل مثلهما لسائر مدن الشرق والغرب قال: وما هما ؟ قال: دجلة والصراة يكتنفان مدينتك من جانبيها، فقال: صدقت يادهقان.

قال سليمان بن مجالد: ووجه المنصور في حشر الصناع والفعلة من الشام وموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة فأحضروا، وأمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة فجمعهم وتقدم اليهم أن يشرفوا على البناء وكان فيمن احضر الحجاج بن ارطاة وأبا حنيفة ثم أمر بخط المدينة وحفر الأساسات وضرب اللبن وطبخ الاجر فبدئ بذلك، وكان أول ابتدائه في عملها سنة خمس وأربعين ومائة.

وكان المنصور أراد أبا حنيفة أن يتولى له شيئا من أمرها فأبى وأراده على القضاء فأبى ايضا فحلف المنصور أن لابد له من أن يتولاه فحلف أبو حنيفة أن لايفعل فولاه عدّ اللبن وأخذ الرجال بالعمل، وانما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه فكان أبو حنيفة يتولى ذلك حتى فرغ من استتمام الحائط الذي يلي الخندق وكان الفراغ منه سنة تسع وأربعين ومائة وكان أبو حنيفة أول من عدّ اللبن بالقصب.

قال: وأمر المنصور باحكام الاساس وأن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعا[(١)] وأن يكون أعلاه عشرين[(٢)] ذراعا وأن يجعل في البناء جرز القصب مكان الخشب فلما بلغ السور مقدار قامة وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة اتصل به خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن رضي الله عنهم فقطع البناء حتى فرغ من أمره وأخيه ابراهيم بن عبد الله.

وقال جابر بن داود: كانت بغداد قديمة وكانت في أيدي قوم من الدهاقين بعضها منسوب الى طسوج بادوريا من الجانب الغربي وكان الجانب الشرقي بعضه الى طسوج نهر بوق وبعضه الى كلواذي والفرق مابين الطسوجين الموضع المعروف بالفارقين حتى مصرها المنصور.

---

(١) عند الخطيب البغدادي(تاريخ،جـ١،ص٧٤) "عرض السور من أسفله نحو من عشرين ذراعا".

(٢) عند الخطيب البغدادي(تاريخ،جـ١،ص٧٤) "في السماء خمسة وثلاثون ذراعا".

وقال علي بن يقطين: كنت في عسكر أبي جعفر حين صار الى الصراة يلتمس موضعا لبناء مدينته، قال: فنزل الديّر الذي على الصراة في العتيقة فما زال على دابته ذاهبا وجائيا منفردا عن الناس يفكر قال: وكان في الدير راهب عالم فقال لي: كم يذهب هذا الملك ويجيء؟ قلت: يريد أن يبني مدينة قال:فما اسمه ؟ قلت: عبد الله ابن محمد قال: أبو من؟ قلت: أبو جعفر، قال: يلقب بشيء ؟ قلت: المنصور، قال: ليس هو الذي يبنيها، قلت ولم ؟ قال: لأنا قد وجدنا في كتاب عندنا نتوارثه قرنا عن قرن الذي يبني مدينة في هذا المكان يقال له مقلاص قال: فركبت من وقتي حتى تقدمت منه فقال: ماورائك؟ قلت: خبر القيه اليك وأريحك هذا العناء، قال: وماهو ؟ قلت أمير المؤمنين يعلم ان هؤلاء الرهبان معهم علم وقد أخبرني راهب هذا الدير بكيت وكيت، فلما ذكرت مقلاصا ضحك واستبشر ونزل عن دابته فسجد واخذ سوطه فاقبل يذرع به، فقلت في نفسي لحقه اللجاج، ثم دعا المهندسين من وقته فامرهم بخط الرماد فقلت له: أظنك يا أمير المؤمنين أردت معاندة الراهب وتكذيبه فقال: لا والله ولكنني كنت ملقبا بمقلاص وما ظننت أن أحداً عرف بذلك غيري، فاسمع حديثي بسبب هذا اللقب: كنا بناحية الشراة في زمان بني امية على الحال التي تعلم فكنت ومن كان في مقدار سني من عمومتي واخوتي نتداعى ونتعاشر فبلغت النوبة الي يوما من الأيام وما أملك درهما واحدا فما سواه، فلم أزل افكر واعمل الحيلة الى أن اصبت غزلا لداية كانت لي فسرقته، ثم وجهت به فبيع واشتري بثمنه ما احتجت اليه وجئت الى الداية فقلت لها: افعلي كذا واصنعي كذا قالت: ومن أين لك ما أرى ؟ قلت: اقترضت درهما من بعض أهلي ففعلت ماامرتها به، فلما فرغنا من الأكل جلسنا للحديث، طلبت الغزل فلم تجده فعلمت أني صاحبة، وكان في تلك الناحية لص يقال له مقلاص شهر بالسرقة فجاءت إلى باب البيت الذي كنا فيه فدعتني، فلم اخرج اليها لعلمي أنها قد وقفت على ماعمل، فلما ألحت وأنا لا أخرج قالت: اخرج ياامقلاص ! الناس يتحرزون من مقلاصهم ومقلاصي معي في البيت فمزح معي اخوتي وعمومتي بهذا اللقب ساعة، ثم لم أسمع به الا منك الساعة، وقلت ان الراهب قال لك ذلك فعلمت أن أمر هذه المدينة سيتم عليّ لصحة ما وقفت عليه[1].

---

[1] ان اهمية هذه الرواية هو في عرضها التفصيلي المثير لما قيل عن قصة(المقلاص) والذي لم نجده في المؤلفات التاريخية الاخرى كتاريخ الطبري على سبيل المثال فمؤلفه نقل قصة

قال الشروي: أخبرني بعض المشايخ الموالي، أن المنصور لما أراد بناء بغداد وسط المكان الذي قدر ان يجعله مدينة وأمر ان يوتد هنالك وتد وأخذ حبلا فمده على المقدار الذي أدار أن تكون استدارتها ثم أمر بطرح الرماد فطرح، ثم نقص من مقداره أربعين ذراعا، ثم أراد خطا اخر وجعل من الخطين الخندق وجعل فتحة أربعين ذراعا ثم عمل السور الذي خلف الفصيل وعرضه من أسفله ثمانية عشر ذراعا وعرض اعلاه ثمانية أذرع، وجعل على ذراع منه مما يلي الخندق الشرافات فصار الباقي خمسة أذرع يمشي عليها الناس.

قال حماد التركي: بنى المنصور المدينة مدورة لأن المدورة لها معان ليست للمربعة وذلك أن المربعة اذ كان الملك في وسطها كان بعضها أقرب اليه من بعض، والمدورة من حيث مسحت كان أمرها الى وسطها مستويا لايزيد بعضه على بعض.

وبنى لها أربعة أبواب فكان اذا جاءها الجائي من المشرق دخل من باب خراسان واذا جاءها من الحجاز دخل من باب الكوفة واذا جاء من المغرب دخل من باب الشام واذا جاء من فارس والأهواز والبصرة وواسط واليمامة والبحرين وعمان دخل من باب البصرة، وعمل لها سورين وفصيلين بين كل باب فصيلان والسور الداخل اطول من الخارج، وأمر أن لايبني انسان تحت السور شيئا من المنازل وأمر أن يبنى في الفصيل الثاني مع السور المنازل،لان ذلك احصن للسور ثم بنى قصره في وسطها وبنى المسجد الجامع مع القصر وعمل الشوارع على ماراد واقطعها القواد وانزل فيها خاصته واهل ثقته، وجعل الطول من باب خراسان الى باب الكوفة ثمانمائة ذراع[1] **ومن** باب الشام الى باب البصرة ستمائة ذراع[2]، وعدد الطاقات في السور الكبير ثلاثة وخمسون طاقا سوى الطاق المفتوح، هذا في كل صف والطاقات الصغار التي تلي الرحبة في كل صف ست طاقات سوى طاقي البابين وساحة القصر اربعمائة ذراع في مثلها وساحة المسجد الجامع مائتا ذراع في مثلها.

والذي خط المسجد الحجاج بن ارطاة وجعل حواليّ القصر والمسجد رحابا على تربيع القصر والجامع، وجعل الابواب الداخلة مزواة ليست على سمت الابواب

المقلاص(جـ٧،ص٦١٧) بشكل مقتضب عن طريق محمد بن صالح النطاح.

[1] عند الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ٧،ص٦١٧) "ألفا ذراع ومائتا ذراع".

[2] عند الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٧٣) "ألفا ذراع ومائتا ذراع".

الخارجية، فلذلك سميت الزوراء، وبين القصر وبين كل باب من الابواب مساحة قائمة لايزيد بعضها عَلى بعض، وكذلك بينه وبين كل ناحية من السور وأساطين الخشب التي في المسجد الجامع كل اسطوانة قطعتين بعقبتين[1] والغري وضبات الحديدُ الا خمسة او ستة عند الشنال الذي يلي المنارة ثمان في كل واحدة عدة قطع معقبة محكمة.

وقال بعض اهل بغداد: هدمنا قطعة من السور الذي يلي باب المحول فوجدنا لبنة عليها مكتوب بمغرة: وزنها مائة وسبعة عشر رطلا فوزناها فوجدنا ذلك كما كتب عليها، وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي[2]: لما اراد المنصور بناء مدينته شاور اصحابه في ذلك، وكان فيمن شاور خالد بن برمك فأشار عليه ببنائها فلما عمل منها صدرا صالحا احتاج الى الآجر فعزم على نقض إيوان كسرى الذي بالمدائن فاستشار في ذلك ايضا فاشار عليه جماعة خواصه ان يفعل وكان فيهم خالد بن برمك فلم يقل شيئا فقال له: لم لاتكلم ياخالد وتشير بما عندك قال: لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين قال: ولم؟ قال: لأنه علم من أعلام الاسلام يستدل به الناظر والوافد والملوك على عظم شأن أربابه وعن سلطانهم وأن الاسلام قهرهم وأزالهم عنه وأيضا فإن فيه مسجدا لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: هيهات ياخالد! أبيت إلا التعصب لأصحابك والميل اليهم، وأمر بنقضه ونقض ماحوله من الأبنية قال: فنقض شئ من ذلك وحمل آجره إلى بغداد فوجدوا أن النفقة على هدمه وحمله ومؤونته أكثر مما ينفق على الآجر الجديد إذا عمل فرفع ذلك الى المنصور فأمر بتركه وأحضر خالدا فعرفه الخبر وقال له: ما عندك في هذا ؟ فقال: قد كنت أشرت على أمير المؤمنين أن لا تعرض لشئ من نقضه فلم يفعل، فأما الآن وقد ابتدأ بذلك فما أرى ان يكف عنه حتى يلحقه بقواعده لئلا يقال انه عجز عن هدم ما بناه غيره والهدم أيسر من البناء فتبسم المنصور وأمر بترك ذلك.

---

[1] في القسم الذي حققه الدكتور صالح أحمد العلي والمتعلق ببغداد من مخطوطة البلدان لابن الفقيه الهمذاني(بغداد مدينة السلام،ص٣٦) "بالعقب".

[2] خدم خمساً من الخلفاء العباسيين له الظرف المشهور والغناء اللذان تفرّد بهما فضلا عن كونه من علماء اللغة والأشعار وأيام الناس (ابن المعتز:طبقات الشعراء،ص ٢٣٥؛ ابن الأنباري:نزهة الألباء في طبقات الأدباء،ص٢٣٢ – ٢٣٥).

قال: وأمر المنصور أن تجعل الأسواق في طاقات المدينة إزاء كل باب سوقا، فلم تزل على ذلك مدة حتى قدم عليه بطريق من الروم وافدا من عند الملك فأمر الربيع أن يطوف به المدينة حتى ينظر اليها ويتأملها ويرى سورها وأبوابها وما حولها من العمارة ويصعد السور حتى يمشي عليه من أوله الى آخره ويريه قباب الأبواب والطاقات وجميع ذلك ففعل الربيع ما أمره به، فلما دخل الى المنصور قال له: كيف رأيت مدينتي ؟ قال: رأيت حسنا ومدينة حصينة إلا أن أعداءك معك فيها قال: ومن هم ؟ قال: السوقة، يوافي الجاسوس من بعض الأطراف فيدخل لعلة ما يشتري فيتجسس الأخبار ويعرف ما يريد وينصرف من غير أن يعلم به فسكت المنصور، فلما انصرف البطريق أمر بإخراج السوقة من المدينة، وتقدم الى ابراهيم بن الحبيش الكوفي وخراش بن المسيب اليماني[1] بذلك وأمرهما أن يبنيا الأسواق ناحية الكرخ ويجعلاها صفوفا، لكل سوق صف، وأن يدفعوها الى الناس،فلما فرغا من ذلك حول السوق من طاقات المدينة ووضع عليهم الغلة على قدر الذرع، فلما كثر الناس ضاقت عليه، فقالوا لابراهيم بن حبيش وخراش: قد ضاقت علينا هذه الصفوف ونحن نتسع ونبني لنا أسواقا من أموالنا ونؤدي عنها الأجرة فاجيبوا الى ذلك فاتسعوا في البناء والأسواق.

وقال الشروي: بل كان سبب إخراج الأسواق عنها ان المنصور حين استتم البناء، دعا اليه رسل الملوك الذين كانوا على بابه فقال: كيف ترون مدينتي هذه ؟ فقالوا: ما رأينا أحسن تقديرا ولا أحكم بناء ولا أحصن اسوارا منها، فقال: هل ترون فيها عيبا ؟ فقال أحدهم: نعم سوقها في جوفها والجواسيس لاينكر عليهم مخالطة السوقة ومبايعتهم، وقال آخر: ومن عيوبها أيضا أنه ليس لها نهر يخترقها وقال آخر: ومن ذلك أنه لامقبرة لها ولاميدان فيها، فأمر المنصور فعمل لها دولاباً أجري ماؤه الى القصر، فكان يخترقها حتى يوافي القصر، وقال: هذا يقوم مقام النهر، فلم يزل ساج ذلك والدولاب يصب فيه أيام محمد بن عبد الله[2] بن طاهر ثم قلع وعطل، قال:

---

[1] عند الطبري(تاريخ،جـ٧،ص٦٥٣) "جواس بن المسيب اليماني".

[2] حفيد طاهر بن الحسين قائد الخليفة المأمون ومؤسس الاسرة الطاهرية التي حكمت في خراسان للمدة من ٢٠٥ – ٢٥٩هـ/ ٨٢٠ – ٨٧٢م، توفي محمد في سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧ م (الطبري:تاريخ،جـ ٩،ص٣٧٦ – ٣٧٧).

وأمر بإخراج السوق الى ناحية الكرخ وباب الشعير وقطيعة الربيع وما قرب من ذلك وعمل ميدانا في الرحبة لقواده وخاصته وعمل المقبرة المعروفة بمقبرة قريش وذلك في سنة تسع وخمسين ومائة[1]، وفي هذه السنة بنى قصره الذي يشرع على دجلة وسماه الخلد[2]، وأمر بعقد الجسر عند باب الشعير وجعل النفقة لذلك على يدي حميد بن القاسم الصيرفي.

قال: وكان فراغ المنصور من بناء مدينة السلام ونزوله اياها ونقل الخزائن والدواوين وبيوت الأموال اليها، سنة ست واربعين ومائة وكان استتمامه لبناء السور والفراغ من الخندق واحكام جميع أمر المدينة سنة تسع وأربعين ومائة ثم شخص في هذه السنة الى حديثة الموصل لأمر أراده ثم انصرف.

وقال الشروي: لما قدم المهدي من الري وفد اليه أهل الكوفة وأهل الشام وغيرهم من وجوه الناس فهنؤه بمقدمه ولقوا المنصور فهنؤه أيضا فأمر المهدي لعامتهم بالجوائز والخلع والحملان.

وقد كان المنصور أمره أن يقيم في الجانب الشرقي من مدينة السلام وأمره ببناء الرصافة وأن يعمل بها سورا وخندقا وبستانا فأبتدأ بعمل ذلك وجعل النهر مخترقا له حتى يدخل المسجد الجامع فكان الناس يشربون منه يوم الجمعة وقدر شوارعها فلم تكن في الاحكام والاستواء مثل شوارع الجانب الغربي، وقال يحيى بن الحسين: كان بناء المهدي كله بالرهوص الا ماكان يسكنه هو، وكذلك كان بناء موسى الهادي بعده، وكان استتمام بناء المهدي الرصافة والجامع سنة تسع وخمسين ومائة.

---

[1] تشير المصادر التاريخية الى ان تاريخ إنشاء مقبرة قريش يرجع الى تاريخ أقدم من الذي ذكره ابن الفقيه الهمذاني، فالطبري (تاريخ،جـ٨،ص٢٢)، يذكر في إحداث سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م، أن جعفرا الأكبر بن الخليفة أبي جعفر توفي في مدينة السلام ودفن ليلا في مقبرة قريش، وهذه المقبرة واعتمادا على ما ذكره الخطيب البغدادي(تاريخ،جـ١،ص١٢٠ – ١٢١) هي الثانية في بغداد بعد مقبرة باب الشام التي أسست سنة ١٤٧هـ/ ٧٦٤ م ودفن فيها عبد الله بن علي عم الخليفة أبي جعفر المنصور.

[2] وكما سبق ذكره فإن قصر الخلد بإجماع الروايات بني في سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م، وان ما ذكره ابن الفقيه الهمذاني في هذا المجال ليس دقيقا فالخليفة أبو جعفر المنصور هو الذي أمر ببنائه ونزله في اواخر خلافته حتى وفاته سنة ١٥٨هـ/ ٧٧٤م.

وخرج المنصور بعد قدوم المهدي من الري بشهور الى البردان ليعـــرض الجنـد ويسقط من لم يكن من أهل خراسان فأحكم ما أراد من ذلك وعاد الى بغداد.

وقال عيسى بن المنصور: وجدت في بعض خزائن أبي مبلغ النفقة علـــى مدينـة السلام والمسجد الجامع وقصر الذهـب والأسـواق والفصـلان والخنـادق والقبـاب والأبواب[1] فكان جميع ذلك أربعة الآف ألف وثمنمائة وثلاثة[2] وثمـانون درهمـا[3] يكون من الفلوس مائة ألف وثلاثة وعشرين ألف فلس، وذلك ان الأستاذ من البنـائين كان يعمل يومه بقيراط[4] والروزجاري بحبتين الى ثلاث حبات[5].

وقال أبو سهل بن نوبخت عن جده نوبخت قال: أمرني المنصور لمـا أراد بنـاء بغداد بأخذ الطالع ففعلت فإذا الطالع الشمس وهي في القوس فخبرته بما تـدل النجـوم عليه من طول بقائها وكثرة عماراتها وفقر الناس الى ما فيها ثم قلت: وخلة اخـرى أسرك بها يأمير المؤمنين قال: وما هي؟ قلت: نجد في ادلة النجوم انه لايموت فيـها خليفة ابدا حتف انفه قال: فتبسم ثم قال: الحمد لله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

---

(1) ذكر الخطيب البغدادي (جـ١،ص٦٩ – ٧٠) روايات متعددة مختلفة عن تكاليف بناء بغداد.

(2) عند الخطيب البغدادي(جـ١،ص٧٠)، "اربعة الاف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهما".

(3) يذكر البلاذري (فتوح البلدان،ص٥٧١ – ٥٧٢) وزنين للدرهم العربي، الأول يساوي أربعة عشـر قيراطا من قراريط الذهب والاخر حدده الخليفة الأموي عبد الملك بن مـروان (٦٥ – ٨٦هـ/ ٦٨٤ – ٧٠٧م) بخمسة عشر قيراطا، ويشير الأستاذ محمد باقر الحسيني في كتابه (النقود العربية الاسلامية،ص٥٢) الى أن النقود العربية التي ضربت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان بقيت اوزانها كما هي في زمن الخلفاء العباسيين باستثناء تغير في بعض العبارات التي تتعلق بأسمائهم أو في بعض الكلمات الأخرى.

(4) القيراط: يساوي ١/٢٠من المثقال وهو يتألف شرعا من خمس حبات، لكنه غالبا يسـاوي ثـلاث حبات(هنتس:المكاييل،ص٤٤)

(5) الحبة: تسـاوي وزن حبـة الشـعير العربيـة وتسـاوي ١/١٠٠مـن المثقـال (٠,٠٤٤٦غـم)، (هنتس:المكاييل،ص٢٥).

ولذلك يقول الشاعر[1]:

أعانيتَ في طول من الارض والعوض كبغداد من دار بها مسكن الخفض

صفا العيشُ في بغداد واخضرَّ عودُهُ وعيشٌ سواها غير صاف ولاغضُّ

تطول بها الاعمارُ إن غداءها مريء وبعضُ الارض أمرأ من بعض

قضى ربُّها ان لايموت خليفةٌ بها، انه ما شاء في خلقه يقضى

تنامُ بها عينُ الغريبِ ولاترى غريباً بارض الشام يطمعُ في الغمض

فإن جزيت بغداد منهم بقرضها فما أسلفتَ إلا الجميلَ من القرض

وان رميتَ بالهجرِ منهم وبالقلى فما اصبحتَ أهلا لهجر ولابغض

وكان تحول المنصور من الهاشمية الى بغداد والابتداء ببنائها سنة خمس وأربعين ومائة وذلك يوم العاشر من مردادماه سنة احدى وثلاثين ومائة ليزدجر وأخر يوم من تموز سنة ألف وثلاثمائة وسبعين للاسكندر والشمس يؤمئذ في الأسد ثمان درجات وعشر دقائق وزحل في الحمل درجة وأربعين دقيقة والمشتري في القوس ست درجات والزهرة في الجوزاء ثلاثين درجة وعطارد في الجوزاء أربع وعشرين درجة والرأس في الجدي خمسا وعشرين درجة.

قال: ووكل بالبناء قواده فقسمها بينهم أرباعا فدفع الى الربيع الحاجب باب خراسان والى أبي ايوب الخوزي وزيره باب الكوفة والى عبد الملك بن حميد بباب البصرة والى بن رغبان مولى محمد بن مسلمة الفهري باب الشام فبنوها.

قال: وعلى المدينة ثمانية أبواب خمسة منها كانت على مدينة في ظهر واسط يقال لها الزندرود، يقال إن الجن بنتها الى سليمان بن داود عليه السلام وان الأبواب من عمل الشياطين له أيضا فنقلها المنصور من هذه المدينة الى بغداد لما بناها وهي

---

[1] نسب ياقوت الحموي (البلدان،جـ١،ص٤٦٠) هذه الأبيات الى الشاعر (عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير).

الأربعة الأبواب الداخلة من كل باب، ومنها باب البصرة الخارج، والباب الخارج من باب خراسان حمل من الشام،يقال انه من عمل الفراعنة وهو أقصرها، وباب الكوفة الخارج باب قصر خالد بن عبد الله القسري حمل من الكوفة، وباب الشام الخارج عمل للمنصور ببغداد وهو أضعفها [١] وكانت الحربية أيام فتنة الحسن بن سهل[٢] قبل دخول المأمون الى بغداد أحرقوه فسقط أحد المصراعين وانصدع فضب من جانبيه.

وقيل لرجل: كيف رأيت بغداد ؟ قال: الأرض كلها بادية وبغداد حاضرتها.

وحدث أحمد بن حميد بن جبلة قال: حدثني أبي عن جدي جبلة قال: كانت مدينة أبي جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة، فلما أخذها المنصورعوضهم منها عوضا رضوا به، فأخذ جدي من ذلك حصته.

قال: وكان شارع باب الأنبار لأهل قرية بباب الشام يسمون الترابية، قال: وقال حماد التركي: كان حول مدينة أبي جعفر قبل بنائها قرى فكان الى جانب باب الشام قرية يقال لها أخطانية [٣]على باب درب النورة الى درب الأقفاص وكان بعض نخلها في نفس شارع باب الشام، فلم يزل الى أن قلع في أيام فتنة المخلوع[٤] وكانت هذه القرية التي يقال لها اخطانية لقوم من الدهاقين يقال لهم بنو فروة وبنوا قنورا منهم مالك بن دينار ويعقوب بن سليمان.

وحدث أبو جعفر محمد بن موسى بن الفرات ان القرية التي في مربعة أبي العباس الطوسي كانت قرية جده من قبل امه وانهم من دهاقين يقال لهم بنو زراري، وكانت القرية يقال لها الوردانية وقرية اخرى قائمة الى اليوم مما يلي مربعة أبي قرة يقال لها

---

[١] إن اهمية هذه الرواية هو في معلوماتها المهمة عن هذا الجانب العمراني المهم في التصميم الأساسي لمدينة المنصور المدورة وهذا مالا نجده بالسعة والوضوح كليهما في روايتي الطبري (تاريخ،جـ٧،ص٦٥١) وياقوت الحموي (البلدان،جـ١،ص٤٦٠).

[٢] ذكر الطبري (تاريخ،جـ٨،ص٥٤٣ – ٥٤٤) في أحداث سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م ان الجند في محلة الحربية والبغداديين وثبوا على الحسن بن سهل عامل الخليفة المأمون على العراق وطالبوا باقصائه وذلك لاجراءاته الاقتصادية السلبية فكانت ثورتهم لمدة ثلاثة أيام أحرقوا فيها باب الكرخ.

[٣] عند الطبري (تاريخ،جـ٧،ص٦١٩) "الخطابية".

[٤] يقصد الخليفة العباسي السادس محمد الأمين (١٩٣-١٩٨هـ/ ٨٠٨-٨١٣م).

سرقانية[1] ولها نخل قائم الى اليوم مما يلي قنطرة أبي الجوز[2] وأبو الجوز هذا من دهاقين بغداد من أهل هذه القرية والقنطرة منسوبة اليه.

وكانت قطيعة الربيع مزارع لناس من أهل قرية يقال لها ماوري من رستاق الفروستج من بادوريا واسمها الى اليوم معروف في الديوان.

وكان موضع بركة زلزل وما والاها الى ناحية مسجد الأنباريين مزارع وكان النهر الذي يسقي هذه المزارع في موضع باب طاق الحراني الى باب الكرخ.

وذكر بعض المشايخ قال: رأيت عند باب قطيعة الربيع قبل بنائها كرما ومعصوة وهو المكان الذي بنى به خان الطيالسة والحوانيت التي يباع فيها الكاغد الخراساني.

وقال محمد بن موسى بن الفرات الكاتب: سمعت جدي يقول: كنت في ديواني يوما فدخل اليّ رجل من دهاقين بادوريا له قدر، فرأيته مخرق الطيلسان فقلت من خرق طيلسانك فقال: خرق والله في زحمة الناس وتضاغطهم في موضع طالما طردت فيه الظباء والأرانب قلت: واين هو؟ قال:الكرخ.

وذكر رجل من ولد الربيع الحاجب عن أبيه عن المنصور أقطع الربيع القطيعة التي يسكنها التجار اليوم، وقطيعة الحربي بين السورين في ظهر درب جميل واز التجار وغيرهم من مجاوريها اغتصبوا ولد الربيع عليها، وسويقة غالب وقطيعة الربيع كانت في القديم قرى تدعى ورثالا، ويقال إن قطيعة الربيع الخارجة انما كانت اقطاعا من المهدي للربيع وانما أقطعه المنصور القطيعة الداخلة وقيل إن الذي خارج القطيعة من أصحاب اللبود ودرب الطيالس الى التوثة الى درب الدمشقيين وما وراء ذلك الى حدود دجلة والعتيقة من ورثالا ايضا.

والنهر المعروف بنهر القلائين غربيه من ورثالا وشرقيّه من نهر طابق وانما هو نهر بابك منسوب الى بابك بن بهرام بن بابك وهو قديم وبابك هذا هو الذي اتخذ الصقر الذي عليه قصرعيسى بن علي واحتفر هذا النهر فهو من رستاق الكرخ، وباب الكرخ منسوب الى هذا الرستاق لأنه الطريق اليه ونهر عيسى غربيه من الفروستج وشرقيّه من رستاق الكرخ وفيه دور المعبدين، وقنطرة بني زريق، ودار البطيخ، ودار القطن، وقطيعة النصارى الى قنطرة الشوك من نهر طابق وشرقيه وغربيه من قرية

---

[1] عند الطبري(تاريخ،جـ٧،ص٦٢٠) "شرقانية".

[2] عند الطبري(تاريخ،جـ٧،ص٦٢٠) "أبو الجون".

ماورى، ومسجد الواسطيين مع الموضع المعروف بظله ميشويه، وميشويه رجل من الدهاقين نصراني، الى ان يخرج الى الخندق المعروف بخندق الصينيات من باب المحوّل الى الياسرية، وما كان من غربي الشارع فهو من مزارع كانت منسوبة الى القرية المعروفة ببراثا[1] وماكان من شرقيها فمن رستاق الفروستج، وما كان من درب الحجارة وقنطرة العباس شرقيا وغربيا من نهر كرخايا من قرية براثا وانما سمي نهر كرخايا لأنه كان يسقي رستاق الفروستج والكرخ، فلما أحدث عيسى بن علي الرحى المعروفة برحى أم جعفر قطع نهر كرخايا وجعل سقي رستاق الكرخ من نهر رفيل وما كان على الصراة من شرقيّها فهو من بادوريّا وما كان من غربيّها فهو من طسوج قطربل.

قال: ومن حد قنطرة الجديدة وشارع طاق الحراني الى شارع باب الكرخ منسوب الى القرية المعروفة للعامة مقبرة باب حرب، ثم مقابر المسيب، ثم مقابر باب التبن، ثم مقابر الكناسة ثم المقابر التي تلي باب الكوفة.

واقطع المنصور قواده في أرباض المدينة شوارع تنسب اليهم فأول ذلك مما يلي السورمن الجانب الغربي ربض حرب بن عبد الملك البلخي[2] وكان يتولى شرطة جعفر بن أبي جعفر، وجعفر اذ ذاك يتقلد الموصل واليه تنسب الحربية وقتل في سنة سبع وأربعين ومائة قتلته الترك، ويتصل بربض حرب ربض ينسب الى المراوزة، ثم ربض الترجمان بن صالح، ثم ربض ينسب الى عتيك بن هلال الفارسي وله في الدولة اثار وأخبار وله في المدينة ايضا درب ينسب اليه، ثم مربعة أبي العباس والفضل بن سليمان الطوسي وكان من النقباء السبعين[3] ثم يتصل بمربعة أبي العباس الشارع

---

[1] قرية قديمة قائمة قبل بناء بغداد ثم أصبحت فيما بعد محلة مشهورة في أطراف بغداد قبالة الكرخ جنوبي باب المحوّل وفيها الجامع المشهور الذي روي أن الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) لما خرج لقتال الخوارج الحرورية في معركة النهروان سنة ٣٨ هـ/ ٦٥٨م صلى في موضع فيه (ياقوت الحموي:البلدان،جـ١ ،ص٣٦).

[2] ورد في موضع آخر(حرب بن عبدالله البلخي) وهو الأصح اعتمادا على ما ورد في المؤلفات الاخرى.

[3] نقباء الدعوة العباسية واعتمادا على أكثر الروايات التاريخية اثنا عشر ولم يكن أبو الفضل الطوسي أحدهم إنما من دعاة الدعوة (مؤلف مجهول:أخبار العباس وولده، ص٢٢١).

المتصل بباب الشام، ثم مربعة شبيب بن وأج المروروذي وعن يسارها اقطاع العباس الطوسي وربضه وغلاته ومستقر اقطاعه وعن يمينها السوق النافذ الى الرؤاسيين والشارع النافذ الى بستان القس وهذا البستان قبل أن تبنى بغداد المعطف الى باب الكوفة وعن يمين هذا المعطف باب الكوفة والسوق المنسوبة الى عبد الوهاب بن ابراهيم بن محمد بن الامام والمقابر الشارعة بين الطريقين لأهل المدينة.

وهناك الربض المنسوب الى زهير بن المسيب الضبي وهو النافذ الى طريق الأنبار، وقال محمد بن عطاء الشاني: اقطاع زهير بن المسيب في شارع باب الكوفة ما بين حدّ دار الكندي الى حد سويقة عبد الوهاب بن ابراهيم الى داخل المقابر، واقطاع القحاطبة من شارع باب الكوفة الى باب الشام، وجهار سوق الهيثم المنسوب الى الهيثم بن معاوية بعض قواد الخراسانية وممن أقطعه المنصور في الشارع المعروف بدور الصحابة أبو بكر الهذلي[1] وله درب هناك مسجد منسوب اليه، وقال أحمد بن الهيثم بن فراس: كانت دار البطيخ قبل ان ينقل الى الكرخ في درب يعرف بدرب الأساكفة والى جانبه درب يعرف بدرب الخير[2] فنقلت من هذا المكان الى موضعها بالكرخ في أيام المهدي ودخلت الى هذه الدروب فيما بعد في الدور التي ابتاعها أحمد بن محمد الطائي وجعلها دورا له ولحاشيته واصطبلات.

وكانت القطائع التي من جانب الصراة مما يلي باب المحوّل منها قطيعة لعقبة بن جعفر بن محمد بن الاشعث، ثم سويقة أبي الورد وهو عمر بن المطرف الخراساني المروزي وكان يلي المظالم للمهدي وينظر في القصص التي تلقى في البيت الذي سماه بيت العدل في مسجد الرصافة، ويتصل بسويقة أبي الورد مما يلي الدار المنسوبة الى الجلودي قطيعة اسحاق الأزرق الشروي مولى محمد بن علي وهي عن يمين هذه القطيعة، وعن يسار سويقة أبي الورد، البركة المنسوبة الى زلزل الضارب وكان من كرام الناس في أيام المهدي والهادي والرشيد وكان في موضع البركة قرية يقال لها

---

[1] سلمى بن عبد الله بن سلمى، نديم الخليفتين أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور (ت١٦٧هـ/٧٨٣م).

[2] عند الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٨١) "الزيت".

شال قنيا الى قصر الوضاح وكان زلزل غلاما لعيسى بن جعفر بن المنصـور فحفـر هذه البركة وجعلها وقفا على المسلمين.

وقصر الوضاح بناه المنصور للمهدي قبل الرصافة والمسجد الذي يعرف بالشرقية، والشرقية أيضا قرية قديمة كانت تسمى بهذا الاسم وكذلك العتيقـة وهـي كسـروية، والوضاح الذي ينسب اليه القصر المعروف بقصر الوضاح رجل من أهل الأنبار تولى النفقة عليه فنسب اليه، وقد قيل إن الوضاح رجل من موالي المنصور.

قال: والمنصور الذي بنى القنطرة المعروفة بالجديدة على الصراة مما يلـي دور الصحابة وباب الطاق الحراني قال: والحراني هو ابراهيم بن ذكـوان بـن الفضـل الحراني مولى المنصور قال: وكان لذكوان أخ يقال له الفضل اعتقه مروان بن محمد واعتق ذكوان علي بن عبد الله.

قال: وكان باب الشعير في القديم مرفأ للسفن التي توافي من الموصل والبصـرة وكان موضع مسجد ابن رغبان مزبلة، وذكر بعض مشايخ الدهاقين قال: اجتاز بـي رجل وأنا عند المزبلة التي صارت مسجد ابن رغبان وذلك قبل أن تبنى بغداد فوقـف عليها ونظر اليها وقال: ليأتيَن على الناس زمان من طرح في هـذا الموضـع شـيئا فأحسن أحواله ان يحمل اياه في ثوبه فضحكت تعجبا من قوله، فما مضت الأيام حتـى رأيت الأمر على ماقال.

قال: وكان موضع الخلد ديرا فيه راهب وإنما اختار المنصور نزوله وبناء قصره فيه لقلة البق وكان عذبا طيب الهواء.

وكان موضع الحبس وما والاه اقطاعا لعبد الله بن الخزاعي ثم صار بعد ذلك فـي أيام الرشيد لمحمد بن يحيى بن خالد ثم صار جميع ذلك لأم جعفر في أيام الرشيد وأيام الأمين، والمسجد الكبير قبالة الحبس مما يلي السجن الجديد مسجد عبد الله بن مالك، ثم ابتنت أم جعفر في أيام الأمين القصر المعروف بالقرار[1] وهو القصر الـذي أقطعـه

---

[1] هناك اختلاف في تحديد موضع هذا القصر فاليعقوبي(البلدان،ص٢٤٩) يشير الى قصر يقع عنـد الجسر على شاطئ دجلة، واما الطبري(تاريخ،جـ٨،ص٤٧٦) فيذكر ان موضعه في قرن الصـراة أسفل من قصر الخلد في حين حدده الخطيب البغدادي (تاريخ، جـ١،ص٩٢) تقريبا عند الجسـر على شاطئ دجلة وهو اقرب الى تحديد اليعقوبي وبأزاء ذلك فنحن أمام تحديدين لموقع هذا القصر

المتوكل لمحمد بن عبد الله بن طاهر فأقطعه محمد جماعة من اصحابه، وفي قطيعة أم جعفر الزبيدية المنسوبة اليها كان ينزلها مواليّها وحاشيتها، ثم يلي الحبس درب سليمان بن أبي جعفر وهو منسوب اليه وفيه كانت داره، ثم أقطع المنصور قوما من أهل خراسان يعرفون بالبغيين وهم ممن كان في الدولة واصلهم من قرية من قرى مرو الروذ تعرف ببغ، الموضع المعروف بالبغيين وهذا الموضع أول الدرب المعروف بسوار مما يلي دجلة الى آخر ربض البرجلانية، ثم قطيعة زهير ابن محمد وأصحابه الى جانب القطيعة المعروفة بأبي النجم وهو أحد قواد المنصور واصله من خراسان، وكانت أم سلمة بنت ابي نجم هذا عند أبي مسلم[1] صاحب الدولة ويتصل بهذه القطيعة الزهيرية مما يلي باب التبن وهو ربض يعرف بأصحاب زهير بن محمد قائد من أهل أبيورد، ومع حدّ سور بغداد الى باب قطربل وهو الباب المعروف بالباب الصغير وزهير صاحب هذه القطيعة أزدي من عرب خراسان، ويتصل بالزهيرية ربض أبي النجم ووراء ذلك الخندق الذي عليه القنطرة النافذة الى قطيعة أم جعفر، ويتصل بالقطيعة دار اسحاق بن ابراهيم وكانت جزيرة فأقطعها المأمون اسحاق فأولها يتصل بدار البطيخ واخرها بمقابر باب التبن، ويتصل بباب التبن ربض ينسب الى أبي حنيفة أحد قواد المنصور ثم تتصل به مربعة الفضل بن سليمان المعروف بالطوسي وهو من أهل أبيورد وكان مخرجه في الدولة من طوس فعرف بالطوسي وكان على شرط المنصور، ثم ربض عثمان بن سهيل وكان على حرس المنصور، ثم تخرج من مربعة أبي العباس الى مربعة الفرس وربضهم، وهؤلاء قوم من الفرس أقطعهم المنصور هذه الناحية فنسبت اليهم، ويتصل بربض الفرس ربض الخوارزمية وهم من جند المنصور، وفي شارعهم درب يعرف بدرب النجارية، ثم ربض عمرو بن اسفنديار، ثم ربض رشيد، ورشيد مولى المنصور وهو أبو داود بن رشيد المحدث مولى المنصور، ويتلوه ربض يعرف بسعيد بن حميد وهو نافذ الى ان يخرج الى طاق مناس ويتلوه ربض سعيد بن المسيب المعروف بطاق أبي علي وفي طرف ربض زهير قطائع تعرف بالموالي وهم موالي أم جعفر ويتصل بها ربض سليمان بن مجالد

الأول في شمال قصر الخلد وهو تحديد اليعقوبي والخطيب البغدادي والاخر في جنوب قصر الخلد وهو تحديد الطبري.

[1] يقصد أبا مسلم الخراساني الذي قتله الخليفة المنصور سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م.

مولى المنصور وقد ولي للمنصور والمهدي ولايات، ويتصل به ربض حمزة بن مالك ابن هيثم الخزاعي، ثم ربض زراد بن سنان وكان أحد قواد المنصور، وسويقة الهيثم ابن شعبة بن ظفير مولى المنصور.

وقال بعض العلماء بامور بغداد: المنائر التي في شارع الأنبار بناها كلها طاهر بن الحسين[1] وذلك انه كان حصاره الأمين كما بلغ الى موضع من ذلك الشارع بني فيه مسجدا أو منارة، ثم يليه ربض حميد بن قحطبة الطائي وكان أحد النقباء[2]، ثم ربض نصر بن عبد الله وهو الشارع النافذ الى دجيل باب الشام الى درب السقائين وعن يمينه قطائع قوم يعرفون بالسرخسية وفي قطيعتهم طاقات الروندي وهو أحد الشيعة من السرخسية واسمه محمد بن الحسن وكان صهرا لعلي بن عيسى بن ماهان على اخته.

وفي الشارع المنسوب الى أبي حنيفة، دار عمارة بن حمزة وكان أحد البلغاء وهو من ولد أبي لبابة مولى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ودار عمارة اقطاع من المنصور وكانت من قبل أن تبنى بغداد بستانا لبعض الملوك ويتصل بها ربض أبي حنيفة ثم ربض ابراهيم بن عثمان بن نهيك وهو ما بين دار عمارة ومقابر قريش، ثم طاقات العكي في الشارع النافذ الى مربعة شبيب بن وأج في ربض يعرف بربض الحرس، والعكي آسمه مقاتل بن حكيم وأصله من الشام ومخرجه من خراسان من

---

[1] مؤسس الأسرة الطاهرية وأحد قواد الخليفة المنصور أدّى دورا خطيرا في الخلاف بين الأمين والمأمون، اذ عهد اليه الخليفة المأمون بمهمة حصار بغداد وارغام الخليفة الأمين على التنحي عن الخلافة، وتكريما لخدماته عينه المأمون واليا على خراسان فضلا عن قيادة شرطة بغداد لكنه اختلف مع الخليفة المأمون فيما بعد وحاول أن يستقل عن الخلافة العباسية، توفي سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م (ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٢ ص٥١٧-٥٣٢).

[2] لم يكن من نقباء الدعوة العباسية والنقيب الوحيد في التنظيم السري للدعوة العباسية من قبيلة الطائيين هو(قحطبة بن شبيب) والد حميد، تولى مناصب ادارية وعسكرية متعددة في الدولة العباسية، توفي سنة ١٨١هـ /٧٩٧م (الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ١، ص٨٥؛ عبد الحي شعبان:الثورة العباسية،ص٢٤١).

مرو وهو من السبعين[1] وله قطيعة في المدينة بين باب البصرة وباب الكوفة ودرب ينسب اليه الى اليوم، ويقال إن أول طاقات بنيت في الربض ببغداد طاقات العكي، ثم طاقات الغطريف وهو الغطريف بن عطاء وكان أخا الخيزران خال موسى الهادي والرشيد، ثم طاقات أبي سويد واسمه الجارود مما يلي مقابر باب الشام وقطيعته وربضه هناك، ويتصل به ربض العلاء بن موسى الجوزجاني مما يلي الدرب المعروف بأبي حيّة وهو الشارع النافذ الى درب السقائين، ثم ربض أبي نعيم موسى صبيح من أهل مرو من قواد المنصور وفيه الموضع الذي يقال له شيرويه، وشيرويه مجوسي من دهاقين بغداد القدماء، وربض أبي عون في شارع دار الرقيق واسمه عبد الملك بن زيد في الدرب النافذ الى دار عبد الله بن طاهر وكان أبو عون من موالي المنصور وكان يتولى له مصر ثم عزل عنها، وقصر عبدويه مما يلي براثا منسوب الى عبدويه الأزدي وهو من وجوه رجال الدولة وانما كان المهدي صير اليه النفقة على هذا القصر فنسب اليه، وقصر هاني منسوب الى هاني آبن بشير وكان يتولى للمهدي ديوان الخراج، والرهينية[2] كانت قطائع لقوم أخذوا رهينة من بعض البلدار في أيام المنصور فلم يزالوا بها الى أيام الرشيد ثم خرجوا مع طاهر بن الحسين الى خراسان في أيام المأمون فلم يبق منهم أحد وخربت منازلهم الى اليوم، والرهينية متصلة بربض نوح بن فرقد احد قواد المنصور وهو في طرف بغداد مما يلي مسجد طاهر الذي بناه هناك أيام فتنة الأمين وصحراء قيراط منسوبة الى قيراط مولى طاهر ابن الحسين وكان عيسى وقيراط[3] من أشراف الموالي وله هناك مسجد يعرف به، ودويرة مبارك مما يلي شارع باب الأنبار، ومبارك من موالي المنصور، وهناك ربض يعرف بالخوارزمية، وفي طريق باب الأنبار ربض سعيد بن حميد بن دعلج وكان سعيد يتولى شرطة المنصور سنة ست وخمسين ومائة وتولى البصرة بعد ذلك، وفي طريق باب الأنبار منارة الحكم وهو الحكم بن ميمون مولى عامر بن دلجة أحد

---

[1] لقد خلط ابن الفقيه الهمذاني بين نقباء الدعوة العباسية الاثني عشر والدعاة الثمانية، وقد تابعه في ذلك ياقوت الحموي (البلدان،جـ٤،ص٥) ومع ذلك فإن مقاتل بن حكيم لم يكن من النقباء انما من نظراء النقباء (مؤلف مجهول:اخبار العباس وولده،ص٢٢٠).

[2] عند الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٨٧) "الرهينة".

[3] عند الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٨٧) "عيسى بن قيراط".

بني السيد بن مالك بن بكر بن سعيد بن ضبّة وعامر بن دلجة ويحيى أخوهما عرقبا جمل عائشة بالبصرة فهانت الحرب.

والعباسية منسوبة الى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وكان بعض القواد يذكرها ويقول: عزمي أن أستقطعها من أمير المؤمنين،ثم قدم العباس على المنصور فأستقطعها منه فأقطعه اياها وجعل مؤدّى خراجها بمصر فاتخذ بها العباس زنجا كانوا ينسبون اليه فيقال زنج العباس وهو أول من زرع فيها الباقلي وكان باقلاؤها نهاية، فقال: الباقلي العباسي وكانت تدعى جزيرة العباس لأنها بين الصراتين ومن أجل باقلائها وجودته صار الباقلي الرطب في كل موضع يقال له العباسي.

وقال رجل من ولد عمارة بن حمزة: كانت دار عمارة ورحبته ضيقة فأراد أن يستقطع العباسية منه فسبقه العباس بن محمد فاستقطعها فأقطعه إياها.

ويروى أيضا أن موسى بن كعب وكان من أجلّ قواد المنصور كان ضيق الدار والرحبة فزاره العباس بن محمد فلما نظر الى ضيّق منزله قال: ما لمنزلك في نهاية الضيق والناس في سعة ؟ قال: ندمت وقد أقطع أمير المؤمنين الناس منازلهم وعزمي ان أستقطعه هذه الرحبة التي بين يدي المدينة – يعني العباسية – فسكت العباس وانصرف من عنده الى المنصور وقال يا أمير المؤمنين ! تقطعني هذه الرحبة التي بين يدي مدينتك قال: قد فعلت فانصرف ومعه التوقيع بإقطاعها، وصار موسى بعد خروجه الى المنصور فأعلمه ضيق منزله وانه لاقطيعة له إياها فقال له: هل شاورت فيها أحدا قبل ان تسألني ؟ قال: لا الا ان العباس بن محمد كان عندي اتفاقا فأعلمته اني أريد استقطاعها منك فتبسم المنصور وقال: قد سبقك واستقطعني إياها فأجبته الى ذلك فأمسك عنها موسى بن كعب ولم يذكرها.

وذكر بعض المشيخة قال: رأيت السجل بأقطاع العباس وفيه: انك سألت أمير المؤمنين إقطاعك الساحة التي كانت مضربا للبن مدينة السلام فأقطعكها أمير المؤمنين على ما سألت وضمنت، وقصر عيسى منسوب الى عيسى بن علي بن عبد الله وهو أول قصر بناه الهاشميون ببغداد في أيام المنصور.

وروي أن المنصور زار عيسى بن علي ومعه أربعة الاف رجل من الجند فتغذى عنده وجميع خاصته ودفع الى كل رجل من الجند زنبيل فيه خبز وربع جدي ودجاجة وبيض ولحم بارد وحلوى فانصرفوا كلهم مسمطين ذلك، فلما أراد المنصور أن ينصرف قال لعيسى: يا أبا العباس لي حاجة قال: ماهي يا أمير المؤمنين فأمرك

طاعة ؟ قال: تهب لي هذا القصر قال: مابي ضنّ عنك به ولكن أكره أن يقول الناس: إن أمير المؤمنين زار عمّه فأخرجه من قصره وشرده وشرد عياله، وبعد فإن فيه من حرم أمير المؤمنين ومواليه أربعة الاف نفس فإن لم يكن بد من أخذه فليأمر لي أمير المؤمنين بفضاء يسعني ويسعهم أضرب فيه مضارب وخيما أنقلهم إليها إلى أن ابني لهم ما يواريهم. فقال له المنصور: عمر الله بك منزلك ياعم وبارك فيه، ثم نهض منصرفا، وقنطرة بني زريق منسوبة إلى قوم من دهاقين بغداد كان يقال لهم بنو زريق لهم نسب معروف، وقنطرة المعبدي منسوبة إلى عبد الله بن محمد المعبدي وكان له هناك إقطاع وهو الذي بنى هذه القنطرة على النهر مع رحى اتخذها هناك وكانت في هذا الدكان فصارت بعد ذلك لمحمد بن عبدالملك الزيات[1] وجعلها بستانا فانقبضت مع ما قبض من املاكه اشتراها قوم من الكرخيين وغيرهم.

قال: النوبختية إقطاع من المنصور لنوبخت لما حكم بأن أمر محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن عليهم السلام لا يتم، وهناك درب يعرف بدرب الناووس كان فيه ناووس قديم فنسب اليه.

وقال أبو زكريا: دخلت على أبي العباس الفضل بن ربيع يوما فوجدت يعقوب بن المهدي عن يمينه ومنصور بن المهدي عن يساره ويعقوب بن ابي الربيع عن يمين يعقوب بن المهدي، وقاسم أخوه عن يسار منصور بن المهدي فسلمت وأومأ بيده الى الانصراف، وكان من عادته إذا أراد أن يتغذى معه أحد من جلسائه او أهل بيته، أمر غلاما له يكنى أبا حلبة برده الى مجلس في داره حتى يحضر غداه ويدعو به قال: فخرجت فردني أبو حلبة فدخلت فإذا موسى بن عيسى فقال لي: أما أنت فقد علمنا أنك رددت الى الغداء ولكن الشأن في غيرك فقلت: أنت الذي لايقدم عليك أحدا، قال: وجلسنا حتى حضر الغداء فأحضرني وأحضر كتّابه وكانوا أربعة: موسى بن عيسى ابن هرون وعبد الله بن ابي نعيم الكلبي وداود بن بسطام ومحمد بن المختار، فلما أكلنا

---

[1] من كبار الوزراء في العصر العباسي الاول استوزره الخليفة المعتصم (٢١٨- ٢٢٧هـ/٨٣٣ - ٨٤١م) ومن بعده الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١ -٨٤٦م)، ثم قبض عليه المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦ -٨٦١م) بعد استخلافه وامر بمصادرة أمواله وضياعه، توفي سنة ٢٣٢هـ/٨٤٤م(الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ٢،ص ٣٤٤؛ ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٥ص ٩٤ - ١٠١).

جاءوا بأطباق الفاكهة فقدموا الينا طبقا فيه رطب فأخذ الفضل منه رطبة فناولها يعقوب بن المهدي وقال له: إن هذا من بستان أبي الذي وهبه المنصور فقال له يعقوب: رحم الله أباك فإني ذكرته أمس وقد اجتزت على الصراة برحى البطريق فإذا أحسن موضع وإذا الدور من تحتها والسوق من فوقها وماء غزير حاد الجرية فمن البطريق الذي نسبت هذه الرحى إليه، أمن موالينا أم من أهل دولتنا أم من العرب ؟ قال، فقال الفضل: أنا أحدثك حديثه، لما افضت الخلافة إلى أبيك رحمه الله قدم عليه بطريق أنفذه ملك الروم مهنئا له فاوصلناه اليه وقربناه منه فقال المهدي للربيع: قل له يتكلم، فقال الربيع لترجمانه ذلك، فقال هو برئ من دينه وإلا فهو حنيف مسلم ان كان قدم لدينار ولا درهم ولا لعرض من أعراض الدنيا ولا كان قدومه إلا سوقا إلى وجه الخليفة وذلك انا نجد في كتبنا ان الثالث من أهل بيت النبي(صلى الله عليه وسلم) يملأها عدلا كما ملئت جورا فجئت اشتياقا له فقال المهدي للربيع: قل للترجمان يقول له: قد سرني ما قلت ووقع مني حيث أحببت ولك الكرامة ما أقمت والحباء إذا شخصت وبلادنا هذه بلاد ريف وطيب فأقم بها ما طابت لك، ثم بعد ذلك فالأذن اليك وأمر الربيع بنزاله واكرامه فأقام أشهرا، ثم خرج يوما يتنزه ببراثا وما يليها فلما انصرف اجتاز على الصراة فلما نظر إلى مكان الأرحاء، وقف ساعة يتأمله فقال له الموكلون: قد أبطأت فإن كان العشي راح إلى الربيع فقال له: اقرضني خمسمائة ألف درهم قال: وما تصنع بها؟ قال: أبني بها لأمير المؤمنين مستغلا يؤدي في السنة خمسمائة ألف درهم فقال له الربيع: وحق الماضي صلوات الله عليه وحياة الباقي أطال الله بقاءه لو سألتني أن أهبها لغلامك ما خرجت الا معه ولكن هذا أمر لابد من اعلام الخليفة إياه قال قد علمت ان ذاك كذلك قال، ودخل الربيع إلى المهدي فأعلمه فقال: ادفع اليه خمسمائة ألف وخمسمائة ألف بل ادفع اليه جميع مايريد بغير مؤامرة قال: فدفع ذلك الربيع اليه، فكانت تحمل اليه الى سنة ثلاث وستين ومائة فإنه مات فأمر المهدي أن تضم الى مستغله قال: وكان اسم البطريق طافات بن الليث ابن العيزار بن طريف بن قوق بن مورق، ومورق كان الملك في أيام معاوية[1].

---

[1] ان مقارنة بسيطة بين ماذكره ابن الفقيه الهمذاني عن قصة صاحب الأرحاء او(رحا البطريق) وما ذكره الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٩١ – ٩٢) تؤشر الى أن رواية ابن الفقيه الهمذاني المذكورة آنفاً أكثر تفصيلا وتشتمل على معلومات قيمة.

وقال الخليل بن مالك: كان المنصور قد أمر بعقد ثلاثة جسور: جسر يعبر عليه وجسر يرجعون فيه وجسر في الوسط للنساء، وعقد بعد ذلك بباب البستان جسرين: جسرا له ولولده، وجسرا لخدمه وحشمه، وعقد الرشيد بعد ذلك عند باب الشماسية جسرين وكان لأم جعفر جسر عند مشرعة فرج الرخجي بالقرب من سويقة قطوطا، فلم تزل هذه الجسور قائمة الى ان قتل محمد بن زبيدة ثم عطلت إلا الثلاثة المنصورية القديمة التي عند مجلس الشرطة فإنها باقية الى وقتنا هذا.

قال: وطاق أسماء بالجانب الشرقي منسوب الى أسماء بنت المنصور وهذا الطاق كان طاقا عظيما وكان في دارها التي صارت لعلي بن الجهشيار بمشرعة الصخر أقطعه إياها الموفق ثم أقطعها أزكوتكين بن أساتكين وعند طاق أسماء كان مجلس الشعراء وهناك كانوا يجتمعون في أيام الرشيد والموضع المعروف بين القصرين هو قصر أسماء بنت المنصور وقصر عبد الله بن المهدي، والخضرية مما يلي باب الطاق منسوبة الى خضر مولى صالح صاحب المصلى وفيها تباع الجرار وتعمل المزملات، وسوق يحيى منسوبة الى يحيى بن خالد البرمكي وكانت اقطاعا له من الرشيد ثم صارت بعد البرامكة لأم جعفر، ثم أقطعها المأمون طاهر بن الحسين بعد الفتنة فهي في أيدي ورثته إلا مابيع منها، وسويقة أبي عبيد الله منسوبة الى عبيد الله وزير المهدي واسمه معاوية بن عمرو[1].

وشارع الميدان خارج الرصافة وهو شارع مار من باب الشماسية الى سوق الثلاثاء وفيه قصر أم حبيب بنت الرشيد وكان هذا القصر ودوره إقطاعا من المهدي لعباد بن أبي الخصيب ثم صار جميع ذلك للفضل بن الربيع ثم صار لأم حبيب بنت الرشيد في أيام المأمون ثم صار بعد ذلك لبنات الخلفاء الى أن صرن يجعلن في قصر المهدي بالرصافة.

وسوق العطش بناها شعبة الجرمي للمهدي وحول إليها التجار ليخرب الكرخ، وقال المهدي عند تمام بنائها: سمّها سوق الريّ فغلب عليها سوق العطش وأولها يتصل بسويقة الحرسي وداره والأقطاعات التي أقطعه إياها المهدي هناك، وسويقة العباسة

---

[1] من أفاضل الوزراء في العصر العباسي الاول، وهو أول من أستحدث نظام المقاسمة وجعل الخراج على النخل والشجر، وقد صنف كتابا في الخراج ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده، توفي سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م(أبن طقطقا:الفخري في الاداب السلطانية،ص١٥٨-١٦٠).

منسوبة الى العباسة بنت الرشيد ويقال إن الرشيد فيها اعرس بزبيدة[1] ابنة جعفر سنة خمس وستين ومائة قبل أن تنتقل العباسة اليها، ثم دخلت بعد ذلك في أبنية بناها المعتصم، ودار فرج فوق سوق يحيى، وكان فرج مملوكا لحمدونة بنت عضيض أم ولد الرشيد ثم صار ولاؤه للرشيد، وداره إقطاع من الرشيد ولم يكن على شاطئ دجلة بناء أحكم من بنائها ثم هدمت فيما هدم من منازل عمرو بن فرج لما قبضت، وكانت دار أحمد بن أبي خالد الأحول لأبي عبيد الله بن معاوية بن عمرو وهناك السويقة المنسوبة اليه وكان أبو خالد الاحول أحد كتاب أبي عبيد الله فاشتراها أحمد بن ابي خالد من ورثة أبي عبيد الله، ودرب المفضل هو المفضل بن زمام من موالي المهدي وسويقة نصر منسوبة الى نصر بن مالك الخزاعي إقطاع من المهدي، ودار الربيع مما يلي المخرّم كانت لمكين الخادم فاشتراها الربيع منه واتصل خبرها بالمنصور فقال للربيع: أنت تريد تعملها بستانا وتذهب مني بخراجه فقال: والله يا أمير المؤمنين ولكن كلما ولد لي ابن فتحت له فيها بابا وهي شارعة في شارع الميدان في أيدي ورثة الربيع إلى اليوم، وسويقة خالد بباب الشماسية منسوبة الى خالد بن برمك أقطاع من المهدي ثم بنى فيها الفضل قصره المعروف بقصر الطين وبنى أيضا فيها جعفر بن يحيى، ورحبة يعقوب منسوبة الى يعقوب بن داود مولى بني سليم[2] أقطعه إياها المهدي حين استوزره وذكر بعض المشايخ أنه رأى فيها أزاجا عتيقا تشبه الساباط كانت قبل بناء بغداد لقوم من دهاقينها.

والمخرّم منسوب الى مخرّم بن يزيد بن مخرم بن شريح بن مخرّم بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة كان ينزله أيام نزول العرب السواد في الاسلام فنسب إليه، وقال أبو المنذر: سمعت قوما من بني الحارث بن كعب يقولون: المخرّم إقطاع من عمر بن الخطاب في الاسلام للمخرّم بن شريح، وخان بني زياد منسوب الى رجل من سواد الكوفة من النبط كان يكنى أبا زياد عمر عمرا طويلا، لأنه كان ممن وسمه الحجاج وذلك أن الحجاج وسم النبط على أيديهم ليعرفوا من سائر الناس، وكان أبو

---

[1] ذكر الشابشتي(الديارات،ص١٥٦ – ١٥٧) أن الرشيد دخل على زبيدة في قصر الخلد.

[2] كاتب الخليفة المهدي ووزيره ومن المقربين اليه، لكنه أعفاه من منصبه وأدخله السجن وبقي فيه حتى أطلقه الخليفة هارون الرشيد بعد استخلافه، توفي سنة ١٨١هـ/٧٩٧م (الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ٤،ص٢٦٢-٢٦٥).

زياد من سواد الكوفة وعاش الى أيام المنصور وقال رجل من طيئ: أنا رأيته بالكوفة في بني عكل في حانوت له يربط البقل، عليه إزار ورد والوشم على ذراعـــه، قـــال: وكان انتقاله من الكوفة مع المنصور لما انتقل الى بغداد فنزل في المخرّم في شــــارع النفّاطين، فقام الخان وترك بيع البقل وكان تكنى قبل مصيره إلى بغداد أبا زينـــب ثـم تكنى بأبي زياد ونشأ له ابن فتأدب وفصح فصار إلى همذان فأصاب مـــالاً وتـزوج هناك امرأة من العرب، وذلك انه ادعى أنه عربي ثم طعن في نسبه عند الرجل الـذي تزوج اليه فقدم الرجل بغداد فسأل عنه فأخبر بقصته ودل على أبيه فصار اليه ووقـف عليه فقال: ما ربيع منك؟ قال: بنتي فشهر عليه السيف وحال الناس بينه وبينه وقيـل له: لم نفسك لأنك زوجت من لا تعرف.

وكانت الثلاثاء قبل بناء بغداد تقوم في يوم معروف من الشهر وهو يـوم الثلاثـاء، وكان أكثر من يحضرها أهل كلواذي وأهل بغداد فنسبت الى اليوم الذي كـانت تقـوم فيه.

وسويقة حجاج منسوبة الى الحجاج الوصيف مولى المهدي، ودار عمارة في طـرف شارع المخرّم منسوبة الى عمارة بن أبي الخصيب مولى روح بن حاتم وقيل انه كـان مولى للمنصور وكان أبو الخصيب أحد من تولى حجبة المنصور، وقنطرة على نـهر المهدي منسوبة الى بعض بنات المهدي وخان وردان، ذكر أحمد بن اسحاق برصوما قال: حدثني علي بن الحكم العقيلي قال: كان ابن سنان من قـواد المنصـور وكـان عظيم اللحية جدا قال فكتب عبد الله بن عياش المنتوف الى المنصور يسـأله حوائـج وكان أحد ما طلب من الحاجات أن يهب له لحية وردان ليتدفأ بها في الشتاء فوقع لـه بقضاء جميع ما سأل ووقع تحت سؤاله لحية وردان: لا، ولا كرامة، لا أهب لك لحية رجل من قوادي وجلّة أصحابي، والصالحية إقطـاع مـن المنصـور لابنـه صـالح المعروف بالمسكين[1] وقباب الحسين التي خارج بغداد على طريق خراسان منسـوبة الى الحسين بن قرة الفزاري، وكان قرة ممن خرج مع ابن الأشعث فقتلـه الحجـاج، عيسى اباذ منسوبة الى عيسى بن المهدي وكان عيسى في حجر مبارك التركي وكانت

---

[1] قال الجهشياري في كتابه(الوزراء والكتاب،ص١١٧) ما نصه "وكان المنصور يحب ابنا يقال لـه صالح ويرق عليه وكان أقطع اولاده جميعا قطائع خلاه وكان يقول هذا المسكين لاشئ لـه فلقـب صالح المسكين".

أمه الخيزران وهو أخو الهادي والرشيد لأبيهما وامهما وكانت إقطاعا لـــه، وحـــوض هيلانة زعم قوم ان هيلانة قيّمة كانت للمنصور حفرت هذا الحوض وجعلتـــه للســـبيل فنسب اليها، وباب المحوّل في الجانب الغربي إقطاعا لهيلانة أقطعها إياه المنصور وقد قيل إن هيلانة كانت جارية للرشيد وإليها ينسب هذا الحوض وفيها يقول الرشيد:

أفٍ للـــدنيا وللـــزينة فيها والأثـــاث

إذ حثا الترب على هيلانة في الحفر حاث

وحوض داود منسوب الى داود مولى للمهدي وله إقطاع مما يلي ســوق العطــش وقد قيل ان داود مولى نصير، ونصير مولى للمهدي، وذكر بعض المشايخ انه يذكــر ما بين سوق يحيى عن يمنة السوق الى باب الشماسية منابت طرفاء قبـــل ان يقطــع الناس فيها وأول من أقطع فيها علي بن المهدي وهو ابن رائطة بنـــت أبـــي العبـــاس السفاح، ثم أقطع بعده المنصور بن المهدي.

وذكر أحمد بن الحارث الخراز ان بغداد صورت لملك الروم بأرباضها وأســـواقها وشوارعها وبساتينها وأنهارها من جميع جانبيها الشرقي والغربي قال: فكـــان كثـــيرا مما يحضر الصورة ويتأملها ويستحسن شارع باب الميدان ويتعجب من حسنه وحســـن القصور التي فيه ويزداد استحسانه لشارع الزّرادين وسويقة نصر بن مالك الى الثلاثـــة الأبواب والقصور التي في هذا الشارع، وكذلك أيضا كان يستحســـن الأســـواق مـــن الخضرية الى قنطرة بردان وكان يقول: قد كان يجب على ملك العرب أن يجعل داره في هذا الشارع ويجعل اصبعه على شارع الزرادين، وكان اذا شرب دعـــا بـــالصورة فيشرب على هذه الشوارع التي ذكرناها لحسن ابنيتها وقصورها، وفصيل أبي العـــلاء، منسوب الى سليم أبي العلاء مولى المهدي.

وقال يحيى بن دارية السواق: كان ببغداد في شارع الثلاثة الأبواب ثلاثمائة مقلـــى للسويق[1]، وكان في قنطرة بردان وقنطرة ميمونة ورحى عبد الملك وســـوق يحيـــى

---

[1] أورد الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ ١،ص ١١٩ – ١٢٠) عن طريق محمد بن صـــالح الهاشـــمي نصا طريفا عن سويق الحمص المقلي ومقدار ما يستهلكه أهل بغداد منه، فذكر أن هذا الســـويق غير طيب المذاق، ويأكله بشكل خاص المتحملون والضعفاء لمدة شهرين أو ثلاثة للتعويض عـــن الفواكه، وذكر أيضا إحصائية عن طريق أحد باعة هذا السويق في ســـنة ٣٦٠هـــ/٩٧٠م وردت

والمخرّم وفي اطراف بغداد سوى الكرخ اكثر من ثلاثمائة مقلى اخر، وكان سبب كثرة السويق ببغداد ان بغداد كانت في أيام الرشيد وما قبله الى أيام المأمون عسكرا لكثرة الناس بها ومصيرهم اليها من كل بلد، وكانت الأرباض محشوة بالناس، وكان اللحم يعزّ، لأن الأغنام كانت تدخل في أيام الربيع يجلبها الأعراب من هذا الوقت من البرية، ويجلبها التجار في زمن الخريف من الناحية الجبل، ويتعذر دخولها بالشتاء الا الشئ اليسير، يجلب من ناحية الكوفة، فكان ربما بيع اللحم ببغداد على ستة أواق، لكثرة استعمال الناس للسويق لهذا الحال لأنهم كانوا يأكلون مع التمر ومع السكر ومع الدبس وغير ذلك، فلذا صار كثيرا.

وقال أحمد بن ابي طاهر[1]: أخذ الطول من الجانب الشرقي من بغداد للناصر لدين الله عند دخول مدينة السلام، فوجد مائة حبل[2] وخمسون حبلا، وعرضه مائة حبل وخمسة أحبل، يكون ستة وعشرين الف جريب[3] ومائتين وخمسين جريبا، ووجد طول الجانب الغربي مائتين وخمسين حبلا وعرضه سبعين حبلا، يكون ذلك سبعة عشر ألف جريب وخمسمائة جريب، فجميع ذلك ثلاثة واربعون ألف جريب وسبعمائة وخمسون[4].

وقيل للرجل: كيف وجدت بغداد ؟ قال: الأرض كلها بادية وبغداد حاضرتها، وانشد بعضهم في بغداد:

فيها المقادير التي يستهلكها فقراء بغداد من هذا السويق، لكن هذا السويق اختفى من أسواق بغداد في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، اذ يقول الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص١٢٠) ما نصه "لو طلب من هذا السويق اليوم في جانبيّ بغداد مكوك واحد ما وجد".

[1] يقصد طيفور(ت ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣م)الذي يعدّ من أوائل المؤرخين الذين صنفوا عن بغداد وتاريخها.

[2] الحبل يساوي ٤٠ ذراع رشاشية وكل ذراع رشاشية تساوي ٥٤,٠٤ سم وتساوي ٢١,٦١٦م(هنتس:المكاييل،ص٨٢).

[3] الجريب يساوي ١٥٩٢ م٢(هنتس:المكاييل،ص٩٦).

[4] لقد نقل الخطيب البغدادي روايتين عن مساحة بغداد من نسختين موجودتين انذاك لكتاب بغداد لمؤلفه احمد بن ابي طاهر (طيفور)، الأولى(جـ١،ص١١٧) والأخرى(جـ١،ص١٢٠) وفيها اختلافات كبيرة ولاسيّما في الجانب الشرقي.

بغـداد يادار الملوك ومجـتنى ... صنوف المنى يا مستقر المنابر
وياجـنة الدنيا ويا مطلب الغنى ... ومنبسـط الامال عـند المتاجر

ووصف بعض الأدباء بغداد فقال: هي سهلية جبلية برية بحرية، صيدها غزير وخيرها كثير، طيب هواؤها، يسر فناؤها، دائم رخاؤها، فضلها على سائر البلدان كفضل ماء الأنهار على ماء البحار، فهي كما قال عمارة:

ماذا ببغداد من خير أفانين ... ومن منازل للدنيا وللدين
تمسي الرياح بها حسرا اذا درجت ... وحرشت بين أغصان الرياحيين

وهي محل الخلفاء ومسكن الوزراء ومأوى بني هاشم والأبناء ومقرهم ومفزعهم في الشدائد والرخاء، الواسعة الدور، الكثيرة القصور، الغزيرة الانهار، المريئة العيون، صحيحة البناء، ربة الفناء، نزهة الهواء، رفيقة بالغرباء، مؤاتية لكل من اتاها، مغيثة لمن استغاث بها، قديمة الصحبة، طيبة التربة، مسكن من تفتى ومعقل من تنسك، بناها المنصور وسكنها المهدي والهادي والأمين والمأمون، جنة من جنان الدنيا، دجلة في وسطها، والصراة عن يمينها ونهر الملك أمامها ونهر عيسى مخترق لها ونهر كرخايا يتخلل طرقاتها ونهر الخندق دائر بها، لها الرومية وكلواذي والقفص وعمي وقطربل والمزرفة وبزوغى والأجمة والغرك والشماسية، إذا غضب على جبار عات حمل إليها، وإذا رضي عنه شهر بها، مواكبها قائمة ومنائرها عالية، ونغم مغنياتها ناعمة، الظرف فيها يقتبس والشكل منها يستوصف، مكان الرئاسة ومقبس السياسة، فهي جنة مؤنقة وحديقة مشرقة، وعروس في مساجدها وكللها وحجابها، شهية المنظر جميلة المخبر، صبيحة مليحة ظاهرة الوسامة، دمثة التراب، مريعة الجناب، غدقة المشارع، وطيبة المضاجع، تروق عيون الناظرين، وتسر قلوب المتأملين، ويعيش في أفنيتها الفقراء والمساكين، مطابقها وثيقة، وسجونها حريزة، مع كثرة أسواقها واتساع أرباضها، وفساحة رحابها وامتداد طرقها وسككها، معشوقة محببة الى الخلفاء وولاة العهود والوزراء، دار ملكهم ومعدن صيدهم، ومنتهى غايه لذاتهم، موفرة لغلاتهم مباركة عليهم، شامخة البناء،عريضة الفناء، فياحة السطوح، نزهة البساتين، كثيرة الأشجار والرياحين، مفزع كل ملهوف، ومعدن كل تاجر معروف، وحسبك ببلدة قد جمع الله فيها ما فرقه في غيرها من البلدان من أنواع التجارات وأصناف الصناعات، فهي سلّة الدنيا وخزانة الأرض، معدن العلم وينبوع الحكمة، ليس لها مشتاة كمشتاة الجبال، ولا مصيف كمصيف عمان، ولا صواعق

كصواعق تهامة، ولا دماميل كدماميل الجزيرة، ولاجرب كجرب الزنج، ولا طواعين كطواعين الشام، ولا يلحق اهلها ما يلحق أهل البحرين من وجع الطحال، ولا فيها حمى كحمى خيبر، ولا رداع الجحفة، وليس بها ثعابين كثعابين مصر، ولا أفاعي سجستان، ولا عقارب نصيبين، ولا جرارات الأهواز، ولا قتالات شهرزور.

واهلها ظرفاء فضلاء فيهم الجمال ولباسهم الكمال فهم كما قال الشاعر[1]:

ما مثلُ بغدادَ في الدنيا ولا الدين	على تقلبها في كل ما حين
ما بين قطربل فالكرخِ نرجسةٌ	تندى ومنبت خيري ونسرين
تحيا النفوسُ بريّاها إذا نفحَتْ	وحرشت بين أوراق الرياحين
سقياً لتلك القصورِ الشاهقاتِ وما	تخفى من البقر الأنسيةِ العين
تستنُّ دجلةَ فيما بينها فترى	دهمَ السفين تغالى كالبراذين
مناظرُ ذاتُ ابواب مفتحةٍ	أنيقة بزخاريفٍ وتزيين
فيها القصورُ التي تهوي بأجنحةٍ	بالزائرين الى القوم المزورين
من كلِ حراقةٍ يعلو فقارتُها	قصرٌ من السّاج عال ذي أساطين

وقدم عبد الله بن صالح بن علي بغداد فرأى كثرة الناس بها فقال: ما مررت بطريق من طرق هذه المدينة إلا ظننت أن الناس قد نوديَ فيهم.

وقال المنصور لبعضهم: أخبرني عن بغداد، قال: جنة بين حماةٍ وكنّةٍ تحسدانها، ودجلة والزاب يتباريان عليها.

وكتب الحسن بن أبي الرعد الى ابي عبدالله بن الحسن بن أبي الشوارب وهو مقيمٌ بضياعهِ في سنجار، يشوقه الى بغداد:

يا من أقام على قرى سنجار	وأختارها دارا باكرم دار

---

[1] نسب ياقوت الحموي(البلدان،جـ١،ص ٤٦٢)هذه الأبيات الى الشاعر (عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير).

خـلفت بغـــداد التى لنسيمـــهـا أرج مـــن النـــوار والأشجـــــار

هى جـــنة الدنيا فكـــيف تركـــتهـا وقـــررت أرض غـــير ذات قـــرار

او ليــسَ فيهـــا ألف ألفِ خـــريدة فى وجـــــــهها متـــنزه الابـــــصار

وانظرْ لقلبك لا بعـــــينكَ هل ترى كرجــــــالها فـــى ســـائرالأمصار

من ذا تصـــادفه هـــناك وعـــــنده طرفٌ مـــن الأشـــعار والأخبـــار

معــــــقودةٌ بخـــــلائق ادبيـــــــة فى رقةِ المـــــاء الـــزلال الجـــاري

وحدثني بعض الأدباء قال: حججتُ فرأيتُ على بعضِ الأميـــالِ بطريـــق مكــة مكتوبا:

أيـــا بغـــدادُ يـــا أســـفى عليـــكِ متـــى يقضـــى الرجـــوعَ لنـــا اليـــك

قنعنـــا ســـالمينَ بكـــل خـــــيرٍ وينعــــمُ عيشـــَـنا فـــى جـــــانبيك

وقالِ: ورأيت في غرفة بقرميسِين هذين البيتين وقد كتبا على الحائط:

ليتَ شعري عـــن الذيـــنَ تركنـــا خلفنا فى العـــراق هـــل يذكــــرونا

أم لعلَّ المـــدى تـــطاول حتـــى قـــــدمَ العــــهدُ دوننـــا فنـــسونا

ولماِ حجَّ الرشيد وبلغ زرود التفت ناحية العراقِ وقال:

اقولُ وقـــد جُزنـــا زرود عشـــية وكادت مطايانا تجـــوزَ بنـــا نجـــدا

على أهلِ بغدادَ الســـلام فـــإنني ازيدُ بسيري عـــن ديـــارهم بعـــدا

وقال بعضهم: لو أن الدنيا خربت او فرقَ أهل بغداد فيها لعَمروها.

ولما قلد عبيد الله ابن عبد الله ابن طاهر[1] بلد اليمن وعمل على الخروج قال:

---

[1] حفيد طاهر بن الحسين، تولى شرطة بغداد نيابة عن أخيه محمد بن عبد الله، ثم استقل بـــها بعــد موت أخيه، يعدّ واحداً من خيرة أدباء عصره، كان يروي الشعر ويقوله وله علم باللغـــة العربيـــة وعلومها، وأيام الناس، وعلوم الاوائل من الفلاسفة والموسيقين والهندسة وغير ذلك، له عدد مـــن

أيرحل آلفٌ ويظـــل إلــفٌ وتحيا لوعةٌ ويموت قصـــف

على بغدادَ دار اللهو منـــي سلامٌ ما سجى للعين طــرف

وما فارقـــتها لقلًى ولكـــنْ تناولني من الحدثان صـــرف

الا روح الا فـــرج قريـــب الا جار من الحدثان كـــهف

لعلّ زماننا سيعـــود يومــا فيرجـــع آلفٌ ويسر إلــف

فبلغ هذا الشعُر الى الوزيرِ فأعفاه عن التقليد.

وقال بعضُ الأدباء:

ببغدادَ يصفو العيشُ للمتعبد وللقارف اللاهي وللمتوردِ

وهي أبيات ما فيها طائل.

وقال الجاحظ[1]: قد رأيت المدن العظام المذكورة بالاتقان والاحكام ببـــلاد الـــروم والشامات وغيرها فلم أرَ مدينةً قط أرفع سمكا، ولا أجود استدارة، ولا أحكـــم ســـورا وفصيلا من مدينة المنصور، كأنّما صبت صبا في قالب، وافرغت افراغا في دريـــزك وانشد:

يا حـــبذا بغـــدادُ مـــن بلـــدٍ يـــاليتنى اوطنـــت بغـــدادا

المصنفات منها (الاشارة في أخبار الشعراء) و(رسالة في السياسة الملوكية) و(البراعة والفصاحة) وغيرها، توفي ببغداد سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م ودفن في مقابر قريش(ابن النديم:الفهرســت،ص١٨٧ - ١٨٨؛ الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ١٠،ص٣٤٠).

[1] هو أبو عثمان بن عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي البصري، العـــالم المشـــهور صـــاحب التصانيف في كل فن، توفي سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م وقد نيف على تسعين سنة (ابن خلكـــان:وفيـــات الأعيان،جـ٣،ص٤٧٠-٤٧٥).

لم تـــرَ عينـــي مثلَــها بلــدة   طيبـــة صـــــدرا وايـــرادا

ان ردّنـــي الله إلـــى أهلـــــها   لم اتـــزود للـــــنوى زادا[1]

وقال الكلبي: سُمّي المخرّم مخرّما، لأن المخرّم بن حزن الحارثي نزله، وكـــانت قنطرة البردان لرجل يقال له السري بن الحطم صاحبُ الحطمية التي بقـــرب بغـداد، والحربية منسوبة الى حرب بن عبد الله البلخي وكان على شرطة جعفر ابن المنصـور وهو يتقلد الموصل.

والزهيرية بقرب باب التبن، نسبت الى زهير بن محمد من أهل ابيورد، عيسى ابـــاد نسب الى عيسى بن المهدي وهو ابن الخيزران وكان في حجر مبارك التركي، وقصر عبدويه منسوب الى رجل من الأزد يقال له عبدويه، وكان من وجوه رجـــال الدولـة وأقطع المنصورعمارة بن حمزة الناحية المعروفة، وأقطع ميمون أبا بشر بن ميمـون قطيعة عند بستان القس، وطاقات بشر نسبت الى بشر بن ميمون وهو مولى لعبـــد الله ابن علي، وأقطع أم عبيدة حاضنة المهدي، وهي مولاه لمحمد بن علي قطيعة منســوبة اليها، واليها تنسب الطاقات المعروفة بطاقات أم عبيدة بقرب الجسر، وأقطـــع منـيرة وهي مولاه لمحمد بن علي الموضع المنسوب اليها من الجانب الشرقي، وأقطع ريسانة قطيعة تقرب من مسجد ابن رغبان بالقرب من باب الشعير، ودرب مهرويه بالجـــانب الشرقي، نسب الى مهروي الرازي الذي كان مملوكا فأعتقه المهدي.

ونزل المنصور مدينة السلام منذ يوم بناها الى اخر خلافته ثم حـــج منـــها وتوفـــي بمكة، ونزلها بعده المهدي، ثم شخص منها الى ماسبندان فتوفي هناك، وكـــان اكـثر نزوله اذا كان بمدينة السلام عيسى اباد حتى بنى فيها أبنية كثيرة، وفيها توفي الـهادي، نزلها الرشيد وكان قليل المقام بها،وشخص عنها الى الرقة فأقام بها مدة ثم سار الـــى خراسان فتوفي بطوس، ونزلها محمد الأمين فقتل بها ثم قدمها المأمون من خراســـان فأقام بها ثم شخص عنها غازيا فمات بالبذندون ودفن بطرسوس، ثم نزلـــها المعتصـم مدة من خلافته، ثم شخص عنها الى القاطول فنزل قصرا كان الرشيد بناه، وحفر بـــها قاطوله الذي سماه أبا الجند لكثرة ما كان يسقي من الأرضين، وكان قد جعلـــه لأرزاق جنده، ثم بنى بالقاطول بناء ودفع ذلك الى اشناس التركي مولاه، ثم انتقل الى سرّ مـــن

---

[1] من المحتمل جدا أن ابن الفقيه الهمذاني نقل هذا النص من كتاب البلدان الضائع للجاحظ.

رأى ونقل اليها الناس وبنى مسجدا جامعا في طرف الأسواق وسماها سرمرى، وانزل أشناس فيمن ضم اليه من الأتراك والقواد كرخ سرّ من رأى وهو كرخ نيروز، ونـزل بعضهم بالدور المعروفة بدور العرباني، وتوفي بسرّ من رأى في سنة سبع وعشـرين ومائتين، وأقام الواثق بسر مرى وبها توفي.

واستخلف المتوكل فأقام بالهاروني وبنى به أبنية كثيرة وأقطع الناس في ظهر سـرّ من رأى في الحيّر الذي كان المعتصم أحتجزه فأتسع الناس بذلك، وبنى مسجدا جامعـا فأعظم النفقة عليه وأمر برفع منارته لتعلو أصوات المؤذنين فيها، وحتى ينظر اليـها من فراسخ، فجمع الناس فيه وتركوا المسجد الأول، وأمر بحمل المحدثين من النواحـي فحملوا وحدثوا الناس، فحسنت له بذلك الأحدوثة، ثم بنـى مدينـة سـماها المتوكليـة وعمرها وأقطع الناس بها قطائع وسماها الجعفري في اول سنة ست وأربعين ومائتين، فأنتقل اليها الناس عنها الى سرّ من رأى.

وقال بعض الظرفاء: مجالسة التّمارين تورث المخاتلة، ومجالسة البزازين تـورث البخل، والعطارين تورث التجميش، ومجالسة الحنـاطين تـورث النفـاق، ومجالسـة اصحاب السقط تورث الورع، ومجالسة التخاسين تورث الافـلاس، ومجالسـة أهـل فارس تورث الزندقة، ومجالسة أهل الاهواز تورث الغدر، ومجالسة أهـل البصـرة تورث صغر الهمة، ومجالسة أهل واسط تورث البذالة، ومجالسة أهل الكوفة تـورث المروءة والتجمل، ومجالسة أهل بغداد تورث الفتك والظرف واللباقة والنظافة.

وقال عثمان ابن ابي شيبة: سمعت أبا الحر السكوني يقول: سمعت ابن عيـاش يقول وقد ذكرت عنده بغداد فقال: هي دنيا واخرة.

وقال يزدجرد بن مهبنداد الكسروي[1]: قد تكلم الناس في بلاد همـذان وأصبـهان والري وسائر الكور الشريفة من بلاد الجبل وخراسان وفخموا شـأن مصـر خاصـة وقالوا بها مقدمين لها على بغداد العراق وسائر الافاق في كثير من الأقـاويل، ونحـن مبطلون ذلك على معتقدي مصر خاصة، ومتوصلون الى التفرقة بين بلدين لايقومـان في عيار، ولايتوافيان على مقدار، فإذا فعلنا ذلك كان حكم ما لم نذكـره مـن سـائر البلدان كالري وأصبهان وسائر كور أرمينية واذربيجـان، حكـم مصـر المشـهورة

---

[1] ذكر ابن النديم في الفهرست(ص٢٠٥)ان يزدجرد صنف كتابا عـن بغـداد هـو(فضـائل بغـداد وصفتها)وقد نقل ابن الفقيه الهمذاني أكثر مادته عن تفضيل بغداد على مصر من هذا الكتاب.

بخواصها المذكورة بأنواعها، ويستبدل الاختصار بالتطويل وامهات الكلام دون القال والقيل، ونعلم أن الله خلق خلقا مقسوما مابين قنوات مختلفات حارات وباردات، رطبات ويابسات، ثم جعل تعديل الحياة هو أن لاانشاح على الصيف دون الشتاء، وعلى برد الماء دون لطف الهواء، فلو كان الزمان بردا جميعا أو حرا ابدا أو خريفا دائما أو ربيعا سرمدا، لملت الطبيعة زمانها، وثقل عليها منه فنسمها ومكانها، ولولا شدة الجوع وكرب العطش لزالت لذة الماء والتلذذ بالغذاء وكذلك القول في الرقاد والسهر، والحركة والسكون، والحمام والجماع، والحر والبرد، والرطوبة واليبس، ولو كلف أحدنا أكل الخبيص دائما واللبن دائما والعسل دائما، لكلفنا أمرا مربوطا بمكروه الطبيعة، مقرونا بأنكره وأرأده واضناه، ولو كان الغذاء واحدا والزمان واحدا والدواء واحدا، لكان الغذاء هو الدواء والربيع هو الشتاء، فقد دللنا بذلك على أن أشرف البلدان مكانا، وأفضل البقاع زمانا، ما كان منتقلا بين أقسام الحر والبرد والرطوبة واليبس، ولاخير في زمان يكون ليلا سرمدا، ونهارا ابدا.

وسندل على أن المتطاولين بالحد الواجب المتناسب من الزمان بمصر، هم الملتجئون من منائر أرضهم هذه الى السماء، المحوجون الى النوم تحت السقف الواحد أبدا، والماء والهواء هما مع ذلك ركنا حياتنا وخلة لتمام خلقنا، فأيما بقعة الباث فيها الاعتدال، والاعتدال هو الانتقال، والانتقال هو الزوال من حال الى حال، حتى تكون دهرا قطرا، وليلها ونهارها واحدا بدائم، نجد مع ذلك الذي ينبغي دوام بقائه واتصاله وصفائه، هو ماء نيلهم الأعظم وعزهم الأكبر، فهو الذي لادوام لمائه ولا اتصال لطيبه وصفائه، فإن مثل الناس بين الهواء بمصر وبين أزمان بغداد المعدلات، وبين نيلها وما فيه من الحوادث الهائلات والعجائب الطارقات، وكثيرا مما لايطيب استماعه فضلا عن مشاهدته ولولا ما قد جرت لأهله العادات، وبين ماء دجلتنا والفرات وغياث السحائب الربيعيات، وأيام الشتاء المدجنات، وما في السماء من البركات، ميلوا باطننا واضاعوا محصولا.

وقد زعم كثير من أهل النظر أنه لولا طلسم بمصر لأغرقها النيل والبحر، وأن بلدا لا تقوم أركانه، وثبات أهله وجيرانه الا بحيلة من المربوبين، لا يؤمن فسادها، وبعاصمة من المخلوقين تشوبها الضنون، وتزول بدونها عقد اليقين، لعلى خطر عظيم وغرر جليل.

هذا وليس بين أن ترى ساكنيه عطشى يتشطحون وبين ان يكونوا في السفائن والزواريق يتزاورون، وفي مراكب الطوفان يذهبون ويجيؤن فرقا في مواقيت معلومة من الزمان وأحوال معتادة من الأيام.

ومما يزيد بعده بمقادير عقول المصريين، ويجوز لك الدليل على موازين المعدلين بين مصر ومدينة السلام، ان يعلم أن قوما قد زعموا ان الأحكام لم تكن لتملك على قوم ملكا، وذلك الملك انقصهم عقلا ولا أوضعهم رأيا ولا أسيرهم نهما ولا أصغرهم علما، مع تقدم الشهادات لعقول الملوك خاصة، وبالخواص التي تكون مقرونة بهم ومنسوبة الى قرائحهم،عدل الملك في زمانه أو جاره، واذا كان هذا هكذا، ثم وجدنا فرعون قد ملك مصر دون غيرها وغلب عليها دونما سواها(أنا ربكم الأعلى)، فما ظنك بعقول قوم هذا عقل من ملكوه عليهم، ومغرس هذه اثار ثماره، ونتائج أشجاره، ونحن قد فوضنا مصر الى خمارويه[1] وزدناه من الأقطار الى حدود الأنبار.

وإذا ذهبنا نقابل المصريين بما ببغداد من الفضائل: وزيرا بوزير وأميرا بأمير وحكيما بحكيم وخطيبا بخطيب وبليغا ببليغ واديبا بأديب وطبيبا بطبيب وحاسبا بحاسب وكاتبا بكاتب ومحاربا بمحارب ومضاربا بمضارب ومقاتلا بمقاتل ومفاضلا بمفاضل وقاضيا بقاض وفقيها بفقيه حتى يؤول الأمر بنا الى ذكر أرباب الصناعات الشريفة والمهن اللطيفة، كنا قد تعرضنا الى ما لا سبيل الى استيفائه ولا دليل على احصائه، وإلا فمن أين للمصريين كذي الرأي والغنى والبأس والبلاء والحكم والدعاء والحيلة والدهاء والجود والسخاء والعهد والوفاء والشدة والرخاء،عدو عدائه، وأين اليها ليل من ابائه عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر، وكأبن الطيب الحكمي[2]

---

[1] هوالأمير أبو العباس أحمد بن طولون مؤسس الاسرة الطولونية وصاحب الديارالمصرية، ولاّه الخليفة العباسي المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥هـ/٨٦٦-٨٦٨م)على مصر، ثم استولى على الشام وانطاكية والثغور، كان محبا للعلم ومن حفظة القران، وقيل انه أدرس الناس للقران، توفي سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م(ابن خلكان:وفيات=الأعيان،جـ١،ص١٧٣-١٧٤؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة في أخبارمصر والقاهرة،جـ٣،ص٤٩).

[2] لم نجد له ترجمة، ولعله أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ الكندي ومؤلف كتاب(فضائل بغداد وأخبارها).

وثابت الحراني[1] والعباس المنطقي والمنيقط الناشي[2] والاقليدس الذكـــي والـــبرذعي العدلي وأبي صالح السني، الا ان يظنوا ان لهم أيضا كالمبرد المشـــهور[3] او ثعلـب المذكور[4]، ومن لم يزل ولايزال بها من الفاضلين علـــى الدهــور وعلــى الســنين والشهور، وليس لهم ان يفاخرونا بهرمس[5] في زمانـــه او بمثلــه فـــي زماننـــا، ولا باغاتيمون في أواننا هذا، وهم يعلمون او لايعلمون أن بابل العراق كانت مركز العلـــم والعلماء ومكان الحكمة والحكماء، ولكن الملك المظفر لما غلب على ملوك العمـــران، نقل الحكمة والحكماء الى بلاد المينا أو نحوها مما قد سلف، فأما مفاخرة القوم بالديـــار والمقاصير وسائر الاغذية والتدابير، أو مما ببغداد من سائر الفواكه والثمار وغرائـــب النخل والاشجار، فظن ما شئت أن تعده تجده موجودا غير مفقود وقريبا غـــير بعيـــد، زعم لي مهرويه باغبان السلطان أنه يعرف بمدينة السلام نيفاً وسبعين نوعا من التفاح، ثم عدها،فتبسم أخوه شهريار، ثم قال: كذا وكذا زيادة على ما قال أخوه بنحو أربعمائة نوع وتسعة أنواع.

---

[1] طبيب بارع ورياضي حاذق، أصله من صابئة حران، له الكثير مـــن المصنفـات فـي مختلـف ضروب المعرفة الانسانية، توفي سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م (ابن ابي أصيبعة:عيون الأنباء في طبقـات الأطباء،ص٣٠٠؛ ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٦،ص٣١٣).

[2] لم نجد له ترجمة، ولعله الناشئ الكبير، أبو العباس عبد الله بن عمر الانباري المعروف بشرشـــير نزيل بغداد،الشاعر المترسل صاحب قصيدة أربعة الاف بيت على روي واحد وقافية واحدة فـــي الكلام التي سلك فيها طريق الفلاسفة (ابن النديم:الفهرست،ص٣٠٢-٣٠٣).

[3] يقصد أبو العباس بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي البصري الشهير بـ(المبرد)، شيخ أهـــل النحـو والعربية وصاحب المصنف الذائع (الكامل في اللغـة والأدب)، توفـي سـنة ٢٨٥هـــ/ ٨٩٨م (الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ٣،ص٣٨٠-٣٨٧؛ ابن خلكان:وفيات الأعيـــان،جــ٤،ص٣١٣-٣٢٣).

[4] يقصد أبو العباس أحمد بن يحيى بن زياد بن سيار النحوي الشيباني بالولاء، امـــام الكوفييـن فـي النحو واللغة في زمانه وصاحب المجلس الثقافي والأدبي الشهير ببغداد، صنف الكثير من الكتـب المهمة منها (الفصيح) و (اختلاف النحويين) و(معاني القران) وغيرهـــا، توفـي ببغـداد سـنة ٢٩١هـ/٩٠٣م (ابن الأنباري:نزهــة الألبـاء فــي طبقــات الأدبــاء،ص١٧٣-١٧٦؛ يــاقوت الحموي:معجم الأدباء،جـ٥،ص١٠٢-١٤٦).

[5] حكيم قديم صنف عدداً من الكتب في مجال النجوم (ابن النديم،الفهرست،ص٤٢٩).

وما ظنك ببلد مع جميع ما فيه من غرائب الأشجار وأجنـــاس النخيـل والبقـول والمزارع والثمار ينبت الاترج والنارنج كما ينبت الزعفران والاقحوان، كمـا ينبـت الفستق واللوز والزعرور والموز والشاهيلوط والجوز والغبـيراء والجلّـوز والسـدر والحبة الخضراء واللفاح والبندق والبلوط والمقل والسبستان والهليون والريباس والفـوة والمحروث والاشترغاز والراس والانجذان والعنصل والأشقيل والـداذي والبلمخيـة؟ والزوبن؟ وما لايحصى ولايلحق من جميع الأشياء.

ولقد حدثني يونس الصيدلاني قال: ما احصي ما يحمل من العقاقير النابتة علـى سواقي الأنهار ببادوريًا كشبرم والسورنجان والبنج والخربـق والـتربذ والمـازريون والثيل والاذخر والافسنتين والجعدة والفنجمشك والغافت والمرقد والحنظل، واضعـاف ما ذكرت من العقاقير التي تدخل في الادوية.

فإن شئت ان نذاكره بالسكر والجيسوان والأزاد والخركان والعروسي والحمـران والهيثا والهليان والبردي والمشان والطبرزد والباذنجان والقرثيا والمادبـان والقرشـي والبدالي والمعقلي والصيحاني والبهشكر، وصلنا من ذلك الى خير كثير وأمر مشهور.

فأما أنواع الاخبزة والأخبصة واصنـاف الأشـربة والأنبـذة وسـائر الأنبجـات والأفشرجات وأنواع الأرباب والمربيات فغير معلوم لأهل المغرب ولا معدوم في افنية بابل وماعملت.

ولا أعلم في الماضين من ملوك الزمان جميعا ملوكـا دانـوا بـالضنّ بأزمانـهم وانتحلوا القرى الى الله بالأغراق في التماس اللذات الزمنيات في مطاعمهم ومشـاربهم وملابسهم ومناكحهم من أولاد فارس وملوك الأكاسرة، فإنهم كانوا دون ملوك الـروم والهند وسائر الأطراف، وأعلم بمواقع الريف وأحذق بتدبير العيش اللطيف، وهم كـانوا الأئمة في غرائب الغاذيات والعلماء بأصناف التدابير والملذات، وكانت الأفاضل مـن ملوك بني ساسان خاصة تفاخر غيرها من الملوك بأستيطان مدائن العراق، وبتطـاول تلطف الهواء بها وصحة الماء فيها، هذا من حكم الخمرة البالية التي كانت تفاخر بـها في أعيادها وتعازّ بخواصها في أيامها، وتزعم انه لولا اعتدال الأرض والماء واتـزان مناسبة الماء والهواء، ماوصلوا من طعوم شرابهم هذا، وأنواع ألوانه ونسيمه وروائحه الىغايات لاسبيل الى مثلها الا نظير لها في شكلها، واذا كان ذلك لهم في الشـواب ان يكون ذلك هو حق الحكم لها في سائر المنابت والأشجار، وأنواع الأغذيـة والثمـار، ولئن صح ذلك بذلك وهو كذلك، فسيصح ان الغاذيات التي جرت باعتدالها طبائعـها،

واتصلت لامداد خلقتنا وغرائزنا خليقة ان تفرد بالخاصيات المعدلات والخصائص المكملات، فليس اسراف الهواء في اللطافة ودوامه إلا كإسرافه في الكثافة واتصالها فيه، والاعتدال إذا هو الكمال الفاضل والزمان العادل.

وقد ذكرت الجماعة المميزة من الماذرائيين انهم كانوا لايشمون بنواحي الري وأصبهان وقزوين وزنجان الى سائر امهات الجبال من بلاد همذان شيئا من روائح الصنيع المشوي والقديد، سواء كان ذلك من الثور أو البعير أو الفروج أو العصفور، إلا اختلاسا ونزهما ؟ وذلك هو اما لكثافة الهواء في نفسه أو لغلظ الغذاء في جنسه.

وإنك والحق لتشهد ان تنسمك عندنا روائح خبز المخابز البعيدة فضلا عن الجديدة، فما ظنك بالحيوان المشوي في التنور والصنيع المدبر بالقدور، وبمثل ذلك حدثني الفطن الذكي واللبيب الحسبي ابراهيم بن أحمد الماذرائي عن الهواء بمصر، الذي يمحق رائحة المسك الأذفر والكافور والعنبر كما قال غيره.

وقد علمنا ان لأهل قم الشراب الميري، ولأهل اصبهان الشاهجاني، ولأهل الري السدني، ولأهل همذان المرجاني، ولأهل قزوين الدستباني، ولأهل مصر الرساطون العسلي، ولأهل الشام الحلفي، ولكن اين فضائل هذه الأنواع جميعا لوجمعت في نوع منها من الشراب السوري والعصير البابلي والطبيخ القطزبلي والمعتق الصريفيني ؟.

ثم رجع الكلام الى نوعه في مصر والمصريين فنقول: فأين طرقات مصر من طرقات بغداد وديارها من ديارها ورحابها من رحابها ودروبها من دروبها، وهي محال الأقذار ومزابل الطفار؟.

وحدث ابراهيم بن ياسين وكان مصريا يجهز المسك الى مصر انه لايكاد يشم في محال مصر شيئا من المسك الأذفر ولاالكافور والعنبر.

وحدثني في اثر ذلك صديقي السرخسي فقال: إن طباخا لنا اتى بقمامة فرماها ازاء باب دار منزلنا ببغداد فجلست لتأديبه قبالتها ودعوت بالمقارع، إذ أقبل رجل يسعى لشأن كأنما لم يخلق لغيره، فبحث القمامة بيده واثار منها صوفا وزجاجا مكسوا فالتقفه ومضى مبادرا، ثم اتى اخر في اثره ينحو نحوه فبحث باقيها واثر منها قشورجوز وقشور( )[1] فاخذه منها وولى منطلقا، ثم تلاهما ثالث يقفو اثرهما فاثار القمامة وأخرج ما كان فيها من النوى فاخذها ومضى، ثم اقبل قمام الحمام فغربلها

---

[1] في القسم الذي حققه الدكتور صالح أحمد العلي، (ص٧٢) "الرمان".

وتزود ما فيها ثم مضى، ثم أقبل اخر معه فنخل التراب فاستخرج منــه شــيئا فــاخذه ومضى، ثم جاء أجير الحراث فكسح باقيها وكان ترابا ورمادا فأخذه ومضــى، قــال: فأمسكت عن ضرب الغلام وقلت: ذلك تقدير العزيز العليم.

وماحاجتنا وما حاجتك الى الانتصار بغير العيان والتظاهر على خصمائنا بغير مــا هو لنا في الزمان، هؤلاء الماذرائيون أهلنا وأصحابنا وإخوتنا وأترابنا رؤساء مصــر وسوّاسها وكتاب أعمالها وأربابها ذوو القدرة التامة والأمر النافذ والســلطان الظــاهر والعزّ المتظاهر يتطلع أعظمهم قدرا وأكبرهم أمرا وأعزهم شأنا وأوسعهم سلطانا الــى قوافل الحاج ووفود المجهزين من بغداد، حتى يستصحب لهم الخفاف الطائفية والنعــال السندية والمقاريض الهيثمية والامشاط الطاهرية والسكاكين الكتابية وكثيرا مما يصنــع من الأبنوس والعاج والعام الموجود من العطر والزجاج، فما ظنك بما لايتهيأ حمله ولا يسهل تجهيزه ونقله.

ولست تجد كبيرا من كبراء الأطراف ولاعظيما من عظماء ملوك النواحي كملــك الديلم والطيلسان وملك السوس ومن وراء آذربيجان وسائر المتغلبين من أولياء الدولــة في مشارق الأرض ومغاربها الا متبجحين بمن يصير إليهم ويلقاهم من مدينة الســلام كائنا من كان أو يحمل الى مواطنهم ويغشاهم وينافسون على اصطناعه ويشاحون على ادخاره ويغارون على اقتنائه كما يستقصون على فقدانه ويتحاســدون علــى وجدانــه وأحسبهم يعنون بعد المجاهدة في ذلك والمبالغة في اطلاب ذلك الى غير المنفيين مــن الطباخيين والمستجهلين من المتطببين والمستبردين مــن المغنيــن والمســترقين مــن الحناطين، فقد قنع الرئيس الأعظم والملك الأكبر من الجماعة أن يقــال هــذه مغنيــة بغدادية وعاملة عراقية وزامرة زريابية وطبالة عتقية وعوّادة بناتية أو خريجة شــلرية، وزنبق ورحيب ومنعم وعرفان وزاعم وبدعة، وكفاهم من ذلــك أن تقــول الجاريــة، رأيت بدعة وكلّمت تحفة وسمعت جدوة وشاهدت طيابا وأعرف زريابا[1] كما كفاهم ان يقولوا: ماشطة طاهرية وخازنة حريمية وكانت ستي فلانة الفلانية فتلك عندهم مــن النعم المعدودات والذخائر المقتصدات.

---

[1] يقصد زرياب جارية آبن المعتز، وليس زرياب المغني المشهور وتلميذ ابراهيم الموصلــي الــذي هاجر الى الاندلس وآشتهر بها (الاصفهاني،أبو الفرج: الاغاني،جــ١٠، ص٢٨١).

ثم رجع الكلام الى ذكر شبيه ما كنا فيه من ذكر المصريين، فلعل القوم أن يفاخرونا بالمعادن ويعازونا بالزبرجد والدبيقي، فإن فعلوا فأخلق بنا ان نقول إن ذلك الشئ إن استجاز القوم المعازة به في المعادن وفي الزبرجد والدبيقي، فكانوا قد دلوا من أنفسهم على ضعف كبير وعجز مشهور، وإلا فإن كان المعدن هو العلة لشرفهم فليس بمأمون زوال الشرف بزوال المعدن وإن كان شرف المعدن إنما هو شرف نفسه، كانت كل ذات معدنية ذات شرف بنفسها، وإن كان شرف الذهب شرفا لنفسه، فلا يكون الرصاص وحجر النار شريفا لنفسه، وان كان شرف القوم إنما هو شئ هو لعلتهم وعلة المعدن معا، وقد وجدنا نصيب أبعدنا من المعدن كنصيب أقربنا منه وأوفر، ولست مع ذلك تجد الحد في ثمن المثقال من الذهب بمصر إلا كالحد في قيمته باقصى حجر بالتبر والطيلسان.

فأما معازتهم بالقصب والدبيقي والملحم والخليجي، فقد قلنا ونقول: إن ذلك هو شئ لنا دونهم فإنه لو وجب التطاول بذلك علينا لأستجاز الحراثون مفاخرة أرباب الضياع، ونساجو الديباج التطاول على لابسيه، ولكان مركب التاج بالدر والياقوت يشارك الملك الأعظم في عزه وسلطانه وفي أقصى من مكانته من شأنه، حتى كون الصائغ الإكليل احق به ممن أمره ونهاه وأستأجره، وأعطاه والدليل على صدقنا أن أهل مصر لوكانوا إنما يتخذون الدبيقي ويتكلفون صنعة الملحم.والتنيسي لهم ولمن هو منهم وإليهم، لهلك النساجون ولمات البزازون وسائر من بها من أرباب القراطيس وصناع الشمع والخيش والكرابيس ذلك هو القول في المجهزات جميعا من خراسان وسائر بلاد الله في جميع العمران.

ثم لا نجد بغداد عند ذلك الا كالجوهر القائم بنفسه، والبلدان دونها كالأعراض التي لا قوام إلا بما هو أثبت بها وأغنى عنها، فالدنيا العراق والناس أهلها، والطاعنون على بغداد هم الطاعنون على اختيار الخلفاء، والطاعنون على الخلفاء هم الطاعنون على الأنبياء، والطاعنون على الأنبياء هم الطاعنون على رب الأنبياء.

وحدثني القاضي اسماعيل بن اسحاق، وكفى به محدثا، ومحمد بن يزيد وكفى به مخبزا، قال: لقد كنا نلتمس بالبصرة من جيد التمور وأنواع الأرطاب فنجد ببغداد ما لم ير مثله بأنهار البصرة جميعا.

وحدثني من لا ارتياب للعقلاء في عقله ولا اشتباه عند الحكماء في فضله بعلومه وآدابه وأنسابه واحسانه عبيد الله بن طاهر متمثلا في أثر كلام مر في غرائب بغداد

فقال: تزعم العامة أن رجلا من مجهّزي القطن كان بالشام ثم وقع الى كورة مرو من بلاد خرسان وهو لا يظن أن القطن يكون بغير الشام فأحتمل من كثرتــه بمــرو بمــا فاض عن عقله واتهم معه فهمه، ثم سأل عن البلدان التي يحتمل تجهيز ذلك اليها فقيــل له بغداد، فقال: وكم في الأرض من بغداد، فصدق عن القصة فقال: أظــن أن أهــل بغداد يأكلون القطن أو تبنى لهم به المساكين والجدران، فأقبل يريــد العــراق لذلــك، وأشرف من بلاد الري ونواحيها على ما لم تر عينه مثله من الأقطان ايضا وتجهيزها، فسأل فكانت القصة سواء، ثم اقبل الى ملتقى القوافل بقرميسين فاقبلت عليــه الأرض بيضاء بالأقطان فأزداد حرصا على مشاهدة بلد يأكل أهله القطن ويشربونه ويبنون بــه دورهم، فلما بلغ بغداد، لم يرها بنيت بالقطن ولامصنوعة منه فقال: ها أنت بغــداد، قال: فإذا كانت هذه بغدادكم، فأين الدنيا والاخرة.

وقال المعروف بآبن يزيد الرقي ومحمد بن نصر الدلاّلان: وهما شيخان مستوران قد أسنا، إنا لنركض على حميرنا في حواشي بغداد وأوساطها منذ سبعين سنة لدلالة ما يباع من المنازل والعقارات وسائر العقد والمستغلات فــي الليــل والنــهار والغدو والاصال، وانا لنمر في أيامنا بل فــي الزمــان جميعــا ببقــاع ولاعــهد لنــا بــها ودور لامعروفة لنا بشئ منها ومسالك لاتحيط بها أوهامنا ولاسلكناها قط، وكثير مــن الناس يقولون: إن جانبيّ بغداد كالفرسخين، وقد غلطوا في ذلك غلطا بينا.

وأنشد لكاتب من أهل البندنيجين يذكر فضل بغداد ويذم مصراً:

هل غاية من بعــد مصــر أجيؤهــا ... للــرزق من قــذف المحــل سـحيق

لم يأل كم حــطت بمصــر ركابــه ... للــرزق من ركــن لــديه وثــيق

نادته من أقــصى البــلاد بذكرهــا ... وتعــنفته بعــد بالتعــويق

كم قد جشمت على المكــاره دونــها ... من كل مشــتبه الفــجاج عــميق

وقطعت من عافى الصوى متخوفــا ... ما بين هــيت إلــى محــارم فيــق

فعــريش مصر هناك فالفرمــا إلــى ... تنيســـها فــدبيرة فــدبيق

بحــرا وبرا قد ســلكتهما إلــى ... فسطاطها ومحــل كــل فريــق

ورأيت ادنى خيرهـــا مـــن راغــب	أناى لطـــــالبه مــــن العــــيوق
قــلت منافعــــها فـــضجّ ولاتــها	وشكا التجــار بها كـــــساد الســوق
ما إن يرى فيـــها العريـــق إذا رأى	شيئا ســـوى الخـــيلاء والتــبريق
قــد فضلوا جهلا مقطـــمهم علـــى	بيت بمكـــة للإلـــة عـتيـــــق
بمصـــارع لم يبق فـــى أحـــداثها	منهــم صــدى بــر ولا صـــــديق
إن قال فاعــلهم فــــغير موفــق	أو قـــال قائــلهم فـــغير صـــدوق
شيع الضلال وحـــزب كــل منـــافق	ومـــــصارع للغـــيّ والتفـــيق
أخلاق فـــرعون اللعــــينة فـــيهم	والقـــــول بالتشـــــبيه والمخلـــوق
لولا اعــتزال فــــيهم وترفــض	مـــن عصــــبة لدعــوت بـــالتغريق
ياطول شـــوقى واتصـــال صبـــابتى	ودوام لوعــــــة زفرتـــى وشـــهيقى
ذكر العراق فـــلم تـــزل اجـــفانه	تهمـــى عليــه بمـــائها المدفــوق
ونعيم دهـــر أغـــــفلت أيامـــــنا	بالكرخ فـــى قصـــف وفـــى تفسـيق
وبنهر عيسى أو بشــــاطئ دجـــلة	أو بالصراة إلـــى رحـــــى بطريــق
ســقيا لتلـــك معـــانيا ومعـــارفا	عــمرت بغير البخــــل والتضييــق
ما كــــان اهـــنأه وأبعـــد داره	عن أرض مصر ونيلها الممحـــــوق
لايبعــدنَ صريـــم عزمـــك بـــالمنى	ما أنت بالتـــفــنيد بالمحـــقـــوق
فربا الرجوع الـــى العـــراق وحلّـــها	بمصـــــر فــــريق بعد جمـــع فريــق

وقال أحمد بن الطيب[1] تلميذ الكندي: مدينة السلام شريفة المكان، كثيرة الأهـــل، واسعة الشكل، بعيدة القطر ،جليلة الولاية تبيهة السلطان، ينبوع الاداب ومنبـت الحكـم يأتيها برد الافاق وخطباء البلاد، ما فعل فيها من خير فمشهور وما علن فيها من شـر فمستور، منها الفقهاء والقضاة والأمراء والولاة،عتاد الخلافة ودار أهل الدعــوة، وان لها لجنسا من السعادة ولأهلها نوعا من الرئاسة، وذلك انه قلما اجتمع اثنان متشـاكلان وكان أحدهما بغداديا، إلا كان المتقدم في لطيف الفطنة وحسن الحيلة، ليـن المعاملـة جميل المعاشرة حلو اللفظ مليح الحركات ظريف الشمائل.

فأما ما ينبغي أن تفهمه من عيبها وتقف عليه من مذموم من أمرها فهو أن بعـض ماعددت محاسنها يعود فيصير عيبا لها وقبيحا من أمرها، وذلك أن سـعتها أفرطـت حتى صارت مساحتها أربعة فراسخ، والذي هذه مساحته إذا كان قريبا معتدلا يحيط بـه حائط طوله ثمانية فراسخ، يكون ذلك أربعة وعشرين ميلا، وإذا كان هذا هكذا واحتيـج الى حراسة هذه المدينة واحتاج سلطانها التحصن فيها، فأقل ما يحتاج اليه من الحفظـة وأصحاب المجانيق والعرادات في كل ميل ألف رجل يكون جملتهم على حسب ذلـك أربعة وعشرين ألف رجل، فاذا لم يحفظ هذه المدينة أهلها متبرعين ذلك او مضطرين، فأقل ما تحتاج اليه لأرزاق وحفظتها على اختلاف أحوالهم وقائد وعريف وتابع ومـا يحتاج اليه لمؤن المدادين في المجانيق والعرادات ومؤن الموكلين بهم والقوام ومرمـة أسلحتهم وما يتصل بذلك من أثمان الآلات ومرمتها ما يكون لو ضرب بعضـه فـي بعض على أحسن التقديرات عشرة دراهم كل يوم، ولكل رجل زهاء مائتي ألف درهـم وأربعين ألف درهم في كل يوم، فإذا أقاموا على ذلك شهرا احتاج هؤلاء الحفظـة دون المقاتلة الى سبعة ألف ألف درهم ومائتي ألف درهم، فاذا كان المتحصن مختلا فقد أتي من مأمنة ودخل عليه في حصنه ولذلك ما أنفق محمد بن عبد الله بن طاهر في سـنة

---

[1] أبو العباس، أحمد بن محمد بن مروان السرخسي، قرأ على الكندي الفيلسوف، وأخذ عنه، وكـان متقنا في علوم كثيرة من علوم قدماء العرب،حسن المعرفة، جيد القريحة، فصيح اللســان، اتخـذه الخليفة المعتضد مؤدبا لأبنائه، وكان أيضا من ندمائه، له الكثير من المصنفات في مختلف ضروب المعرفـة الانسـانية ولـه كتـاب عـن بغـداد عنوانـه (فضـائل بغـداد وأخبارهـا)، (ابـن النديم:الفهرست،ص٤٢١ – ٤٢٢).

المستعين والفتنة [1] زهاء مائة ألف ألف درهم[2] على حفظ السور والمقاتلة ولقد دخلـه خلل وهجم على المدينة من ناحية بغوبربا حتى ناحية السور ونقص من الاحاطة شـئ له قدر، فهذا أحد العيوب ايضا، فإن الخليفة الذي رسم هذه المدينة التي يحامى عليـها من الأطراف الشاسعة والثغور النائية، وأن القطب الذي عليه المدار والقبة التي ينفـذ منها التدبير لمتوسطها بين أقصى المشرق وأبعد نهاية المغرب وكذلك هي في توسـط مابين الشمال والجنوب، وذلك أن كثرة أهلها تدعو الى شدة الحاجة، والى كثرة المـيرة لها، ولذلك مايحتاج أهلها الى ميرة من أقصى ديار مصر، وبينها وبيـن ذلـك مائـة وعشرون فرسخا، ويحتاجون من البعد موضع في ديار ربيعة وأشسع مكان من أعلـى الموصل، وبينهم وبين أدنى تلك المواضع نحو المائة فرسخ، فلو اعترض معـترض وقطع ميرة ديار ربيعة والموصل عنهما ثم كان المتحصن أفضل الائمة عدلا فضـلا عن أمير أو رئيس لاضطروا الى اخراجه ونفيه عن جوارهم ولاسيما هـم لايخـافون لكثرة عددهم وجليل قدرتهم وكثرة السلاح فيهم، وهم مستلؤمون فيها، ولـهذا السـبب أيضا لايمكن أن يتحصن بها ملك، الا ترى الى الملوك الذين دوخوا البـلاد وملكـوا العباد، وبنوا المدن وحفروا الأنهار، وعمروا الأرض وساسوا الملك وقارعوا الملـوك، لما اتخذ مدينة جعل السور يحيط بالساكنين وموضع مزدرعهم كما هو موجود بـأرض بابل وبناحية سمرقند وبخارا.

وأنت اذ ما سألت عن مدن الشرق والغرب والشمال والجنوب، وجدت الأمر علـى ماوصفت لك، الا المدن المحدثة التي بنتها العرب في الاسلام وهي الكوفة والبصـرة وبغداد، ولم تؤت الملوك القدماء من قلة معرفة ولامن جهل بصواب التدبير والسياسة.

فأما واسط وسرّ من رأى فعسكران، وذلك ان واسط بناها الحجاج مـنزلا لنفسـه ومعسكرا لجند أهل الشام، ربأ بهم من مجاورة أهل العراق ومعاملتهم، وأهل العـراق حينئذ اهل الكوفة والبصرة، ولقد أحسن في اختيار الموضع لأنه جبلي سـهلي بـري

---

[1] يقصد الأحداث التي جرت سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م بين أهل بغداد الذين ظلوا أوفيـاء فـي بيعتـهم للخليفة المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م)، وبين الجند في سامراء وعامتهم من الأتراك الذين خلعوا الخليفة المستعين بالله وبايعوا اخاه المعتز (الطبري:تاريخ،جـ٩،ص٢٨٢ - ٢٨٦).

[2] عند الطبري (تاريخ،جـ٩،ص٢٨٧) "وبلغت النفقة فيما ذكر علـى السورين وحفـر الخنـادق والمظلات ثلاثمائة ألف دينار وثلاثين الف دينار".

بحري عذب الماء طيب الهواء يوجد فيه الثلج والرطب، والقبج والسمك، وانما كانت واسط مدينة كسكر وجؤجؤ تحضنه المياه، وواسط على حال أجمل من سرّ من رأى وذلك ان ابن هبيرة[1] تحصن بحصن واسط وقد انتشرت المسودة فيما بين أقصى خراسان الى مصر، والمنصورمقيم عليها في سادات أهل خراسان وذوي الباس والنجدة من أهلها، فما وصل اليها الا بعد اعطائه اياه الأمان وبذل جميع ماشترط لنفسه.

فأما سرّ من رأى فإن المعتصم تنحى اليها عن مدينة السلام لسببين أحدهما تبعيدا لموالية الأتراك عن امناء الدعوة من أهل مدينة السلام، والثاني ان ما دون عكبرا واخر ديار ربيعة انما هو منازل الشراة، فأراد ان ينزل في وسط ديارهم فيشد بهم ويدفع عاديتهم.

وسرّ من رأى ضاحية لاسور يحصنها ولا خندق يمنعها ولا ميرة تقرب منها، وانما يشرب جماعة من فيها من النهر الأعظم، وربما رأيتها اذا اشتد الحر والتهب الهجير واجتذم القيظ والراوية في بعض المواضع في بعض الأوقات بدرهمين وأكثر، هذا في السلم والامن، فمن حق ماكان مثل هذه من المدن والكور ان يكون سكانها شجعانا أنجادا أبطالا يحمون انفسهم ويدافعون عن حوزتهم، معاقلهم السيوف وتجارتهم الحروب، والا فإن اناخ عليهم منيخ وأعتمد على من فيها بكلكله ما كان الا بمنزلة من يحرض بريبة وينازع بخروج نفسه، وليس هكذا أهل بغداد، لأن لهم ابارا يستعذبون ماءها ويستغنون عن نهرهم الأعظم بها.

ولكن من جميل أمر بغداد أن السلطان امن من ان يغلب عليه رئيس لبعض الاراء، كغلبة الطالبين كثيرا بالشيعة على أهل الكوفة، وذلك ببغداد من مخالفي الشيعة من يقرن بالشيعة، وبها من مخالفي المعتزلة من يقرن بالمعتزلة، وبها من مخالفي الخوارج من يقرن بالخوارج، فكل فريق يقاوم ضده ويدفعه عن ان يرأسه، فقد تركوا الرئاسة للسلطان وربحوا تسليط الفناء والتفاني بالحرب، ولكن ربما عرضت الافات

---

[1] يزيد بن عمر اخر والٍ للأمويين على العراق الذي رفض العمل مع الخلافة العباسية وتحصن في واسط، مما دعا الخليفة أبو العباس السفاح الى ارسال حملة عسكرية في سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م بقيادة اخيه أبي جعفر المنصور والقائد الحسن بن قحطبة التي انتهت بقتل ابن هبيرة وانهاء اخر مقاومة فعلية للامويين (الطبري:تاريخ،جـ٧، ص٤٥٠ – ٤٥٧).

وهجمتهم، وذلك انه إذا اتصلت المكاره عليهم ودام فيهم جور الولاء وعوملوا من التعنت وطلب الرشى ما لايحتمله الا الذليل وذو العدة القليل تهايجوا وفزعوا الى التطوع فحدث منها مثل الذي حدث عند خروجهم مع سهل بن سلامة[1]في أرباض الحربية، فإنه اجتمع لما تطوع ودعا الى انكار المنكر، زهاء خمسمائة ألف انسان، كما هاجوا عند تأذيهم بمحمد[2]بن أوس وصعاليكه القادمين مع سليمان[3]بن عبد الله، فإن الصعاليك لما اسرفوا في الفسق والفجور، تهايجوا من جانبي مدينة السلام قاصدين منزل محمد بن أوس، فلقد كنت منصرفا في ذلك الوقت من جانب الغربي أريد الجانب الشرقي فوقفت موقفا اتبين فيه من يعدو من الجانب الغربي يريد منزل ابن اوس، وأحترست من الاسراف، وظننت أن من عبر الى أن أنصرف بالغنيمة والنهب أكثر من مائتي ألف إنسان، فهذا مما ينبغي أن تعتقده في هذه المدينة.

فاما القطع الذي مدينة السلام منه، فأفضل مواضع الأرض جميعا في الطيب والغذاء، وذلك أن أطيب حيز الدنيا بعد الأمن والعافية والعزّ والسلامة الرئاسة والشرف، صلاح الماء والهواء، فأفضل أنهار هذا العالم وأعذبه ماء واصحه هواء

---

[1] أحد الشطار الذين ظهروا في بغداد بسبب الظروف السيئة التي سادت بعد مقتل الخليفة الأمين سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م، وهو من اهل خراسان يكنى أباحاتم، ظهر في محلة الحربية سنة ٢٠١هـ/٨١٦م ودعا الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله، واتخذ من مسجد طاهر بن الحسين في الحربية مقرا له، واستقطب عددا كبيرا من عامة أهل بغداد وتمكن في مناسبات عدة من احراج السلطات حتى تمكن ابراهيم بن المهدي من هزيمته وحبسه وظل في معتقله حتى سنة ٢٠٣ هـ/٨١٨م عندما أطلقه الخليفة المأمون (الطبري:تاريخ،جـ٩،ص٢٥١ -٢٥٣).

[2] قائد الصعاليك الذين قدموا من خراسان الى بغداد سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م برفقة الوالي المعين سليمان بن عبد الله طاهر، ولما نقصت عنه الأموال اوعز الى صعاليكه بالاساءة الى أهل بغداد، فجاهروا بالفاحشة وتعرضوا للحرم والعبيد والغلمان، فلم يكن أمام أهل بغداد سوى التصدي لـهم، وايقاف استهتارهم، فتمكنوا من هزيمة هذا العاتي وقتل أعداد كبيرة من صعاليكه وتعقبه محلة محلة وبيتاً بيتاً حتى أخرجوه من بغداد مرغما (الطبري:تاريخ،جـ٩،ص٣٩٩ - ٤٠٥).

[3] يقصد سليمان بن عبد الله بن طاهر الذي تولى ادارة بغداد سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م، توفي سنة ٢٦٥ هـ/٨٧٨م(ابن خلكان:وفيات الاعيان،جـ٣،ص١٢٣).

وأكثره خيرا، دجلة والفرات، ذلك أن الفرات يسيل الى بغداد بجميع الشام وسواحل بحر الروم ومصر وما وراء مصر الى المغرب، وما بين المغرب ونهاية العمران في الشمال ما يأتي به أيضا من قطع بحر الشام عرضا حتى قرب من جزيرة نيطس وقسطنطينية، لأن الروم والأندلس والخزر والصقالبة والبربر على هذا البحر، فهو يقطع عرضا فيحمل الخزر من شماله الى جنوبه ويحمل الأندلس من جنوبه الى شماله ولذلك نعجب أن يؤتى بسبي الاندلس في دجلة والخزر في الفرات.

وهذا البحر من انطاكية الى جزائر السعادة ومنه خليج يخرج مما يلي الأندلس حتى يبلغ السوس الاقصى، ويصير من ناحية أنطاكية الى ناحية قسطنطينية ثم يدور حتى الخزر، وعلى ساحل هذا البحر طرسوس والمصيصة وطرابلس وصيدا ويافا وعسقلان والاسكندرية وعليه من ناحية قصر دمياط والفرما، وفيها قبرس وصقلية، فكلما كان على هذا البحر او وصل اليه او قرب منه فصار في جنوبه وأريد به العراق مما يلي ديار مضر، فطريقه في الفرات، وكلما كان في شماله وعدل به الى ناحية ديار ربيعة وبلاد الموصل واريد به العراق فطريقه في دجلة، ولدجلة أنهار تأتي فكلما قصد بها بلاد الموصل من أرمينية واذربيجان والفرات ودجلة جميعا يتصلان ببحر الحبشة الذي له ذنب مما يلي العراق من ناحية الأبلة، والأبلة أشد مواضع البحر دخولا في الشمال، والأبلة كأنها راوية لها الذنب ويمر الماء على شكل مثلث يتسع كلما بعد من الزاوية التي تلي الأبلة حتى يهجم على معظم البحر، ولهذا الذنب ساحلان وهما الضفتان يخرجان من الزاوية ويتسع بعدهما كلما طال امتدادهما، فأحد هذين الساحلين يقال له الأهوازي الفارسي، وهو الذي عليه دورق وماهرويان وجناباد وسينيز وسيراف وتيز ومكران والديبل، والساحل الاخر يعرف بالعربي وهو الذي عليه اليمامة وعمان ومهرة والشحر، وهذا البحر متصل بالصين.

فدجلة والفرات يتصلان بالبطائح ويتصلان منهما بالأبلة، ومن الأبلة يركب العراقيون من هذا البحر، فمن هذين النهرين خيرات أكثر الشرق والغرب والشمال والجنوب.

وقال ابن عباس: أوحى الله الى دانيال الأكبر أن أفجر لعبادي نهرين وأجعل مغيضهما البحر فقد أمرت الأرض ان تطيعك، فأخذ خشبة وجعل يجريها في الأرض والماء يتبعه وكلما مرّ بأرض يتيم أو أرملة او شيخ كبير ناشدوا الله فيحيد عنهما، فعواقيل دجلة والفرات من ذلك.

ومبتدا دجلة من أرمينية[1] الرابعة ثم تمر الى جانب قردى، وهي قرية الثمانين التي بناها نوح عليه السلام، ثم تمر بين باسورين، ثم تاخذ على بلد والموصل والحديثة والسن وتكريت وسرّ من رأى، وتصب في البطيحة حيث يفيض الفرات فيجتمعان ويمران بالبصرة ثم الأبلة ثم يصيران الى البحر.

ومخرج دجلة من جبال امد، ومخرج الفرات من بلد الروم، حتى يصب في دجلة، وبين بغداد وواسط يتشعب شعبا كثيرة الا ان عموده يمضي حتى يغيب بالكوفة ويصب مما يلي جنبلاء في البطيحة، وليس عموده الذي يصب بالبطيحة يأتي بخير من بحر الحبشة الذي مرقاه الأبلة، ولكن بسعته التي تتعرج من عموده ( )[2] يأخذ في نهر الرفيل، ويأتي الى المحوّل ونهر عيسى ويصب في دجلة بكرخ بغداد، فلما ركب هذين البحرين أو جاورهما فهم أهل الماء العذب والهواء العدي.

وأخبرني بشئ عجيب تذكره لعلماءعلى وجه الدهر، وذلك أنهم يقولون إن أقام الغريب ببلد الموصل تبين في بدنه فضل قوة، واذا أقام الغريب بالأهواز سنة تبيّن في بدنه وعقله نقصا، وأن الغريب اذا أقام بالتبت سنة دام سروره واتصل فرحه، وما نعرف لجميع ما قلنا سببا الا لصحة هواء الموصل وعذوبة مائها، ولرداءة نسيم الأهواز وتكدر جوّه، فأما علة التبت فغير معلومة.

وقال لي علي بن الجهم[3] انه قد سافر أسفارا ابعد فيها، مشرقية ومغربية، وأنه الزم نفسه العناية يتعرف طيب الهواء وعذوبة الماء، فلم ير موضعا أجمل للتمام في ذلك من أرباض مدينة السلام في الجانب الغربي.

وقد ظننت أن علي بن الجهم أفرط في هذا القول بالعصبية لحب الأوطان اذ كانت هذه الناحية منزله، ولقد كنت أفكر كثيرا في نزول الملوك المدائن من أرض الفرات ودجلة، فوقفت على أنهم توسطوا مصب الفرات ودجلة.

هذا على ان الاسكندر لما سار في الأرض ودانت له الأمم وبنى المدن العظام في المشرق والمغرب، رجع الى المدائن وبنى فيها مدينة وسورها، وهي الى هذا الوقت

---

[1] أرمينية الرابعة، تشمل شمشاط، قاليقلا، خلاط، ارجيش(البلاذري:فتوح، ص٢٣١).

[2] في القسم الذي حققه الدكتور صالح أحمد العلي(ص٨٢) "بعدما".

[3] أحد الشعراء المجيدين، له ديوان شعر، يوصف بأنه عالم بفنون الشعر، توفي سنة ٢٤٩ هـ/ ٨٦٣م(ابن المعتز:طبقات الشعراء،ص٣١٩ - ٣٢٢)

موجودة الأثر وقام بها راغبا عن بقاع الأرض جميعا وعن بلاده وطنا حتى مات، وقد كان بنى بخراسان العليا سمرقند ومدينة الصغد وبخراسان السفلى مرو وهـــراة، ثـم بالمغرب الاسكندرية، وبنى بالهند سرنديب، وبناحية أصبهان جيّ، وبنى مدنا أخـــرى كثيرة حول الأرض فلم يختر منزلا الا المدائن، وانما سميت المدائن المدينـــة العتيقـة لأن زاب الملك الذي بعد موسى عليه السلام انشأها بعد ثلاثين سنة من ملكه، وحفـــر الزوابي وكورها وجعل المدينة العظمى المدينة العتيقة.

يقول العجم: ان الضحاك الملك الذي كان له بزعمهم ثلاثة افواه وست أعين بنـــى مدينة بابل العظيمة، وكان ملكه ألف سنة الا يوما واحدا ونصفاً، وهـــو الـــذي أسـر افريدون الملك فصيره في جبل دنباوند، والموسم الذي أسر فيه تعده المجـــوس عيـدا وهو المهرجان.

وقد بنى بهمن بن اسفنديار همينيا، وبنى شابور[١] بن هرمزد ذو الاكتـــاف فـــيروز شابور وهي الأنبار، فأما لم سميت هذه الناحية من البلاد ايرانشهر ومعناها بالعربيـــة بلاد ايران، فهو أن أفريدون لما قاتل بيوراسف قسم الأقاليم السبعة بيـــن ثلاثـــة أولاد كانوا له، فدفع الى ايران هذا القطع فعرف به، ولجلالة قدره وبلده حسده أخواه فقتلاه.

فأما انوشروان بن قباد وكان من أجل ملوك فارس حزما ورأيا وعقلا فإنه بنـــى المدائن وأقام بها هو ومن كان بعده من ملوك ساسان الى خلافة عمر بـــن الخطـــاب رضي الله عنه.

فأما الملوك الأول، اعني ملوك النبط وفرعون وابراهيم، فإنهم كانوا نزولا ببـــابل، وكذلك بخت نصر الذي تزعم السير انه أحد من ملك الأرض جميعا انصرف بعدمـــا احدث، يعني اسرائيل ما أحدث الى بابل.

وكفاك ان الاقليم الرابع أجمع يعرف باقليم بابل وحدود هذا الاقليم علـــى مـــارواه بعض القدماء لا على ماذكره المنجمون واصحاب الأثر والنظر فـــي امـــور الاقـــاليم بعروض البلدان ومقادير ساعاتها وارتفاع أنصاف النهار في كل بلد فـــإن هـــؤلاء اذا حصلوا أمر بغداد قالوا: عرض وسط الاقليم الثالث أي ان بعده من خـــط الاســـتواء ثلاثون درجة واثنان وثلاثون دقيقة وعرض وسط الاقليم الرابع ست وثلاثون درجـــة وتسع دقائق.

---

[١] أو سابور.

فبغداد إذا عندهم كأنها بين وسطي الإقليمين إلاّ بقدر بالاثنين والثلاثين الدقيقة التي يزيدها وسط الاقليم الثالث على الثلاثين الدرجة، وكذلك يقولون إن ساعات وسط الاقليم الثالث أربع عشرة ساعة وساعات الاقليم الرابع أربع عشرة ساعة وخمس ساعة، فساعات بغداد عندهم كأنها وسط بين ساعات الا بقدر ما بين النصف الذي مع ساعات الاقليم الرابع وبين الخمس الساعة الذي مع ساعات بغداد على مايقوله المنجمون المحصلون، فأما ما يقوله أولئك الرهط فإنهم يقولون: ان بغداد من الاقليم الرابع ويقولون أن حدود هذا الاقليم مما يلي أرض الهند، الديبل ومما يلي أرض الحجاز، الثعلبية،ومما يلي الشام، نصيبين، ومما يلي خراسان، نهر بلخ، فقد دخل فيه ما دون النهر من خراسان والجبال كلها، والعراق ودجلة كلها، لم يعرفا لا ببابل وأنت تعلم أن الناس إنما ينسبون الشئ الى الأفضل المشهور، فلو بابل لم تكن كذلك ما نسبوا الإقليم إليها، وذكرأصحاب السير أن بابل إنما سميت بابل لأن الألسن اختلفت بها وتبلبلت فيها وان الملوك والناس اجتمعوا فيها ثم تفرقوا منها.

فاما ذورثيوس[1] الحكيم فإنه في صدر كتبه الخمسة التي في المواليد وابتداء الأعمال هذا القول: اني قد وطئت بلادا كثيرة حتى أتيت الى البلاد العامرة ذات الأرباب الكثيرة ومصب الفرات وهي أرض بابل ذات الابنية المنيفة والقصور المشيدة.

ومع هذا فإن هذا الإقليم وسط الاقاليم السبعة والمعتدلة، وذلك الموضع الذي ينقسم الزمان أربعة اقسام فلا يخرج فيه من الشتاءالى الصيف حتى يمرّ بنا فصل الربيع ولا يخرج من صيف الى شتاء حتى يمرّ بنا فصل الخريف، وكفى بهذا الاقليم فضيلة أن أكثر أموال المملكة تجبى منه لفضل عمارته وخيره من غير ان يحتاج له من النفقة إلا الى الجزء اليسير من ارتفاعه، وغيره من الاقاليم ربما احتاج الى ان ينوبه غيره ويقوم به سواه فيكون عالا مع كزازة[2] اهله وتباعده من الاعتدال، ولا سيّما السادس والسابع والأول والثاني، فأما الثالث والخامس فلأنهما يقيدان الرابع المتوسط ويكتنفانه وهما يشبهانه في كثرة الخير وقلة المؤونة وحسن الاعتدال، ويقال ان الملك الأعظم والمدبر الأكبر ينبغي ان يكون منزله هذا الموضوع أعني الإقليم الرابع.

---

[1] عند ابن النديم(الفهرست،ص٤٣١) كتاب الخمسة، هو كتاب واحد يشتمل على خمس مقالات.

[2] جاء في لسان العرب لابن منظور (جـ١٢،ص٨٥)، الكز: هو اليبس والانقباض وعدم الانبساط.

ومن الإقليم الرابع اشتراك دجلة والفرات، فإن بغداد إنما بعدت عن حقيقة قبة الأرض ووسط ما بين المشرق والمغرب وعشرين جزءا فقط، وهي بالحقيقة وسط ما بين خط الاستواء ونهاية العمارة في الشمال، وذلك ان المنجمين يقدرون نهاية العمارة في الشمال ستة وستين جزءا عن خط الاستواء، وبعد بغداد عن خط الاستواء، النصف، وهو ثلاثة وثلاثون جزءا، فالمدبر اذا توسّط في هذا الموضع كان بعده من افريقية وبرقة وصنعاء اليمن والشاش وفرغانة وباب الأبواب التي عملها أنوشروان حاجزا بين أرض الفرس والخزر في البحر الخراسان شبيها بالمتقارب، ولو ذهب مدبر برقة وأفريقية ومخاليف اليمن ومن هو مقيم وراء النهر من خراسان لما انتظم التدبير، وكذلك لو دبرت ممالك بعد خراسان وثغر أرمينية من الإسكندرية والفرما لما صح ولا انتظم.

ولقد كان أحد أسباب انتقاض امر بني أمية نزولهم الشام، وذلك أنهم اضطروا إلى ان يكاتب عمال خراسان صاحب العراق لقرب المسافة في اتصال الأخبار وإمضاء التدبير، فلما ولّوا نصر بن سيارالليثي[1]خراسان أمر ان يكاتب يزيد بن عمر بن هبيرة، فخاف نصرعلى مكانه، فكان نصر إذا كتب من خراسان في أمر المسودة لم ينه يزيد خبره الى مران؛ لانه كان يحب ان يقتل نصر، ونسي يزيد ان غلبة ابي مسلم على خراسان سبب الغلبة علىالجبال وان ذلك إذا استحكم لم تكن له همة الا نزول العراق فلما انطوى عن مروان[2]بيزيد بن عمر، اجتاز نصر بن سيار أفسد وجه التدبير، ولو كان مروان بالعراق مقيما لم يحتج ان يكون يزيد بينه وبين خراسان متوسطا.

ومروان بن محمد كان شيخ بني مروان وعضلتهم وشيخهم وذا التجربة منهم، وكان ذاهنا فطنا وكان لذاك ينسب الى الزندقة، وإنما سمي مروان الجعدي بالجعد بن

---

[1] اخر والٍ للأمويين على خراسان، قتل سنة ١٣١هـ/ ٧٤٨م (الطبري:تاريخ، جـ٧،ص٤٠٣ - ٤٠٤).

[2] يقصد الخليفة الأموي الاخير مروان بن محمد الملقب (بالحمار) الذي قتل على يد العباسيين سنة ١٣٢ هـ/٧٤٩م.

درهم[1]، رجل كان يرمى بالزندقة، وكان مؤدب مروان فيقولون إنه هو فتح له بابها وحمله عليها، ولم يزل مروان عاملا لخلفاء أهله من بني أمية على ثغر أرمينية[2] دهرا طويلا يفتح الفتوح ويقارع الأعداء.

ويروى ان المهدي سأل المنصور، فقال: كيف كان يا أمير المؤمنين أمر مروان ؟ فقال المنصور: لله در مروان، ما كان أسوسه وأعفه وأشجعه، ولكن خانه أمناؤه وطووا الأخبار عنه، ولقد كان نصر بن سيار في ذلك الوقت فارس خراسان، فلم يزل ينصح ويكاتب ابن هبيرة ومروان لا يعلم بما هو فيه، فلما طال ذلك عليه قال شعرا فيه:

أرى تحتَ الرمادِ وميضَ نارٍ وأوشكَ ان يكونَ لها ضرامَ

فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظٌ بني أمية أم نيام

فلم ينفعه ذلك شيئا، فماطل ابن هبيرة نصر بن سيار حتى ذهب الفرع والأصل، وكان أمر ألله مقدورا.

ومن الأسباب المؤكدة لصلاح موضع بغداد أن المنصور كان أحزم ملك وخليفة ولي منذ عهد معاوية إلى هذا الوقت، وقد جال الأرض فبلغ طنجة وأقام بالبصرة ودخلها غير مرة، وكان نزوله فيها على رجل يقال له أزهر السمان[3]، وقد كان ايضا ولي كورة من كور الأهواز أيام بني أمية وكان في أصحاب عبد الله بن عبد الله بن

---

[1] قتل بأمر من الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) بعد اتهامه بالزندقة (أبن النديم:الفهرست،ص٢٢).

[2] تولى مروان بن محمد ولاية أرمينية سنة ١١٤هـ/٧٣٢م وبقي فيها حتى سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م وخلالها نظم جبهتي أرمينية وآذربيجان العسكريتين، وكان لحسن قيادته الأثر الأكبر في أتساع نطاق الفتوح العربية الاسلامية في هذه المناطق (ينظر:الطبري:تاريخ،جـ٧،ص٩٠، ٩٩؛ ابن أعثم الكوفي:الفتوح،جـ٤، ص٢٨٩).

[3] عن نزول الخليفة أبي جعفر المنصور على ازهر السمان قبل خلافته (ينظر:الطبري: تاريخ،جـ٨،ص٧٧).

جعفر بن ابي طالب[1]، لما خرج على بني مروان، وبلغ معه الى أصبهان، فكان يحج ويجاوربمكة ويدخل الكوفة فيقيم بها أيضا، وجول بلدان الجزيرة وديار بني ربيعة ومضر وكان مع ابيه وعمومته بالشراة وكان مع هذا طلاّبه للأدب والعلوم محبا للسياسة بعيد الهمة، وكان جيد الرأي والتدبير، وتمثل لما قتل أبا مسلم واراد بهذا البيت انه لم يشاور احدا:

طوى كشحه عن أهلِ كلِ مشورةٍ　　وبات يناجي نفسه ثم صمّما

وهو الذي يقول فيه ابن هرمة وذكر انه لايشاور أحدا فيما يهم به:

اذا ما أراد الأمرُ ناجَى ضميره　　فناجَى ضميرا غير مختلف العقلِ

ولم يشركِ الأدنين في جلّ امرهِ　　اذ انتقضتْ بالأضعفين قوى الجبل

وهو الذي قال لعيسى بن موسى لما استرجع حين رأى ابا مسلم على طرف بساط قتيلا: ياعيسى ! لاتسترجع واحمد ربك، فإنك هجمت على نعمة ولم تهجم على مصيبة وتمثل:

ومالعجزُ الا أن تشاورَ عاجزا　　وما الحزنُ الا أن تهمَّ وتفعلا

فبهذا الحزن وهذه التجربة وبعد هذه الهمة والأسفار الكثيرة و مشاهدة البلد البعيدة، رأى ان يختارهذا الموضع مدينة ومنزلا مستقرا، هذا وخراسان تنهض، وفي أكناف الشام جماعة من بني أُمية يحاولون طلب الملك، وبالحرمين طالبيون يرون انهم أحق الناس بالملك، ثم لما عزم على بنائها ورآها أهلا، وكل بها جلّ قواده ورؤسائه، فقسمها أرباعا ودفع كل ربع الى قائد ووكله ببنائه، ولقد أمكن المنصورالإشراف على خراسان عند خلع عبد الجبار[2] بن عبد الرحمن اياه، حتى اخذه أسيرا، كما امكنه

---

[1] ذكر الطبري (تاريخ،جـ٧،ص٣٧١ -٣٧٤) في احداث سنة ١٢٩ هـ/٧٤٦م، ان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب شخص الى المدائن واقام بها فبايعه اهلها مع قوم من اهل الكوفة، وخرج الى الجبل وغلب عليها وحقق انتصارات عدة وغلب على فارس كلها، لكنه هزم فيما بعد، وتفرق اتباعه.

[2] عامل الخليفة أبي جعفر المنصور على خراسان لكنه أساء التصرف بالسلطة الممنوحة له، فأكثر القتل برؤساء أهل خراسان، ولقد بلغ ذلك الخليفة أبا جعفر المنصور فعزله، لكنه امتنع عن تنفيذ أمر الخليفة، الأمر الذي دعا بالخليفة المنصورالى ارسال حملة عسكرية بقيادة ابنه المهدي سنة

الإشراف على مكة والبصرة عند خلع بني عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام، حتى بلغ من ذلك مراده لتوسط الموضع، ولتوسطه أيضا أمكنه ان يوجه المهدي الى الري وطبرستان وجرجان، وأن يوجه المهدي بالهادي الى جرجان، وأن يوجه المهدي بالرشيد الى صائفة الروم، وان يمضي الرشيد بنفسه يريد سمرقند، وأن يوجه المأمون لعبد الله بن طاهر الى مصر، ويشرف على بابك[1] بالجبال، وأن يفتح المعتصم طبرستان وعمورية ويأخذ بابك من البرّ، ولولا توسط بغداد لكان الأمر اعسر والمطلب أبعد والأخبار أبطأ والله يفعل مايشاء.

ومن غريب سعادة بغداد، انه لم يمت فيها خليفة قطّ حتف انفه، وذلك أن المنصور بناها وتوفي ببئر ميمون ودفن بمكة، وتوفي المهدي بالروذراور من عمل الجبل، وتوفي الهادي بعيسى اباد، وتوفي الرشيد بطوس من أرض خراسان، وقتل الأمين وحمل رأسه الى خراسان فهو في قهندز سمرقند، وتوفي المأمون بالبذندون بطرسوس، وتوفي المعتصم بسرّ من رأى، وقتل المتوكل بسرّ من رأى، وقد اقام بمدينة السلام ثلاثة من الخلفاء عمر كل واحد منهم نيفا وعشرين سنة، وهم المنصور والرشيد والمأمون، ولم يمت بها منهم أحد.

وقد قيل: إن نوبخت اختار لبنائها وقتا طالعه القوس وصاحبه المشتري وذكر بطليموس[2] في برج المدينة اليه طالع الوقت، أول البرج الذي فيه القمر في الوقت، قال: وإن جهل ذلك من أمر المدينة، فمعرفة ذلك من طالع الملك الذي ابتناها، والحق

---

١٤١ هـ/ ٧٥٨م للقضاء عليه، ولقد تمكنت هذه الحملة من هزيمته وأسره والمجيء به الى بغداد ومن ثم قتله(الطبري:تاريخ،جـ٧،ص٥٠٨ - ٥٠٩).

[1] هو بابك الخرمي الذي ظهر في مدينة البذّ من اعمال اقليم الجبال سنة ٢٠١ هـ/٨١٦م وقد أساء السيرة، وظل يعيث فسادا طوال عشرين سنة حتى وجه الخليفة المعتصم في سنة ٢٢١ هـ/ ٨٣٦م قائده الأفشين الذي تمكن بعد سنتين من هزيمته وأسره وتفريق اتباعه والمجيء به الى سامراء، وقد أمر الخليفة المعتصم بصلبه (الطبري:تاريخ،جـ ٩،ص ١١ - ١٣، ٥٤).

[2] يرى ياقوت الحموي(البلدان،جـ١ ،ص٤٥٧)، ان التحديدات التي نسبت الى بطليموس في كتابه(الملحمة)عن بغداد، ربما تفسيرات او قياسات لكلامه، فبغداد احدثت بعد بطليموس بأكثر من ألف سنة.

أن يكون طالع مدينة السلام وطالع منشئها واحد، وذلك لسعادتهما واتفاق جميل الوصف لهما وفيهما، وأنشد لدعبل يمدح بغداد ويذم سرّ من رأى:

بغدادُ دارُ الملوكَ كانت ... حتى دهاها الذي دهاها

ماغاب عنها سرورُ ملك ... اعاره بلدة سواها

ماسرّ من رأى بسرّ من رأى ... بل هي بؤس لمن راها

عجل ربّي لها خرابا ... برغم أنف الذي بناها

شعر:

يادار أقوت وخف عامرها ... أيام تصطادنا جاذرها

أيام نحن بجيرة خلط ... ينام قبل العشاء سامرها

اذ هي مثل العروس باطنها ... دل يصيد الهواء وظاهرها

جنة دنيّا ودار معبطة ... قل من النائبات واترها

كدرة البحر ضمّها صدف ... غالى بأغلى البلاد تاجرها

درت خلوف البانها لساكنها ... وقل معسرها وعاسرها

وأفترشت بالنعيم وانتفجت ... لهم بلذاتها خواصرها

فالقوم في روضة أنف ... اشرف غبّ القطار زاهرها

ومن غرّه العيش في بلهنية ... لو أن دنيّا يدوم غابرها

دار الملوك قرّت اسرتّها ... فيها وقرّت بهم منابرها

أهل القرى والندى واندية ... المجد اذا عددت مفاخرها

أبناء دنيّا في عز مملكة ... عزاها لهم أكابرها

وقال يزدجرد في مهبنداد الكسروي: قد أكثر الناس في مدينة السلام اكثارا لم يحصلوا منه دليلا، ولا أفادونا به محصولا، ولم يزيدوا على ان يقولوا بلد ولا تشبه البلدان، وما أعجب الأمر فيه، وأبعد الشأو في تحديد من به من ساكنيه، وأعظم شأنه في الشؤون، وأعسر كون مثله على الدهور والسنين، كما لا يزيدون على أن يقولوا: فيه مائتا ألف حمام بل الضعف أو كالضعف من ذلك، ومن المساجد كذا ومن الطراز كذا، فإذا أخذوا أو أكثرهم بتحصيل العلم في بدائع البلد وغرائب أنواعه حصلوا على خير قليل وحكم معلوم.

ونستفتح القول باتباع أعدل الكلام وأبين الكلام، ولا نقول كالذي قالوه في عدة الحمامات وأعتقدوه في كثرة الدور والمساجد والطرازات، إشفاقا من الاسراف على السامعين، فانا إذا وجدنا كثيرا من الخاصة والعامة مذعنين بعدة الحمامات وأنها مائتا ألف حمام دون ما هو فوقها من الزيادات، ثم قال اخرون بل هي مائة ألف وثلاثون ألف حمام، واقتصر المقال على مائة ألف وعشرين ألفا، وهذا قول الشاه بن ميكال وطاهر بن محمد بن عبد الله، وكانا قد وقفا على ذلك من جهات وقتلاه علما من أمور صححت لهما ذلك حتى علماه ووقفا عليه واتقناه.

وقد قال قوم بالزيادة على هذا وقال غيرهم بالنقص فرجعنا عند اختلافهم الى حدّ رجونا أن يكون عدلا مفروضا وحكما مقبولا، وأقتصرنا من عدد الحمامات على ستين ألف حمام إستظهارا، وجعلنا العلة في ذلك ان نأخذ بأوسط ما ذكروه من أعدادها، وما وجدنا الخاصة أو أكثرهم يدعيه في اعتقاده، وهو مائة وعشرون ألف حمام[1] وبه قال الشاه وطاهر فأقتصرنا على النصف من المائة والعشرين الفا لئلا يقبح في التقدير وتجفوا عنه الاسماع.

---

[1] قد يبدو مما ذكر من أعداد كبيرة جدا للحمامات في بغداد آنذاك من قبيل المبالغة، لكن الهلال بن المحسن الصابيء (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م) لايرى أي مبالغة في ذلك فيقول في كتابه (رسوم دار الخلافة،ص٢٠-٢١) ما نصه"ولقد كنت أعجب من الحكايات المختلفة في ذلك وما كان يقال قديما حتى قام برهان منه وهوانه قد اتخذ بباب المراتب المعمور في ثلاثين دارا مسكونة منه بعدما غيبة عنه خمسة عشر حماما، فاذا كان ذلك في هذه الدور القليلة والعدة من الخواص القريبة، فما كانت عدة خواص الناس في أيام المعتضد رحمة الله عليه من الوزراء والكتاب والحواشي والأصحاب والأمراء والقواد والأشراف والقضاة والشهود والتناء والتجار وأولي المروات والأحوال الوافرات

ثم نظرنا بقدر ما تحتاج اليه كل حمام من القوام الذين لا قوام لكمال الحمام بما هو دونهم، فوجدنا كل حمام يحتاج الى أربعة نفر لابد لها منهم: صاحب الصندوق والقيم والوقاد وكناس الوقود، وربما أطاف بالحمام الواحد الضعف على هذه العدة، ولكنا ركبنا سنن الأستظهار في هذا المعنى وفي جميع ما تضمنا قصر القول به ليكون معينا على انتحاله، وأمانا من ابطاله.

فإذا وجدنا عدة الحمامات على مارتبنا ببغداد وهو ستون ألف حمام، فقد حصل عدد من ذكرناه من القوام وغيرهم ممن لا بد للحمام منهم، مائتا ألف وأربعون الف قيّم وغيرهم، ثم وجدنا العيان وجدنا حكما ثانيا وهو ان نجعل على التقريب استظهارا لكلّ حمام حجامين، فيحصل لنا أيضا من عدة الحجامين مائة ألف وعشرون ألف حجام، فيكون عدة الحجامين وأصحاب الحمامات ثلاثمائة ألف وستين ألف حمامي وحجام، ثم فرضنا ايضا بهذا التقريب والممكن المقرون به لكلّ حمام مائتي منزل قياسا على تريب المنازل والحمامات المعدودة بمدينة المنصور، فإنا وجدناه بحق كلّ حمام بها من المنازل نيفا على أربعمائة منزل، فأستظهرنا بإسقاط ماهو أكثرمن النصف وفرضنا لكلّ حمام مائتي منزل فأجتمع من ذلك اثنا عشر ألف ألف منزل، ثم وجدنا المنازل قد يجتمع في الواحد منها عشرون انسانا وأكثر، وفي غيره انسانان أو ثلاثة وما هو أقل من ذلك وأكثر، فأحتجنا الى قسمة عدد يعتدل به العدد، فأسقطنا من العشرين نصفها وزدناعلى الثلاثة ضعفها، ثم أمددنا الاستظهار للحاشيتين معا، فنقصنا من العشرة سدسها وزدنا على الستة سدسها وجبرنا الحاشيتين ليحصل لنا أشرف نسب الأعداد وما يليق شكله بالحيوان وقسمة العمران وهو الثمانية من الأعداد فإنه نصف قطر المتقبلين بأمر الفروض، فأجتمع لنا في كل منزل ثمانية نفر رجالا ونساء صغارا وكبارا، فأجتمع لنا من عدد الجماعة ستة وتسعون ألف انسان[1].

..... وإذا ثبت هذا القول، أطردت تلك الدعوى، ووجب أن يكون قول المكثر أغلب من قول المقتصر".

[1] لايستبعد الهلال بن المحسن الصابيء (رسوم دار الخلافة،ص٢١) ايضا هذا العدد المرتفع لسكان بغداد انذاك، الذي جاء عن طريق احصاء الحمامات والمنازل والمساجد وقسمتهاعلى عدد الساكنين، لأن هذه المدينة تقع على نهر دجلة الذي يخترقها، وقد عقدت عليه ثلاثة جسور.

وقد قال الناس في أحوال البصرة وتفخيم شأنها أقاويل مختلفة يشبه بعضها بعضا، ففريق زعم انها أعظم في مقدارها وأوضع في اقدارها من مدينة السلام، وقال اخرون: بل هي في قدرها سواء، وقالوا: بل هي دونها وأصغر حدا من حدها، ولم نرد في اختصاص أقاويلهم هذه في البصرة تمثيلا أو تجميلا بين بغداد وبلد في العالم جميعا من البلدان سواها، ولا شيئا بذلك أكثر من تفخيم أمر البصرة وأنها من الامهات العظام ومن المدائن الجليلة من بلدان الاسلام، ثم وجدنا حالا من الزمان قد ألجأ أهل البصرة جميعا كما ألجأ أهل الأبلة وسائر كور الأهواز وجميع العمران من كور دجلة ودستميسان وكسكر وأجام البريد وما بين هذه المدائن العظام وبين واسط العراق من الأنهار المشحونة بالحيوان الناطق برا وبحرا، ثم كان بواسط من أهلها وسوادها ولكور الصلح وكور المبارك ومأهولها، وفي حيزها من القرى والبقاع المشحونة بالناس الى مدائن النهروانات الثلاث، وما هو يكور النهروانات وبأزائها من الضياع وسقي جوخا، الى حدود بادوريا وباكسايا وحدود البندنيجين وسوادات طريق خراسان الى بطن المدائن، ثم من كان في الجانب الغربي كمدائن الزوابي وسقي نيل الفرات وفم النيل الى سوادات الكوفة وباروسما ونهر الملك ومالابس الصراة الى حدود جنبلا الى كثير مما لم نذكره ونحصيه، ولا نعلمه فنستوفيه، فيما بين كل بلد وقراه، وكل قرية ونظائرها ممن لا يحصي عددهم ولايعلم كنه مددهم الا خالقهم مستجيرين بمدينة السلام، فلم يلبثوا فيها ولا أغلوا منها سعرا، فإذا وجدنا هذا الحيوان الناطق الذين هم الناس، قد شغلوا من مساكنهم وأوطانهم مكانا من الأرض عريضا وملأوا منها فناء فسيحا، قد ورد بهم المقدار وساقتهم الأقدارمستجيرين محلا لاتضيق بهم دياره، ولا تمتلئ منهم أقطاره، ولاتغلوا بكثرتهم اسعاره ولايتحاكم في أقواتهم تجارة، ولايعجز عن ميرتهم ممتارة ولايحس اهلها بالواردين منهم اذا اتوا، ولا الصادرين إذا مضوا.

أفتحسب ايّها الانسان أن بلداً واحداً لا تخيل علينا أقطاره، ولا يذهب عنا مقداره ولا تشتبه علينا طرقه ولا فضل في مسالكه، يسع اجراما فتحركه وأجساما فتصرفه، لا مقدار لعددها ولا سبيل الى احصائها، ثم لايكون كثرة الناس فيه، وتحركهم في حواشيه إلا قريبا مما كانوا وشبيها بما عرفوا إن هذا لشأن عجيب وأمر ظريف.

وسنأخذ العيار من أخصر وجوه الكلام، ثم نجعل ذلك بين حالين لا يخرجان عن تحصيل الخاصة، كما لايذهبان عن عقول العامة، يشتمل عليهما البرهان الموصول بحجة العيان.

ونصير الى ذكر المسجد الجامع في الجانب الغربي بمدينة المنصور فنحصله ذرعا مكسرا ثم نقسم ذلك على المصلين فيه في اخر جمعة يجمع الناس من الشهر الشريف، أو أولها، بعد ان نعلم ان كل مصلّ سيشغل مركزا للصلاة لركوعه وسجوده وقيامه وقعوده ويكون خمسة أشبار في شبر لا تصح الصلاة بما هو دون ذلك من المراكز، ثم نضيف الى أرباب الصلاة ببغداد الذي سلف منا ذكرهم من أهل البصرة والأبلة وسائر الكور التي عددناها، والمدائن التي ذكرناها وما هو بين ذلك وعن يمينه وشماله وخلفه وقدامه، فنجعلهم ضعفا لمن ضمّت بغداد من أهلها الراتبين فيها، وان كان بالواجب في كثير من الأقاويل أن يكونوا أضعافا مضاعفة على ما ضمتة من اهلها ومساكنها، وقد قلنا: ان عدد من ببغداد من الناس رجالا ونساء، صغار وكبارا ستة وتسعون ألف ألف انسان، إذا اضعفوا بمن اضيف اليهم مائة واثنان وتسعون ألف ألف انسان ثم سقط من هذه العدة بحق النساء والصبيان والمريض وأهل الذمة، وقد ذكرنا قدر مركز المصلي وأعلمنا انه خمسة أشبار يضبط بها ركوعه وسجوده وقيامه وقعوده في شبرين لا تطيب الصلاة في دونها، وقد حصل من ذرع المسجد الجامع الغربي دون رحابة وما يزيد فيه مائتا ذراع في مائتي ذراع يكون مكسرا أربعين ألف ذراع وجبرنا رحابه وهي دونه في الذرع فجعلناها في القسمة مثلها فكانت مائتي ذراع في مثلها، فصار جميع ذرع المسجد الغربي في رحابه وأركانه وأساطينه، فأسقطنا حصتها من الذرع استظهارا ثمانين ألف ذراع مكسرة معها من أهل الصلاة بها على ما فرضنا من مركز الصلاة الواجبة من عدد الناس اثنان وثلاثون ألف انسان وهذا حكم القول في المسجد الشرقي منها ونحوه فيكون اذا جمعنا ما يسع الجانبين ورحابهما من المسجد المصلين على ما ذكرنا أربعة وستين ألف انسان وهو جزء واحد من ألف جزء ممن قدرنا انه يحضر، وهو الثلث من جميع أهل مدينة السلام ومن ذكرنا.

وهذا يرحمك الله عدة يستغرقها دون عدة الحجامين وقوام الحمام بمدينة السلام كما قد سلف من القول بكثير جدا، فإن الذي قرب البعيد وبسط القريب وجعل الصغير كبيرا والكبير صغيرا هو الذي استودع عقولنا الإقرار بقدرته على توسعه على ما لا سبيل الى اتساعه إلا به، ولاحيلة في حطة وارتفاعه إلا عنه، والله يريكم اياته فأي ايات الله تنكرون أفليس الواجب علينا الإقرار إذا بما لايدفع الإقرار به من قدرة الله إلا عنادا واعتداء.

واذا اتسع القول بأن الله عز وجل يلطف لخلقه لطفا يبسط به البعيد ويطــوي بــه القريب، أمكن من ذلك ان الله يبسط لأقرب خلقه إليه وأعزّ بقاعه عنده أو على ما شاء كما شاء.

ولا أرى الواقفين باتساع قدرة الله يجهلون برأي العين قدر مساحة المسجد الحــرام بمكة أو يحتجون عن إدراك من نفذ إليه من مشارق الأرض ومغاربها، فإنه يذكر كثير ممن لا يتهم في تميزه وذكره، كما ليس بظنين في دينه وستره المجتمع من عدد الحــاج في المسجد الحرام ألف ألف وخمسمائة انسان، وذلك هو الحدّ في الغاية التي لا مزيــد عندهم فيها، وان الجد في الغاية لا انتقاض معها هو أن يكونوا ستمائة ألف إنسان، وقد وجدنا مساحة المسجد الحرام مع البيت طولا وعرضا ثلاثمائة ذراع في مـــائتي ذراع يكون ذرعا مكسرا بستين ألف ذراع، وجعلنا المصلي فيه أن يأخذ من مساحة المســجد استظهاراً وتقليلاً ذراعاً في ذراعين يكون لركوعه وسجوده وقيامه وقعــوده، فيكــون قدر ما يحتاج إليه الغاية القصوى الذين قلنا انهم ألف ألف وخمسمائة ألف إنسان مـــن الذرع لما فرضنا ثلاثة الاف انسان وذلك خمس العدد الذي يذكرون.

وهكذا لو عملنا حساب ستمائة ألف إنسان ما كان ايضا إلا خارجا عـــن صــورة القياس جميعا، أفحسبت أيّها الواثق بما غاب عنه من حكم الله والمقر بالخفي عليه مــن قدرة الله، ان القياس أن يسع المسجد الحرام من هم أوسع من أضعافه أضعافا مضاعفة وهو برأي العين ما وسعوه قط قد أطردت الآن وجوه الكلام بأن الله عز وجل يلطــف لخلقه من لا يحتسبون ويصنع لهم من حيث لايشعرون، ووصلنــا مــن القــول ان الله بقدرته يبسط للناس المسجد الجامع بمدينة السلام ليس من لايســعهم فــي رأي العيــن اضعافه ذرعا ومساحة.

واذا أمكن ان يقول ان الله عز وجل يبسط بالزيادة على قدر المساحة ذراعا واحــدا، جاز ان يقول باعا واحداً وإذا جاز ان يقول باعا واحدا جاز ان يقول فرسخا واحــــدا، واذا جاز ذلك القول بفراسخ كثيرة، إلا ان الله عز وجل لم يعطنا القدرة على علم ذلــك ومعاينة مثله، وإذا تتابعت الايات وتناسبت العلامات وتمكنت الــدلالات رجونــا بــها زوال الشبهات واستقبال الحقائق الممكنات.

ونقول انه بالواجب، متى استجاز أرباب المدائن المشهورة التي ذكرناها والبقـــاع العظام التي أشرنا اليها وأحصيناها بمدينة السلام حتى يحلوا بها ويستوطنوا فيـــها، ان يضعف عدد المساكن بها وتتضاعف المنازل في حواشيها وأوساطها للعـــالم الــوارد

والداهم الوافد، وقد قلنا ان من الممكن القريب ان يكونوا في عددهم ضعفا لمن ببغداد من اهلها قياسا صحيحا وحكما لازما كما قد قلنا بما رتبناه ونزلنا القول فيه وقرأناه، ان عدد المنازل ببغداد اثنا عشر ألف ألف منزل، وجدنا العيان قد أوجدنا أن منزلا منها لايكاد يخلو من مصباح ينير فيه ليلا يتقد بدهن البزر، ثم لا يعسر علينا ان نقول: إن في هذه المنازل ما يوقد فيه أمنان[1] عراقية وأرطال[2]من دهن البزر الى ما هو دون ذلك القدر من الدهن، فإذا ضربنا قدرما يحتاج اليه في كل منزل في كل ليلة من دهن البزر قليلة بكثيرة وكبيرة بصغيرة، فرضنا لكل منزل في كل ليلة من دهن البزر أوقيتين بأواق[3]العراق، وقد حصل من عدد المنازل كما قدمنا اثنا عشر ألف ألف منزل سوى ما استظهرنا بإسقاطه من المستجيرين ببغداد عند خراب البصرة وسائر البقاع والمدائن العظام سنين متوالية واعواما متتابعة فحصل المصابيح القناديل حساب لكلّ منزل في كل ليلة أوقيتين من دهن البزر ألفا ألف رطل ثم وجدنا عدد الحمامات كما قدمنا ستين ألف حمام وحصة الحمام الواحد في كلّ ليلة من البزر ربع الرطل العراقي، فيكون بحق الحمامات أيضا في كلّ ليلة خمسة عشر ألف رطل أيضا، ويكون جميع ذلك ألف ألف رطل وخمسة عشر ألف رطل، ثم أمددنا الاستظهار بمثله من الاستظهار فأسقطنا ما تحتاج اليه الحمامات، عملا على ان في المنازل ما لامصباح فيه، وما لايكون مصباحه بدهن البزر، وهي خمسة عشر ألف رطل بزر، كما أستظهرنا بإسقاط ما كان يحتاج إليه أرباب الكور المضافة الى بغداد عند خراب البصرة وأقتصرنا على ماوجدناه قولاً مبلغا وهو ألف ألف رطل من الزيت في الليلة الواحدة، يكون ثمنها على سعر زماننا هذا هو أعدل الاسعار ألف ألف درهم، وفي الشهر الواحد ثلاثين ألف ألف درهم وفي السنة الواحدة ثلاثمائة ألف ألف وستين درهما قيمتها عينا بسعر زماننا آثنان وعشرون ألف ألف وخمسمائة ألف دينار.

---

[1] مفردها منّ: ويساوي شرعا رطلين بغداديين، والرطل يساوي ١٣٠ درهما وتساوي ٤٠٦,٢٥ غم(هنتس:المكاييل،ص٤٦).

[2] الرطل البغدادي: يساوي الرطل الشرعي وهو يساوي في قول احدى المدارس الفقهية ٤/٧ ١٢٨ درهماً وفي قول مدرسة اخرى ١٣٠ درهما، أي ٤٠٦,٢٥ غم(هنتس: المكاييل،ص٣٥).

[3] مفردها أوقية: والأوقية البغدادية كانت تساوي ٦/٥ ١٠درهم وتساوي ٣٣,٨٥ غم (هنتس:المكاييل،ص٢٠).

ثم نظرنا في باب الزيت وفي قدر ما تحتاج إليــه مســاكن الخليفــة للمصــابيح والمطابخ وخبز الرقاق وسائر أنواع الخبز، ومن هو دون الخليفة وخاصته وبطانتـــه وولده وسائر حشمه، ثم ما يحتاج اليه من ذلك ايضا ولاة العهود ومن أطاف بهم مـــن خواصهم، ثم الوزراء وسائر الأمراء، ثم القواد ووجوه أرباب الســيف، ثــم الكتّــاب وعمالهم، ثم التناء وأرباب النعم وسائر الوجوه ثم وجود التجار وأربــاب الصناعــات الكثيرة ثم من هو أدنى من هذه الطبقات وأنقص من هذه الدرجات صغـــارا وكبــارا، خواصا وعواما، وفي الواحد من الجماعات ممن ذكرنا منازلهم واقتصصنــا مراتبــهم ممن يحصل في مستقره بمدينة السلام في كلّ يوم وليلة من الزيـــت مــا لا يحصـــى جرارا ولايعد رقاقا، وقد جعلنا ما قد يحصيه من الزيت ليوم واحد من شهر رمضــــان فضربنا قدر ما يحتاج من الزيت لمطابخ أمير المؤمنين وسائر ما يستعمل فيه الزيـت لمثله ومن دونه ومن الطبقات الفاضلة الى ان وصلنا الى من فـــي أصغــر الطبقــات وأيسر الدرجات من الناس ببغداد فجعلنا لكل منزل منها في كل ليلة من ليـــالي شـــهر رمضان أوقيتين من الزيت ليصلح القسمة ويأتلف الكلام فجعل من ذلـــك فـــي الليلـــة الواحدة ألف ألف رطل من الزيت ثم قسمنا بحق كلّ حمام عشرة مســـاجد ثــم زدنــا الاستظهار استظهارا فأسقطنا النصف من عدد المساجد فحصل لنا لكلّ حمــام خمســة مساجد فأجتمع لنا من عدد المساجد ثلاثمائة ألف مسجد وفرضنا لكل مسجد فـــي كــلّ ليلة من ليالي شهر رمضان من دهن الزيت لمصابيحه إذا ضربنا كثير ذلك في قليلـــه وصغيره في كبيره استظهارا رطلا واحدا، او في المساجد ما يستغرق أرطالا كثـــيرة فأجتمع من ذلك في الليلة الواحدة ثلاثمائة ألف رطل زيت.

ثم نظرنا في الإنفاق الممكن فإنه ليس يعسر أن ينفق الناس في الأعياد العظـــــام والأيام السعيدة بمثل مارتبنا عليه طبقات الناس في الحاجة الـــى الزيــت، ان تكــون الحاجة الى ذلك كالحاجة الى استعمال الصابون، وان نجعل لكل منزل واحـــد وعــدد المنازل اثنا عشر ألف ألف منزل في كل يوم من أيام شهر رمضـــان مـــن الصـــابون رطلا، فإن اوحشك القول بذلك فأسقط من عدد الديار ما ترى به زوال الشبه وامتنـــاع الريبة وهو النصف من عدده ليتمكن لك التظاهر بالعيان ويزيد لـــك ذلـــك فـــي قـــوة البرهان، فإن جمحت بك الظنون وحيل بينك وبين مناسبة اليقين فلك بحق الترخيم مـــن المنازل الثلثان ليكون الحاصل لحصتك في اليوم الواحد من ذلك الشهر أربعة ألف ألف رطل صابون فيكون حقها من الزيت استظهارا، ألف ألف رطل، يكون جميع ماذكرنـــه

في اليوم الواحد والليلة الواحدة من أيام شهر رمضان لمنازل الملوك والأدنى فـالأدنى من الطبقات ولمصابيح المساجد ثلاثة ألف ألف رطل وثلاثمائة ألف رطل زيت ويكون ثمنها بسعر زماننا هذا ورقا ثلاثمائة ألف الف وثلاثين ألف ألف درهم، تكـون عينـا ثلاثة ألف ألف وتسعمائة ألف وستين ألف دينار، وفي السـنة الواحـدة عينـا سـبعة وأربعين ألف ألف وخمسمائة ألف وعشرين ألف دينار.

ومن العام المشترك وما لاشتباه في حاجة العامة والخاصة إليه البقول المسـتعملة في كل يوم في كل منزل فإنها وان كانت ذوات الوان عامة وأنواع خاصة، وكان منـا من يبتاع منها بالدنانير والكثير من الدراهم، ومن منا لايصل الى المبايعة منها بمثـل ذلك، ومنها من يغب الخاصة منها ومنا من لاسبيل له الى أعم العام منها فإذا خصصنا من أيام السنة لاستعمال العام من البقول يوما واحدا وجعلناه أول يوم من شهر رمضان أو أول يوم من شوال ثم جعلنا الناس بين حاشيتين هما الغايتان كالخليفـة ارتفاعـا أو حارس الدرب اتضاعا لم نخل منزلا واحدا من الحاجة الى بقل بحبتين من الفضة فـي هذا اليوم الذي خصصناه دون سائر الأيام، ان زال الإقرار لأيام السنة جميعـا بذلـك وعدد المنازل اثنا عشر ألف ألف منزل، فيكون قدر مايرتفع من أخس اثمان البقول في يوم واحد دونما هذا دونه منها، فإنا اسقطناه لخصومـه كـاللفت والقنبيط والسـلق والسرمج والاسفاناخ والبصل واشباه ذلك، أربعة وعشرون ألف ألـف حبـة، ومبلـغ الحبات خمسمائة ألف درهم وفي الشهر الواحد خمسة عشر ألف ألف درهم.

وإنا لمستدركون شبيها بذلك في باب الأعناب في أوانها والأرطاب فـي أزمانـها وبقول اذا حصل لنا على الترتيب المتظاهر والتمثيل المتناسب تقريبا واستظهارا مـن عدد الناس بمدينة السلام ستة وتسعون ألف ألف إنسان، ثم أضفنا اليهم مثلهم في وقـت من الزمان من المستجيرين بهم من أهل البصرة والأبلة وكور دجلة وسوار الأهـواز والنهروانات والزوابي وسقي جوخا وكثير من أودية الفرات، اجتمع من ذلـك قريبـا مائة واثنان وتسعون ألف ألف إنسان ثم وصل بنا الى ابان الأعناب في أواسط أوقاتـها وأعدل أسعارها وأقوت الناس من الأعناب بمقادير مختلفة جدا تنقص وتزيد، إلا اننـي أرى الكبير والصغير والغني والفقير متكافئين في أكل الأعناب حتى لايتعذر على أحـد أن في أوان كثرتها واعتدال أسعارها دون اكله رطلا من العنب العـام، ثـم ضربنـا بعضا ببعض وجعلنا قدر ما يأكله كل انسان منهم من العنب رطلا واحدا في يوم واحد رجالا ونساء صغارا وكبار فقراء واغنياء، فكان مبلغ ذلك من أرطال العنب في يـوم

واحد مائة واثنين وتسعين ألف ألف رطل، فكان مبلغ ما اجتمع من هذه الأرطال على أقرب الأسعار المعتدلة في الأعناب العامة حساب اثني عشر رطلا بدرهم، ثم استظهرنا بأسقاط الأطفال والأمراض ومن لايأكل العنب بتة فسقط لهم من عدد الأرطال ستة ألف ألف رطل، فحصل من بعد ذلك عدد الأرطال تسعون ألف ألف رطل عنب.

أفحسبت ايّها المعتصم بالعدل والمتفرد بصحة العقل ان في البعض من ساعات اليوم الواحد والليلة الواحدة ما يتسع لمن ترى من قاطفي الأعناب ومعبئيها ووزانيها وهم الذين تراهم وترى ان يضعوا من ذلك ما لابقي به إلا من هو في حكم القياس أضعافهم عددا، ولكن لله نعم ينعم بها، ورحمة يلطف مقدارها عن مقادير عقول المربوبين وتدبير المدبرين، هو الإقرار له بطوله فيها وقدر على ما بسط علينا منها.

وستعترضك الشكوك فتستريب باليقين الباهر والبرهان المتظاهر حتى اذا شئت أن لاتنظر باحدى عينيك وتسمع بالواحدة من اذنيك، علمت أنك اذا رأيت خليفة الله أمير المؤمنين وإمام المسلمين قد حلّ بمحل من الأرض كحلوله بمدينة السلام، ومن أطاف بأمير المؤمنين من ولاة العهود والأمراء وسائر الولد والوزراء والمتلاحقين بهذه المراتب من الوجوه والرؤساء وأرباب السيوف ووجوه الكتاب وكتابهم وخواص من حولهم وبهم من أرباب النعم والنماء وأرباب الضياع الموسرين منهم دون المقترين من أفنائهم، ثم وجوه التجار وملوك الصيارف والبزازين والعطارين وأرباب الجواهر النفيسة وأهل الصناعات الشريفة والأغنياء جميعا من الجماعة دون الفقراء، والمستورين، ومن لا يشبع يده بغير الميسور من الأمر والقصد من الشأن.

وقد قلنا إن ما ببغداد من المنازل اثنا عشر ألف ألف منزل، فأجعل الان حاجزا بين منازل الملوك والأغنياء وسائر الوجوه والكبراء، من المتسعين بالنعم المعتصمين بالسعة ومن هو دونهم من الضعفاء والمتجملين أهل القناعة والمستورين لتحسن به ظنوننا ويتمكن عياره في أوهامنا وعقولنا، وهو أن نفرض لكل عشرة منازل من الطبقات الصغيرات منزلا واحدا من الطبقات العاليات، فيكون عدد منازل الملوك والرؤساء والوزراء وسائر المتقدمين من الأغنياء العشرين جماعة منازل الناس.

فإن أتيت دون الذي جرت عادتك في الأمر وأقمت عليه من حطيطة الأضعاف وأنتحلت الاستظهار ملّة ودينا ومكنت لنفسك بالظاهر يقينا، مددنا بذلك إليك يدا طالما ناولتك البعيد وسهلت لديك الصغير، وجعلنا عدة منازل الضعفاء والخاملين وأهل

التجميل والمقتصد أضعاف أضعاف منازل الملوك والأشراف، فيكـــون إذ ذاك عـــدد منازل المتقدمين من عدة منازل المتأخرين كنسبة شيء الى مثله عشرين مرة فيحصـل لنا عدد هو نصف العشر من الجميع، وقد قلنا: إن عدد المنازل ببغداد اثنا عشر ألـف ألف منزل، يكون نصف عشرها ستمائة ألف منزل.

وقد يجوز أن يتفق في الأعياد العظام والأفضلَ من الأيام في بلاد الاسلام يـوم النحر أو يوم الفطر في أوان من الزمان لا تتوالد فيه الأغنام بالعراق بحيـث يلابـس مدينة السلام إلا غريبا خاصا وعشيرا شاذا كشهر خرداذ[1] ماه وشهر مـرداذ[2] مـاه، وقد امتنع علينا أن نقول: إن مائدة واحدة من المقسومين على أرفع الدرجات وأعظـم الطبقات من الملوك والرؤساء وسائر الوجوه والأغنياء خلو من جديٍ واحد في ذلـك اليوم الواحد الذي قلنا انه الأعياد الشريفة والايام السعيدة، ظننا قريبا وحكمـا مصيبـا، فيكون إذا قدر ما يباع في أسواق بغداد من الجداء في الفطر وفي النحر ستمائة ألـف جندي.

أفظننت أيّها البحاث المتذكر والنظّار المتفكر، أن الله لا يلطف لإيجاد ما شاء مـن خلقه على أجنحة الملائكة المقربين وعلى روؤس الجن والشياطين بـل لا نظـن أن وكيلا من وكلاء الوظائف وأمينا من أمناء المطابخ رجع منصرفا من أخس الأسـواق وما لا يناسب منها باب الكرخ وباب الطاق في وقت واحد من الزمان وساعة واحـدة من النهار، فاستحل ان يقول لعدم الجداء بالربيع ببغداد، وأنني طلبت جديّـا رضيعـا فتعذر عليّ، والتمست مخاليف الدراج في غير أوانها وصغار الفراريج في دون أبانـها والقبج والشفانين والصلاصل والوراشين والسمان والكراكـي والطيـهوج والقمـاري والعصافير والدباسي والغربان والعقبان أو الثعالب والذئاب والضباب والذباب أوالفيـل والسمور والأرنب والخنزير، وما لا يحصى عدده ولا يحصل مدده من أنواع ما فـي البرّ والخراب وما في البحر من السلاحف والسـرطانات والسـقنقور والسـورماهي والصير والمارماهي والجري والزامور وكلب الماء والجرجور.

---

(1) الشهر الثالث من السنة الفارسية وهو يقابل شهر آذار(البـيروني:الاثـار الباقيـة عـن القـرون الخالية،ص٤٢).

(2) الشهر الخامس من السنة الفارسية وهو يقابل شهر آيار(الاثار الباقية عن القرون الخالية،ص٤٢).

وقد تعرضنا من ذلك لما لاسبيل الى أحصائه ولا حيلة لنا في عده واستيفائه، ومتى تظن أو ظننت أن عليلا مات أو يموت بمدينة السلام بفقدان دواء معروف، أو بحسرة غذاء لطيف وكثيف، فقد ظننت محالا وأدرت في خلدك باطلا.

وكذلك أيضا لا يستطيع أحد ان يقول: أن عليلا أو صحيحا تاق الى الأرطاب في الثاني من الكوانين[1]أو الى الكمأة في الأول من التشارين[2]، وإلى الخلال في أيلول، وإلى البسر في القر والطلع في الحر، وإلى النرجس في حزيران والقثاء والخيار في آذار، فتعذر وجود ذلك عليه.

أوعساك ظننت أن وجود هذا هو شيء للخاص دون العام والغني دون الفقير والكبير دون الصغير، وان بلدا لايمتنع فيه وجود غذاء في كل زمان وكل دواء في كل أبان، مجمع لك الانواع مع تفرق الزمان، حتى يناسب بين المتضادات في أزمانها، ويؤلف بين المتنافيات في أبانها لبلد عزيز الشأن عند الله،عظيم النصيب من لطف الله.

زعم لنا جامع بن وهب وهو أحد وجوه المجهزين من الصيادلة أن قدر ما كان فقد بمدينة السلام من أنواع الصيدلة مما كان يأتي من نواحي البحر خاصة عند خراب البصرة وانقطاع سبلها ألف نوع وأربعمائة نوع وثلاثة وسبعين نوعا معدودة محصلة مبينة مفصلة، قال: فقلنا ذلك مع أنواع العطر؟ فقال: نعم مع بعض العطر، فلما رأى تعجبنا من ذلك واستفظاعنا له التفت إلينا فقال: من يذكر منكم أنه ابتاع آسا رطبا في مدة حياته فقلنا جميعا بلسان واحد: ما نذكر ذلك، فقال: فأعلموا أنه يباع في دار البطيخ قي كلّ يوم من أيام الشتاء والصيف من الآس الرطب بخمسة وعشرين ألف درهم، يكون قدر ذلك في الشهر الواحد ورقا سبعمائة ألف وخمسين ألف درهم، وفي العام الواحد تسعة ألف ألف، فإذا كانت هذه الآية في الآس بها وحده، فما ظنك بغيره من سائر الأجناس، ثم رجع بنا النظر بعد ذكر الدواء والغذاء الى شبيه بما كنا فيه من ذكر الجداء وقلنا: إنا إذا كنا قد فرضنا لكل مائدة جديًا، فوصلنا من عدد الجداء إلى ما ذكرنا وهو ستمائة ألف ألف جديّ في يوم واحد، فلنفرض الان استظهارا لكل ذي مائدة جديًا وأربع دجاجات وأربعة فراخ، فيكون عدد الدجاج والفراخ المستعملة في اليوم الواحد من أيام الأعياد العظام أربعة ألف ألف وثمانمائة فرخ ودجاجة، يكون ثمن

[1] يقصد شهري كانون الأول وكانون الثاني.

[2] يقصد شهري تشرين الأول وتشرين الثاني.

كلّ دجاجة استظهارا درهما واحدا وثمن الفرخين درهما واحدا، فيكون ثمن الجميع من الدجاج والفراخ في اليوم الواحد ايضا، ثلاثمائة ألف ألف وستمائة ألف درهم.

وقد وجدتني على كلّ حال حليف الاستظهار فيما دعيت ومسامحا لك في اعتبار ما نحوت، فظن ان شئت مكذبا للعيان وطاعنا على فصول البرهان، ان الأمر الذي ذكرناه، وقمنا بحقه وفصلناه، هو بخلاف ما اصلناه، فاعقد الان من جمل ذلك على أنصافها وأثلاثها وأرباعها وأسداسها، أفحسبت أنك أعتقدت من ستين ألف حمام على عشرة ألف حمام ليعقد من ستمائة ألف جديَ على مائة ألف جدي، ومن كذا على كذا ان الباقي بعد ذلك لاتراه عجبا عجيبا وشأنا غريبا، فكيف والأمر في الاصول كما نقول لكلّ برهان وبكلّ دليل.

وسنذهب في نوع آخر من الكلام، فإنك والحق لتشهدان، وانك لترى في ظاهر العيان، وعلى حكم الأيام والزمان، ان وكيلا من وكلاء الوظائف لو اعترض جميع ما في باب الطاق وسوق باب الكرخ وسائر الأسواق في غذائه من الغدوات معترضا بعشرين ألف درهم لابتياع جميع ما فيها، لما ترك بها مذبوحا بريّا ولا حيوانا بحريا، كما لا يدع فيها تفاحا ولا ريحانا ولا أترجا ولا رمانا، واذا شئت مع ذلك من القول ان تعلم الحق عليك وتتناول الصدق اليك فألطف الاشراف على المطابخ للملك الأعظم وعلى ما أستودعت من ذلك مجالسه ومواضع مواقده، فإنك تعاينها مشحونة بما لاتصل الى معاينة مثله إلا في الأسواق، ولا كصغير ما هنالك بباب الكرخ والطاق، فإن انت أمددت الحَق حقا واضفت الى الصدق صدقا وجمعت بين ما تراه في مساكن الملك الأعظم ببغداد وبين ما في منازل البطانة وسائر الأهل والولد والحشم وولاة. العهود الوزراء وكبار الأمراء وسائر الوجوه والرؤساء وكبار التجار والأغنياء دون المتقصدين والفقراء، وصلت من معاينة ما ترى ان مادبة إنما هي من باب الكرخ والطاق وسائر الشوارع والأسواق في اليوم الواحد ما لا سبيل الى معاينة مثله في باب الطاق ولا في شارع وزقاق، وأرى ان الظلم جميعا مجموع في ذلك، يدفعك من ذلك ما لا يندفع وفي منعك منه ما لا تمتنع.

وسأريك بعين عقلك مثالا عجيبا، أنت تَعبد الله بتكذيبه لولا امتحانه وأسرع مما هو أعجب مما تعجبت منه وستدين الله بالجحود به لولا برهانه وبيانه، فإنا متى دعوناك الى الاقرار بجملة تتباعد عن الادراك والعقول وتنسب في الظاهر الى التمويه والاباطيل فيما استبشعته ثم استيقنته، هو الحكم فيما استبعدته.

والدليل على ذلك، اذا وجدت بيوت الشطرنج أربعة وستين بيتا، ثم جعلت في أول بيت منها حبة من الحنطة وفي الثاني حبتين وأضعفت ذلك على نظام التضاعيف حتى تأتي على اخرها بيتا، كنت مستدركا ظنا وترجيحا وحذرا وتوهما في ظاهر الحس وباطن النفس، ان المجتمع لك من تضاعيف الحبة الواحد من الحنطة في أبيات الشطرنج لايكون الا قفيزا أو بعض القفيز الواحد، فإن ظننت الان أن المجتمع لك من عدد الحب في ظاهر الحس ظنا وترجيحا هو قفيز أو عشرة أقفزة فأظننه اكثر ، وإن ظننته كرا[1] او كرين او عشرة أكرار او عشرين كرا فأظننه أكثر ، وان ظننته مائة كر او خمسمائة كر فأظننه أكثر ، وان ظننته ألف كر فهو أكثر ، وان توهمت عشرة ألف كر فهو أكثر ، وان قلت انه مائة ألف ومائتا ألف كر، فهو أكثر ، وان قلت انه مائتا ألف ألف ألف كر كان أكثر ، وان قلت انه ثلاثمائة ألف ألف ألف كر كان أكثر وأكثر حتى تصل من أعداد الحنطة الى عدد هو في ظاهر الحكم ان صاحب هذا العلم لو عدم البرهان عليه لأستحق من كثير من الناس الرجم، افليس اذا دللنا على صحة ذلك وفصلناه وأشرنا الى استدراك حقيقته وحصلناه، كان الحكم فيما دعونا الى تصديقه وأشرنا الى تحقيقه في أمر بغداد، فأستصعب عليك عياره بأكثر مما ذكرنا كان حقا؟.

والدليل على ذلك ان حبة من الحنطة اذا جعلت في بيت من بيوت الشطرنج، ثم أضعفت ذلك الى اخره بيتا ان المجتمع من ذلك الحب الحنطة شئ يفي بقوت ستين ألف ألف انسان لخمسين ألف سنة، اذا كان المبتاع منه في كل يوم دائما بخمسمائة ألف دينار بأعدل الأسعار وأقربها من الرخص، وهو حساب الكر بثلاثين دينارا، ويكون تقدير مايقرن في كل يوم من الحنطة من جملة مايجتمع من الحب فوجدنا مبلغه ثماني عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف وأربعمائة وست وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف وسبعمائة وأربع وأربعين ألف ألف ألف ألف وثلاثا وسبعين ألف ألف ألف وسبعمائة ألف ألف وتسع ألف ألف وخمسمائة وواحدة وخمسين ألفا وستمائة وخمسة

[1] الكر: هو في الأصل مقياس بابلي وكان يساوي في العراق ٦٠ قفيزا وكل قفيز ٨ مكاكيك وكل مكوك ٣ كليجات وكل كليجة ٦٠٠ درهم من القمح فيساوي ٢٧٠٠ كغم (هنتس:المكاييل،ص٦٩).

عشر حبة، ثم أردنا ان نعلم كيل هذا العدد من حب الحنطة بالكرّ المعدل[1] كيل مدينة السلام، فقلنا: ان تقدير وزن القفيز الواحد من الحنطة هو مائة وعشرون رطلا، ووزن الرطل مائة وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم وهو تسعون مثقالا، فعلمنا على ان وزن الدرهم الواحد من الحب الفحل الممتلئ ثلاثة وستون حبة استظهارا، ووزن المثقال درهم وثلاثة اسباع درهم، فيكون وزنه من الحب تسعين حبة والرطل تسعون مثقالا، فضربنا تسعين في تسعين فكان مبلغه ثماني ألف ومائة حبة، وهو وزن الرطل الواحد، ثم ضربنا ذلك في عدد الأرطال التي هي وزن القفيز وهو مائة وعشرون رطلا فكان مبلغ ذلك تسعمائة ألف واثنين وسبعين ألفا وهو عدد مبلغ مايكون في القفيز الواحد من الحنطة فجبرنا ذلك وجعلناه ألف ألف حبة استظهارا وتقريباً ثم ضربنا ذلك في عدد قفيزات الكرّ وهو ستون قفيزا، فكان مبلغ ذلك ستين ألف ألف حبة، وهو مبلغ كيل الكرّ الواحد، ثم ضربنا ذلك أيضا في ألف، فكان مبلغه ستين ألف ألف ألف، ومبلغ كيلة ألف كرّ، ثم ضربنا ذلك ايضا في ألف فكان مبلغه ستين ألف ألف ألف ألف، ومبلغ كيلة ألف ألف ألف كر، ثم ضربنا ذلك في ثلاثمائة، فكان مبلغ ما قدمناه ذكره، وهو مبلغ ما ارتفع به العدد من جملة حساد تضاعيف الشطرنج بالأمر المشهور عند أرباب الحساب، فبلغ ذلك بالكرّ المعدل ثلاثمائة ألف ألف ألف كر، دون الذي هو سبعة ألف ألف ألف كرّ وما زاد، ثم قيمّن الكرّ بأعدل القيّم ثلاثين دينارا، فكان مبلغ ذلك تسعة ألف ألف ألف دينار، فمر هاهنا قلنا ان الله عز وجل لو خلق هذا المقدار من الحنطة دفعة، وجعل الدنيا باقية بأهلها خمسين ألف سنة، ثم بيعت الحنطة بسعر الزمان الذي فرضناه في كلّ يوم بخمسمائة دينار بيعا دائما متتابعا على اتصال الأيام والشهور والسنين، ان ذلك لم يكن يستغرق بيع جميع ما اجتمع من تضاعيف حبات الحنطة الا في خمسين ألف سنة.

والدليل على بيان ذلك ان السنة ثلاثمائة وستون يوما، فإذا ضربناها في خمسين ألف سنة، كان مبلغها ثمانية عشر ألف ألف يوم وهو مبلغ ايام خمسين ألف سنة، ثم أردنا أن نضرب عدد هذه الأيام التي هي ثمانية عشر ألف ألف يوم في الخمسمائة دينار التي ذكرنا البيع بها في كلّ يوم فبسطنا غزبها ليكون أظهر عند السامعين،

---

[1] الكرّ المعدل: يساوي ايضا ٦٠ قفيزا، وكل قفيز يساوي (٢٥)رطلا بغداديا، والرطل البغدادي يساوي ٤٠٦,٢٥غم أي انه يعادل ٩,٣٧٥٠ ٦كغم قمح(هنتس:المكاييل، ص٦٩).

فضربناها في خمسة أصلا، فكان مبلغه تسعين ألف ألف، ثم ضربنا ذلك في مائة، فكان مبلغه تسعة ألف ألف ألف، ثم ضربنا ذلك في ألف فكان مبلغه تسعة ألف ألف ألف ألف، فهو مبلغ ماذكرنا من جملة ثمن ما اجتمع لنا من تضاعيف حبات الحنطة بالسعر المفروض وهو ثلاثمائة ألف ألف ألف كرّ، غيرما أستبطنا من الزيادة وهو سبعة ألف ألف ألف كرّ ومازاد.

فإن الذي بلغك الاقرار بأن الحبة الواحدة من الحنطة تبلغ بتضاعيفها في أعداد بيوت الشطرنج حتى يكون مبلغها ثلاثمائة ألف ألف ألف كرّ وسبعة ألف ألف ألف ومازاد، وانها قوت لستين ألف ألف انسان وخمسين ألف سنة بعد الانكار هو الذي يبلغك الاقرار بغرائب بغداد وبدائع مدينة السلام وانما تجشمنا ذكر ذلك لتعلموا أن كثيرا من الأمور تستبعد في الظنون وتستنكر بالأوهام والعقول لولا الاعتداد بأصولها والاتكال على تفصيلها.

وقال أبو بكر بن عياش وذكر بغداد: هي اليوم مصر العرب، وكان بعضهم يقول: بغداد دار دنيا واخرة.

وتقدير الجوالي[1] ببغداد مائة ألف وثلاثون ألف، وتقدير الادخار، ودور الضرب في كل سنة من الورق ألف ألف وخمسمائة ألف درهم، قال: ومن عجائب بغداد الدارش[2] واللكا[3]، فالدارش يتخذ من جانب واللكا من جانب، فمتى عدل بأحدهما عن جانبه الذي يعمل فيه، لم يكن فيه شيء، وقد امتحن هذا غير مرة فما استوى الا في الموضع الذي رسم فيه، وان في هذا لعبرة واعجوبة، فتبارك الله رب العالمين.

---

[1] جمع جالية: واصلها الجماعة التي تفارق وطنها وتنزل وطنا اخر، ومنه قيل لأهل الذمة الذين أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب(رضى الله عنه)عن جزيرة العرب(جالية) ثم نقلت اللفظة الى الجزّية التي اخذت منهم، ثم استعملت في كلّ جزّية تؤخذ إن لم يكن صاحبها جل عن وطنه(ابن المنظور :لسان العرب،جـ٢،ص ٣٠٤).

[2] الدارش او الدرش: جلد أسود (ابن منظور :لسان العرب،جـ٤،ص ٣٣٠).

[3] اللك او اللكا: صبغ أحمر تصبغ به جلود الماعز للخفاف وغيرها، وقيل لايسمى لكا بالضم الا اذا طبخ واستخرج صبغته(ابن منظور :لسان العرب،جـ١٢ص ٣٢٣).

وصف ابن رسته[*]
مدينة بغداد

ومصر هذه الكورة مدينة السلام، وهي المسماة بغداد، وبغداد اسم موضع كانت في تلك البقعة من قبل زعموا انه موضع للاوثان والاصنام في الدهر العظيم[1] وهي أرض بابل[2]،وبابل اقدم هذه المواضع كلها وكانت الملوك الاوائل تنزل بها من قبل، ويقال: ان منها تفرق ولد نوح عليه السلام.

فلما انقضى ملك بني امية نزل أبو العباس الأنبار مدة أيامه الى ان مضى لسبيله وأستخلف المنصور أبو جعفر فتحول الى بغداد[3]وبنى مدينة السلام، ونهر دجلة يجري وسط هذه المدينة وهو يقبل من ناحية جبل الجزيرة وارمينية، وعمارة بغداد المسماة مدينة السلام في الجانب الغربي من دجلة التي بناها المنصور وهي مدينة حصينة لها سوران وبين السورين فصيل، وخارج السور خندق قد بني حافتاه بالجص والاجر، ولهذه المدينة أربعة أبواب على كل باب منها قبة خضراء، قد بني حول كل قبة مجلس قد رفع بالأساطين من ساج مطل على بغداد، فأحد أبوابها يسمى باب خراسان والثاني باب البصرة والثالث باب الكوفة والرابع باب الشام، وفي وسط

---

[*]أبو علي، أحمد بن عمر (توفي أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي): الأعلاق النفيسة، (طبعة ليدن ١٨٩١، من صفحة ١٠٨ ١٠٩).

[1] أعطى بعض المؤرخين والبلدانيين العرب والمسلمين تفسيرات افتراضية عدة لمعنى اسم بغداد، وقد تمحورت جلها تقريباً علىالتفسير الوثني الذي يجعل من المفردة اللغوية (بغداد) ذات مقطعين، بغ وتعني (صنم) وداد او داذ وتعني عطية أو إعطاء فتكون عطية الصنم، وهذا في الواقع ليس دقيقا فهذا الاسم واعتمادا على النصوص والوثائق البابلية والاشورية والكيشية كان متداولا وقد اطلق على اسماء مواضع واسماء اشخاص واسماء قبائل.

[2] يقصد ان بقعة بغداد ضمن الاقليم الرابع المعروف بـ(اقليم بابل).

[3] قبل ان يتحول الخليفة أبو جعفر المنصور الى بغداد نزل في المدينة التي بناها اخوه الخليفة أبو العباس السفاح، واستتم مابقي من بنائها وزاد فيه، ثم تحول الى هاشمية الكوفة قبل ان يبني مدينة بغداد (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٥،ص٣٨٩).

باب البصرة والثالث باب الكوفة والرابع باب الشام، وفي وسط المدينة قصــــر لأبــي جعفر يسمى باب الذهب، ومن كل باب من أبواب المدينة عليه شارع كبير واسع، قــد عقدت على الشوارع طيقان بالجص والاجر، وعلى السور الخارج منها اربعة أبــواب حديد، فمن دخل الباب الأول يفضي الى فصيل كما يدور حول المدينة، ثم يصير الــى باب حديد اخر وعليه القبة، وفي هذه المدينة مسجد جامع مبني بالجص والاجر مرفوع بأساطين الساج ومسقف بخشب الساج مزوق باللازورد.

وصف سهراب[*]
أنهار بغداد

معرفة أنهار مدينة السلام في الجانب الشرقي

فاما أنهار مدينة السلام الجارية فيها، ومنها شرب الماء من يقرب اليها، فأول ما نبدأ به من ذلك الأنهار التي في الجانب الشرقي وهو عسكر أمير المؤمنين المهدي، من ذلك نهر يقال له نهر موسى أوله من النهر بيّن في ظهر قصر المعتضد المعروف بالثريا[1]، وأول النهر بيّن من النهروان فوق الجسر بشيء يسير يمرّ جاريا ويتفرع منه أنهار كثيرة تسقى سواد بغداد ويمرّ في شرقي الثريا وعليه قرى وضياع ويسقى بعض طسوج كلواذي ويصب في دجلة أسفل من مدينة السلام بأقل من فرسخين، ويحمل منه ايضا النهر المعروف بنهر موسى وأوله في الموضع الذي تقدم ذكره، يمرّ فيدخل قصر الثريا ويدور فيه ويخرج منه، ثم يصير الى موضع يقال له مقسم الماء، فينقسم هناك ثلاثة اقسام، فيمرّ الأول منها الى باب سوق الدواب ويجتاز بباب عمار ويحمل منه هناك نهر يمرّ الى دار البانوجة[2]،ويفنى هناك، ويمرّ نهر موسى فيدخل من باب سوق الدواب ويمرّ الى باب مقير الكبير فيحمل منه هناك نهر يمرّ الى دار ابن الخصيب في الشارع المعروف بسعد الوصيف، ويخرج الى العلافين فيصب في النهر الذي حفره المعتضد للبحيرة ويمرّ في الشارع المعروف خلف الحوانيت الى العلافين بباب المخرّم ويمرّ في قنطرة العباس التي في باب المخرّم ويمرّ في الشارع الى المخرّم ويفنى هناك، ويمرّ نهر موسى الى قنطرة الأنصار فتحمل منه هناك ثلاثة

---

[*] يحتمل انه توفي منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي: عجائب الأقاليم السبعة الى نهاية العمارة،(نشر هانس فون مزيك، فيينا ١٩٢٩، من صفحة ١٢٩-١٣١).

[1] قصر بناه الخليفة المقتدر قرب قصر التاج بالجانب الشرقي (ياقوت الحموي:المشترك وضعا والمفترق صقعا،ص٨٩).

[2] عند الطبري(تاريخ،جـ٨،ص١٦٨) كذلك الخطيب البغدادي(تاريخ،جـ١ ،ص٩٥)، "البانوقة" وهي بنت الخليفة المهدي، وقد توفيت في حياته (الدينوري، ابن قتيبة،المعارف،ص٢١٤).

أنهار، يصب احدهما في حوض الأنصار والثاني في حوض هيلانة[1] والثالث في حوض داود، ويمرّ نهر موسى الى شارع درب الطويل وقصر المعتصم بالله فيحمل منه هناك نهر يمرّ الى سوق العطش مادا في وسط شارع كرم العرش ويصب في دار الوزير علي بن محمد بن الفرات[2] ويفنى هناك، ويمرّ نهر موسى ملاصقا لقصر المعتصم الى ان يخرج الى الشارع الأعظم، ثم يخرج الى شارع عمرو الرومي، ثم يدخل الى بستان الزاهر فيسقيه، ثم يصب في الدجلة أسفل البستان بشيء يسير، ثم يمرّ النهر الثاني من المقسم الى باب ابرز فيدخل الى بغداد من هناك ويسمى نهر المعلّى[3] ويمرّ بين الدور الى باب سوق الثلاثاء، ثم يدخل قصر المعتضد المعروف بالفردوس ويدور فيه ويصب الى دجلة مع القصر، ويمرّ النهر الثالث من المقسم الى باب قطيعة موشجير، ثم يمرّ الى باب العامة، ثم يدخل الى القصر المعروف بالحسني فيدور فيه ويصب في دجلة مع قصر المكتفي بالله المعروف بالتاج.

ويحمل من نهر بيّن نهر يقال له نهر علي أوله فوق نهر موسى بشيء يسير يمرّ معترضاً لطريق خراسان الى قرية الاثلة ويمرّ فيسقي طسوج نهر بوق ورستاق الافروطر ويصب في نهر من الخالص، ويحمل من نهر الفضل نهر يقال له نهر الجعفرية يمرّ بقرى وضياع ويصب في سواد بغداد الذي في شمالها، ويحمل من نهر الجعفرية نهر يقال له نهر السور يمرّ مع سور بغداد أوله من نهر الجعفرية يمرّ بباب خراسان وباب البردان ويصب في نهر الفضل الذي يصب بباب الشماسية، ويحمل من نهر الخالص الذي قلنا انه يصب أسفل الراشدية[4] نهر يقال له نهر الفضل يجيء الى باب الشماسية يمرّ فيسقي ضياعا عليه وقرى ويصب في دجلة مع باب الشماسية، ويحمل من نهر الشماسية وهو نهر الفضل نهر يقال له نهر المهدي[5] أوله فوق الباب

---

[1] قيمة الخليفة أبي جعفر المنصور وقيل جارية الخليفة هارون الرشيد (الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ١،ص٩٧).

[2] وزير الخليفة العباسي المقتدر بالله، قتل سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م (الهلال الصابيء:تحفة الامراء في تاريخ الوزراء،ص٢٦٠؛ ابن الجوزي:المنتظم،جـ٨،ص٦٠-٦٢).

[3] نسبة الى المعلى بن طريف مولى الخليفة المهدي (الخطيب البغدادي،جـ١،ص٩٦).

[4] من قرى بغداد (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٣،ص١٥).

[5] نسبة الى الخليفة محمد المهدي.

بشيء يسير يمرّ فيدخل الى مدينة السلام من باب الشماسية ويجيء الى سويقة جعفر ويمرّ في الشارع المعروف بشارع نهر المهدي، ثم يجيء الى قنطرة البردان ويدخل في دار الروميين، ثم يخرج الى سويقة نصر بن مالك، ثم يدخل الرصافة في مسجد الجامع الى بستان حفص ويصب في جوف قصر الرصافة في بركة فيه نهر، ويحمل من هذا النهر نهر أوله في سويقة نصر مع الأبواب الحديد يمرّ في وسط شارع باب خراسان مادا الى ان يصب في نهر السور بباب خراسان، فهذه أنهار الجانب الشرقي وبقى أنهار الجانب الغربي وأنا أبينها ان شاء الله.

معرفة أنهار مدينة السلام في الجانب الغربي

من ذلك نهر يقال له الصراة أوله من نهر عيسى فوق قرية المحوّل الكبير بشيء يسير يمرّ هذا النهر فيسقي ضياع وبساتين بادوريا ويتفرع منه أنهار كثيرة ويدخل بغداد فيمرّ بقنطرة العباس، ثم يمرّ الى قنطرة الصينيات، ثم يمرّ الى قنطرة رحا البطريق وهي قنطرة الزبد، ثم يمرّ الى قنطرة العتيقة[1] ثم يمرّ الى قنطرة الجديدة[2] ثم يصب في دجلة أسفل الخلد بشيء يسير، ويحمل من الصراة نهر يقال له خندق طاهر أوله من نهر الصراة أسفل من فوهته بفرسخ يمرّ فيسقي الضياع ويدور حول مدينة السلام مما يلي الحربية فيمرّ الى باب الأنبار وعليه هناك قنطرة، ثم يمرّ الى باب الحديد وعليه هناك قنطرة ويمرّ الى باب حرب وعليه هناك قنطرة ويمرّ الى باب قطربل وعليه هناك قنطرة رحا أم جعفر ويمرّ في وسط قطيعة أم جعفر ويصب

---

[1] ذكر اليعقوبي (البلدان،ص٢٤٣-٢٤٤) ان هذه القنطرة اقيمت على الصراة العظمى في المكان الذي اجتمعت فيه الصراتان، الصراة العظمى والصراة السفلى، وهي محكمة البناء معقودة من الاجر والجص، ولقد ظلت هذه القنطرة تؤدي عملها في ارواء اراضي الجانب الغربي حتى اصابها الأنقطاع في اثناء فيضان سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م (ابن الجوزي:المنتظم،جـ٨،ص١٩٩)، ثم وقعت سنة ٣٧٠هـ/٩٨١م اثناء فيضان نهر دجلة، ثم شرع بعد ذلك ببناء قنطرتين جديدتين محكمتي البناء، الأولى تقع مكان القنطرة العتيقة الأنفة الذكر، والاخرى مكان القنطرة الجديدة التي سقطت ايضاً في اثناء هذا الفيضان (ابن الجوزي:المنتظم،جـ٨، ص٤٢٩).

[2] سقطت سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م (ابن الجوزي:المنتظم،جـ٨،ص١٩٩).

في دجلة فوق دار اسحاق بن ابراهيم الطاهري بشيء يسير، ويحمل من الخندق نــــهر يقال له الصراة الصغيرة يجيء قاطعاً للبساتين يمرّ ببعض بادوريا ويصب في الصــراة الكبيرة أسفل من رحا البطريق بشيء يسير، ويحمل من نهر عيسى نـــهر يقـال لــه كرخايا أوله أسفل المحوّل الكبير بشيء يسير يمرّ في وسط طسوج بادوريـا ويتفـرع منه أنهار تنبث في بادوريا تسمى وتعرف وعلى جانبيه قرى وضياع وبساتين مادا الى ان يدخل من باب أبي قبيصة ويمرّ الى قنطرة اليهود ويمرّ الى قنطرة درب الحجـارة ويمرّ الى قنطرة البيمارستان وباب محول فيتفرع منه هناك أنهار الكرخ كلّـها، فمـن ذلك اذا جاوز كرخايا قنطرة البيمارستان فأول الأنهار، نهر يقال له نهر رزيـن يمـرّ فيأخذ في ربض حميد فيدور فيه، ثم يمرّ الى سويقة أبي الورد، ثم يمـرّ الـى بركـة زلزل فيدور فيها، ثم يمرّ الى باب طاق الحراني، ثم يصب في الصراة الكبيرة أسـفل من القنطرة الجديدة مع القنطرة ويعرف بنهر ابى عتّاب، واذا صار نهر رزيـن الـى باب سويقة أبي الورد يحمل منه نهر يعبر في قورج على قنطرة العتيقة فيمرّ مادا الـى شارع باب الكوفة فيدخل من هناك الى بعض آثار مدينة أبي جعفر المنصور وينقطـع فيها ويمرّ النهر من باب الكوفة مادا الى شارع القحاطبة يمرّ الى باب الشام ويمرّ فـي شارع الجسر الى طرف الزبيدية ويفنى هناك، ثم يمرّ نهر كرخايا من البيمارستان فاذا صار الى الدّرابات يسمى هناك العمود وهو النهر الذي تتفرع منه أنهار الكرخ الداخلة فيمرّ النهر من هناك الى موضع قريب منه فيسمى هناك رحا ابى القسم،ثم الى موضع يعرف بالواسطيين، ثم يمرّ الى موضع يعرف بالخفقة فيحمل منه هناك نهر يقـال لـه نهر البزّازين يعطف فيخرج في شارع المصوّر ثم يمرّ الى دار كعب، ثم يخرج الـى باب الكرخ، ثم يدخل البزّازين، ثم يمرّ الى الجزّارين، ثم يدخل في اصحاب الصـابون، ثم يصب في دجلة تحت دار الجوز، ثم يمرّ النهر الكبير من الخفقة الى طرف مربعـة الزّيات فيعطف منه هناك نهر يقال له نهر الدجاج[١] يمرّ فيأخذ مـادا الـى اصحـاب القنى، ثم يمرّ الى اصحاب القصب وشارع القيارين ويصب في دجلة فـي اصحـاب الطعام، ثم يمرّ النهر الكبير من مربعة الزّيات الى دوّارة الحمار فيعطف منـه هنـاك

---

[١] سمي بذلك اذ كان يباع عليه الدجاج (اليعقوبي:البلدان،ص٢٥٠).

نهر يقال له نهر الكلاب[١] يأخذ في شارع قطيعة الكلاب مادا حتى يصب تحت قنطوة الشوك في نهر عيسى بن موسى، ثم يمرّ هذا النهر الكبير من دوارة الحمار الى موضع يقال له مربعة صالح فيعطف منه هناك نهر يقال له نهر القلائين يمرّ مادا الى السوّاقين، ثم الى اصحاب القصب ويصب هناك في نهر الدجاج ويصيران نهرا واحدا، ثم يمرّ النهر الكبير من مربعة صالح الى موضع يعرف بنهر طابق[٢]ثم يصب في نهر عيسى في موضع يعرف بمشرعة الآس بحضرة دار البطيخ، فهذه أنهار الكرخ وبقى أنهار الحربية وأنا أبينها ان شاء الله تعالى.

من ذلك نهر يحمل من دجيل يقال له نهر بطاطيا أوله من أسفل فوهة دجيل بستة فراسخ يمرّ فيسقي ضياعاً وقرى ويمرّ في وسط مسكن ويصب في الضياع ويفنى فيها، ويحمل منه نهر أسفل جسر بطاطيا بشيء يسير يجيء نحو مدينة السلام فيمرّ على عبّارة قورج قنطرة باب الأنبار، ثم يدخل بغداد من هناك فيمرّ في شارع باب الأنبار ويمرّ في شارع الكبش[٣]ويفنى هناك، ويحمل من نهر بطاطيا نهر أسفل من نهر الأول يجيء نحو بغداد فيمرّعلى عبّارة يقال لها عبّارة الكرخ بين باب حرب وباب الحديد ويمرّ فيدخل بغداد من هناك ويمرّ في شارع دجيل الى مربعة الفرس فيحمل منه هناك نهر يقال له نهر دكان الابناء ويفنى هناك، ويمرّ النهر الكبير من مربعة الفرس الى قنطرة ابى الجون فيحمل هناك منه نهر الى كتاب اليتامى الى مربعة شبيب ويصب هناك في نهر الشارع سنذكره، ثم يمرّ النهر الكبير من قنطرة ابى الجون الى شارع قصرهاني، ثم يمرّ الى بستان القس ويصب في النهر الذي يمرّ بشارع القحاطبة، ويحمل من نهر بطاطيا نهر أوله من قناة الكرخ يجيء الى بغداد ويمرّعلى عبّارة قورج على قنطرة باب حرب ويدخل بغداد من هناك ويمرّ في وسط

---

[١] من المحتمل ان تسمية هذا النهر بهذا الاسم تعود الى قطيعة الكلاب التي يمرّ بها، والتي سميت ايضاً بهذا الاسم، لأن الخليفة أبا جعفر المنصور عندما اقطع القطائع لم يقطع هذه الناحية، وكانت الكلاب فيها كثيرة فسماها أهلها قطيعة الكلاب (الخطيب البغدادي:تاريخ،،جـ١،ص٨٩).

[٢] نسبة الى طابق بن صميمة (اليعقوبي:البلدان،ص٢٥٠).

[٣] شارع عظيم بالجانب الغربي (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٤،ص٤٣٤).

شارع باب حرب الى شارع دار ابن ابى عون ويجيء الى مربعة ابى العبـــاس، ثـم يجيء الى مربعة شبيب فيصب فيه النهر الذي ذكرناه، ثم يمرّ الى باب الشـام، فـهذه أنهار[1] مدينة السلام قد بيناها، وهذه الأنهار التي في الحربية هي قنى[2] تحـت الأرض وأوائلها مكشوفة فأفهم ذلك ان شاء الله تعالى.

---

[1] مع ان الخطيب البغدادي عاش في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أي بعـد ثلاثـة قرون من تأسيس بغداد، الا انه يؤكد (تاريخ:جـ١،ص٧٩) ان معظم أنهار بغداد التي ربما وصلت اليه من كتاب سهراب قد تعطلت واندرس أثرها، وقد استشهد بنهر يقع عند مسجد الأنبـاريين، اذ يقول ما نصه "رأيته لا ماء فيه".

[2] يعزو اليعقوبي (البلدان:ص٢٥١) هذا العدد الكبيرمن القنوات التي انشئت على أنهار بغـداد لكـبر المدينة وسعتها ولحاجة ابنائها الى الماء لسقي البساتين والاجنة التي اقيمت في الأرباض.

وصف الاصطخري(*)
مدينة بغداد

وأما بغداد، فإنها مدينة محدثة في الإسلام، لم يكن بها عمارة، فابتنى المنصور المدينة في الجانب الغربي، وجعل حواليها قطائع لحاشيته ومواليه واتباعه، مثل قطيعة الربيع والحربية وغيرها، ثم عمرت، فلما كان في أيام المهدي[1] جعل معسكره في الجانب الشرقي، فسمي عسكر المهدي، ثم عمرت بالناس والبنيان وانتقلت الخلافة الى الجانب الشرقي، وهي اليوم أسفل هذا الجانب بالحريم[2] ليس وراءها بنيان للعامة متصل، وتفترش قصور العامة وبساتينها من بغداد الى نهر بيّن فرسخين على جدار واحد حتى تتصل من نهر بيّن الى شط دجلة، ثم يتصل البناء بدار الخلافة مرتفعا على دجلة الى الشماسية نحو خمسة أميال، وتحاذي الشماسية في الجانب الغربي، الحربية فيمتد نازلا على دجلة الى اخر الكرخ، ويسمى الشرقي جانب الطاق وجانب الرصافة وعسكر المهدي، فمن نسبه الى الطاق، يعني ان أوله الطاق وهو موضع السوق الأعظم، ومن نسبه الى الرصافة نسبة الى قصر كان الرشيد بناه بقرب مسجد الجامع منها، ومن نسبه الى عسكر المهدي، فإن المهدي كان عسكره من هذا الجانب بحذاء مدينة أبي جعفر، ويسمى الجانب الغربي جانب الكرخ، وببغداد مساجد جوامع في

(*) أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الكرخي(توفي حوالي ٣٤٨هـ/٩٥٩م): مسالك الممالك، (طبعة ليدن١٩٢٧، ص صحيفة٨٣ ٨٥).

[1] هذه العبارة من الناحية التاريخية ليست دقيقة لأن نزول المهدي في الجانب الشرقي واعتمادا على معظم الروايات التاريخية كان زمن أبيه الخليفة أبي جعفر المنصور وتحديدا في سنة ١٥١هـ/٧٦٨م.

[2] الحريم، اصله من حريم البئر، وهو ما حولها من حقوقها ومرافقها، ثم اتسع فقيل لكل ما يتحرم به ويمنع منه حريم، وبذلك سمي حريم دار الخلافة، واعتمادا على ما ذكره ياقوت الحموي (البلدان،جـ٢، ص٢٥٠ ٢٥١)، فإن مساحة هذا الحريم كانت تقريبا ثلث بغداد، وكان محاطا بسور يبدأ من دجلة وينتهي الى دجلة كهيئة نصف دائرة، وله أبواب عدة، وهناك في الجانب الغربي الحريم الطاهري.

ثلاثة مواضع في مدينة المنصور وفي الرصافة وفي دار الخلافة، وتتصل العمارة والبنيان بكلواذي وبها مسجد جامع، فلو عدّ في جملة بغداد لجاز، وقد عقد بين الجانبين على دجلة جسران[1] من سفن ويكون من باب خراسان الى ان يبلغ باب الياسرية،وذلك عرض الجانبين جميعا نحو خمسة أميال، واعمر بقعة منها الكرخ وبها اليسار ومساكن معظم التجار، وأما الأشجار والأنهار التي في الجانب الشرقي ودار الخلافة فإنها من ماء النهروان وتامرّا[2]،وليس يرتفع اليها من ماء دجلة الا شيء يسير.يقصر عن العمارة وينضح بالدواليب.

وأما الجانب الغربي فإنه قد شق اليه من الفرات نهر عيسى لجنب قنطرة دمما، وتتحلب من هذا النهر صبابات تجتمع فتصير نهرا يسمى الصراة ويتفجر منها أنهار، وبها عمارات الجانب الغربي، ويقع ما يبقى من ماء الصراة الصغيرة والكبيرة في دجلة وينتهي اخر نهر عيسى الى دجلة في جوف مدينة بغداد، وأما نهر عيسى فان السفن تجري فيه من الفرات الى ان يقع في دجلة، واما الصراة فان فيها حواجز تمنع من جري السفن، فتنتهي السفن الى قنطرة الصراة، ثم يحول ما فيها ويجاوز به ذلك الحاجز الى سفن غيرها، وبين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه أنهار من الفرات، فأولها مما يلي بغداد نهر صرصر[3]عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن وعليه جسر من سفن تعبر عليه القوافل ومدينة صرصر صغيرة عامرة بالنخيل والزروع وسائر الثمار من بغداد على ثلاثة فراسخ، ثم ينتهي على فرسخين الى نهر الملك[1]، وهو نهر كبير اضعاف نهر صرصر وعليه جسر

---

[1] يشير كل من ابن الفقيه الهمذاني(البلدان،ص٣٠٤ ٣٠٥) والخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص١١٥ -١١٦)، الى انه ومنذ تأسيس بغداد على يد الخليفة أبي جعفر المنصور، تم عقد حوالى عشرة جسور على دجلة لتسهيل انسيابية تنقل الناس على جانبي بغداد،لكن معظم هذه الجسور قد تعطل ولاسيّما بعد مقتل الخليفة محمد الأمين في سنة ١٩٨هـ/٨١٣م، ونهاية خلافة المأمون ٢١٨هـ/٨٣٣م، للمزيد:ينظر البحث القيم للدكتور صالح أحمد العلي الموسوم(المواصلات والجسور في بغداد) المنشور في مجلة المورد، العدد الرابع لسنة ١٩٧٩.

[2] طسوج من سواد بغداد في الجانب الشرقي (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٢،ص٧).

[3] نسب الى قريتين في سواد بغداد هما صرصر العليا وصرصر السفلى الواقعتان على ضفة نهر عيسى (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٣،ص٤٠١).

فرسخين الى نهر الملك[1]، وهو نهر كبير اضعاف نهر صرصر وعليه جسر يعبر من سفن، وينتهي نهر الملك الى قصر عمر بن هبيرة الفزاري باحدى شعبتيه، وبالأخرى ترمي في دجلة عند كوثى نحو ضيعة تعرف بالكيل، ثم يمتد عمود الفرات حتى يخرج منه نهر سورا[2]وهو نهر كثير الماء ليس يخرج من الفرات شعبة اكبر منه حتى ينتهي الى سوراء ثم الى سائر سواد الكوفة ويقع الفاضل في البطائح.

---

[1] كورة واسعة في بغداد يقال انها تشمل على ثلاثمائة وستين قرية على عدد أيام السنة (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٥،ص٣٢٤).

[2] من نواحي الكوفة (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٥،ص٣٢١).

وصف ابن حوقل[*]
مدينة بغداد

ومدينة السلام محدثة في الاسلام، ابتناها أبو جعفر المنصور في الجانب الغربي من دجلة، وجعل حواليّها قطائع لحاشيته ومواليه واتباعه كقطيعة الربيع والحربية[1] وغيرها، ثم عمرت وتزايدت، فلما ملكها المهدي[2] جعل معسكره في الجانب الشرقي فسمي عسكر المهدي، وتزايد بالناس والبنيان وكثرت عمارتهم وانتقل اسم الخلافة الى الجانب الشرقي ودار من بيده حال من اسم المملكة[3] وعمل الى أسفل هذا الجانب بالمخرّم واستحدثت الدار التي في أسفلها للسلطان[4]، وليس بما وراءها بنيان للعامة متصل، ويتصل قصور السلطان وبساتينها من بغداد الى نهر بيّن فرسخين على جدار واحد، ثم يتصل من نهر بيّن الى شط دجلة، ويتصل البناء بدار خلافتهم مرتفعا على دجلة الى الشماسية نحو خمسة أميال، وتحاذي من الجانب الغربي، الحربية، فيمتد نازلا على دجلة البنيان الى الكرخ ويسمى الجانب الشرقي منها جانب باب الطاق وجانب الرصافة، ويسمى عسكر المهدي لأنه كان عسكر بحذاء مدينة أبي جعفر المنصور[ويبنى هناك مسجد جامع حسن، والان فقد خرب ذلك المكان ولم يبق

[*]أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي (توفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م): صورة الأرض، (بيروت ١٩٩٢، من صفحة ٢١٥-٢١٨).

[1] لقد اقتبس ابن حوقل تقريباً وبشكل حرفي اكثر مادته عن بغداد من كتاب (مسالك الممالك) للأصطخري.

[2] لقد سبق التنويه بأن ما ذكره الاصطخري عن نزول المهدي في الجانب الشرقي في اثناء خلافته ليس دقيقا، ولقد نقل ابن حوقل هذا النص من الاصطخري مع بعض التغيير الطفيف في المعاني دون ان يصحح المادة التاريخية.

[3] يقصد (دار المملكة) التي اصبحت مقرا للأمراء البويهيين في العراق، وقد حدد الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص١٠٥) موضعها نقلاً عن الهلال بن المحسّن الصابيء بأعلى المخرّم، واما موقعها في الوقت الحاضر فقد جاء في كتاب (دليل خارطة بغداد،ص١٣٩)، انها تقع بين الجسر الحديد والعيواضية.

[4] يقصد (الدار المعزية) التي بناها الأمير معزّ الدولة البويهي (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) في الشماسية (الصليخ الحالية)،(ابن الجوزي:المنتظم،جـ٨،ص٣٠٣؛ دليل خارطة بغداد،ص١٣٨).

المنصور] وبنى هناك مسجد جامع حسن، والان فقد خرب ذلك المكـــان ولـم يبـق معمور غير الجامع ومقابر قريش والمحلة المعروفة بقبر أبي حنيفة، وانتقلت العمـــارة الى نهر مُعلى وقد سوّر في زماننا وهو عشر الستين وخمسمائة بسور حصين منيـــع، وبين يديه خندق عميق محيط به يتخرقه ماء الدجلة[1]] وبها مساجد للجمعة وصلاتـــها خاصة في أربعة مواضع منها، فمنها في الجانب الغربي الذي بمدينـــة أبـي جعفـر، وبالرصافة جامع اخر لأهل باب الطاق، وفي دار السـلطان ايضـا جـامع يحضـره الخاصة والعامة، ومسجد براثا في الجانب الغربي وأستحدثه أمـــير المؤمنيـن علـي صلوات الله عليه، وتتصل عمارة الجانب الشرقي في أسفل دار الخلافة بكلواذي، وهي مدينة قصدة فيها مسجد جامع ولو عد في جملة بغداد لجاز لأن كثيرا من أهلها يصلون فيه، وبين الجانبين في وقتنا هذا جسر بقرب باب الطاق، وكانا اثنين لعبر المجتـازين، ولما بان النقص عليهما عطل احدهما لبيان الاختلال وهلك اكثر محالها، وذلك انه كان من باب خراسان عمارة الى ان تبلغ الجسر وتمتد الى باب الياســرية مـن الجـانب الغربي، وعرضها فقد اختل من الجانبين جميعاً نحو خمسة أميال، ونقص وهلك منـــه، واعمر بقعة بها اليوم، الكرخ وجانبه لأن أهل الياسرية ومعظم مساكن التجار هنـــاك، وذكر بعض المؤلفين[2]،ان الموفق[3]امر لمساحتها، فوجد الجانب الشرقي مائتي حبـل وخمسين حبلا وعرضه مائة حبل وخمسة احبل، ويكون ذلك ستة وعشرين ألف جريباً ومائتين وخمسين جريباً، وهذا حساب لا اعرفه، ووجد الجانب الغربي مائتين وخمسين حبلا، والعرض سبعين حبلاً، سبعة عشر ألف وخمس مائة جريـــب، الجميـع ثلاثـة واربعون ألف جريب وسبع مائة وخمسون جريبا، ويكون بفدان مصـر حسـاب كـل

---

[1] هذا النص مقحم، وليس لابن حوقل المتوفى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م انما لناسخه المجهول الـذي زار بغداد في حوالى منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

[2] عند ابن الفقيه الهمذاني(البلدان،ص٣١٠)، والخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص١٢٠)، (أحمد بـن أبي طاهر) الشهير بـ (طيفور).

[3] ولي عهد الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م)، قاد الجيوش العباسـية بنفسـه طوال عشرين عاما وتصدى وبحزم للحركات الأنفصالية التي ظهرت في تلك الحقبـة كالحركـة الصفارية وحركة صاحب الزنج والتي كانت تهدف الى تقويض الحكـم العباسـي، توفـي سـنة ٢٧٨هـ/٨٩١م (الطبري:تاريخ،جـ١٠،ص٢٠-٢٢).

جريبين ونصف فدان، سبعة عشر ألف فدان وخمس مائة فدان، وكانت هـذه مساحة رقعتها.

فأما الاشجار والأنهار التي في الجانب الشرقي ودار الخلافة، فإنها من ماء النهروان وتامرّا، وليس يرفع اليها من دجلة الا شيء يقصر عن العمارة، واما الجانب الغربي فيشق اليه من الفرات نهر عيسى من قرب الأنبار تحت قنطرة دمما، وتتحلب من هذا النهر صبابات تجتمع فتصير نهرا يسمى الصراة يفضي ايضا الى بغداد عند المحلة المعروفة بباب البصرة وعليه عمارات كثيرة للجانب الغربي وتنفجر منه انهر كثيرة لعمارات الناحية، ويقع ما يبقى من ماء الصراة الصغيرة والكبيرة فيما يجاور نهر عيسى من بغداد في نحو نص من بغداد في نحو نصف المدينة، وعليها كثير من مساكنهم ودورهم وبساتينهم، فإما نهر عيسى فإن السفن تجري فيه من الفرات الى ان يقع في دجلة، والصراة فيها حواجز وموانع من جري السفن بسكور ودوال فيها، فتنتهي السفن فيها الى قنطرتها، ثم يحول ما يكون فيها فيجاور به ذلك الحاجز الى سفن غيرها، وبين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه أنهار من الفرات، فأولها مما يلي بغداد، نهر صرصر، عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن، وعليه جسر من مراكب يعبر عليه، ومدينة صرصر عامرة بالنخيل والزروع وسائر الثمار، صغيرة من بغداد على ثلاثة فراسخ، ثم ينتهي على فرسخين الى نهر الملك، وهو كبير ايضا اضعاف نهر صرصر في غزر مائة، وعليه جسر من سفن يعبر عليه، ونهر الملك مدينة اكبر من صرصر، عامرة بأهلها وهي اكثر نخلا وزرعا وثمرا وشجرا منها، ثم ينتهي الى قصر ابن هبيرة، ليس بين بغداد والكوفة اكبر منها، وهي بقرب نهر الفرات الذي هو العمود، ويطلع اليها هناك على يمين وشمال انها مفتوحة ليس بكبار، الا انها تعمهم لحاجتهم وتقوتهم، وهي أعمر نواحي السواد، ثم ينتهي الى نهر سورا، وهي مدينة مقتصرة، ونهر كثير الماء، وليس للفرات شعبة اكبر منه، وينتهي الى سائر سواد الكوفة.

وصف المقدسي البشاري (*)
مدينة بغداد

بغداد في مصر الاسلام، وبها مدينة السـلام، ولـهم الخصـائص والظرافـة، والقرائح واللطافة، هواء رقيق، وعلم دقيق، كل جيد بها، وكل حسن فيها، وكل حـاذق منها، وكل ظرف لها، وكل قلب اليها، وكل حرب عليها، وكل ذب عنها، وهي اشـهر من ان توصف واحسن من ان تنعت واعلى مـن ان تمـدح، احدثـها أبـو العبـاس السفاح[1]، ثم بنى المنصور بها مدينة السلام، وزاد فيها الخلفاء من بعـده، ولمـا أراد بناء مدينة السلام سأل عن شتائها وصيفها والامطار والبق والهواء، وامر رجالاً حتـى يناموا فيها فصول السنة حتى عرفوا ذلك، ثم استشار أهل الراي من أهلها، فقالوا نرى ان تنزل اربع طساسيج في الجانب الشرقي بوق وكلـواذى، وفـي الغربـي قطربـل وبادوريا فتكون بين نخل وقرب ماء، فإن اجرب طسوج او تاخرت عمارته كان فـي الاخر فرج، وانت على الصراة تجيئك الميرة في السفن الفراتية من مصر والشام فـي البادية، وتجيئك الات من الصين في البحر ومن الروم والموصل في دجلة، فانت بيـن أنهار لا يصل اليك العدو الا في سفينة او على قنطرة على دجلة وفرات، فبناها اربـع قطع، مدينة السلام وبادوريا والرصافة وموضع دار الخلافة اليوم، وكانت احسن شيء للمسلمين واجل بلد، وفوق ما وصفناه حتى ضعف امر الخلفاء، فاختلت وخف أهلـها، فاما المدينة فخراب، والجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب، اعمـر موضع بها قطيعة الربيع والكرخ في الجانب الغربي، وفـي الشـرقي بـاب الطـاق وموضع دار الأمير، والعمارات والأسواق بالغربي اكثر، والجسر عند باب الطاق الـى

(*) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م): أحسن التقاسيم فـي معرفـة الأقـاليم، (طبعة ليدن١٩٠٩، من صفحة ١١٩-١٢١).

[1] أجمع المؤرخون والبلدانيون العرب والمسلمون على ان بغداد أحدثها الخليفة أبو جعفر المنصـور، ومن الغريب ان ينسب المقدسي البشاري هذا الأمر الى الخليفة السفاح في الوقت الذي يورد فيـه روايات عدة عن اختيار الخليفة المنصور موضع بغداد!؟.

جانبه بيمارستان[1] بناه عضد الدولة، حصل في كل طسوج عما ذكرناه جامع وهي في كل يوم الى وراء واخشى انها تعور كسامراء مع كـثرة والجـهل والفسـق وجـور السلطان.

أخبرنا أبو بكر الاسماعيلي بجرجان قال: حدثنا ابن ناجية: قال حدثنـا ابراهيـم الترجماني قال: حدثنا سيف بن محمد قال: حدثنا عاصم الاحول عن أبـي عثمـان النهدي قال: كنت[2]مع جرير بن عبد الله، فقال أي شيء يدعي هذا النهر، قالوا صراة، قال: فهذا نخل، قالوا قطربل، قال: فركب فرسه واسرع ثم قال: سمعت رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصـراة تجبـى اليها خزائن الأرض وجبابرتها يخسف بهم، فهم اسرع هويا في الأرض من الوتد فـي الأرض الرخوة، وأنهار الفرات تقلب في دجلة في جنوبيّها ومما يحاذي المدينـة ومـا شماليّها حسب، وتجري في هذه الشعب الفراتية السفن الى الكوفة، وفـي دجلـة الـى الموصل.

وذكر الشمشاطي[3] في تاريخه ان المنصور لما أراد بناء مدينة السـلام، أحضـر اكبر من عرف من أهل الفقه والعدالة والآمانة والمعرفة بالهندسة، وكـان فيـهم أبـو

---

[1] لفظة فارسية تعني دار المرضى، بناه الأمير البويهي عضد الدولة (ت٣٧٢هـ/٩٨٢م) في الجـانب الغربي من مدينة السلام (ابن الجوزي:المنتظم،جـ٨،ص٤٣٩) على أنقاض قصر الخلد او جنوبه (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٢،ص ٣٨٢) ووقف عليه الوقوف الكثيرة، ونقل اليه انواع الألات من كل ناحية (أبو الشجاع الروذرواري:ذيل تجارب الامم،جـ٣،ص٦٩)،ورتـب فيـه الاطبـاء والمعالجون والخزان والبوابون وغيرهم (ابن الجوزي:المنتظم،جـ٨،ص٤٣٩).

[2] اورد الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٢٨-٣٢)، هذا الحديث بروايات متعددة ينتهي سند رواتها الى أبي عثمان النهدي عن جرير بن عبد الله البجلي لكنه(أي الخطيب البغدادي) شـكك فـي ان يكون لهذا الحديث اصل، لكون اكثر الاسماء التي وردت في سلاسل رواته ضعافاً ومجروحيـن، فضلاً عن انكار العلماء له كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين(تاريخ،جـ١،ص٣٤-٣٨).

[3] او السمساطي، أبوالحسن علي بن محمد العدوي نزيل واسط، المتوفى بعد سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م، له العديد من المصنفات الادبية والتاريخية، منها (الأنوار والديارات) و(مختصر تاريخ الطـبري)، (ابن النديم: الفهرست،ص٢٤٨؛ ياقوت الحموي:معجم الادباء،جـ١٤،ص٢٤٠- ٢٤٤؛ الدكتـور شاكر مصطفى:التاريخ العربي والمؤرخون،جـ٢،ص٢٠).

حنيفة النعمان بن ثابت والحجاج بن ارطاة، وحشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل وسائر اعماله وأمر بخطها وحفر الاساسات في سنة ١٤٥ وتمت في سنة ١٤٩، وجعل عرض السور من أسفل خمسين ذراعا، وجعلها بثمانية أبواب، أبواب اربعة داخلة صغار، واربعة خارجة كبار، باب البصرة وباب الشام وباب خراسان وباب الكوفة، وجعل الجامع والقصر وسطها: وقبلة جامع الرصافة اصح منه، ووجدت في بعض خزائن الخلفاء ان المنصور أنفق على مدينة السلام اربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهما، لأن اجرة الأستاذ كانت قيراطا، والروزكاري حبتين.

الفصل الثاني

بغداد في كتابات البلدانيين والرحالة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين

وصف الخطيب البغدادي[*]
لمدينة بغداد

أخبرنا الحسن بن أبي طالب قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن عروة بن الجراح قال: نبأنا أبو بكر الصولي قال: قال رجل من ولد الربيع: لما أراد أبو جعفر ان يبني لنفسه، كان يؤتي من كل مدينة بتراب فيعفنه فيصير عقارب وهواما، حتى اتى بتربة بغداد فخرج صرارات واتى الخلد فنظر الى دجلة والفرات فأعجبه، فراه راهب كان هناك وهو يقدّر بناها فقال: لا تتم، فبلغه فاتاه فقال: نعم نجد في كتبنا ان الذي يبنيها ملك يقال له نقلاص[1] قال أبو جعفر: كانت والله امي تلقبني في صغري نقلاصاً.

ذكر خبر بناء مدينة السلام

أخبرنا علي بن أبي علي المعدل التنوخي قال: أنبأنا طلحة بن محمد بن جعفر قال: أخبرني محمد بن جرير اجازة: ان أبا جعفر المنصور بويع له سنة ست وثلاثين ومائة وانه ابتدأ اساس المدينة سنة خمس وأربعين ومائة، وأستتم البناء سنة ست وأربعين ومائة، وسماها مدينة السلام.

قال الشيخ أبو بكر الخطيب: وبلغني ان المنصور لما عزم على بنائها، أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين، فمثّل لهم صفتها التي في نفسه، ثم أحضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم، فأجرى عليهم الارزاق، وكتب الى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئا من امر البناء، ولم يبتديء في البناء حتى تكامل بحضرته من أهل المهن والصناعات ألوف كثيرة، ثم اختطها وجعلها مدورة، ويقال: لا يعرف في اقطار الدنيا كلها مدينة مدورة سواها[2]، ووضع اساسها في وقت اختاره له نوبخت المنجم[3]،أخبرنا محمد بن علي الوراق وأحمد بن علي المحتسب قالا: أنبأنا محمد بن جعفر النحوي قال: نبأنا

---

[*] أبو بكر، أحمد بن علي(ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، نسخة مصورة عن طبعة دار السعادة، بيروت، د.ت، من صحيفة ٦٦-١٢٧).

[1] تحريف من الناسخ، ففي روايات الخطيب البغدادي اللاحقة يرد (مقلاص) كذلك عند الطبري وابن الفقيه الهمذاني.

[2] لقد نقل الخطيب البغدادي هذا النص حرفياً من اليعقوبي(البلدان،ص٢٣٨).

[3] منجم المنصور، وكان فاضلاً حاذقا خبيرا باقتران الكواكب وحوادثها (ابن العبري:مختصر تاريخ الدول، ص١٢٥).

الحسن بن محمد السكوني قال: قال: محمد ابن خلف أنبأني محمد بن موسى القيسي عن محمد بن موسى الخوارزمي الحاسب: ان أبا جعفر تحول من الهاشمية الى بغداد، وأمر ببنائها ثم رجع الى الكوفة بعد مائة سنة وأربع وأربعين سنة وأربعة اشهر وخمسة أيام من الهجرة قال: وفرغ أبو جعفر من بنائها ونزلها مع جنده وسماها مدينة السلام بعد مائة سنة وخمس وأربعين سنة وأربعة اشهر وثمانية أيام من الهجرة، قال محمد بن خلف قال الخوارزمي: وأستتم حائط بغداد وجميع عملها بعد مائة سنة وثمان وأربعين سنة وستة اشهر وأربعة أيام من الهجرة.

أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل القطان قال: أنبأنا عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي قال: نبأنا يعقوب بن سفيان قال: سنة ست واربعين ومائة، فيها فرغ أبو جعفر من بناء مدينة السلام ونزوله اياها ونقل الخزائن وبيوت الأموال والدواوين اليها، وفي سنة تسع وأربعين ومائة استتم بناء سور خندق مدينة السلام وجميع امورها.

أخبرنا أبو القاسم الأزهري قال: أتبأنا أحمد بن ابراهيم بن الحسن قال: نبأنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال حكى عن بعض المنجمين قال: قال لي المنصور: لما فرغ من مدينة السلام خذ الطالع، فنظرت في طالعها وكان المشتري في القوس، فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا اليها وفقر الناس الى ما فيها، ثم قلت له: وابشرك يا أمير المؤمنين اكرمك الله بخلة اخرى من دلائل النجوم، لا يموت فيها خليفة من الخلفاء أبدا، فرايته تبسم لذلك ثم قال: الحمد الله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فلذلك قال عمارة ابن عقيل[1] بن بلال بن جرير بن الخطفي عند تحول الخلفاء من بغداد:

أعاينت في طول من الأرض والعرض
كبغداد دارا انها جنّة الأرض

---

[1] من أهل البصرة، يعدّ واحدا من فحول الشعراء في العصر العباسي الأول، قدم الى بغداد فاخذ أهلها عنه، كان واسع العلم، غزير الادب، مدح الخلفاء العباسيين، فكانوا يجزلون العطاء له، توفي سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م (الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ١٢،ص٢٨٢- ٢٨٣؛ الزركلي:الاعلام،جـ٥،ص٣٧-٣٨).

صفا العيش في بغداد وأخضرّ عودُه

وعيشُ سواها غير صاف ولا غضّ

تطول بها الأعمار إن غذاءها

مريء وبعض الأرض امرأ من بعض

قضى ربها ان لا يموت خليفة

بها انه ما شاء في خلقه يقضي

تنام بها عين الغريب ولن ترى

غريباً بأرض الشام يطمع في غمض

فإن خرُبت بغداد منهم بقرضها

فما اسلفت الا الجميل من القرض

وان رميت بالهجر منهم وبالقلى

فما اصبحت أهلا لهجر ولا بغض

وقد رويت هذه الأبيات لمنصور النمري[1] والله أعلم.

أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الكاتب قال: أنبأنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن محمد مولى بني هاشم يعرف بابن متيم، قال أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: قال أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح: ولم يمت بمدينة السلام خليفة مذ بنيت الا محمد الأمين فإنه قتل في شارع باب الأنبار وحمل رأسه الى طاهر بن الحسين وهو في معسكره بين بطاطيا وباب الأنبار، فاما المنصور: وهو الذي بناها فمات حاجا وقد دخل الحرم، ومات المهدي بماسبذان، ومات الهادي بعيساباذ، ومات هارون بطوس، ومات المامون بالبذندون من بلاد الروم وحمل فيما قيل الى طرطوس فدفن بها، ومات المعتصم بسرمن راى، وكل من ولي الخلافة بعده من ولده وولد ولده الا المعتمد والمعتضد والمكتفي فإنهم ماتوا بالقصور من الزندورد فحمل المعتمد ميتا الى

---

[1] أبو الفضل، منصور بن سلمة بن الزبرقان، من أهل الجزيرة، قدم الى بغداد ومدح الخليفة هارون الرشيد، يعدّ ايضاً من فحول الشعراء في هذا العصر، ولا سيّما في المدح والغزل، توفي في خلافة هارون الرشيد (ابن المعتز:طبقات الشعراء،ص٢٤١-٢٤٧)، الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ١٣،ص١٣-١٤).

سرمن راى، ودفن المعتضد في موضع من دار محمد بن عبد الله بن طاهر، ودفن المكتفي في موضع من دار ابن طاهر.

قال الشيخ أبو بكر: ذكرت هذا الخبر للقاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي رحمه الله فقال: محمد الأمين ايضاً لم يقتل في المدينة، وانما كان قد نزل في سفينة الى دجلة ليتنزه فقبض عليه في وسط دجلة وقتل هناك، ذكر ذلك الصولي وغيره، وقال أحمد بن أبي يعقوب الكاتب[1]: قتل الأمين خارج باب الأنبار عند بستان طاهر. قال الشيخ: عدنا الى خبر بناء مدينة السلام.

ذكر خط مدينة المنصور وتحديدها ومن جعل اليه النظر في ترتيبها

أخبرنا أبو عمر الحسن بن عثمان بن أحمد بن الفلو الواعظ قال: أنبأنا جعفر بن محمد ابن أحمد بن الحكم الواسطي قال: حدثني أبو الفضل العباس بن أحمد الحداد، قال سمعت أحمد ابن البربري يقول: مدينة أبي جعفر ثلاثون ومائة جريب، خنادقها وسورها ثلاثون جريبا، وأنفق عليها ثمانية عشر ألف ألف، وبنيت في سنة خمس وأربعين ومائة، وقال أبو الفضل: حدثني أبو الطيب البزار قال: قال لي خالي وكان قيم بدر: قال لنا بدر غلام المعتضد: قال أمير المؤمنين: انظروا كم هي مدينة أبي جعفر فنظرنا وحسبنا فاذا هي ميلين مكسر في ميلين، قال الشيخ أبو بكر: ورأيت في بعض الكتب، ان أبا جعفر المنصور انفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والأبواب والأسواق الى ان فرغ من بنائها أربعة آلاف وثمانمائة وثلاثة وثمانين درهما، مبلغها من الفلوس مائة ألف فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس، وذلك ان الأستاذ من الصناع كان يعمل يومه بقيراط الى خمس حبات، والروزجاري يعمل بحبتين الى ثلاث حبات، قال أبو بكر الخطيب: وهذا خلاف ما تقدم ذكره من مبلغ النفقة على المدينة وأرى بين القولين تفاوتا كثيرا والله أعلم.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزق البزار قال: نبأنا جعفر الخلدي املاء قال نبأنا الفضل بن مخلد الدقاق قال: سمعت داود بن صعير بن شبيب بن رستم

---

[1] يقصد اليعقوبي، فقد نقل الخطيب البغدادي هذا النص من كتاب(البلدان،ص٢٣٨).

البخاري يقول:رأيت في زمن أبي جعفر كبشا بدرهم، وحملاً بأربعة دوانق[1] والتمر ستين رطلا بدرهم، والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم، والسمن ثمانية أرطال بدرهم، والرجل يعمل بالروزجار في السور كل يوم بخمس حبات.

قال الشيخ أبو بكر: وشبيه بهذا الخبر ما أخبرنا الحسن بن أبي بكر قال: أنبأنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: نبأنا الحسن بن سلام السواق، قال: سمعت أبا نعيم بن دكين، يقول: كان ينادي على لحم البقر في جبانة كندة تسعين رطلاً بدرهم، ولحم الغنم ستين رطلاً بدرهم، ثم ذكر العسل، فقال: عشرة أرطال والسمن اثنى عشر رطلاً، قال الحسن بن سلام: فقدمت بغداد فحدثت به عفان فقال: كانت في تكتي قطعة فسقطت على ظهر قدمي فاحسست بها، فأشتريت بها ستة مكاكيك[2] دقيق الأرز.

أخبرنا محمد بن علي الوراق وأحمد بن علي المحتسب قالا: أنبأنا محمد بن جعفر النحوي قال الحسن بن محمد السكوني قال: ان محمد بن خلف قال: قال يحيى ابن الحسن بن عبد الخالق: خط المدينة ميل في ميل، ولبنها ذراع في ذراع، قال محمد ابن خلف: وزعم أحمد بن محمد الشروي: ان الذي تولى الوقوف على خط بغداد، الحجاج بن ارطاة وجماعة من أهل الكوفة، وزعم أبو النصر المروزي انه سمع أحمد ابن حنبل يقول: بغداد من الصراة الى باب التبن.

قال الشيخ أبو بكر: عنى أحمد بهذا القول مدينة المنصور ومالاصقها واتصل ببنائها خاصة، لأن اعلى البلد قطيعة ام جعفر دونها الخندق، يقطع بينها وبين البناء المتصل بالمدينة، وكذلك أسفل البلد من محال الكرخ وما يتصل به يقطع بينه وبين المدينة الصراة، وهذا حد المدينة وما اتصل بها طولا، فاما حد ذلك عرضا، فمن شاطئ دجلة الى الموضع المعروف بالكبش[3] والأسد، وكل ذلك كان متصل الابنية متلاصق الدور والمساكن، والكبش والأسد الآن صحراء مزروعة، وهي على مسافة

---

[1] مفردها دانق: يساوي ٦/١ دينار ويعني عموما سدسا(هنتس:المكاييل،ص٢٩).

[2] مفردها مكوك: ويساوي ٥,٦٢٥كغم وقيل ٦,٠٨٤كغم من القمح، اما بالالتار فيساوي ٧,٥لتر (هنتس: المكاييل،ص٧٨).

[3] شارعان كبيران في الجانب الغربي (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٤،ص٤٣٤).

من البلد، وقد رأيت ذلك الموضع مرة واحدة خرجت فيها لزيارة قبر ابراهيم[1] الحربي وهو مدفون هناك، فرأيت في الموضع أبياتـــا كـــهيأة القريـــة يســكنها المزارعـــون والحطابون، وعدت الى الموضع بعد ذلك فلم ار فيه أثر المسكن، وقال أبـــو الحســين هلال بن المحسن الكاتب: حدثني أبو الحسن بشر بن علي بن عبيد النصراني الكـــاتب قال: كنت اجتاز الكبش والأسد مع والدي، فلا أتخلص في أسواقها من كثرة الزحمة.

بلغني عن محمد بن خلف وكيع: ان أبا حنيفة النعمان بن ثابت، كان يتولى القيـــام بضرب لبن المدينة وعدده حتى يفرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي الخنـــدق، وكان أبو حنيفة يعدّ اللبن بالقصب، وهو أول من فعل ذلك فاستفاده الناس منه. وذكـــر محمد بن اسحاق البغوي: ان رباحا البناء حدثه، وكان ممن تولى بنـــاء ســـور مدينـــة المنصور، قال:وكان بين كل باب من أبواب المدينة الى الباب الاخر ميل، وفـــي كـــل ساف من اسواف البناء مائة ألف لبنة واثنتان وستون ألف لبنة من اللبن الجعفري، فلما بنينا الثلث من السور لقطناه، فصيرنا في الساف مائة ألف لبنة وخمسين ألف لبنة، فلما جاوزنا الثلثين لقطناه، فصيرنا في الساف مائة ألف لبنة واربعين ألف لبنة الى اعلاه.

أخبرنا محمد بن علي الوراق وأحمد بن علي المحتسب قالا: أنبأنا محمد بن جعفر النحوي قال: نا الحسن بن محمد السكوني قال: نا محمد بن خلـــف قـــال: قـــال ابـــن الشروي: هدمنا من السور الذي يلي باب المحول قطعة، فوجدنا فيها لبنة مكتوب عليها بمغرة وزنها مائة وسبعة عشر رطلا قال: فوزناها فوجدناها كذلك.

قال محمد بن خلف: قالوا: وبنى المنصور مدينته وبنى لها اربعة أبواب فاذا جاء احد من الحجاز دخل من باب الكوفة، واذا جاء من المغرب دخل من باب الشـــام، واذا جاء احد من الاهواز والبصرة وواسط واليمامة والبحرين دخل من باب البصـــرة، واذا جاء الجائي من المشرق دخل من باب خراسان. وذكر باب خراسان كان قد سقط مـــن الكتاب فلم يذكره محمد بن جعفر عن السكوني وانما استدركناه مـــن روايـــة غـــيره. وجعل يعني المنصور كل باب مقابلا للقصر وبنى على كل باب قبة، وجعل بين كـــل بابين ثمانية وعشرين برجا، الا بين باب البصرة وباب الكوفة فإنه يزيد واحدا، وجعـل

---

[1] ابراهيم بن اسحاق بن بشير بن عبد الله، يكنى أبا اسحاق، محدث وفقيه، يعدّ اماما بقياس أحمد بـــن حنبل، له مصنفات عدة منها (غريب الحديث، الادب، المغازي)، توفـــي ســـنة ٢٨٥هـــ/٨٩٨م (الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ٦،ص٢٧-٤٠).

الطول من باب خراسان الى باب الكوفة ثمانمائة[1]ذراع، ومن باب الشام الى باب البصرة ستمائة ذراع، ومن أول باب المدينة الى الباب الذي يشرع الى الرحبة خمسة أبواب حديد.

وذكر وكيع فيما بلغني عنه: ان أبا جعفر بنى المدينة مدورة، لأن المدورة لها معان سوى المربعة، وذلك ان المربعة اذا كان الملك في وسطها كان بعضها اقرب اليه من بعض، والمدورمن حيث قسم، كان مستويا لا يزيد هذا على هذا ولا هذا على هذا[2]،وبنى لها اربعة أبواب، وعمل عليها الخنادق وعمل لها سورين وفصيلين بين كل بابين فصيلان، والسور الداخل اطول من الخارج، وامر ان لا يسكن تحت السور الطويل الداخل احد ولا يبني منزلا، وامر ان يبنى في الفصيل الثاني مع السور النازل لأنه احصن للسور، ثم بنى القصر والمسجد الجامع.

وكان في صدر قصرالمنصور: ايوان طوله ثلاثون ذراعا، وعرضه عشرون ذراعا، وفي صدر الايوان مجلس عشرون ذراعا في عشرين ذراعاً، وسمكه عشرون ذراعا، وسقفه قبة وعليه مجلس مثله فوقه القبة الخضراء، وسمكه الى أول حد عقد القبة عشرون ذراعاً، فصار من الأرض الى راس القبة الخضراء ثمانين ذراعا، وعلى راس القبة تمثال فرس عليه فارس، وكانت القبة الخضراء ترى من اطراف بغداد، حدثني القاضي أبو القاسم التنوخي قال: سمعت جماعة من شيوخنا يذكرون: ان القبة الخضراء كان على راسها صنم على صورة فارس في يده رمح، فكان السلطان اذا راى ان ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومد الرمح نحوها، علم ان بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة فلا يطول الوقت حتى ترد عليه الاخبار بان خارجيا قد نجم من تلك الجهة او كما قال.

أنبأنا ابراهيم بن مخلد القاضي قال: أنبأنا اسماعيل بن علي الخطبي قال: سقط راس القبة الخضراء، خضراء أبي جعفر المنصور التي في قصره بمدينته يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادي الآخرة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وكان ليلتها يومئذ مطرعظيم ورعد هائل وبرق شديد، وكانت هذه القبة تاج بغداد وعلم البلد ومأثرة من

---

[1] عند اليعقوبي،(البلدان،ص٢٣٨) المساحة بين باب واخر، خمسة الاف ذراع.

[2] وردت هذه الرواية ايضا عند الطبري(تاريخ،جـ٧،ص٦٥١) وابن الفقيه الهمذاني(البلدان،ص٢٨٦).

مآثر بني العباس عظيمة، بنيت أول ملكهم وبقيت الى هذا الوقت الى آخر امر الواثق[1] بين بنائها وسقوطها[2] مائة ونيف وثمانون سنة، قال وكيع فيما بلغني عنه: ان المدينة مدورة عليها سور مدور، قطرها من باب خراسان الى باب الكوفة ألفا ذراع ومائتا ذراع، ومن باب البصرة الى باب الشام ألفا ذراع ومائتا ذراع، وسمك ارتفاع هذا السور الداخل وهو سور المدينة في السماء خمسة وثلاثون ذراعاً، وعليه ابرجة سمك كل برج منها فوق السور خمسة اذرع، وعلى السور شرف، وعرض السور من أسفله نحو عشرين[3] ذراعا، ثم الفصيل بين السورين وعرضه ستون ذراعا، ثم السور الأول وهو سور الفصيل ودونه خندق، وللمدينة اربعة أبواب: شرقي وغربي وقبلي وشمالي لكل باب منها بابان، باب دون باب، بينهما دهليز ورحبة يدخل الى الفصيل الدائرين السورين، فالأول باب الفصيل، والثاني باب المدينة، فاذا دخل الداخل من باب خراسان الأول عطف على يساره في دهليز ازج معقود بالآجر والجص، عرضه عشرون ذراعاً وطوله ثلاثون ذراعا، المدخل اليه في عرضه والمخرج منه من طوله يخرج الى رحبة مادة الى الباب الثاني طولها ستون ذراعا وعرضها اربعون ذراعا ولها في جنبتيها حائطان من الباب الأول الى الباب الثاني في صدر هذه الرحبة في طولها الباب الثاني وهو باب المدينة، وعن يمينه وشماله في جنبتي هذه الرحبة بابان الى الفصيلين فالأيمن يؤدي الى فصيل باب الشام، والأيسر يؤدي الى فصيل باب البصرة، ثم يدور من باب البصرة الى باب الكوفة، ويدور الذي انتهى الى باب الشام الى باب الكوفة، وعرضه اثنى عشر ذراعاً على نعت واحد وحكاية واحدة، والأبواب الأربعة على صورة واحدة في الأبواب والفصلان والرحاب والطاقات، ثم الباب الثاني وهو باب المدينة وعليه السور الكبير الذي وصفنا، فيدخل من الباب الكبير الى دهليز

---

[1] هذه العبارة من الناحية التاريخية ليست دقيقة، فالخليفة الواثق تولى الخلافة سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م وتوفي سنة ٢٣٢هـ/٨٤٧م، واعتماداً على التاريخ الذي ذكره الخطيب البغدادي، فإن الخليفة الذي سقطت في أيامه هذه القبة، هو الراضي بالله ابراهيم بن المقتدر (٣٢٩-٣٣٣هـ/٩٤٠-٩٤٤م).

[2] وردت هذه الرواية ايضاً عند ابن الجوزي(المنتظم،جـ٨ص٢٠٢-٢٠٣).

[3] هناك اختلاف كبير في تقدير اساس عرض السور، فاليعقوبي(البلدان،ص٢٣٩) يذكر ان عرض اساس هذا السور هو "تسعين ذراعاً سوداء" فيما يقدره الطبري (تاريخ:جـ٧،ص٦١٩) بـ"خمسين ذراعاً".

ازج معقود بالآجر والجص طوله عشرون[1] ذراعاً، وعرضه اثنى عشر ذراعاً، وكذلك سائر الأبواب الاربعة، وعلى كل ازج من آزاج هذه الأبواب مجلس له درجة على السور يرتقي اليه منها، على هذا المجلس قبة عظيمة ذاهبة في السماء سمكها خمسون ذراعاً مزخرفة، وعلى رأس كل قبة منها تمثال تديره الريح لا يشبه نظائره، وكانت هذه القبة مجلس المنصور اذا أحب النظر الى الماء والى من يقبل من ناحية خراسان، وقبة على باب الشام كانت مجلس المنصور اذا أحب النظر الى الأرباض وما والاها، وقبة على باب البصرة كانت مجلسه اذا أحب النظر الى الكرخ ومن اقبل من تلك الناحية، وقبة على باب الكوفة كانت مجلسه اذا أحب النظر الى البساتين والضياع، وعلى كل باب من أبواب المدينة الأوائل والثواني، باب حديد عظيم جليل المقدار، كل باب منها فردان.

أخبرنا محمد بن علي الوراق وأحمد بن علي المحتسب قالا: أنبأنا محمد بن جعفر قال: نبأنا الحسن بن محمد السكوني قال: نبأنا محمد بن خلف قال: قال أحمد ابن الحارث عن العتابي: ان أبا جعفر نقل الأبواب من واسط، وهي أبواب الحجاج، وان الحجاج وجدها على مدينة كان بناها سليمان بن داود عليهما السلام بازاء واسط، كانت تعرف بزندورد، وكانت خمسة[2]،واقام على باب خراسان بابا جيء به من الشام من عمل الفراعنة، وعلى باب الكوفة الخارج بابا جيء به من الكوفة من عمل خالد[3]القسري، وعمل هو لباب الشام بابا فهو اضعفه، وابتنى قصره الذي يسمى الخلد على دجلة، وتولى ذلك أبان بن صدقة والربيع، وأمر ان يعقد الجسر عند باب الشعير، واقطع اصحابه خمسين في خمسين.

قال الشيخ أبو بكر: انما سمي قصر المنصور الخلد تشبيها له بجنة الخلد، وما يحويه من كل منظر رائق، ومطلب فائق، وغرض غريب ومراد عجيب، وكان

---

[1] هناك اختلاف ايضاً فيما يتعلق باطوال الدهاليز، فاليعقوبي(البلدان،ص٢٣٩) يذكر ان طول كل دهليز "ثمانون ذراعاً".

[2] وردت هذه الرواية ايضاً عند الطبري(تاريخ،جـ٧،ص٦٥١)، وابن الفقيه الهمذاني(البلدان،ص٢٩١-٢٩٢) مع بعض الاختلافات.

[3] أبو يزيد وقيل أبو الهيثم خالد بن عبد الله من يزيد البجلي، عينه الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك أميرا على العراق في سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م وعزله سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م، توفي سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م (ابن خلكان:وفيات الاعيان،جـ٢،ص٢٢٦-٢٣١).

موضعه وراء باب خراسان، وقد اندرس الان فلا عين له ولا أثر، حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال: حدثني أبو الحسن علي بن عبيد الزجاج الشاهد وكان مولده في شهر رمضان من سنة أربع وتسعين ومائتين قال: اذكر في سنة سبع وثلثمائة، وقد كسرت العامة الحبوس بمدينة المنصور، فافلت من كان فيها، وكانت الأبواب الحديد التي للمدينة باقية، فغلقت وتتبع اصحاب الشرط من افلت من الحبوس، فأخذوا جميعهم حتى لم يفتهم منهم احد.

قال الشيخ أبو بكر: عُدنا الى كلام وكيع المتقدم، قال: ثم يدخل من الدهليز الثاني الى رحبة مربعة عشرون ذراعا في مثلها، فعلى يمين الداخل اليها طريق وعلى يساره طريق، يؤدي الأيمن الى باب الشام والأيسر الى باب البصرة، والرحبة كالرحبة التي وصفنا، ثم يدور هذا الفصيل على سائر الأبواب بهذه الصورة، وتشرع في هذا الفصيل أبواب السكك، وهو فصيل ماد مع السور، وعرض كل فصيل من هذه الفصلان من السور الى افواه السكك خمس وعشرون ذراعا، ثم يدخل من الرحبة التي وصفنا الى الطاقات، وهي ثلاثة وخمسون طاقا سوى طاق المدخل اليها من هذه الرحبة، وعليه باب ساج كبير فردين، وعرض الطاقات خمس عشرة ذراعاً، وطولها من أولها الى الرحبة التي بين الطاقات والطاقات الصغرى مائتا ذراع، وفي جنبتي الطاقات بين كل طاقين منها غرف كانت للمرابطة، وكذلك لسائر الأبواب الباقية، فعلى هذه الصفة سواء، ثم يخرج من الطاقات الى رحبة مربعة عشرون ذراعا في عشرين ذراعا، فعن يمينك طريق يؤدي الى نظيرتها من باب الشام، ثم تدور الى نظيرتها من باب الكوفة، ثم الى نظريتها من باب البصرة.

ثم نعود الى وصفنا لباب خراسان: كل واحدة منهن نظيرة لصواحباتها، وفي هذا الفصيل تشرع أبواب لبعض السكك وتجاهك الطاقات الصغرى التي تلي دهليز المدينة الذي منه يخرج الى الرحبة الدائرة حول القصر والمسجد.

حدثني علي بن المحسن قال: قال لي القاضي أبو بكر بن أبي موسى الهاشمي: انبثق البثق من قبتين وجاء الماء الأسود فهدم طاقات باب الكوفة، ودخل المدينة فهدم دورنا فخرجنا الى الموصل وذلك في سني نيف وثلاثين وثلثمائة، وأقمنا بالموصل سنين عدة ثم عدنا الى بغداد فسكنا طاق العكي.

قال الخطيب الحافظ: بلغني عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قال: قد رايت المدن العظام، والمذكورة بالأتقان والاحكام، بالشامات وبلاد الروم وفي غيرهما

من البلدان، فلم أرمدينة قط أرفع سمكا، ولا أجود استدارة، ولا أنبل نبـلا، ولا أوسـع أبوابا، ولا أجود فصيلا، من الزوراء، وهي مدينة أبي جعفر المنصور[1]،كانما صبـت في قالب وكأنما افرغت افراغا، والدليل على ان اسمها الزوراء قول سلم الخاسر:

اين ربّ الزوراء اذ قلدته ... الملك عشرين حجة واثنتان

أخبرنا الحسين بن محمد المؤدب قال: أخبرني ابراهيم بن عبد الله الشطي قـال نبأنا أبو اسحق الهجيمي قال: نبأنا محمد بن القاسم أبو العيناء قال: قال الربيع: قال لـي المنصور: ياربيع هل تعلم في بنائي هذا موضعاً ان اخذني فيه الحصارخرجت خارجـا منه على فرسخين قال: قلت: لا ! قال: بلى، قال: في بنائي هذا مـا ان اخذنـي فيـه الحصار خرجت منه على فرسخين، حدثت عن أبي عبيد الله محمد بن عمـران بـن موسى المرزباني، قال: دفع الى العباس بن العباس بن محمد بن عبد الله بن المغـيرة الجوهري كتابا ذكر انه بخط عبد الله بن أبي سعد الوراق فكان فيه.

حدثنا عبد الله بن محمد بن عياش التميمي المروروذي قال: سمعت جدي عياش ابن القاسم يقول: كان على أبواب المدينة مما يلي الرحاب ستور وحجاب، وعلى كـل باب قائد، فكان على باب الشام سليمان بن مجالد في ألف، وعلى باب البصـرة أبـو الازهر التميمي في ألف، وعلى باب الكوفة خالد العكي في ألف، وعلى باب خراسـان مسلمة بن صهيب الغساني في ألف، وكان لا يدخل احد من عمومته يعنـي عمومـة المنصور ولاغيرهم من هذه الأبواب الا راجلاء الا داود بن علي عمـه فإنـه كـان منقرساً، فكان يحمل في محفة، ومحمد المهدي ابنه، وتكنس الرحاب فـي كـل يـوم يكنسها الفراشون ويحمل التراب الى الخارج المدينة، فقال له عمه عبد الصمد: يا أمير المؤمنين، انا شيخ كبير فلو اذنت لي ان انزل داخل الأبواب فلم يأذن له، فقال: يا أمير المؤمنين عدّني بعض بغال الرّوايا[2]التي تصل الى الرحاب، فقال: يـا ربيـع بغـال الروايا تصل الى رحابي ؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين فقال: تتخذ الساعة قنى بالسـاج من باب خراسان حتى تجيء الى قصري ففعل.

---

[1] لقد ورد هذا الوصف ايضاً عند ابن الفقيه الهمذاني(البلدان،ص٣١٤) مع بعض الاختلافات.

[2] جمع الرواية، وهي المزادة فيها المـاء والبعـير والبغـل والحمـار يستسـقى عليـه (الفـيروز أبادي:القاموس المحيط،جـ٤،ص٣٣٩).

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسن المؤدب قال: أخبرني ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم الشطي بجرجان قال: نبأنا أبو اسحاق الهجيمي قال: قال أبو العيناء: بلغني ان المنصور جلس يوما فقال للربيع: انظر من بالباب من وفود الملوك فادخله ؟ قال: قلت وافد من قبل ملك الروم، قال: ادخله، فدخل فبينما هو جالس عند أمير المؤمنين، اذ سمع المنصور صرخة كادت تقلع القصر ، فقال: يا ربيع ينظر ما هذا ؟ قال: ثم سمع صرخة هي أشد من الأولى، فقال يا ربيع ينظر ما هذا ؟ قال: ثم سمع صرخة هي أشد من الأوليين، فقال يا ربيع اخرج بنفسك، قال فخرج الربيع، ثم دخل فقال: يا أمير المؤمنين بقرة قربت لتذبح فغلبت الجازر وخرجت تدور في الأسواق، فاصغى الرومي الى الربيع يتفهم ما قال، ففطن المنصور لاصغاء الرومي، فقال: يا ربيع أفهمه، قال فأفهمه، فقال الرومي: يا أمير المؤمنين انك بنيت بناء لم يبنه احد كان قبلك، وفيه ثلاثة عيوب، قال: وما هي ؟ قال: اما أول عيب فيه فبعده عن الماء ولا بد للناس من الماء لشفاههم، واما العيب الثاني فإن العين خضرة وتشتاق الى الخضرة وليس في بنائك هذا بستان، واما العيب الثالث فإن رعيتك معك في بنائك واذا كانت الرعية مع الملك في بنائه فشا سره، قال: فتجلد عليه المنصور، فقال له: اما قولك في الماء فحسبنا من الماء ما بل شفاهنا، واما العيب الثاني فإنا لم نخلق للهو واللعب، واما قولك في سري فما لي سر دون رعيتي، قال: ثم عرف الصواب فوجه بشميس وخلاد، وخلاد هو جد أبي العيناء فقال: مدا لي قناتين من دجلة، وأغرسوا لي العباسية، وانقلوا الناس الى الكرخ.

قال الشيخ أبو بكر: مد المنصور من نهر دجيل الآخذ من دجلة، وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات[1]،وجرهما الى مدينته في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالصاروج والآجر من اعلاها، وكانت كل قناة منهما تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والأرباض، وتجري صيفا وشتاء لا ينقطع ماؤها في وقت، وجر لأهل الكرخ وما اتصل به نهرا يقال له: نهر الدجاج وانما سمي بذلك لأن اصحاب الدجاج كانوا يقفون عنده، ونهرا يقال له نهر القلائين، حدثنا من ادركه جاريا يلتقي في دجلة تحت الفرضة، ونهرا يسمى نهر طابق، ونهرا يقال له نهر البزازين، فسمعت من يذكر

---

[1] ذكر اليعقوبي(البلدان،ص٢٣٨) ان الخليفة أبو جعفر المنصور عمل القناة التي تأخذ من نهر كرخايا الاخذ من الفرات واجراها الى داخل المدينة للشرب ولضرب اللبن وبل الطين.

انه توضأ منه، ونهرا في مسجد الأنباريين رأيته لا ماء فيه، وقد تعطلت هذه الأنهار ودرس اكثرها حتى لا يوجد له أثر، وأنهارا نذكرها بعد ان شاء الله تعالى.

خبر بناء الكرخ

أخبرنا محمد بن الحسين القطان قال: أنبأنا عبد الله بن جعفر بن درستويه قال: نبأنا يعقوب ابن سفيان قال: سنة سبع وخمسين ومائة فيها نقل أبو جعفر الأسواق من المدينة ومدينة الشرقية الى باب الكرخ وباب الشعير والمحول، وهي السوق التي تعرف بالكرخ وامر ببنائها من ماله على يدي الربيع مولاه، وفيها وسع طرق المدينة وأرباضها ووضعها على مقدار اربعين ذراعا، وامر بهدم ما شاع من الدور عن ذلك القدر.

أخبرنا أبو القاسم الأزهري قال: أنبأنا أحمد بن ابراهيم بن الحسن قال: نا ابراهيم بن الحسن قال: نا ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال: فلما دخلت سنة سبع وخمسين وكان أبو جعفر قد ولى الحسبة يحيى بن زكريا، فاستغوى العامة، وزين لهم الجموع فقتله أبو جعفر بباب الذهب، وحول أسواق المدينة الى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول، وامر ببناء الأسواق على يد الربيع، وأوسع الطرق بمدينة السلام وجعلها على اربعين ذراعا وأمر بهدم ما شخص من الدور عن ذلك المقدار، وفي سنة ثمان وخمسين بنى المنصور قصره على دجلة وسماه الخلد.

أخبرنا محمد بن علي الوراق وأحمد بن علي المحتسب قالا: ان محمد بن جعفر النحوي قال: نبأنا الحسن بن محمد السكوني قال: قال محمد بن خلف: قال الخوارزمي يعني محمد بن موسى: وحول أبو جعفر الأسواق الى الكرخ وبناها من ماله بعد مائة سنة وست وخمسين سنة وخمسة اشهر وعشرين يوما، ثم بدأ بعد ذلك في بناء قصر الخلد على شاطئ دجلة بعد شهر واحد عشر يوما.

قال محمد بن خلف: وأخبرني الحارث بن أبي اسامة، قال: لما فرغ أبو جعفر المنصور من مدينة السلام، وصيّر الأسواق في طاقات مدينته من كل جانب، قدم عليه وفد ملك الروم، فأمر ان يطاف بهم في المدينة ثم دعاهم، فقال للبطريق: كيف رايت هذه المدينة ؟ قال: رأيت امرها كاملا الا في خلة واحدة ! قال: ما هي ؟ قال: عدوك يخترقها متى شاء وانت لا تعلم، وأخبارك مبثوثة في الآفاق لا يمكنك سترها، قال: كيف ؟ قال: الأسواق فيها، والأسواق غير ممنوع منها أحد فيدخل العدو كأنه يريد ان

يتسوّق، وأما التجار فإنها ترد الآفاق فيتحدثون بأخبارك، قال: فزعموا انه امر المنصور حينئذ باخراج الأسواق من المدينة الى الكرخ[1]، وان يبنى ما بين الصراة الى نهر عيسى، وولى ذلك محمد بن حبيش الكاتب، ودعا المنصور بثوب واسع فحد فيه الأسواق، ورتب كل صنف منها في موضعه وقال: اجعلوا سوق القصابين في آخر الأسواق، فإنهم سفهاء وفي أيديهم الحديد القاطع، ثم أمر ان يبنى لأهل الأسواق مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة لا يدخلون المدينة ويفرد لهم ذلك، وقلد ذلك رجلا يقال له الوضاح بن شبا فبنى القصر الذي يقال له: قصر الوضاح والمسجد فيه، وسميت الشرقية لأنها شرقي الصراة، ولم يضع المنصور على الأسواق غلة حتى مات[2]، فلما استخلف المهدي اشار عليه أبو عبيد الله بذلك، فأمر فوضع على الحوانيت الخراج وولى ذلك سعيد الخرسي سنة سبع وستين ومائة.

أخبرنا محمد بن علي وأحمد بن علي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر النحوي قال: نبأنا الحسن بن محمد السكوني قال: قال محمد بن خلف: كانت سوق دار البطيخ قبل ان تنتقل الى الكرخ في درب يعرف بدرب الأساكفة، ودرب يعرف بدرب الزيت، ودرب يعرف بدرب العاج، فنقلت السوق الى داخل الكرخ في أيام المهدي، فدخل أكثر الدرب في الدور التي اشتراها أحمد بن محمد الطائي، وكانت القطائع التي من جانب الصراة مما يلي باب المحول لعقبة بن جعفر بن محمد بن الاشعث بن ولد اهبان بن صيفي مكلم الذئب اقطاعا من المنصور، ثم خرج عقبة على المأمون فنهبت داره، ثم اقطعها المأمون ولد عيسى بن جعفر، وكانت الدور التي بين الخندق مما يلي باب البصرة وشط الصراة وازاء دور الصحابة للاشاعثة، وهي دور آل حماد بن زيد اليوم، وكانت دار جعفر بن محمد بن الاشعث الكندي مما يلي باب المحوّل ثم صارت للعباس ابنه.

حدثني الحسن بن أبي طالب قال: نا أبوعمر محمد بن العباس الخزاز قال: نا أبو عبيد الناقد قال: نا محمد بن غالب قال: سمعت عبد الرحمن بن يونس أبا مسلم يذكر عن الواقدي، قال: الكرخ مفيض السفل.

---

[1] وردت هذه الرواية عند الطبري (تاريخ،جـ٧،ص٦٥٣) بشكل مقتضب.

[2] عند الطبري (تاريخ،جـ٧،ص٦٥٣)، "وضع عليهم (أي المنصور) الغلة على قدر ذراع".

قال الشيخ أبو بكر: إنما عنى الواقدي بقوله هذا مواضع من الكرخ مخصوصة يسكنها الرافضة دون غيرهم ولم يرد سائر نواحي الكرخ والله اعلم.

أنشدنا الحسن بن بكر بن شاذان قال: أنشدنا أبي قال: أنشدنا أبو عبد الله ابراهيم ابن محمد بن عرفة نفطويه لنفسه:

سقى أربع الكرخ الغوادي بديمة ... وكلّ ملثّ دائم الهطل مسبل

منازل فيها كل حسن وبهجة ... وتلك لها فضل على كل منزل

خبر بناء الرصافة

أخبرنا محمد بن علي بن مخلد الوراق وأحمد بن علي بن الحسين التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر التميمي قال: نا الحسن بن محمد السكوني قال: نا محمد بن خلف قال: قال أحمد ابن محمد الشوري عن أبيه: قدم المهدي من المحمدية بالريّ سنة احدى وخمسين ومائة في شوال، ووفدت اليه الوفود وبنى له المنصور الرصافة، وعمل لها سورا وخندقا وميدانا وبستانا، واجرى لها الماء.

قال محمد بن خلف وقال يحيى بن الحسن: كان بناء المهدي بالرهوص الا ما كان يسكنه هو، وأستتم بناء الرصافة وجميع ما فيها سنة تسع وخمسين ومائة، هكذا قال يحيى ابن الحسن.

وأخبرنا ابن مخلد وابن التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر قال: نبأنا السكوني قال: نبأنا محمد بن خلف قال: نا الحارث بن أبي اسامة قال: فرغ من بناء الرصافة سنة أربع وخمسين ومائة، قرأت على الحسن بن أبي بكر عن أحمد بن كامل القاضي قال: حدثني محمد بن موسى عن محمد بن أبي السري عن الهيثم بن عدي قال: لما بنى المهدي قصره بالرصافة دخل يطوف فيه ومعه أبو البختري وهب بن وهب[1]،قال فقال له: هل تروى في هذا شيئاً ؟ قال: نعم حدثني جعفر بن محمد عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خير صحونكم ما سافرت فيه أبصاركم".

---

[1] القاضي القرشي سكن بغداد، وولي القضاء في عسكر المهدي، ثم قضاء المدينة ثم اصبح بعد وفاة القاضي أبي يوسف يعقوب ابراهيم في سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م قاضي القضاة (ابن خلكان:وفيات الاعيان،جـ٦،ص٣٧-٢٤٢).

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله المعدل قال: نا عثمان بن أحمد الدقاق قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن البزاء قال: قال علي بن يقطين: خرجنا مع المهدي فقال لنا يوما: اني داخل ذلك البهو فنائم فيه فلا يوقظني احد حتى استيقظ، قال: فنام ونمنا فما انبهنا الا بكاؤه، فقمنا فزعين فقلنا: ما شأنك ياأمير المؤمنين ؟ قال: اتاني الساعة آت في منامي شيخ والله لو كان في مائة ألف شيخ لعرفته، فأخذ بعضادتي الباب وهو يقول:

كأني بهذا القصر قد باد أهله ... واوحش منه ركنه ومنازله

وصار عميد القوم من بعد بهجةٍ ... وملكٍ الى قبرٍ عليه جنادله

أخبرني القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي الصيمري قال: نبأنا محمد بن عمران المرزباني قال: أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني محمد بن موسى المنجم: ان المعتصم وابن أبي داؤد اختلفا في مدينة أبي جعفر والرصافة ايّهما أعلى، قال: فأمرني المعتصم فوزنتهما، فوجدت المدينة أعلى من الرصافة بذراعين ونحو من ثلثي ذراع.

قال الشيخ أبو بكر: وربع الرصافة يسمى عسكر المهدي، وانما سمي بذلك لأن المهدي عسكر به عند شخوصه الى الري.

ذكر محال مدينة السلام وطاقاتها وسككها ودروبها وارباضها ومعرفة من نسبت اليه من ذلك:

نواحي الجانب الغربي

أخبرنا محمد بن علي بن مخلد وأحمد بن علي بن الحسين التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر التميمي النحوي قال: نبأنا الحسن بن محمد السكوني قال: نبأنا محمد ابن خلف وكيع قال: طاقات العكي، هو مقاتل بن حكيم أصله من الشام وطاقات الغطريف بن عطاء، وهو اخو الخيزران خال الهادي والرشيد ولي اليمن ويقال انه من بنى الحارث بن كعب، وان الخيزران كانت لسلمة بن سعيد اشتراها من قوم قدموا من جرش مولدة، طاقات أبي سويد، اسمه الجارود مما يلي مقابر باب الشام، ربض العلاء ابن موسى عند درب أبي حية، ربض أبي نعيم موسى بن صبيح من أهل مرو عند يقال شيرويه ويقال ان أبا نعيم خال الفضل بن الربيع، قال الشيخ أبو بكر: يقال

شيرويه: هو اسم موضع في هذا الربض، وربض أبي عون عبد الملك بن يزيد الدرب النافذ الى درب طاهر، وربض أبي ايوب الخوزي، وربض الترجمان يتصل بربض حرب، الترجمان بن بلخ، مربعة شبيب بن روح المرورودي، كذا ذكر لي ابن مخلد وابن التوزي وانما هو شبيب بن وأج، قال ذلك: أحمد بن أبي طاهر وابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ومحمد بن عمر الجعابي، مربعة أبي العباس، وهو الفضل بن سليمان الطوسي وهو من أهل أبيورد، قال محمد بن خلف: وقال أحمد بن أبي طاهر: حدثني أبو جعفر محمد بن موسى بن الفرات الكاتب: ان القرية التي كانت في مربعة أبي العباس كانت قرية جده من قبل امه وانه من دهاقين يقال لهم بنوزراري وكانت القرية التي تسمى الوردانية وقرية اخرى قائمة الى اليوم مما يلي مربعة أبي قرة، قال محمد بن خلف: ومربعة أبي قرة هو عبيد بن هلال الغساني من اصحاب الدولة، وزعم أحمد بن الحارث عن ابراهيم بن عيسى قال: كان في الموضع الذي هو اليوم معروف بدار سعيد الخطيب قرية يقال لها شرقانية ولها نخل قائم الى اليوم مما يلي قنطرة أبي الجوز، وأبو الجوز من دهاقين بغداد من أهل القرية.

قال محمد بن خلف: وربض سليمان بن مجالد، وربض ابراهيم بن حميد، وربض حمزة بن مالك الخزاعي، وربض رواد بن سنان احد القواد، وربض حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس الطائي، وقرية معدان بعمان على ساحل البحر يقال لها بوس، وربض نصر بن عبد الله: وهو شارع دجيل يعرف بالنصرية، وربض عبد الملك بن حميد كاتب المنصور قبل أبي ايوب، وربض عمرو بن المهلب، وربض حميد بن أبي الحارث احد القواد، وربض ابراهيم بن عثمان بن نهيك عند مقابر قريش، وربض زهير بن المسيب وربض الفرس ومربعتهم اقطعهم المنصور.

ثم قال محمد بن خلف: وقال الفراشي أحمد بن الهيثم: اقطاع المسيب بن زهير في شارع باب الكوفة ما بين حد دار الكندي الى حد سويقة عبد الوهاب الى داخل المقابر، واقطاع القحاطبة من شارع باب الكوفة الى باب الشام، أخبرني أبو القاسم الأزهري قال: أنبأنا أحمد بن ابراهيم قال: نبأنا ابراهيم بن محمد بن عرفة قال: واما شارع القحاطبة، فمنسوب الى الحسن بن قحطبة وهنالك منزله وكان الحسن من رجالات الدولة ومات سنة احدى وثمانين ومائة.

أخبرنا ابن مخلد وابن التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر نبأنا السكوني قال قال محمد بن خلف: واقطع المامون طاهر بن الحسين داره وكانت قبله لعبيد الخادم مولى

المنصور قال: والبغيين اقطاع المنصور لهم وهو من درب سوار الى آخر ربض البرجلانية وفي البرجلانية منازل حمزة بن مالك. الخوارزمية جند من جند المنصور الحربية نسبت الى حرب بن عبد الله صاحب حرس المنصور، الزهيرية الى زهير بن محمد قائد من أهل أبيورد،منارة حميد الطوسي الطائي قال محمد بن خلف قال أبو زيد الخطيب وسمعت أبي يقال: شهار سوج الهيثم: هو الهيثم بن معاوية القائد، وقال أبو زيد الخطيب: المنار الذي في شارع الأنبار بناه طاهر وقت دخوله، قال محمد بن خلف: بستان القس: قس كان ثم قبل بناء بغداد. سويقة عبد الوهاب بن محمد بن ابراهيم الامام، أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق قال: أنبأنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: نبأنا محمد بن أحمد بن البراء قال: نبأنا علي بن أبي مريم قال: مررت بسويقة عبد الوهاب وقد خربت منازلها وعلى جدار منها مكتوب:

هذي منازل أقوام عهدتهم | في رغد عيش رغيب ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا | الى القبور فلاعين ولا أثر

أخبرنا ابن مخلد وابن التوزي قال: أنبأنا محمد بن جعفر قال: نبأنا السكوني قال: قال: محمد بن خلف: ودور الصحابة منهم أبو بكر الهذلي وله مسجد ودرب، ومحمد بن يزيد، وشبة بن عقال، وحنظلة بن عقال ولهم درب ينسب الى الاستخراجي اليوم، ولعبد الله ابن عياش دارعلي شاطئ الصراة، ولعبد الله بن الربيع الحارثي دار في دور الصحابة، ولابن أبي سعلى الشاعر، ولأبي دلامة زيد بن جون اقطاع هكذا في رواية محمد بن جعفر عن السكوني زيد بالياء. وقد أخبرنا محمد بن الحسن الاهوازي قال: نا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري قال: أنبأنا أبو العباس بن عمار قال: أنبأنا ابن أبي سعد، قال: قال أحمد بن كلثوم: رأيت أبا عثمان المازني والجمازعند جدي محمد بن أبي رجاء فقال لهم: ما اسم أبي دلامة[1]؟ فلم يردوا عليه شيئا، فقال جدي: هو زند إياك ان تصحف فتقول زيد! قال أبو أحمد العسكري: أبو دلامة هو زند بن الجون مولى قصاقص الأسدي، صحب السفاح والمنصور ومدحهما، وفي اجداد النبي صلى الله عليه وسلم في نسب اسماعيل زند بن برى بن اعراق الثرى.

---

[1] شاعر ظريف له نوادر جمة وأخبار كثيرة ولا سيما مع الخلفاء والامراء، توفي سنة ١٦١هـ/٧٧٧م (ياقوت الحموي:معجم الادباء،جـ١١،ص١٦٥-١٨٦).

أخبرني عبد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال نبأنا محمد بن عبد الله بن ايوب قال: أنبأنا أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي قال: قال أبو ايوب يعني سليمان بن أبي شيخ: كان أبو جعفر المنصور امر من دور الصحابة ان تهدم او تقبض وفيها دار لأبي دلامة فقال:

يابني وارث النبي الذي حلّ ... بكفيه ماله وعقاره

لكم الأرض كلّها فاعيروا ... عبدكم ما احتوى عليه جداره

وكأن قد مضى وخلّف فيكم ... ما اعرتم وحلّ مالا يعاره

أخبرنا ابن مخلد وابن التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر قال: نبأنا السكوني قال: قال محمد بن خلف: كان موضع السجن الجديد اقطاعا لعبد الله بن مالك نزلها محمد بن يحيى بن خالد بن برمك ثم دخلت في بناء ام جعفر أيام محمد الذي سمته القرار وكانت دار سليمان بن أبي جعفر قطعية لهشام بن عمرو الفزاري، ودار عمرو بن مسعدة للعباس بن عبيد الله ابن جعفر بن المنصور دار صالح المسكين اقطعه اياها أبو جعفر، وسويقة الهيثم بن شعبة بن ظهير مولى المنصور توفي سنة ست وخمسين ومائة وهو على بطن جارية، دار عمارة بن حمزة[1]أحد الكتاب البلغاء الاجلة يقال: هو من ولد أبي اسامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقال: هو من ولد عكرمة، قصر عبدويه من الازد من وجوه الدولة تولى بناءه أيام المنصور، دار أبي يزيد الشروي مولى علي بن عبد الله بن العباس، سكة مهلهل بن صفوان مولى علي ابن عبد الله، صحراء أبي السري الحكم بن يوسف قائد: وهو مولى لبني ضبّة، الرهينة كانت لقوم اخذوا رهينة أيام المنصور وهي متصلة بربض نوح بن فرقد قائد صحراء قيراط مولى طاهر وابنه عيسى بن قيراط، دار اسحاق كانت جزيرة اقطعها المأمون اسحاق بن ابراهيم، سويقة أبي الورد هو عمر بن مطرف المروزي كان يلي المظالم للمهدي ويتصل بها قطيعة اسحاق الأزرق الشروي من ثقات المنصور، حدثت عن أبي عبيد الله المرزباني قال: حدثني عبد الباقي بن قالع، قال: انما سميت سويقة أبي الورد، لأن عيسى بن عبد الرحمن كان يقال له أبو الورد وكان مع المنصور، فالسويقة به سميت.

---

[1] الهاشمي بالولاء، كاتب واديب، توفي سنة ١٩٩هـ/٨١٤م (ابن النديم:الفهرست،ص١٨٩).

أخبرنا ابن مخلد وابن التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر قال: نبأنا السكوني قال: قال محمد بن خلف: بركة زلزل الضارب وكان غلاما لعيسى بن جعفر فحفر هذه البركة للسبيل أنشدنا الحسن بن أبي بكر قال: أنشدنا أبي قال: أنشدنا ابراهيم بن محمد ابن عرفة نفطويه لنفسه:

لو انّ زهيرا وامرأ القيس أبصرا ملاحة ما تحويه بركة زلزل

لما وصفا سلمى ولا أم سالم ولا اكثرا ذكر الدّخول فحومل

أخبرنا ابن مخلد وابن التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر قال: نبأنا السكوني قال: نبأنا محمد بن خلف قال: قال أحمد بن أبي طاهر: حدثني أحمد بن موسى من دهاقين بادوريا قال: كانت قطيعة الربيع مزارع للناس من قرية يقال لها بناورى من رستاق الفروسيج من بادوريا واسمها الى الساعة معروف في الديوان، قال محمد بن خلف: وقالوا: اقطع المنصور الربيع قطيعته الخارجية وقطيعة اخرى بين السورين ظهر درب جميل وان التجار وساكني قطيعة الربيع غصبوا ولد الربيع عليها وكانت قطيعة الربيع وسويقة غالب تسمى قبل ذلك ورثالا، ويقال: ان الخارجة اقطعها المهدي للربيع والمنصور اقطعه الداخلة، أخبرني أبو القاسم الأزهري قال: أنبأنا أحمد بن ابراهيم قال: نبأنا ابراهيم بن محمد بن عرفة قال: واما قطيعة الربيع فمنسوبة الى الربيع مولى المنصور، واما قطيعة الأنصار فإن المهدي اقدمهم ليكثر بهم انصاره ويتيمن بهم فأقطعهم هذه القطيعة وكانت منازل البرامكة بالقرب منهم، قال ابن عرفة: واما قطيعة الكلاب فأخبرني بعض الشيوخ عن رجل من أهلها عن أبيه قال: لما اقطع أبو جعفر القطايع بقيت هذه الناحية لم يقطعها احدا وكانت الكلاب فيها كثيرا فقال بعض أهلها: هذه قطيعة الكلاب فسميت بذلك، واما سكك المدينة فمنسوبة الى موالي أبي جعفر وقواده، منها سكة شيخ بن عميرة، وكان يخلف البرامكة على الحرس وكان قائدا، واما دار خازم، فهو خازم بن خزيمة النهشلي وهو أحد الجبابرة قتل في وقعة سبعين ألفا واسر بضعة عشر ألفا فضرب اعناقهم وذلك بخراسان[1]، واما درب الأبرد، فإنه

---

[1] ذكر الطبري (تاريخ،جـ٨،ص٢٩-٣١) في أحداث سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، ان المهدي وجه القائد خازم بن خزيمة النهشلي لحرب استاذسيس وكان قد اظهر العصيان والتمرد ضد الدولة العربية الاسلامية. واستولى على مدن عدة منها هراة وباذغيس وسجستان وغيرها من عامة مدن

الأبرد بن عبد الله قائد من قواد الرشيد، وكان يتولى همذان، واما درب سليمان فمنسوب الى سليمان بن جعفر المنصور وسكة الشرط في المدينة كان ينزلها اصحاب شرط المنصور، وسكة سيابة منسوبة اليه، وهو احد اصحاب المنصور، واما الزبيدية التي بين باب خراسان وبين شارع دار الرقيق، فمنسوبة الى زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، وكذلك الزبيدية التي أسفل مدينة السلام في الجانب الغربي، واما قصر وضاح، فمنسوب الى وضاح الشروي مولى المنصور، واما دور بني نهيك التي تقرب من باب المحوّل، فهم أهل بيت من أهل سمرة وكانوا كتابا وعمالا متصلين بعبد الله بن طاهر، واما درب جميل، فهو جميل بن محمد وكان احد الكتاب، واما مسجد الأنباريين فينسب اليهم لكثرة من سكنه منهم، وأقدم من سكنه منهم زياد القندي، وكان يتصرف في أيام الرشيد، وكان الرشيد ولى أبا وكيع الجراح بن مليح[1] بيت المال فأستخلف زيادا، وكان زياد شيعيا من الغالية فآختان هو وجماعة من الكتاب واقتطعوا من بيت المال وصح ذلك عند الرشيد فأمر بقطع يد زياد، فقال يا أمير المؤمنين لا يجب علي قطع اليد انما انا مؤتمن وانما خنت فكف عن قطع يده، قال ابن عرفة: وممن نزل مسجد الأنباريين من كبرائهم أحمد بن اسرائيل[2] ومنزله في درب جميل ودليل بن يعقوب[3] ومنزله في دور بني نهيك، وهنالك دار أبي الصقر اسماعيل بن بلبل، وممن ادركنا من سراة الأنباريين أبو أحمد القاسم بن سعيد وكان كاتبا اديبا أخبرنا ابن مخلد وابن التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر قال: نبأنا السكوني قال: قال محمد بن خلف: طاق الحراني ابراهيم بن ذكوان، ثم السوق العتيقة الى باب الشعير.

قال الشيخ أبو بكر: وفي السوق العتيقة، مسجد تغشاه الشيعة وتزوره وتعظمه وتزعم ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلى في ذلك الموضع ولم ار احدا من

خراسان، وقد تمكن القائد حازم بن خزيمة من هزيمة ستاذسيس واسره وقتل اعداد كبيرة من اتباعه، وانهاء التمرد.

[1] والد فقيه العراق وكيع الرؤاسي، توفي سنة ١٧٥هـ/٧٩١م (ابن حجر العسقلاني:تقريب التهذيب،جـ١ ص١٥٧).

[2] وزير الخليفة المعتز (٢٥٢-٢٥٦هـ/٨٦٦-٨٦٩م)، توفي في خلافة المهتدي (٢٥٦-٢٥٧هـ/٨٦٩-٨٧٠م)، (ابن طقطقا:الفخري في الاداب السلطانية،ص٢١٦).

[3] احد الكتاب النصارى، توفي ونهبت داره في سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م (ابن كثير:البداية والنهاية،جـ١١، ص٧).

أهل العلم يثبت ان عليا دخل بغداد ولا روى لنا في ذلك شيء غير ما أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي الصيمري قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن علي الصيرفي قال: نبأنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر الجعابي الحافظ وذكر بغداد فقال: يقال ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب اجتاز بها الى النهروان راجعا منه وانه صلى في موضع منها فإن صح ذلك فقد دخلها من كان معه من الصحابة، قال الشيخ أبو بكر: والمحفوظ ان عليا سلك طريق المدائن في ذهابه[1] الى النهروان، وفي رجوعه[2] والله أعلم.

حدثني أبو الفضل عيسى بن أحمد بن عثمان الهمداني قال: سمعت أبا الحسن بن رزقويه يقول: كنت يوما عند أبي بكر بن الجعاني فجاءه قوم من الشيعة فسلموا عليه ودفعوا اليه صرة فيها دراهم، ثم قالوا له: ايها القاضي انك قد جمعت أسماء محدثي بغداد وذكرت من قدم اليها وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد وردها فنسألك ان تذكره في كتابك، فقال: نعم ياغلام، هات الكتاب فجيء به، فكتب فيه وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يقال: انه قدمها، قال ابن رزقويه فلما انصرف القوم، قلت له: ايها القاضي هذا الذي الحقته في الكتاب من ذكره ؟ فقال: هؤلاء الذين رأيتهم او كما قال.

أخبرنا ابن مخلد وابن التوزي القاضي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر السكوني قال: قال محمد بن خلف: مسجد ابن رغبان عبد الرحمن بن رغبان مولى حبيب بن مسلمة، ونهر طابق انما هو نهر بابك بن بهرام بن بابك وهو الذي اتخذ العقر الذي عليه قصر عيسى بن علي واحتفر هذا النهر ونهر عيسى غربيه من الفروسيج وشرقيه من رستاق الكرخ، وفيه دور المعبديين وقنطرة بني زريق ودار البطيخ ودار القطن وقطيعة النصارى الى قنطرة الشوك من نهر طابق شرقيه وغربيه من قرية بناورى، ومسجد الواسطيين مع ظلة ميشويه وميشويه نصراني من الدهاقين الى خندق

---

[1] ينقل الطبري (تاريخ،جـ٥،ص٨٣) يسنده عن أبي مخنف الأزدي، ان الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) سلك طريق الأنبار لما أراد المسير الى أهل النهروان، وهذا يعني انه (عليه السلام) سلك طريق بغداد-الفلوجة ليعبر دجلة الى نواحي النهروان.

[2] في الكتاب المنسوب الى المسعودي(الامامة،ص١١٦) رواية تشير الى ان الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مرّ بقرية قطفتا، وقد شكا أهلها اليه كثرة الخراج الموضوع عليهم، وهذه القرية تقع في الجانب الغربيّ من بغداد مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي (ياقوت الحموي،البلدان،جـ٤،ص٣٧٤).

الصينيات الى الياسرية، وما كان غربي الشارع فهو من قرى تعرف ببراثا وما كان من شرقيه فهو من رستاق الفروسيج وما كان من درب الحجارة وقنطرة العباس شرقيا وغربيا فهو من نهر كرخايا وهو من براثا وانما سمي كرخايا لأنه كان يسقي في رستاق الفروسيج والكرخ فلما احدث عيسى الرحا المعروف بأبي جعفر قطع نهر كرخايا وشق لرستاق الكرخ شرباً من نهر رفيل، العباسية قطيعة للعباس بن محمد، الياسرية لياسر مولى زبيدة، قنطرة بني زريق دهاقين من أهل بادوريا، قنطرة المعبدي عبد الله بن معبد المعبدي، ارحاء البطريق: وافد لملك الروم واسمه طارات ابن الليث بن العيزار بن طريف بن فوق بن مورق، بنى هذا المستغل ثم مات فقبضت عنه.

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع فيما اذن ان نرويه عنه قال: أنبأنا علي بن محمد بن السري الهمداني قال: أنبأنا القاضي أبو بكر محمد بن خلف، قال انبئت: ان يعقوب بن المهدي سأل الفضل بن الربيع عن ارحاء البطريق فقال: أخبرني اسحاق بن محمد بن اسحاق قال له: من هذا البطريق الذي نسبت اليه هذا الارحاء ؟ فقال الفضل: ان أباك رضى الله عنه لما افضت اليه الخلافة قدم عليه وافد من الروم يهنئه فأستدناه، ثم كلمه بترجمان يعبر عنه، فقال الرومي: اني لم اقدم على أمير المؤمنين لمال ولاغرض وانما قدمت شوقا اليه والى النظر الى وجهه لأنا نجد في كتبنا ان الثالث من أهل بيت نبي هذه الامة يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، فقال المهدي: قد سرني ما قلت ولك عندنا كل ما تحب، ثم امر الربيع بانزاله واكرامه فاقام مدة، ثم خرج يتنزه فمرّ بموضع الأرحاء فنظر اليه، فقال: للربيع اقرضني خمسمائة ألف درهم ابني بها مستغلا يؤدي في السنة خمسمائة ألف درهم، فقال: افعل، ثم اخبر المهدي بما ذكر فقال: أعطه خمسمائة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وما اغلت فأدفعه اليه، فاذا خرج الى بلاده فابعث به اليه في كل سنة، قال: ففعل ! فبنى الأرحاء، ثم خرج الى بلاده فكانوا يبعثون بغلتها اليه حتى مات الرومي[1]، فأمر المهدي ان يضم الى مستغله، قال: واسم البطريق طارات بن الليث بن العيزار بن طريف، وكان أبوه ملكا من ملوك الروم في أيام معاوية بن أبي سفيان.

---

[1] وردت هذه الرواية عند ابن الفقيه الهمذاني(البلدان،ص٣٠٣-٣٠٤) مع بعض الأختلافات.

أخبرني أبو القاسم الأزهري قال: أنبأنا أحمد بن ابراهيم قال: نبأنا ابراهيم بن محمد بن عرفة قال: واما قطيعة خزيمة، فهو خزيمة بن خازم احد قواد الرشيد، وعاش الى أيام الامين وعمى في اخر عمره، واما شاطئ دجلة فمن قصر عيسى الى الدار التي ينزلها في هذا اليوم على قرن الصراة ابراهيم بن أحمد فإنما كان اقطاعا لعيسى بن علي يعني ابن عبد الله بن عباس واليه ينسب نهر عيسى وقصر عيسى، وعيسى بن جعفر وجعفر بن أبي جعفر واليه ينسب فرضة جعفر وقطيعة جعفر، واما قصر حميد فأحدث بعد، واما شاطئ دجلة من قرن الصراة الى الجسر ومن حد الدار التي كانت لنجاح بن سلمة ثم صارت لأحمد بن اسرائيل ثم هي اليوم بيد خاقان المفلحي الى باب خراسان فذلك الخلد، ثم ما بعده الى الجسر، فهو القرار نزله المنصور في آخر أيامه ثم أوطنه الأمين.

أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل قال: أخبرنا الحسين بن صفوان البرذعي قال: نبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قال: حدثني الحسن بن جهور قال: مررت مع علي بن أبي هاشم الكوفي بالخلد والقرار الى تلك الاثار فوقف متأملا وقال:

بنوا وقالوا لا نموت ... وللخراب بنى المبنى

ما عاقل فيما رأيت ... الى الحياة بمطمئن

أخبرني الأزهري قال: أنبأنا أحمد بن ابراهيم قال: نبأنا ابن عرفة قال: واما دار اسحاق فمنسوبة الى اسحاق بن ابراهيم المصعبي، ولم يزل يتولى الشرطة من أيام المامون الى أيام المتوكل ومات في سنة خمس وثلاثين ومائتين، وسنة ثمان وخمسون سنة وثمانية اشهر واحد عشر يوما، واما قطيعة أم جعفر فمنسوبة اليها.

تسمية نواحي الجانب الشرقي

أخبرنا محمد بن علي بن مخلد وأحمد بن علي التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر التميمي قال: نبأنا الحسن بن محمد السكوني قال: نبأنا محمد بن خلف قال: درب خزيمة بن خازم اقطاع، طاق اسماء بنت المنصور، وهي التي صارت لعلي بن جهشيار بين القصرين: قصر اسماء وقصر عبيد الله بن المهدي، سويقة خضير مولى صالح المصلى كان يبيع الجرار هناك سويقة يحيى بن خالد اقطاع ثم صارت لأم

جعفر أقطعها المامون طاهرا، سويقة أبي عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن عضاة الأشعري الوزير، قصر أم حبيب، اقطاع من المهدي لعمارة بن أبي الخصيب مولى لروح بن حاتم، وقد قيل انه مولى للمنصور، سويقة نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، وكان هناك مسجد فتعطل أيام المستعين، سوق العطش بناه سعيد الخرسي للمهدي، وحول اليه كل ضرب من التجار فشبه بالكرخ، وسماه سوق الري فغلب عليه سوق العطش، وان قنطرة البردان الى جسر للسري بن الحطم، وقالوا: اشترى أبو النضر هاشم بن القاسم موضع داره من السري بن الحطم وكان يقال: ليس في ذلك الشارع اصح من دار أبي النضر.

أخبرنا أبو عبد الله الخالع فيما اذن ان نرويه عنه قال: أنبأنا علي بن محمد بن السري الهمداني قال: أنبأنا القاضي أبو بكرمحمد بن خلف قال: قال أحمد بن الحارث: ان بغداد صورت لملك الروم أرضها وأسواقها وشوارعها وقصورها وأنهارها غربيها وشرقيها، وان الجانب الشرقي منها لما صورت شوارعه، فصور شارع الميدان وشارع سويقه نصر بن مالك، من باب الجسر الى الثلاثة الأبواب والقصور التي فيه، والأسواق والشوارع من سويقة خضيرالى قنطرة البردان، فكان ملك الروم اذا شرب دعا بالصور فيشرب على مثال شارع سويقة نصر، ويقول: لم أر صورة شيء من الابنية احسن منه.

أخبرنا ابن مخلد وابن التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر قال نبأنا السكوني قال: قال محمد بن خلف: مربعة الخرسي هو سعيد الخرسي، دار فرج الرخجي، كان مملوكا لحمدونة بنت غضيض ام ولد الرشيد، وأخبرني الأزهري قال: نبأنا أحمد بن ابراهيم قال: نبأنا ابراهيم بن محمد بن عرفة قال: وقصر فرج منسوب الى فرج الرخجي، وابنه عمر بن فرج كان يتولى الدواوين واوقع به المتوكل، واما شارع عبد الصمد، فمنسوب الى عبد الصمد بن علي ابن عبد الله بن العباس، وكان اقعد أهل دهره نسبا، وكان بينه وبين عبد مناف كما بين يزيد بن معاوية وبين عبد مناف، وبينهما في الوفاة مائة واحدى وعشرون سنة ومات محمد بن علي سنة ثماني عشرة، وبينه وبين عبد الصمد خمس وستون سنة، وبين داود بن علي وعبد الصمد بن علي اثنتان وخمسون سنة ومات في أيام الرشيد، وهو عم جده وله أخبار كثيرة، وكانت أسنان عبد الصمد واضراسه قطعة واحدة ما ثغر، وقد كان الرشيد حبسه ثم رضي عنه فاطلقه، أخبرنا ابن مخلد وابن التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر قال نبأنا

السكوني قال: قال محمد بن خلف: درب المفضل بن زمام مولى المهدي اقطاع، رحبة يعقوب بن داود الكاتب مولى بني سليم خان أبي زياد كان ممن وسمه الحجاج من النبط، وهو من سواد الكوفة وعاش الى أيام المنصور، ثم انتقل فنزل في هذا الموضع وكان يكنى أبا زينب فغلب عليه أبو زياد، ونشأ له ابن تأدب وفصح، دار البانوجة[1] بنت المهدي، وكذلك سويقة العباسة ودار العباسة بالمخرّم، وقطيعة العباس بباب المخرّم، هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس اخو أبي جعفر أخبرني الأزهري قال: أنبأنا أحمد بن ابراهيم قال: نبأنا ابن عرفة قال: قطيعة العباس التي في الجانب الشرقي تنسب الى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وهو أخو المنصور وبينه وبين وفاة أبي العباس خمسون سنة، وهو اخوة لأن أبا العباس مات سنة ست وثلاثين ومائة ومات العباس سنة ست وثمانين ومائة وكان يتولى الجزيرة وأهله يتهمون فيه الرشيد ويزعمون انه سمه وانه سقى بطنه فمات في هذه العلة واليه تنسب العباسية، قال الشيخ أبو بكر: يعني بالعباسية قطيعته التي بالجانب الغربي وقد ذكرناها فيما مضى.

أخبرنا عبيد الله بن أحمد الصيرفي قال: أنبأنا الحسن علي بن عمر الحافظ قال: قال ابن دريد: يزيد بن مخرّم الحارثي من ولد صاحب المخرّم ببغداد، سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد بن رزق يقول: سمعت أبا عمر الزاهد يقول: سمعت أبا علي الخرقي يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبي يقول: المخرّم كنانة السنة.

أخبرنا ابن مخلد وابن التوزي. قالا: أنبأنا محمد بن جعفر قال: نبأنا السكوني قال: نبأنا محمد بن خلف قال: انبأني محمد بن أبي علي قال: حدثني محمد بن عبد المنعم بن ادريس عن هشام بن محمد قال سمعت بني الحارث بن كعب يقولون: انما سميت مخرّم بغداد بمخرّم بن شريح بن مخرّم بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو، وكانت له اقطعها أيام نزلت العرب في عهد عمر بن الخطاب.

---

[1] تحريف من الناسخ، ففي روايات الخطيب البغدادي "البانوقة" كذلك عند الطبري (تاريخ،جـ٨،ص١٦٨).

أخبرنا ابن مخلد وابن التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر قال: نبأنا السكوني قال: نبأنا محمد بن خلف قال: وذكر يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال: كانت دار أبي عباد ثابت بن يحيى، اقطاعا من المهدي لشبيب بن شيبة الخطيب، فاشتراها أبو عباد من ورثته في أيام المامون، قال محمد بن خلف: سوق الثلاثاء كانت لقوم من أهل كلواذي وبغداد سويقة حجاج الوصيف مولى المهدي، دار عمارة بن أبي الخصيب مولى لروح بن حاتم وقد قيل انه مولى للمنصور، نهر المعلى بن طريف مولى المهدي، واخوه الليث بن طريف، أخبرني الأزهري قال: أنبأنا أحمد بن ابراهيم قال: نبأنا ابن عرفة قال: اما نهر المهدي فمنسوب الى المهدي ومنزله كان هناك، وكان مستقره في عيساباذ، واما نهر المعلى فكان المعلى من كبار قواد الرشيد، وجمع له من الأعمال ما لم يجمع لكبير أحد، ولى المعلى البصرة وفارس والاهواز واليمامة والبحرين والغوص، وهذه الأعمال جمعت لمحمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وجمعت لعمارة بن حمزة واليه تنسب دار عمارة، وعمارة بن حمزة مولى لبني هاشم، وهو من ولد عكرمة مولى ابن عباس امه بنت عكرمة، وكان اتيه الناس، فكان يقال اتيه من عمارة وزعموا انه دخل عليه رجل من اصحابه وتحت مقعده جوهر خطير فأراد ان يدفعه الى صاحبه ذاك فترفع عن مد يده اليه فقال لصاحبه: ارفع المقعد فخذ ما تحته.

أخبرنا ابن مخلد وابن التوزي قالا: أنبأنا محمد بن جعفر قال نبأنا السكوني قال: نبأنا محمد بن خلف قال: درب الأغلب على نهر المهدي، هو الأغلب بن سالم بن سوادة أبو صاحب المغرب من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وعقد هرثمة لابراهيم بن الأغلب ابنه، الصالحية لصالح المسكين، قباب الحسين في طريق خراسان هو الحسين بن قرة الفزاري، عيساباذ هوعيسى بن المهدي وامه الخيزران، أنبأنا ابراهيم بن مخلد قال: أنبأنا اسماعيل بن علي الخطبي قال: سنة أربع وستين يعني ومائة، بنى المهدي بعيساباذ قصره الذي سماه قصر السلام[1]،أخبرني الأزهري قال: أنبأنا أحمد ابن ابراهيم قال: نبأنا ابن عرفة قال: حوض داود، منسوب الى داود بن علي، أخبرني ابن مخلد وابن التوزي قالا: نبأنا محمد ابن جعفر قال: نبأنا السكوني قال: قال محمد

---

[1] عند الطبري(تاريخ،جـ٨،ص ١٥٠)، (قصر السلامة) وقد وضع أساسه في سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م وأتمه في سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م.

ابن خلف: حوض داود بن الهندي مولى المهدي، وقيل هو داود مولى نصير ونصير مولى المهدي حوض هيلانة، قيل: انها كانت قيمة للمنصور حفرت هذا الحوض، ولها ربض بين الكرخ وبين باب المحول يعرف بها، وقال قوم: هيلانة جارية الرشيد التي يقول فيها:

إذ للدنيا وللزينة فيها والأثاث

اذ حثا الترب عليّ هيلان في الحفرة حاث

أخبرنا الحسن بن علي الجوهري قال: أنبأنا محمد بن عمران بن عبيد الله المرزباني قال: نبأنا أحمد بن محمد بن عيسى المكي قال: نبأنا محمد بن القاسم بن خلاد قال: نبأنا الأصمعي قال: كان الرشيد شديد الحب لهيلانة، وكانت قبله ليحيى بن خالد، فدخل يوما الى يحيى قبل الخلافة فلقيته في ممر فاخذت بكميّه فقالت: نحن لا يصيبنا منك يوم مرة، فقال لها: بلى! فكيف السبيل الى ذلك ؟ قال: تأخذني من هذا الشيخ، فقال ليحيى: أحب ان تهب لي فلانة فوهبها له حتى غلبت عليه، وكانت تكثر ان تقول: هي الانه فسماها هيلانة، فاقامت عنده ثلاث سنين ثم ماتت، فوجد عليها وجدا شديدا وانشد:

اقول لما ضمّنوك الثرى وجالت الحسرة في صدري

اذهب فلا والله لاسرّني بعدك شيء اخر الدهر

أخبرنا محمد بن أبي علي الاصبهاني قال: أنبأنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري عن محمد بن يحيى الصولي قال: أنبأنا الغلابي قال: نبأنا محمد بن عبد الرحمن. قال: لما توفيت هيلانة جارية الرشيد، أمر العباس بن الأحنف ان يرثيها فقال:

يا من تباشرت القبور لموتها قصد الزمان مساءتي فرماك

ابغي الأنيس فلا أرى لي مؤنسا الا التردد حيث كنت اراك

ملك بكاك وطال بعدك حزنه لو يستطيع بملكه لفداك

يحمى الفؤاد عن النساء حفيظة كيلا يحل حمى الفؤاد سواك

فامر له بأربعين ألف درهم لكل بيت عشرة الاف درهم، وقال: لو زدتنا لزدناك.

أخبرني الأزهري قال: أنبأنا أحمد بن ابراهيم قال: نبأنا ابن عرفة قال: واما شاطئ دجلة من الجانب الشرقي: فأوله بناء الحسن بن سهل، وهو قصر الخليفة في هذا الوقت، ودار دينار، دار رجاء بن أبي الضحاك، ثم منازل الهاشميين، ثم قصر

المعتصم وقصر المامون، ثم منازل آل وهب الى الجسر كانت اقطاعـــا لنـــاس مـــن الهاشميين، ومن حاشية الخلفاء، ولمدينـــة الســـلام دروب ومواضـــع منســـوبة الـــى كورخراسان، ومواضع كثيرة منسوبة الى رجال ليست باقطاع لهم، وقيل: ان الـدروب والسكك ببغداد احصيت فكانت ستة آلاف درب وسكة بالجـانب الغربـي[1]، وأربعـة الاف درب وسكة بالجانب الشرقي.

ذكر دار الخلافة والقصر الحسني والتاج

حدثني أبو الحسين هلال بن المحسن قال: كانت دار الخلافة التي على شـــاطئ دجلة تحت نهر معلى قديماً للحسن بن سهل ويسمى القصر الحســـني[2]، فلمـا توفـي صارت لبوران بنته، فاستنزلها المعتضد بالله عنها فاســتنظرته أياماً فـي تفريغـها وتسليمها، ثم رمّتها وعمرتها وجصصتها وبيضتها وفرشتها بأجل الفـرش واحسـنه، وعلقت أصناف الستورعلى أبوابها، وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به، ورتبـت فيها من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة إليه، فلما فرغت من ذاك انتقلـت وراسـلته بالانتقال، فانتقل المعتضد إلى الدار ووجد ما اســتكثره واستحسـنه، ثـم اسـتضاف المعتضد بالله إلى الدار مما جاورها كل ما وسعها به وكبرها وعمـل عليـها سـوراً جمعها به وحصنها، وقام المكتفي بالله بعده ببناء التاج على دجلة، وعمل وراءه مـــن

---

[1] لقد نقل الخطيب البغدادي هذا النص حرفياً من اليعقوبي(البلدان،ص٢٥٠) من دون ان يشير اليه.

[2] كان اسمه أول الامر، القصر الجعفري نسبة لبانيه الأول جعفر بن يحيى بن خالد الـبرمكي نديـم الخليفة الرشيد ووزيره ومؤدب ابنه المأمون، غير انه أعطاه إلى المأمون خشـية عـدم رضـى الخليفة الرشيد عن مثل هكذا بناء فخم، لكن الخليفة الرشيد بدد قلق جعفر وأمره أن يقيم به، فكـان يتردد إليه حتى وفاته سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م، ثم آل بعد ذلك إلى المامون وسمي القصر المـأموني بعد أن أضاف إليه أبنية عدة أخرى كميدان لسباق الخيل واللعب بالصوالجة وغيرها، ولما انتهت الحرب بين الأمين والمأمون سكن فيه الحسن بن سهل والي العراق من قبل المأمون، وبعد عـودة المأمون من خراسان، وزواجه من بوران بنت الحسن بن سهل التي كانت تسكن أصلا في هـذا القصر، تمنى الحسن بن سهل على الخليفة المامون ان يهب له هذا القصر، فوهبه إليـه وكتبـه باسمه وأضاف إليه ماحوله فغلب عليه اسم القصر الحسني، ثم أصبح فيما بعـد لابنتـه بـوران (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٢،ص٣).

القباب والمجالس ما تناهى في توسعته وتعليته، ووافى المقتدر بالله فزاد في ذلك، واوفى مما أنشأه واستحدثه[1]، وكان الميدان والثريا وكذا حير الوحوش متصلا بالدار. كذا ذكر لي هلال بن المحسن: أن بوران سلمت الدار إلى المعتضد، وذلك غير صحيح لان بوران لم تعش إلى وقت المعتضد، وذكر محمد بن أحمد بن المهدي الإسكافي في تاريخه: أنها ماتت في سنة إحدى وسبعين ومائتين وقد بلغت ثمانين سنة، ويشبه ان تكون سلمت الدار للمعتمد على الله والله أعلم.

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال: حدثني أبو الفتح أحمد ابن علي ابن هارون المنجم قال: حدثني أبي قال: قال أبو القاسم علي بن محمد الحواري في بعض أيام المقتدر بالله، وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره: قد اشتملت الجريدة في هذا الوقت على أحد عشر ألف خادم خصي، وكذا من صقلبي ورومي واسود وقال: هذا جنس واحد ممن تضمه الدار، فدع الآن الغلمان الحجرية وهم ألوف كثيرة، والحواشي من الفحول وقال أيضا: حدثني أبو الفتح عن أبيه وعمه عن أبيهما أبي القاسم علي بن يحيى: أنه كانت عدة كل نوبة من نوب الفراشين في دار المتوكل على الله، اربعة آلاف فراش قالا: فذهب علينا أن نسأله كم نوبة كانوا ؟.

حدثني هلال بن المحسن قال: حدثني أبو نصر خواشاذة خازن عضد الدولة قال: طفت دار الخلافة، عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخمها فكان ذلك مثل مدينة شيراز. قال هلال: وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين خبيرين، ولقد ورد رسول لصاحب الروم في أيام المقتدر بالله[2]، ففرشت الدار بالفروش الجميلة، وزينت بالآلات الجليلة، ورتب الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم. على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها، ووقف الجند صفين

---

[1] يقول ياقوت (البلدان،جـ٢،ص٤)، إن الخليفة المعتضد لما أراد بناء قصر التاج جمع الرجال لحفر الاساسات، ثم اتفق خروجه إلى امد، فلما رأى الدخان يرتفع إلى الدار كرهه فابتنى على ميلين منه الموضع المعروف بالثريا ووصل البناء بالقصر الحسني، وابتنى تحت القصر آزاجاً من القصر إلى الثريا تمشي جواريه فيهما وحرمه وسراريه.

[2] كان ذلك في سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م، وكان الغرض من قدومه هو للفداء والهدنة (ابن الجوزي: المنتظم، جـ٨،ص٧).

بالثياب الحسنة، وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة، وبين أيديهم الجنـــائب علـــى مثل هذه الصورة، وقد اظهروا العدد المكسية والأسلحة المختلفة، فكانوا من أعلى بـــاب الشماسية والى قريب من دار الخلافة، وبعدهم الغلمان الحجرية والخـــدم والخـــواص الدارية[1] والبرانية[2] إلى حضرة الخليفة، بالبزة الرابعة والسيوف والمناطق المحـــلاة، واسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظـــارة، وقـــد اكترى كل دكان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة، وفـــي دجلـــة الشـــذاآت والطيـــارات والزبازب والدلالات والسميريات[3]، بأفضل زينة واحســـن ترتيـــب وتعبيـــة، وســـار الرسول ومن معه من المواكب إلى أن وصلوا إلى الدار، ودخل الرسول فمر به علـــى دار نصر القشوري الحاجب، ورأى صفقاً كثيراً ومنظراً عظيماً، فظـــن انـــه الخليفـــة وتداخلته له هيبة وروعة، حتى قيل له: انه الحاجب وحمل من بعد ذلك إلى الدار التـــي كانت برسم الوزير[4]، وفيها مجلس أبى الحسن علي بن محمد الفرات يومئـــذ، فـــرأى اكثر مما رآه لنصر الحاجب ولم يشك في انه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير، واجلـــس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علقت ستوره واختـــيرت فروشـــه، ونصبـــت فيـــه الدسوت، وأحاط به الخدم بالأعمدة والسيوف، ثم استدعي بعد أن طيف به فـــي الـــدار إلى حضرة المقتدر بالله، وقد جلس وأولاده من جانبيه، فشاهد من الأمر ما هالـــه ثـــم انصرف إلى دار قد أعدت له.

حدثني الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بآبن المسلمة[5]قال: حدثنـــي أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال: حدثني أمير المؤمنين القادر بالله قال: حدثتني جدتـــي

---

[1] هم الغلمان المتعلقون بخدمة الخليفة مباشرةً.

[2] هم الموالي الذين يخدمون دار الخليفة في خارج الدار، وليس لهم علاقة بخدمة الخليفة بالداخل.

[3] هذه أسماء لبعض الضروب من السفن التي كانت تتخذ في بغداد خلال العصر العباسي: (حبيـــب زيات: معجم المراكب والسفن في الإسلام،ص٣٤٤،٣٤٥،٣٤٨).

[4] وهي الدار التي أنشأها الوزير سليمان بن وهب على الشاطئ الشرقي لنهر دجلـــة ببـــاب محلـــة المخرّم، ثم عرفت بعد ذلك بـــ (دار الوزارة) (الهلال الصابيء:تحفة الأمراء،ص٢٣٠).

[5] كاتب الخليفة القائم بأمر الله ووزيره، لقب بألقاب عدة منها، رئيس الرؤســـاء وشـــرف الـــوزراء وجمال الورى، قتل في سنة ٤٥٠هـــ/١٠٥٨م (ابن الجوزي:المنتظم،جـــ٩،ص٤١٣-٤١٤).

أم أبي إسحاق بن المقتدر بالله: أن رسول ملك الروم[1] لما وصل إلى تكريت أمر أمير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين، ولما وصل إلى بغداد انزل دار صاعد ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول، حتى فرغ المقتدر بالله من تزين قصره وترتيب آلته فيه، ثم صف العسكر من دار صاعد إلى دار الخلافة، وكان عدد الجيش مائة وستين ألف فارس وراجل، فسار الرسول بينهم إلى أن بلغ الدار، ثم ادخل في ازج تحت الأرض فسار فيه حتى مثل بين يدي المقتدر بالله وأدى رسالة صاحبه، ثم رسم أن يطاف به في الدار وليس فيها من العسكر أحد البتة، وانما فيها الخدم والحجاب والغلمان السود، وكان عدد الخدم إذ ذاك سبعة آلاف خادم، منهم اربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود، وعدد الحجاب سبعمائة حاجب، وعدد الغلمان السودان غير الخدم اربعة آلاف غلام، قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي وفتحت الخزائن، والآلات فيها مرتبة كما يفعل الخزائن العرائس، وقد علقت الستور ونظم جوهر الخلافة في قلايات على درج غشيت بالديباج الأسود، ولما دخل الرسول دار الشجرة[2] ورآها كثر تعجبه منها، وكانت شجرة من الفضة وزنها خمسمائة ألف درهم، عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها، فكان تعجب الرسول من ذلك اكثر من تعجبه من جميع ما شاهده.

قال لي هلال بن المحسن: ووجدت من شرح ذلك ما ذكر كاتبه انه نقله من خط القاضي أبي الحسين ابن أم شيبان الهاشمي وذكر أبو الحسين انه نقله من خط الأمير واحسبه الأمير أبا محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قال: كان عدد ما علق في قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطرز المذهبة الجليلة، المصورة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع والطرد والستور الكبار

---

[1] لقد نقل ابن الجوزي (المنتظم،جـ٨،ص٨٠٧) هذه الرواية من الخطيب البغدادي من دون أن يشير إليه.

[2] دار بدار الخليفة بناها الخليفة المقتدر، وكانت داراً فسيحة ذات بساتين مؤنقة، وسميت بهذا الاسم لان شجرة محملة بالجواهر مصوغة من ثمانية عشر غصناً، ولكل غصن فروع كثيرة مكللة بأنواع الجواهر على شكل ثمار وعلى أغصانها أنواع من الطيور من الذهب والفضة، وهي تقع في وسط بركة كبيرة مدورة أمام إيوانها وشجر بساتينها (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٢،ص٤٢١).

البضغائية[1] والأرمنية والواسطية والبهنسية السواذج، والمنقوشة والدبيقية المطرزة، ثمانية وثلاثين ألف ستر، منها الستور الديباج المذهبة المقدم وصفها اثنا عشر ألفا وخمسمائة ستر، وعدد البسط والنخاخ الجرهمية والدارابجردية والدورقية، في الممرات والصحون التي وطئ عليها القواد ورسل صاحب الروم، من حد باب العامة الجديد إلى حضرة المقتدر بالله، سوى ما في المقاصير والمجالس من الأنماط الطبري والدبيقي التي لحقها للنظر دون الدوس، اثنان وعشرون ألف قطعة، وادخل رسول صاحب الروم من دهليز باب العامة الأعظم إلى الدار المعروفة بخان الخليل، وهي دار أكثرها أروقة باسطين رخام، وكان فيها من الجانب الأيمن خمسمائة فرس عليها خمسمائة مركب ذهباً وفضة بغير أغشية ومن الجانب الأيسر خمسمائة فرس عليها الجلال الديباج بالبراقع الطوال، وكل فرس في يدي شاكري بالبزة الجميلة، ثم ادخلوا من هذه الدار إلى الممرات والدهاليز المتصلة بحير الوحش، وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجت إليها من الحير قطعان تقرب من الناس، وتشممهم وتأكل من أيديهم، ثم اخرجوا إلى دار فيها اربعة فيلة مزينة بالديباج والوشي، على كل فيل ثمانية نفر من السند والزراقين بالنار، فهال الرسل آمرها، ثم اخرجوا إلى دار فيها مائة سبع خمسون يمنة وخمسون يسرة، كل سبع منها في يد سباع وفي رأسها واعناقها السلال والحديد ثم اخرجوا إلى الجوسق المحدث[2]وهي دار بين بساتين في وسطها بركة رصاص قلعي، حواليها نهر رصاص قلعي احسن من الفضة المجلوة، طول كل البركة ثلاثون ذراعاً في عشرين ذراعاً، فيها أربع طيارات لطاف بمجالس مذهبة مزينة بالدبيقى المطرز واغشيتها دبيقي مذهب، وحواليّ هذه البركة بستان بميادين فيه نخل وان عدده أربعمائة نخلة، وطول كل واحدة خمسة اذرع، قد لبس جميعها ساجا منقوشاً من اصلها إلى حد الجمارة بحلق من شبه مذهبة، وجميع النخل حامل بغرائب البسر الذي أكثره خلال لم يتطير وفي جوانب البستان أترج حامل ودستنبوا ومقفع وغير ذلك، ثم اخرجوا من هذه الدار إلى دار الشجرة، وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة، مدورة فيها ماء صاف، وللشجرة ثمانية عشر غصنا لكل غصن

---

[1] لعلها(البصنائية) نسبة إلى بلدة بصنا الاحوازية الصغيرة المشهورة بصناعة الأنسجة والستور (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٢،ص٤٤٢).

[2] دار بناها الخليفة المقتدر بالله أيضا (ياقوت الحموي: المشترك وضعاً والمفترق صقعاً،ص١١٢).

منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة، واكثر قضبان الشجرة فضة، وبعضها مذهب، وهي تتمايل في أوقات ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر، وفي جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارسا على خمسة عشر فرساً قد البسوا الديباج وغيره، وفي أيديهم مطارد على رماح يدورون على خط واحد في الناورد خببا وتقريبا فيظن أن كل واحد منهم إلى صاحبه قاصد. وفي الجانب الأيسر مثل ذلك، ثم ادخلوا إلى القصر المعروف بالفردوس[1]، فكان فيه من الفرش والآلات ما لا يحصى ولا يحصر كثرة، وفي دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة، ثم اخرجوا منه إلى ممر طوله ثلاثمائة ذراع، قد علق من جانبيه نحو من عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع وزردية وجعبة محلاة وقسى، وقد أقيم نحو الفي خادم بيضا وسودا يمنة ويسرة، ثم اخرجوا بعد أن طيف بهم ثلاثة وعشرين قصراً إلى الصحن التسعيني وفيه الغلمان الحجرية، بالسلاح الكامل، والبزة الحسنة، والهيئة الرائعة، وفي أيديهم الشروخ والطبرزينات[2] والأعمدة، ثم مروا بمصاف من علية السواد من خلفاء الحجاب الجند والرجالة واصاغر القواد، ودخلوا دار السلام، وكانت عدة كثير من الخدم والصقالبة في سائر القصور، يسقون الناس الماء المبرد بالثلج والاشربة والفقاع، ومنهم من كان يطوف مع الرسل، فلطول المشي بهم جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا، وكان أبو عمر عدي بن أحمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس الثغور الشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء اسود وسيف ومنطقة، ووصلوا إلى حضرة المقتدر بالله وهو جالس في التاج[3]مما يلي دجلة، بعد أن لبس بالثياب الدبيقية المطرزة بالذهب على سرير أبنوس قد فرش بالدبيقي المطرز بالذهب، وعلى رأسه الطويلة، ومن يمنة السرير تسعة عقود

---

[1] يقول ابن عبد الحق البغدادي في كتابه(مراصد الاطلاع،جـ٣،ص ١٠٢٥) ما نصه: "باب الفردوس باب دار عظيمة بدار الخلافة"، ويرى لسترنج في كتابه(بغداد في عهد الخلافة العباسية،ص٢١٤) أن هذا القصر شيد بجوار القصر الحسني.

[2] مفردها طبرزين: وهو ضرب من الفؤوس.

[3] يقصد قصر التاج الذي وضع أساسه الخليفة المعتضد ولم يتمه، فأتمه ابنه الخليفة المكتفي بالله (ياقوت الحموي،البلدان،جـ٢،ص٥).

مثل السبح معلقة، ومن يسرته تسعة أخرى من افخر الجواهر وأعظمها قيمة غالبة الضوء على ضوء النهار، وبين يديه خمسة من ولده ثلاثة يمنة واثنان ميسرة، ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر بالله، فكفر له وقال الرسول: لمؤنس الخادم ونصر القشوري وكانا يترجمان عن المقتدر لولا أنى لا آمن أن يطالب صاحبكم بتقبيل البساط لقبلته، ولكنني فعلت ما لا يطالب رسولكم بمثله، لان التكفير من رسم شريعتنا. ووقفا ساعة، وكانا شابا وشيخاً فالشاب الرسول المتقدم، والشيخ الترجمان، وقد كان ملك الروم عقد الأمر في الرسالة للشيخ متى حدث بالشاب حدث الموت، وناوله المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم، وكان ضخماً كبيراً فتناوله وقبله إعظاما له، واخرجا من باب الخاصة إلى دجلة، واقعدا وسائر أصحابهما في شذاً من الشذوات الخاصة وصاعداً إلى حيث انزلا فيه من الدار المعروفة بصاعد، وحمل إليهما خمسون بدرة ورقا في كل بدرة خمسة آلاف درهم، وخلع على أبي عمر عدي الخلع السلطانية، وحمل على فرس وركب على الظهر، وكان ذلك في سنة خمس وثلاثمائة.

ذكر دار المملكة التي باعلا المخرّم:

حدثني هلال بن المحسن قال: كانت دار المملكة التي بأعلى المخرّم، محاذية الفرضة قديما لسبكتكين[1]غلام معزّ الدولة فنقض عضد الدولة أكثرها، ولم يستبق إلا البيت الستيني الذي هو في وسط أروقة من ورائها أروقة في أطرافها قباب معقودة، وتنفتح أبوابه الغربية إلى دجلة وأبوابه الشرقية إلى صحن من خلفه بستان ونخل وشجر، وكان عضد الدولة جعل الدار التي هذا البيت فيها دار العامة، والبيت برسم جلوس الوزراء وما يتصل به من الأروقة والقباب مواضع للدواوين، والصحن مناماً لديلم النوبة في ليالي الصيف، قال هلال: وهذه الدار وما تحتوي عليه من البيت المذكور والأروقة خراب ولقد شاهدت مجلس الوزراء في ذلك ومحفل من يقصدهم ويحضرهم، وقد جعله جلال[2]الدولة اصطبلا أقام فيه دوابه وسواسه، واما ما بناه عضد الدولة وولده بعده في هذه الدار فهو متماسك على تشعثه.

---

[1] نصر الدولة، توفي سنة ٣٦٤هـ/٩٨٤م(ابن الجوزي: المنتظم،جـ٨،ص٣٩٥-١٣٩٦).

[2] أمير الأمراء البويهي، يكنى أبا طاهر، توفي سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م (ابن الجوزي:المنتظم،جـ٩، ص٣١٥).

قال الشيخ أبو بكر: ولما ورد طغرلبك[1] الغزي بغداد واستولى عليها عمر هــذه الدار وجدد كثيراً مما كان وهي منها في سنة ثماني واربعين وأربعمائة، فمكثت كذلــك إلى سنة خمسين وأربعمائة، ثم أحرقت وسلب اكثر آلاتها، ثم عمرت وبعد وأعيد مــا اخذ منها[2].

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال: ســمعت أبــي يقــول: ماشيت الملك عضد الدولة في دار المملكة بالمخرّم التي كانت دار ســبكتكين حــاجب معزّ الدولة من قبل، وهو يتأمل ما عمل وهدم منها، وقد كان أراد ان يترك في الميدان السبكتكيني اذرعا ليجعله بستاناً، ويرد بدل التراب رملا ويطرح التراب تحت الروشــن على دجلة، وقد ابتاع دوراً كثيرة كباراً وصغاراً ونقضها ورمى حيطانها بالفيلة تخفيفــاً للمؤنة، واضاف الى عرصاتها الى الميدان وكانت مثل الميدان دفعتين، وبنــى علــى الجميع مسناة، فقال لي في هذا اليوم وقد شاهد ما شاهد مما عمل وقدر ما قــدر لمــا يعمل: تدري أيها القاضي كم انفق على قلع ما قلع من التراب الى هذه الغاية وبناء هذه المسناة السخيفة مع ثمن ما ابتيع من الدور واستضيف ؟ قلت: اظنه شيئاً كثيراً فقــال: هو إلى وقتنا هذا تسعمائة ألف درهم صحاحاً ونحتاج الى مثلها دفعة أو دفعتين حتــى يتكامل قلع التراب ويحصل موضعه الرمل موازياً لوجه البستان، فلما فرغ من ذلــك وصار البستان أرضا بيضاء لا شيء فيها من غرس ولا نبات، قال: قد انفق على هــذا حتى صار كذا اكثر من الفي ألف درهم صحاحا، ثم فكر في ان يجعل شرب البســتان من دواليب ينصبها على دجلة، وعلم ان الدواليب لا تكفي، فــاخرج المهندســين إلــى الأنهار التي في ظاهر الجانب الشرقي من مدينة السلام ليستخرجوا منها نهراً يســيح ماؤه إلى داره، فلم يجدوا ما ارادوه إلا في نهر الخالص فعلى الأرض بين البلد وبينــه تعلية أمكن معها أن يجري الماء على قدر من غير ان يحدث به ضرر، وعمل تليــن عظيمين يساويان سطح الماء الخالص، ويرتفعان عن أرض الصحراء اذرعا، وشــق في وسطهما نهراً جعل له خورين من جانبيه، وداس الجميع بالفيلة دوساً كثيراً حتــى قوي واشتد وصلب وتلبد، فلما بلغ الى منازل البلد وأراد سوق النهر الى داره، عمــد الى درب السلسلة فدك أرضه دكا قويا، ورفع أبواب الدور وأوثقها وبنى جوانب النــهر

---

[1] كان ذلك في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م.

[2] وردت هذه الرواية أيضا عند ابن الجوزي (المنتظم،جـ٨،ص٣٦٤).

طول البلد بالآجر والكلس والنورة، حتى وصل الماء الى الدار وسقى البستان، قال أبي: وبلغت النفقة على عمل البستان وسوق الماء إليه على ما سمعته من حواشي عضد الدولة خمسة آلاف ألف درهم، ولعله قد انفق على أبنية الدار على ما أظن مثل ذلك وكان عضد الدولة عازما على ان يهدم الدور التي بين داره وبين الزاهر[1] ويصل الدار بالزاهر فمات[2] قبل ذلك.

ذكر تسمية مساجد الجانبين المخصوصة بصلاة الجمعة والعيدين

كان أبو جعفر المنصور جعل المسجد الجامع بالمدينة ملاصق قصره المعروف بقصر الذهب: وهو الصحن العتيق، وبناه باللبن والطين، ومساحته على ما أخبرنا محمد بن على الوراق وأحمد بن علي المحتسب قالا: أنبأنا محمد بن جعفر النحوي قال نا الحسن بن محمد السكوني قال: نا محمد بن خلف قال: وكانت مساحة قصر المنصور أربعمائة ذراع في أربعمائة ذراع، ومساحة المسجد الأول مائتين في مائتين، واساطين الخشب في المسجد يعني كل اسطوانة قطعتين معقبتين بالعقب والغري وضبات الحديد، إلا خمساً أو ستاً عند المنارة، فإن في كل اسطوانة قطعاً ملفقة مدورة من خشب الأساطين، قال محمد بن خلف وقال ابن الأعرابي: تحتاج القبلة إلى ان تحرف الى باب البصرة قليلا، وان قبلة الرصافة أصوب منها، فلم يزل المسجد الجامع بالمدينة على حاله الى وقت هارون الرشيد، فأمر هارون بنقضه واعادة بنائه بالآجر والجص ففعل ذلك، وكتب عليه اسم الرشيد، وذكر أمره ببنائه وتسمية البناء والنجار وتاريخ ذلك، وهو ظاهر على جدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان إلى وقتنا هذا.

أنبأنا إبراهيم بن مخلد قال أنبأنا اسماعيل بن علي الخطبي قال: وهدم مسجد أبي جعفر المنصور وزيد في نواحيه وجدد بناؤه واحكم؛ وكان الابتداء به في سنة اثنتين وتسعين، والفراغ منه في سنة ثلاث وتسعين، وكانت الصلاة في الصحن العتيق الذي هو الجامع حتى زيد فيه الدار المعروفة بالقطان، وكانت قديماً ديواناً للمنصور، فأمر

---

[1] يقصد بستان الزاهر، ويرجح الدكتور صالح العلي موقعه اليوم بين مدينة الطب ووزارة الدفاع (المواصلات والجسور في بغداد،ص١٢٣).

[2] وردت هذه الرواية حرفياًعند ابن الجوزي(المنتظم،جـ٨،ص٣٩٦-٣٩٧).

مفلح التركي ببنائها على يد صاحبه القطان فنسبت إليه وجعلت مصلى للناس وذلك في سنة ستين او إحدى وستين ومائتين، ثم زاد المعتضد بالله الصحن الأول وهو قصر المنصور، ووصله بالجامع؛ وفتح بين القصر والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقا منها إلى الصحن ثلاثة عشر، والى الأروقة أربعة وحول المنبر والمحراب والمقصورة إلى المسجد الجديد، وأنبأنا ابراهيم بن مخلد قال اسماعيل بن علي قال: وأخبرنا أمير المؤمنين المعتضد بالله بضيق المسجد الجامع بالجانب الغربي من مدينة السلام في مدينة المنصور، وان الناس يضطرهم الضيق إلى ان يصلوا في المواضع التي لا تجوز في مثلها الصلاة فأمر بالزيادة فيه من قصر أمير المؤمنين المنصور، فبنى مسجد على مثال المسجد الأول في مقداره او نحوه، ثم فتح في صدر المسجد العتيق ووصل به فاتسع به الناس، وكان الفراغ من بنائه والصلاة فيه في سنة ثمانين ومائتين، قال الشيخ أبو بكر: وزاد بدر مولى المعتضد من قصر المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية في ذلك الوقت، واما المسجد الجامع بالرصافة فإن المهدي بناه في أول خلافته أخبرنا بذلك محمد بن الحسين بن الفضل القطان قال: أنبأنا عبد الله جعفر ابن درستويه قال نبأنا يعقوب بن سفيان قال: سنة تسع وخمسين ومائة فيها بنى المهدي المسجد الذي بالرصافة، فلم تكن صلاة الجمعة تقام بمدينة السلام إلا في مسجدي المدينة والرصافة الى وقت خلافة المعتضد، فلما استخلف المعتضد أمر بعمارة القصر المعروف بالحسني على دجلة في سنة ثمانين ومائتين وانفق عليه مالا عظيما وهو القصر المرسوم بدار الخلافة وامر ببناء مطامير في القصر رسمها هو للصناع، فبنيت بناء لم ير مثله على غاية ما يكون من الأحكام والضيق، وجعلها محابس للأعداء، وكان الناس يصلون ويخرجون عند انقضائها، فلما استخلف المكتفي في سنة تسع وثمانين ومائتين ترك القصر وامر بهدم المطامير التي كان المعتضد بناها، وامر أن يجعل موضعها مسجد جامع في داره يصلي فيه الناس، فعمل ذلك وصار الناس يبكرون الى المسجد الجامع في الدار يوم الجمعة فلا يمنعون من دخوله ويبقون فيه الى آخر النهار وحصل ذلك رسماً باقياً إلى الآن، واستقرت صلاة الجمعة ببغداد في المساجد الثلاثة التي ذكرناها الى وقت خلافة المتقي، وكان في الموضع المعروف ببراثا مسجد يجتمع فيه قوم ممن ينسب الى التشيع ويقصدونه للصلاة

والجلوس فيه، فرفع الى المقتدر بالله ان الرافضة يجتمعون في ذلك المسجد لسب الصحابة والخروج عن الطاعة، فأمر بكبسه يوم جمعة وقت الصلاة[1]، فكبس واخذ من وجد فيه فعوقبوا، وحبسوا حبساً طويلاً، وهدم المسجد حتى سوى بالأرض وعفى رسمه ووصل بالمقبرة التي تليه ومكث خرابا الى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، فأمر الأمير بجكم بإعادة بنائه وتوسعته واحكامه، فبني بالجص والآجر وسقف بالساج المنقوش، ووسع فيه ببعض ما يليه مما ابتيع له من أملاك الناس، وكتب في صدره اسم الراضي بالله، وكان الناس ينتابونه للصلاة فيه والتبرك به، ثم أمر المتقي لله بعد بنصب منبر فيه كان بمسجد مدينة المنصور معطلاً مخبوءاً في خزانة المسجد عليه اسم هارون الرشيد، فنصب في قبلة المسجد، وتقدم الى أحمد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمي، وكان الإمام في جامع الرصافة، بالخروج إليه والصلاة بالناس فيه الجمعة، فخرج وخرج الناس من جانبي مدينة السلام حتى حضروا في هذا المسجد، وكثر الجمع هناك وحضر صاحب الشرطة، فأقيمت صلاة الجمعة في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وتوالت صلاة الجمعة فيه وصار أحد مساجد الحضرة وافرد أبو الحسن أحمد بن الفضل الهاشمي بإمامته، وأخرجت الصلاة بمسجد جامع الرصافة عن يده.

قال الشيخ أبو بكر: ذكر معنى جميع ما اوردته اسماعيل بن علي الخطبي فيما أنبأنا ابراهيم بن مخلد انه سمعه منه، وحدثني أبو الحسين هلال بن المحسن الكاتب: ان الناس تحدثوا في ذي الحجة من سنة تسع وسبعين وثلثمائة، بأن امرأة من أهل الجانب الشرقي رأت في منامها النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يخبرها بأنها تموت من غد عصراً، وانه صلى في مسجد بقطيعة أم جعفر من الجانب الغربي في القافلاين، ووضع كفه في حائط القبلة، وأنها فسرت هذه الرؤيا عند انتباهها من نومها، فقصد الموضع ووجد اثر كف، ومات المرأة في ذلك الوقت، وعمر المسجد ووسعه أبو أحمد الموسوي بعد ذلك وكبره وبناه وعمره واستأذن الطائع لله في ان يجعله مسجداً يصلى فيه في أيام الجمعات، واحتج بأنه من وراء خندق يقطع بينه وبين

---

[1] ذكر ابن الجوزي(المنتظم،جـ٨،ص٣١٣-٣١٤) أن الخليفة المقتدر أرسل صاحب الشرطة نازوك للقبض على من في هذا المسجد وذلك سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م.

البلد، ويصير به ذلك الصقع بلداً آخر، فأذن في ذلك وصار جامعاً يصلى فيه الجمعات[1].

وذكر لي هلال بن المحسن أيضا: أن أبا بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي: كان بنى مسجداً بالحربية في أيام المطيع لله ليكون جامعاً يخطب فيه، فمنع المطيع من ذلك ومكث المسجد على تلك الحال حتى استخلف القادر بالله فاستفتى الفقهاء في أمره، فاجمعوا على وجوب الصلاة فيه: فرسم ان يعمر ويكسى وينصب فيه المنبر، ورتب إماما يصلي فيه الجمعة، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، فأدركت صلاة الجمعة وهي تقام، ببغداد في مسجد المدينة، ومسجد الرصافة ومسجد دار الخلافة، ومسجد براثا، ومسجد قطيعة أم جعفر وتعرف بقطيعة الدقيق ومسجد الحربية ولم تزل على هذا الى ان خربت بغداد في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، ثم تعطلت في مسجد براثا فلم تكن تصلى فيه.

ذكر أنهار بغداد الجارية التي كانت بين الدور والمساكن وتسمية ما كانت تنتهي إليه من المواضع والأماكن

أما الأنهار التي كانت تجري بمدينة المنصور والكرخ من الجانب الغربي وتخترق بين المحال والدور، فأكثرها كان يأخذ من نهر عيسى بن علي، ونهر عيسى يحمل من الفرات، وكان عند فوهته قنطرة يقال لها قنطرة دمما يمرّ النهر جاريا فيسقي طسوج فيروز سابور، وعلى جانبيه قرى وضياع حتى إذا انتهى إلى المحول تفرع منه الأنهار التي كانت تتخرق مدينة السلام، ثم يمرّ إلى قرية الياسرية وعليه هناك قنطرة، ثم يمر إلى الرومية وعليه هناك قنطرة تعرف بالرومية، ثم يفضي إلى الزيّاتين وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الزياتين، ثم يمر الى موضع باعة الاشنان، وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الاشنان، ثم ينتهي إلى موضع باعة الشوك وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الشوك، ثم يصير إلى موضع باعة الرمان، وعليه هناك قنطرة تعرف بقنطرة الرمان، ثم يصير إلى قنطرة المفيض والمفيض، ثم وعنده الأرحاء، ثم يمرّ إلى قنطرة البستان، ثم إلى قنطرة المعبدي، ثم يصير إلى قنطرة بني زريق، ثم يصب في دجلة اسفل قصر عيسى، فحدثني عبد الله بن محمد بن علي

---

[1] وردت هذه الرواية ايضاً عند الجوزي(المنتظم،جـ٨،ص٤٧٩).

البغدادي باطرابلس عن بعض متقدمي العلماء وذكر أنهار بغداد[1] فقال: منها الصـــواة، وهو نهر يأخذ من نهر عيسى فوق المحول، ويسقى ضياع بادوريا وبساتينها ويتفـــرع منه أنهار كثيرة إلى ان يصل إلى بغداد فيمرّ بقنطرة العباس، ثم يمـــر إلـــى قنطـــرة الصينيات، ثم الى قنطرة رحا البطريق وهي قنطرة الزبد، ثم يمرّ إلى قنطرة العتيقـــة؛ ثم يمر الى قنطرة الجديدة، ثم يصب في دجلة، قال: ويحمل من الصراة نهر يقال لـــه خندق ظاهر اوله اسفل من فوهة الصراة بفرسخ يمرّ فيسقي الضياع ويدور حول سور مدينة السلام مما يلي الحربية إلى أن يصل الى باب الانبار، وهناك عليه قنطـــرة، ثـــم يمرّ إلى باب الجديد وعليه هناك ايضا قنطرة، ويمرّ إلى باب حـــرب وعليـــه هنـــاك قنطرة، ثم يمرّ إلى باب قطربل وعليه هناك قنطرة، ثم يمرّ في وسط قطيعة أم جعفـــر ويصب في دجلة فوق دار ابراهيم بن اسحاق ابن ابراهيم الطاهري، قال: ويحمل مـــن نهر عيسى نهر يقال له كرخايا اوله تحت المحول يمرّ في وسـط طسـوج بادوريـــا، ويتفرع منه أنهار تنبث في ضياع على جانبيه إلى ان يدخل بغداد من موضع يقال لـــه باب أبي قبيصة، ويمرّ إلى قنطرة قطيعة اليهود ثم إلى قنطرة درب الحجارة؛ وقنطـــرة البيمارستان وباب محول. ويتفرع منه أنهار الكرخ كلها من ذلك نهر يقال لـــه: نـــهر رزين يأخذ في ربض حميد فيدور معه ثم ينتهي الى سويقة أبي الورد، ثم يمـــرّ الـــى بركة زلزل فيدور فيها، ثم يمضي الى باب طاق الحراني، ثم يصب في الصراة اسـفل من القنطرة الجديدة، وإذا صار نهر رزين بباب سويقة أبي الورد، يحمل منه نهر يعبر في عبارة على قنطرة العتيقة، ويمرّ الى شارع باب الكوفة، فيدخل من هناك الى مدينة المنصور، ويمر النهر من باب الكوفة الى شارع القحاطبة، ثم الى باب الشام؛ ويمـــرّ في شارع الجسر إلى الزبيدية ويفنى هناك، ثم يمرّ كرخايا من قنطرة البيمارستان فـــإذا صار الى الدرابات هناك سمي هناك العمود، وهو الذي تتفرع منه أنهار الكرخ الداخلة فيمرّ النهر من هناك الى موضع يعرف بالواسطيين، ثم يمر الى موضع يسمى الخفقـــة فيحمل منه هناك نهر البزّازين يعطف فيخرج في شارع المنصور، ثم يمـــرّ الـــى دار

---

[1] ان ما ذكره الخطيب البغدادي عن أنهار بغداد بجانبيها الغربي والشرقي مطابق في محتواه ولغتـــه لوصف سهراب(عجائب الأقاليم السبعة،ص١٢٩-١٣٤) عن هذه الأنهار وتفرعاتها والقنوات التي أنشئت عليها الامر الذي يوحي أن مصدر الخطيب البغدادي الآنف الذكر (معاصره) قد أخذ ذلـــك من كتاب سهراب (عجائب الأقاليم السبعة).

كعب، ثم يخرج إلى باب الكرخ، ثم يدخل البزّازين، ثم يمرّ الى الخرّازين ويدخل في أصحاب الصابون، ثم يصب في دجلة، ثم يمرّ النهر الكبير من الخفقة الى طرف مربعة الزيات فيعطف منه هناك نهر يقال له نهر الدجاج، فيأخذ الى أصحاب القضب، وشارع القبّارين، ثم يصب في دجلة عند سوق الطعام، ويمرّ النهر الكبير من مربعة الزيات الى دوارة الحمار فيعطف منه هناك نهر يقال له: نهر قطيعة الكلاب مادا حتى يصب تحت قنطرة الشوك في نهر عيسى، ويمرّ النهر الكبير من دوارة الحمار الى موضع يقال له: مربعة صالح فيعطف منها هناك نهر يقال له نهر القلائين، يمرّ الى السواقين، ثم الى أصحاب القضب ويصب في نهر الدجاج فيصيران نهراً واحداً، ويمرّ النهر الكبير من مربعة صالح الى موضع يعرف بنهر طابق، ثم يصب في نهر عيسى بحضرة دار البطيخ، فهذه أنهار الكرخ قال: فأما أنهار الحربية فمنها نهر يحمل من دجيل يقال له: نهر بطاطيا*اوله اسفل فوهة دجيل بست فراسخ يسقي ضياعا وقرى كثيرة في وسط مسكن ويفنى فيها ويحمل منه نهر اوله اسفل جسر بطاطيا بشيء يسير يجيء نحو مدينة السلام فيمرّ على عبارة قنطرة باب الانبار، ثم يدخل بغداد فيمرّ في شارع باب الانبار ويمرّ الى شارع الكبش ويفنى هناك، ويحمل من نهر بطاطيا نهر اسفل من النهر الأول يجيء نحو بغداد فيمرّ على عبارة يقال لها عبارة الكرخ بين باب حرب وباب الحديد، يمرّ فيدخل بغداد من هناك ويمرّ في شارع دجيل الى مربعة الفرس فيحمل منه هناك نهر يمرّ الى دكان الأبناء ويفنى هناك ويمرّ النهر الكبير من مربعة الفرس الى قنطرة أبي الجوز فيحمل منه من هناك نهر يمرّ الى كتاب اليتامى والى مربعة شبيب ويصب في نهر في الشارع، ويمرّ النهر الكبير من قنطرة أبي الجوز الى شارع قصر هاني، ثم الى بستان اليس[1]ويصب في النهر الذي يمرّ في شارع القحاطبة، ويحمل من نهر بطاطيا: نهر اوله اسفل من قناة الكرخ، يجيء نحو بغداد ويمر على عبارة قنطرة باب حرب، ويدخل من هناك في وسط شارع باب حرب، ثم يجيء الى مربعة أبي العباس، ثم الى مربعة شبيب فيصب فيه النهر الذي ذكرناه، ثم يمر الى باب الشام فيصب في نهر الشام.

قال: وهذه الأنهار كلها مكشوفة إلا التي في الحربية فإنها قنوات تحت الأرض وأوائلها مكشوف قال: وفي الجانب الشرقي نهر موسى، يأخذ من نهر بين الى ان

---

[1] عند سهراب (ص١٣٤)، "القس" وهو الأصح.

يصل الى قصر المعتضد بالله المعروف بالثريا فيدخل القصر ويدور فيه ويخرج منه ويصير الى موضع يقال له: مقسم الماء، فينقسم هناك ثلاثة أنهار، يمرّ الأول منها الى باب سوق الدواب، ثم الى دار البانوقة ويفنى هناك، ويدخل بعضه باب سوق الدواب ويمرّ الى العلافين فيصب في نهر كان المعتضد حفره، ويمرّ شيء منه الى باب سوق الغنم الى خندق العباس بباب المخرّم ويبز في دجلة ويمرّ نهر موسى أيضا الى قنطرة الأنصار، فيحمل منه هناك ثلاثة أنهار يصب أحدهما في حوض الأنصار والثاني في حوض هيلانة والثالث في حوض داود، ويمرّ نهر موسى ايضا الى قصر المعتصم بالله فيحمل منه هناك نهر يمرّ الى سوق العطش في وسط شارع كرم المعرش، ويصب في دار علي بن محمد بن الفرات الوزير، ويفنى هناك، ويمرّ نهر موسى ايضا ملاصقا لقصر المعتصم الى ان يخرج الى شارع عمرو الرومي، ثم يدخل بستان الزاهر فيسقيه ويصب في دجلة اسفل البستان، ثم يمرّ النهر الثاني من المقسم الى باب بيبرز فيدخل البلد من هناك ويسمى نهر معلى، ويمرّ بين الدور الى باب سوق الثلاثاء، ثم يدخل قصر الخلافة المسمى بالفردوس فيدور فيه ويصب في دجلة، ويمرّ النهر الثالث من المقسم الى باب قطيعة موشجير، ثم يدخل الى القصر الحسني فيدور فيه، ثم يصب في دجلة.

قال: ويحمل من نهر الخالص نهر يقال له: نهر الفضل الى ان ينتهي الى باب الشماسية، فيؤخذ منه نهر يقال له نهر المهدي، ويدخل المدينة في الشارع المعروف بشارع المهدي، ثم يجيء الى قنطرة البردان ويدخل دار الروميين ويخرج الى سويقة نصر بن مالك، ثم يدخل الرصافة ويمرّ في المسجد الجامع الى بستان حفص، ويصب في بركة في جوف قصر الرصافة، ويحمل من هذا النهر نهر اوله في سويقة نصر، ثم يمر في وسط شارع باب خراسان الى أن يصب في نهر الفضل بباب خراسان فهذه أنهار الجانب الشرقي.

ذكر عدد جسور مدينة السلام التي كانت بها على قديم الأيام

أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل القطان قال: أنبأنا عبد الله بن جعفر بن درستويه قال: نبأنا يعقوب بن سفيان قال: سنة سبع وخمسين ومائة، فيها ابتنى أبو جعفر قصره الذي يعرف بالخلد، وفيها عقد الجسر عند باب الشعير، أخبرنا محمد بن

علي الوراق وأحمد بن علي المحتسب قالا: أنبأنا محمد بن جعفر النحوي قال: نبأنا الحسن بن محمد السكوني قال نبأنا محمد بن خلف قال: قال أحمد بن خليل بن مالك عن أبيه قال: كان المنصور قد أمر بعقد ثلاثة جسور أحدها للنساء، ثم عقد لنفسه وحشمه جسر بباب البستان، وكان بالزندورد جسران عقدهما محمد[1]، وكان الرشيد قد عقد عند باب الشماسية جسرين، وكان لأبي جعفر جسر عند سويقة قاطوطا، فلم تزل هذه الجسور الى أن قتل محمد، ثم عطلت وبقي منها ثلاثة الى أيام المأمون ثم عطل واحد، وسمعت أبا علي بن شاذان يقول: أدركت ببغداد ثلاثة جسور: أحدهما محاذي سوق الثلاثاء، واخر بباب الطاق، والثالث في أعلى البلد عند الدار المعزية محاذي الميدان، فذكر لي غير ابن شاذان ان الجسر الذي كان محاذي الميدان نقل الى الفرضة بباب الطاق، فصار هناك جسران يمضي الناس على أحدهما ويرجعون على الآخر.

وقال لي هلال بن المحسن: عقد جسر بمشرعة القطانين في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، فمكث مدة ثم تعطل، ولم يبق ببغداد بعد ذلك سّوى جسر واحد بباب الطاق، الى أن حول في سنة ثماني واربعين وأربعمائة، فعقد بين مشرعة الروايا من الجانب الغربي، وبين مشرعة الحطابين من الجانب الشرقي، ثم عطل في سنة خمسين وأربعمائة، ثم نصب بمشرعة القطانين.

قال الشيخ أبو بكر: ولم أزل اسمع أن جسر بغداد طرازها، أنشدني علي بن الحسن بن الصقر أبو الحسن قال: أنشدنا علي بن الفرج الفقيه الشافعي لنفسه:

أيا حبذا جسر على متن دجلة ... بإتقان تأسيس وحسن ورونق

جمال وفخر للعراق ونزهة ... وسلوة من أضناه فرط التشوق

تراه إذا ما جئته متأملا ... كسطر عبير خط في وسط مهرق

والعاج فيه الأبنوس مرقش ... أمثال فيول تحتها أرض زئبق

أنشدنا علي بن المحسن التنوخي قال: أنشدني أبي لنفسه:

---

[1] يقصد الخليفة المهدي.

يوم سرقنا العيش فيه خلسة   في مجلس بفناء دجلة مفرد

رق الهواء برقة قدامه   فغدوت رقاً للزمان المسعد

فكان دجلة طيلسان أبيض   والجسر فيها كالطراز الأسود

حدثني هلال بن المحسن قال: ذكر انه احصيت السميريات المعبرانيات بدجلة في أيام الناصر لدين الله وهو أبو أحمد طلحة الموفق فكانت ثلاثين ألفا، قدر من كسب ملاحيها في كل يوم تسعون ألف درهم.

ذكر مقدار ذرع جانبي بغداد
طولا وعرضا ومبلغ مساحة أرضها وعدد مساجدها وحمّاماتها

أخبرنا محمد بن علي الوراق قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمران قال: نبأنا أبو بكر محمد بن يحيى النديم قال: ذكر أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد: ان ذرع بغداد الجانبين ثلاثة وخمسون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً، منها الجانب الشرقي، ستة وعشرون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً، والغربي سبعة وعشرون ألف جريب، قال أبو الحسن: ورأيت في نسخة أخرى غير نسخة محمد بن يحيى: ان ذرع بغداد ثلاثة واربعون ألف جريب وسبعمائة جريب وخمسون جريباً، منها الجانب الشرقي ستة عشر ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً والجانب الغربي سبعة وعشرون ألف جريب.

رجع الى حديث محمد بن يحيى: وان عدد الحمامات كانت في ذلك الوقت ببغداد ستين ألف حمام وقال: اقل ما يكون في كل حمام خمسة نفر، حمامي وقيم وزبال ووقاد وسقاء، يكون ذلك ثلاثمائة ألف رجل وذكر انه يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد يكون ذلك ثلاثمائة ألف مسجد، وتقدير ذلك ان يكون اقل ما يكون في كل مسجد خمس انفس، يكون ذلك ألف ألف وخمسمائة ألف إنسان، يحتاج كل إنسان من هؤلاء في ليلة العيد الى رطل صابون، يكون ذلك ألف ألف وخمسمائة ألف رطل صابون، يكون ذلك حساب الجرة مائة وثلاثين رطلا: ألف جرة ومائة جرة وخمسين جرة وثمانية جرار ونصفاً، يكون ذلك زيتاً، حساب الجرة ستين رطلاً، ستمائة ألف رطل وتسعة آلاف رطل وخمسمائة رطل وعشرة أرطال.

حدثني هلال بن المحسن قال: كنت يوماً بحضرة جدي أبي إسحاق ابراهيم بن هلال الصابيء في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة إذ دخل عليه أحد التجار الذين كانوا يغشونه ويخدمونه فقال له: في عرض حديث حدثه به، قال لي أحد التجار: ان ببغداد اليوم ثلاثة آلاف حمام فقال له جدي: سبحان الله ! هذا سدس ما كنا عددناه وحصرناه، فقال له كيف ذاك؟ فقال جدي: اذكر وقد كتب ركن الدولة أبو علي الحسن[1] بن بويه إلى الوزير أبي محمد المهلبي[2] بما قال فيه: ذكر لنا كثرة المساجد والحمامات ببغداد، واختلفت علينا فيها الأقاويل، واحببنا أن نعرفها على حقيقة وتحصيل، فتعرفنا الصحيح من ذلك، قال جدي: وأعطاني أبو محمد الكتاب وقال لي: تمض الى الأمير معزّ الدولة فأعرضه عليه واستأذنه فيه ففعلت، فقال له الأمير: استعلم ذلك وعرفنيه، فتقدم أبو محمد المهلبي الى أبي الحسن البادغجي وهو صاحب المعونة بعد المساجد والحمامات، قال جدي: فأما المساجد فلا اذكر ما قيل فيها كثرة وأما الحمامات فكانت بضعة عشر ألف حمام، وعدت الى معزّ الدولة وعرفته ذلك، فقال: اكتبوا في الحمامات بأنها أربعة آلاف، واستدللنا من قوله على اشفاقه وحسده إياه على بلد هذا عظمه وكبره واخذ أبو محمد وأخذنا نتعجب ! من كون الحمامات هذا القدر، وقد احصيت في أيام المقتدر بالله فكانت سبعة وعشرون ألف حمام وليس بين الوقتين من التباعد ما يقتضي هذا التفاوت قال هلال: وقيل: أنها كانت في أيام عضد الدولة خمسة آلاف حمام وكسراً.

قال الشيخ أبو بكر: لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها وفخامة أمرها، وكثرة علمائها وأعلامها، وتميز خواصها وعوامها، وعظم أقطارها وسعة اطرارها، وكثرة دورها ومنازلها، ودروبها وشعوبها، ومحالها وأسواقها، وسككها وازقتها، ومساجدها وحماماتها، وطرزها وخاناتها، وطيب هوائها، وعذوبة مائها، وبرد ظلالها وافيائها، واعتدال صيفها وشتائها، وصحة ربيعها وخريفها، وزيادة ما حصر من عدة سكانها، واكثر ما كانت عمارةً وأهلا في أيام الرشيد، إذ الدنيا قارة المضاجع، دارة المراضع، خصيبة المراتع، مورودة المشارع، ثم حدثت بها الفتن

---

[1] ولد عضد الدولة، وصاحب اصبهان والري وهمذان، توفي سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م (ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٢،ص١١٨-١١٩).

[2] الحسن بن عمر بن عبد الله من ولد المهلب بن أبي صفرة، كاتب معزّ الدولة ووزيره، توفي سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م (الكتبي:فوات الوفيات،جـ١،ص٣٥٣-٣٥٧).

وتتابعت على أهلها المحن، فخرب عمرانها، وانتقل قطانها، إلا أنها كانت قبل وقتنـــا، والسابق لعصرنا على ما بها من الاختلال والتناقض في جميع الأحوال، مباينة لجميـــع الأمصار، ومخالفة لسائر الديار.

وقد حدثني القاضي أبو القاسم التنوخي قال: اخبرني أبي قال: نبأنا أبو الحســـن محمد ابن صالح الهاشمي في سنة ستين وثلاثمائة قال: اخبرني رجل يبيع في ســـويق الحمص منفرداً به واسماه لي ونسيته، انه حصر ما يعمل في سوقه من هذا الســـويق كل سنة، فكان مائة واربعين كرّا، يكون حمصا مائتين وثمانين كرّا، يخرج فـــي كـــل سنة حتى لا يبقى منه شيء ويستأنف عمل ذلك للسنة الأخرى، قال: وسويق الحمّـــص غير طيب، وانما ياكله المتحملون والضعفاء شهرين أو ثلاثة عند عدم الفواكه، ومن لا يأكله من الناس اكثر.

قال الشيخ أبو بكر: ولو طلب من هذا السويق اليوم في جانبي بغداد مكوك واحد ما وجد.

أخبرنا محمد بن علي الوراق وأحمد بن علي المحتسب قالا: أنبأنا محمـــد بـــن جعفر النحوي قال: نبأنا الحسن بن محمد السكوني قال: نبأنا محمد بن خلف قال: قـــال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر: اخذ الطول من الجانب الشرقي من بغداد لأبي أحمـــد يعني الموفق بالله عند دخوله مدينة السلام، فوجد مائتي حبل وخمسين حبلا وعرضـــه مائة وخمسة أحبل فتكون ستة وعشرين ألف جريب ومائتين وخمسين جريباً، ووجـــد من الجانب الغربي طوله مائتين وخمسين حبلاً ايضاً وعرضه سبعون حبلاً. يكون ذلك سبعة عشر ألف جريب وخمسمائة جريب، فالجميع من ذلك ثلاثة واربعون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريبا، من ذلك مقابر اربعة وسبعون جريبا

ما ذكر في مقابر بغداد المخصوصة بالعلماء والزهاد

بالجانب الغربي في أعلى المدينة مقابر قريش دفن بها موسى بن جعفر بن محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وجماعة من الأفاضل معه.

أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسن بن الحســـين محمـــد بـــن رامين الاستراباذي قال:أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: سمعت الحسن بن ابراهيـــم أبـــا علي الخلال يقول: ما همني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما احب.

أخبرنا محمد بن علي الوراق وأحمد بن علي المحتسب قالا: أنبأنا محمد بن جعفر: نا السكوني قال: نبأنا محمد بن خلف قال: وكان أول من دفن في مقابر قريش جعفر الأكبر بن المنصور[1] وأول من دفن في مقابر باب الشام عبد الله بن علي، سنة سبع واربعين ومائة، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة ومقبرة باب الشام اقدم مقابر بغداد، ودفن بها جماعة من العلماء والمحدثين والفقهاء وكذلك بمقبرة باب التبن وهي على الخندق بازاء قطيعة أم جعفر.

حدثني أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء الحنبلي قال: حدثني أبو طاهر بن أبي بكر قال: حكى لي والدي عن رجل كان يختلف الى أبي بكر بن مالك انه قيل له: أين تحب أن تدفن إذا مت؟ فقال: بالقطيعة، وان عبدالله بن أحمد بن حنبل[2] مدفون بالقطيعة وقيل له يعني لعبد الله في ذلك قال: وأظنه كان أوصى بأن يدفن هناك، وقال: قد صح عندي بأن بالقطيعة نبياً مدفونا، ولان أكون في جوار نبي احب الي من أن اكون في جوار أبي، ومقبرة باب حرب، خارج المدينة وراء الخندق مما يلي طريق قطربل، معروفة بأهل الصلاح والخير، وفيها قبر أحمد بن محمد بن حنبل وبشر بن الحارث[3]، وينسب باب حرب الى حرب بن عبد الله أحد صحابة أبي جعفر المنصور؛ واليه أيضا تنسب المحلة المعروفة بالحربية.

أخبرنا أبو عبد الرحمن اسماعيل بن أحمد الحيري الضرير قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي بنيسابور قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت عبد الله بن موسى الطلحي يقول: سمعت أحمد بن العباس يقول: خرجت من بغداد فاستقبلني رجل عليه اثر العبادة فقال لي: من أين خرجت ؟ قلت: من بغداد هربت

---

[1] اعتمادا على ما ذكره الطبري(تاريخ،جـ٨،ص٣٢)، فإن جعفرا توفي سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م(،جـ٨،ص٣٢).

[2] أبو عبد الرحمن نجل الإمام أحمد بن حنبل، توفي سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م (ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٦، ص٦٥).

[3] أبو نصر، بشر بن الحارث بن عبد الرحمن، لقب بالحافي لانه جاء الى إسكافي يطلب منه شسعاً لاحد نعليه وكان قد انقطع، فقال له الإسكافي، ما اكثر كلفتكم على الناس، فالقى النعل من يده والأخرى من رجله وحلف بان لا يلبس نعلاً بعدها، سكن بغداد، ويعد من كبار الصالحين واحد رجال الطريقة، توفي سنة ٢٢٦ او٢٢٧هـ/٨٤٠ او٨٤١م (ابن خلكان:وفيات الأعيان/جـ١،ص٢٧٤-٢٧٧).

منها لما رأيت فيها من الفساد، خفت أن يخسف بأهلها فقال: ارجع ولا تخف، فإن فيها قبور اربعة من أولياء الله هم حصن لهم من جميع البلايا، قلت: من هم ؟ قال: ثم الإمام أحمد بن حنبل ومعروف الكرخي[1] وبشر الحافي ومنصور بن عمار[2] فرجعت وزرت القبور ولم اخرج تلك السنة، قال الشيخ أبو بكر: أما قبر معروف فهو في مقبرة باب الدير، واما الثلاثة الآخرون فقبورهم بباب حرب، حدثني الحسن بن أبي طالب قال: نا يوسف بن عمر القواس قال:نا أبو مقاتل محمد بن شجاع قال: نا أبو بكر بن أبي الدنيا قال: حدثني أبو يوسف بن بختان وكان من خيار المسلمين قال: لما مات أحمد بن حنبل رأى رجل في منامه كأن على كل قبر قنديلاً فقال: ما هذا ؟ فقيل له: أما علمت انه نور لأهل القبور قبورهم بنزول هذا الرجل بين اظهرهم قد كان فيهم من يعذب فرحم.

أخبرنا أبو الفرج الحسين بن عبيد الله الطناجيري قال: نا محمد بن علي بن سويد المؤدب قال: نا عثمان بن اسماعيل بن أبي بكر السكري قال: سمعت أبي يقول سمعت أحمد ابن الدورقي يقول: مات جار لي فرايته في الليل وعليه حلّتان قد كسي فقلت: ايش قصتك؟ ما هذا ؟ قال: دفن في مقبرتنا بشر بن الحارث فكسي أهل المقبرة حلّتين حلّتين.

قال الخطيب: وبنواحي الكرخ مقابرعدة منها مقبرة باب الكناس مما يلي براثا، دفن فيها جماعة من كبراء أصحاب الحديث ومقبرة الشونيزي، فيها قبر سري السقطي[3] وغيره من الزهاد، وهي وراء المحلة المعروفة بالتوثة بالقرب من نهر عيسى بن علي الهاشمي، سمعت بعض شيوخنا يقول: مقابر قريش كانت قديماً تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير، والمقبرة التي وراء التوثة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير،

---

[1] أبو محفوظ معروف بن فيروز، وقيل فيروزان العابد الصالح المشهور، توفي سنة ٢٠٠ أو ٢٠١هـ/٨١٥ او ٨١٦م (ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٥،ص٢٣١-٢٣٣).

[2] أبو السري الواعظ القاص، من أهل خراسان، وقيل من أهل البصرة، سكن بغداد، وحدث بها، توفي سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م. (ابن الجوزي: المنتظم،جـ٦،ص٣٤٥).

[3] أبو الحسن سري بن المغلس، أحد تلاميذ معروف الكرخي، أوحد زمانه في الورع وعلوم التوحيد وأحد رجال الطريقة، توفي سنة ٢٥٦ او٢٥٧هـ/٨٦٩ او ٨٧٠م (ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٢،ص٣٥٧-٣٥٩).

وكان أخوان يقال لكل واحد منها الشونيزي فدفن كل واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين ونسبت المقبرة إليه، ومقبرة باب الدير وهي التي فيها قبر معروف الكرخي.

أخبرنا اسماعيل بن أحمد الحيري قال: أنبأنا محمد بن الحسين السلمي قال: سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت أبا علي الصفار يقول: سمعت ابراهيم الحربي يقول: قبر معروف الترياق المجرب، اخبرني أبو إسحاق ابراهيم بن عمر البرمكي قال: نبأنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري قال: سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج ويقال: انه من قرأ عنده مائة مرة "قل هو الله أحد" وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته، حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري قال: سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد بن جميع يقول: أبا عبد الله بن المحاملي يقول: اعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه وبالجانب الشرقي مقبرة الخيزران، فيها قبر محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة[1]،وقبر أبي حنيفة النعمان بن ثابت إمام أصحاب الرأي أخبرنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد الصيمري، قال: أنبأنا عمر بن ابراهيم المقري قال: نبأنا مكرم بن أحمد قال: نبأنا عمر بن إسحاق بن ابراهيم قال: نبأنا علي بن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: اني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء الى قبره في كل يوم يعني زائراً فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت الى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى، ومقبرة عبد الله بن مالك دفن بها خلق كثير من الفقهاء والمحدثين والزهاد والصالحين وتعرف بالمالكية، ومقبرة باب البردان فيها أيضا جماعة من أهل الفضل وعند المصلى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يعرف بقبر النذور ويقال: إن المدفون فيه رجل من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتبرك الناس بزيارته ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته.

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال: حدثني أبي قال: كنت جالساً بحضرة عضد الدولة ونحن مخيمون بالقرب من مصلى الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام، نريد الخروج معه الى همذان في أول يوم نزل المعسكر،

---

[1] من أشهر كتاب السير والمغازي، حاول وبكفاية الجمع بين منهجي المحدثين والإخباريين، توفي سنة ١٥١هـ/٧٦٨م (ابن سعد:الطبقات الكبرى،جـ٧،ص٣٢١- ٣٢٢؛ الدينوري،ابن قتيبة:المعارف،ص٢٧٦؛ ياقوت الحموي:معجم الأدباء،جـ٨،ص٥-٨).

فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النذور فقال لي: ما هذا البناء ؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم اقل قبر لعلمي بطيرته من دون هذا، واستحسن اللفظة وقال: قد علمت انه قبر النذور، وانما أردت شرح أمره: فقلت: هذا يقال انه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويقال: انه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وان بعض الخلفاء أراد قتله خفياً، فجعلت له هناك زبية وسيّر عليها وهو لا يعلم، فوقع فيها وهيل عليه التراب حياً، وانما شهر بقبر النذور لانه ما يكاد ينذر له نذر إلا صح، وبلغ الناذر ما يريد ولزمه الوفاء بالنذور وأنا أحد من نذر له مراراً لا أحصيها كثرة، نذوراً على أمور متعذرة فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به فلم يتقبل هذا القول، وتكلم بما دل ان هذا إنما يقع منه اليسير اتفاقاً فيتسوق العوام بأضعافه، ويسيرون الأحاديث الباطلة فيه فأمسكت، فلما كان بعد أيام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا، استدعاني في غدوة يوم وقال: اركب معي الى مشهد النذور، فركبت وركب في نفر من حاشيته الى ان جئت به الى الموضع، فدخله وزار القبر، وصلى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحد، ثم ركبنا معه الى خيمته وأقمنا أياما، ثم رحل ورحلنا معه يريد همذان، فبلغناها وأقمنا فيها معه شهوراً، فلما كان بعد ذلك استدعاني وقال لي: ألست تذكر ما حدثتني به في أمر مشهد النذور ببغداد ؟ فقلت: بلى فقال: اني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتماداً لاحسان عشرتك، والذي كان في نفسي في الحقيقة أن جميع ما يقال فيه كذب، فلما كان بعد ذلك بمديدة طرقني أمر خشيت أن يقع ويتم وأعلمت فكري في الاحتيال لزواله ولو بجميع ما في بيوت أموالي وسائر عساكري، فلم أجد لذلك فيه مذهباً، فذكرت ما أخبرتني به في النذر لمقبرة النذور فقلت: لم لا اجرب ذلك ؟ فنذرت إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن احمل الى صندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاحا، فلما كان اليوم جاءتني الأخبار بكفايتي ذلك الامر، فتقدمت الى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف يعني كاتبه أن يكتب الى أبي الريان وكان خليفته ببغداد يحملها الى المشهد، ثم التفت الى عبد العزيز وكان حاضراً فقال له عبد العزيز: قد كتبت بذلك ونفذ الكتاب.

اخبرني علي بن أبي علي المعدل قال حدثني أحمد بن عبد الله أبو بكر الدوري الوراق قال: نبأنا أبو علي محمد بن همام بن سهيل الكاتب الشيعي قال: نبأنا محمد بن موسى بن حماد البربري قال: نبأنا سليمان بن أبي شيخ وقلت له: هذا الذي بقبر

النذور يقال انه عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب فقال: ليس كذلك، بل هو عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وعبيد الله ابن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، مدفون في ضيعة له بناحية الكوفة يقال لها لبيّا وقال أبو بكر الدوري قال لي: أبو محمد الحسن بن محمد بن أخي طاهر العلوي: عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مدفون في ضيعة له بناحية الكوفة يقال لها البيّ، وقبر النذور إنما هو قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، واقدم المقابر التي بالجانب الشرقي مقبرة الخيزران، فلخبرني أبو القاسم الأزهري قال: أنبأنا أحمد بن ابراهيم قال: نبأنا ابراهيم بن محمد بن عرفة قال: واما مقابر الخيزران، فمنسوبة الى الخيزران أم موسى وهارون يعني ابني المهدي، وهي اقدم المقابر فيها قبر أبي حنيفة، وقبر محمد بن إسحاق صاحب المغازي.

أخبرنا محمد بن علي الوراق وأحمد بن علي المحتسب قالا: أنبأنا محمد بن جعفر قال: نبأنا السكوني قال: نبأنا محمد ين خلف: قال: قال بعض الناس: ان موضع مقابر الخيزران كان مقابر المجوس قبل بناء بغداد، واول من دفن فيها البانوقة بنت المهدي، ثم الخيزران، ودفن فيها محمد بن إسحاق صاحب المغازي، والحسن بن زيد ابن زيد، والنعمان بن ثابت، وقيل هشام بن عروة.

قال الشيخ أبو بكر: كان المشهور عندنا أن قبر هشام بن عروة في الجانب الغربي وراء الخندق أعلى مقابر باب حرب، وهو ظاهر معروف هناك، وعليه منقوش فيه انه قبر هشام.

مع ما أخبرنا به الحسن بن علي الجوهر قال: أنبأنا محمد بن العباس الخزاز، وأخبرنا الأزهري قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن موسى قال: نا أبو الحسين بن المنادي: قال: أبو المنذر: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي مات أيام خلافة أبي جعفر في سنة ست واربعين ومائة، ودفن بالجانب الغربي خارج السور نحو باب قطربل، فحدثني أبو طاهر حمزة بن محمد بن طاهر الدقاق وكان من أهل الفهم وله قدم في العلم: انه سمع أبا الحسين أحمد بن عبد الله بن الخضر ينكر أن يكون قبر هشام بن عروة بن الزبير، هو المشهور بالجانب الغربي، وقال: هذا قبر هشام بن عروة المروزي صاحب إبن المبارك، وانما قبر هشام بن عروة بن الزبير بالخيزرانية من الجانب الشرقي، ثم أخبرنا أبو بكر البرقاني قال:أنبأنا عبد الرحمن بن عمر الخلال

قال: نا محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة قال: نا جدي قال: هشام بن عروة يكنى أبا المنذر توفي ببغداد سنة ست واربعين ومائة، وقد قيل: إن قبره في مقابر الخيزران، وأخبرنا الحسن بن الحسين بن العباس قال: أنبأنا جدي لامي إسحاق بن محمد النعالي قال: أنبأنا عبد الله بن إسحاق المدايني قال: نبأنا قعنب بن المحرز أبو عمرو الباهلي قال: مات عبد الملك بن أبي سليمان وهشام بن عروة ببغداد سنة خمس واربعين ومائة، ودفنا بسوق يحيى ومقبرة الخيزران بالقرب من سوق يحيى واليها أشار قعنب ابن المحرز، ونرى ان قول أحمد بن عبد الله بن الخضر هو الصواب إلا انا لا نعرف في أصحاب ابن المبارك من يسمى هشام بن عروة، ولا نعلم ايضاً روى العلم عن أحد سمي هشاما واسم أبيه عروة، سوى هشام بن عروة بن الزبير بن العوام والله اعلم.

وبالقرب من القبر المنسوب الى هشام بالجانب الغربي، قبور جماعة تعرف بقبور الشهداء، لم أزل اسمع العامة تذكر أنها قبور قوم من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كانوا شهدوا معه قتال الخوارج بالنهروان وارتثوا في الوقعة، ثم لما رجعوا ادركهم الموت في ذلك الموضع فدفنهم علي هناك وقيل: إن فيهم من له صحبة، وقد كان حمزة بن محمد بن طاهر ينكر أيضا ما اشتهر عند العامة من ذلك، وسمعته يزعم انه لا اصل له والله اعلم[1].

---

[1] لقد ذكر الطبري (جـ٥،ص٧٥-٧٦) في أحداث سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م بسنده عن أبي مخنف الازدي أن عدياً بن حاتم الطائي أرسل الى عامل المدائن سعد بن مسعود الثقفي يحذره من الخوارج، فأخذ سعد أبواب المدائن وخرج في الخيل وسار في طلبهم، لكن خبره وصل الى زعيم الخوارج عبد الله بن وهب الراسبي الذي غير طريقه واتجه صوب بغداد، لكن سعد بن مسعود أدركه بالكرخ في خمسمائة فارس عند المساء، فانصرف إليهم عبد الله بن وهب في ثلاثين فارساً، فاقتتلوا ساعة، لكن بعض الخلافات قد حدثت في جيش سعد بن مسعود الأمر الذي استغله عبد الله بن وهب فخرج بقواته ليلاً وعبر دجلة الى أرض جوخى وسار الى النهروان، واعتماداً على ذلك، فإن هؤلاء الشهداء ربما كانوا في جيش سعد بن مسعود الثقفي، واستشهدوا أو جرحوا، وربما كانت جراحهم بليغة، إذ لم يكن بالإمكان نقلهم من هذا المكان، وهذا يعني أن هؤلاء دفنوا في هذا الموضع قبيل معركة النهروان وليس بعدها.

وصف الشريف الإدريسي[*]
مدينة بغداد

ولنبدأ من مدنها بذكر بغداد، فبغداد مدينة كبيرة ابتناها المنصور في الجانب الغربي من دجلة، وجعل جوانبها قطائع اقتطعها لمواليه واتباعه[1]،فلما وليهاالمهدي[2]جعل عسكره في الجانب الشرقي فسمي بعسكر المهدي وبنى الناس اقطاعهم، فعمرت بهم واتصلت بمباني من الكرخ الى الجويث[3]، وقصر المهدي متوسط منها يقابل قصر المنصور في الضفة الأخرى الغربية، وتتصل عمارة بغداد شرقاً الى كلواذي، وكلواذي مدينة بها مسجد جامع، وبين المدينتين من بغداد جسران مربوطان بالسفن يجتاز عليها من أراد الجواز والتصرف من البلدة الغربية الى البلدة الشرقية وبالضد.

والجانب الشرقي بساتينه واشجاره تسقي بماء النهروان وتامرا وهما نهران عظيمان وماؤهما يرتفع منه الكفاية سقياً وشرباً وليس يرتفع به من ماء دجلة شيء إلا القليل الذي لا يكفي ولا يرضي.

والجانب الغربي يجري إليه نهر عيسى من الفرات كما قدمنا ذكره، وعلى فوهته قنطرة دممّا ويتشعب منه نهر صغير يسمى الصراة فيصب ماءه في الجانب الغربي فيسقي بساتينهم وضياعهم ويدخل المدينة فينتفع به ويشرب منه، ونهر عيسى تجري فيه السفن من الفرات الى بغداد وليس به سد ولا حاجز، وأما نهر الصراة فلا تقدر السفن على ركوبه لكثرة أسداد الأرحاء المتخذة عليه، وعلى نهر عيسى مدينة بادوريا ولها ديوان مفرد من أجل الدواوين وتنفجر فيها أنهار كثيرة تشق أسواقها ومحلاتها وعليها المباني والدور والبساتين والضياع.

(*) أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن إدريس (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،(بيروت١٩٨٩، الإقليم الرابع جـ٥، ص٦٦٦-٦٦٨).

(1) لقد نقل الشريف الإدريسي أيضا جل مادته عن بغداد عن كتاب (مسالك الممالك) للاصطخري.

(2) لقد سبق القول إن المهدي نزل الجانب الشرقي في حياة أبيه الخليفة أبي جعفر المنصور.

(3) موضع بين بغداد وأوانا (ياقوت الحموي:البلدان،جـ٢،ص١٩١).

وبين بغداد والكوفة سواد متصل وأعمال غير متميزة تخترق إليها أنـــــهار مـــن الفرات، أولها مما يلي بغداد، نهر صرصر وعليه مدينة صرصر تجري فيـــه الســفن وبين مدينة صرصر وبغداد تسعة أميال، وهي مدينة عامرة كثيرة التجـــار والأســـواق وبها فواكه وخير وافر، ولا سور لها ولها جسر من مراكب يعبر الناس عليه، ومـــن هذا النهر الى نهر آخر وبينها ستة أميال وهو نهر كبير ماؤه غزير يسمى نهر الملـــك وعليه مدينة حسنة عامرة آهلة كثيرة النخيل والأشجار، ولها جسر من مراكب يعـــبر عليه، ومن هذا النهر الى قصر ابن هبيرة، وهي مدينة كبـــيرة عـــامرة ذات أســـواق وعمارات وهي اعمر البلاد التي في نواحي السواد وأوفرها أموالا وأكثرها نفعاً وهـــي على غلوه من الفرات، ومنها الى بغداد ثلاثة مراحل خفاف.

رحلة الرّبي بنيامين التطيلي[*]
إلى بغداد سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م

المدينة الكبرى، كرسي مملكة الخليفة أمير المؤمنين العباسي من آل بيت نبي المسلمين وهو إمام الدين الإسلامي، يدين له بالطاعة ملوك المسلمين قاطبة، وهو عندهم بمقام البابا عند النصارى.

وقصر الخلافة في بغداد واسع الأرجاء، تنوف استدارته على ثلاثة أميال، تتوسطه روضة غناء فيها أشجار مثمرة وغير مثمرة من كل صنف، وفيها من الحيوان ضروب كثيرة، وفي الروضة أيضا بحيرة واسعة يأتيها الماء من حدقل (دجلة) يخرج إليها الخليفة للصيد والنزهة، وقد جمعت فيها أصناف الطيور والسمك لرياضة الملك ووزرائه ورجال بطانته وضيوفه.

وفي هذا القصر يعقد الخليفة العباسي الكبير[1](الحافظ) مجلس بلاطه، وهو حسن المعاملة لليهود، وفي حاشيته عدد منهم، وهو عليم بمختلف اللغات، عارف بتوراة موسى يحسن اللغة العبرية (؟) قراءة وكتابة، وهو كذلك على جانب عظيم من الصلاح والتقوى يأكل من تعب كفيه، إذ يصنع الشال المقصب ويدمغه بختمه فيبيعه رجال بطانته من السراة والنبلاء فيعود عليه بالأموال الوافرة، وهو المعروف بالتقوى والصدق والاستقامة وطلب الخير لجميع رعيته، والمسلمون لا يشاهدونه إلا مرة في العام عندما يتوافد الحجاج من كل فج بطريقتهم إلى مكة من أعمال اليمن (كذا) وكلهم شوق لرؤية طلعته، فيتحدثون في باحة القصر هاتفين "يا سيدنا، نور الإسلام وفخر المسلمين اطل علينا بطلعتك الميمونة" لكنه لا يبالي بهذا النداء، فيقول له رجال الحاشية: "يا أمير المؤمنين اشرق بطلعتك على رعيتك الذين توافدوا من الأقطار

---

[*] ترجم الرحلة وعلق عليها عزرا حداد وقد ترجمها من الأصل العبري،وطبعت سنة ١٩٤٥ (بغداد)، وقد ترجمنا الأصل الإنجليزي تحقيق آلكن ناثان اولفر بعنوان (الرحالة اليهود).

Jewish Travelers. ed. By Elkan Nathan Alder, Published by George Routledge Sons (London) PP. 42-49.

[1] يقصد الخليفة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م).

النائية للاستذراء بظل فضلك!" وعندئذ ينهض الخليفة فيرخي ذيل بردته من شرفة القصر فيقبل الحجاج على لثمها بكل خشوع، ومن ثم ينادي بهم الحاجب:

"اذهبوا بأمان الله، فإن سيدنا أمير المؤمنين يقرؤ عليكم السلام" فينصرف الناس فرحين بهذه التحية التي يهديها إليهم الحاجب بآسم الشخص الذي له في قلوبهم مقام النبي، وجميع الأمراء من بيت الخلافة معتقلون في قصورهم الخاصة وراء سلاسل الحديد، وعليهم الحراس الموكلون بهم لكي لا يعلنوا العصيان على كبيرهم الخليفة[١] فقد حدث لأحد أسلافه ان تمرد عليه اخوته وبايعوا لأحدهم بالخلافة[٢]، ومن ذلك اليوم جرت العادة بالحجز على أفراد بيت الخلافة كافة لكي لا يتمردوا على سيد البلاد، غير ان كلاً من هؤلاء يعيش في قصر أنيق ويمتلك المدن والضياع، وتدر عليه المال الوافر وعليها الوكلاء والأمناء وهكذا يقضي الأمراء أيامهم بالقصف واللهو.

وفي قصر الخلافة من الأبنية ما يحير العقول، ففيه الرخام والأساطين المزوقة بالذهب، المزينة بالحجارة النادرة المنقوشة بالريازة البديعة تكسو الحيطان، وفي القصر كنوز وافرة وخزائن طافحة بالذهب والثياب الحرير والجواهر الكريمة.

ومن عادة الخليفة ألا يبارح قصره إلا مرة في العام[٣]،وفي العيد الذي يسميه المسلمون "عيد رمضان" فيحتشد الناس من أقاصي البلاد للاحتفاء بمشاهدته، ويمتطي الخليفة عند خروجه جواداً مطهماً، وهو مرتد بردته المقصبة بفضة وذهب، ومتوج الرأس بقلنسوة مرصعة بالأحجار الكريمة التي لا يعد لها ثمن، وفوق القلنسوة قطعة قماش سوداء اللون فيها ما يشير إلى التواضع، وفيها موعظة للناس بأن هذه الأبهة كلها سيغشاها السواد[٤]عند انقضاء الآجل، فيتحرك ركاب الخليفة، يحف به نبلاء المسلمين وسراتهم، وكلهم رافل بالحلل الزاهية فوق صهوات الخيول، وهم أمراء

---

[١] باستثناء ما ذكره ابن جبير (الرحلة،ص١٨١) فإن المؤرخين المعاصرين لهذا الرحالة لم يؤيدوا هذا الادعاء، بل انهم على النقيض من ذلك أشاروا إلى علاقات طيبة بين الخليفة العباسي واخوته وأعمامه(ابن الجوزي:المنتظم،جـ١٠،ص٤٤٥؛ ابن الأثير:الكامل في التاريخ،جـ٩،ص٦٩).

[٢] يقصد الفتنة التي وقعت بين الخليفة المستعين وأخيه المعتز سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م، والتي أعلن فيها الأخير نفسه خليفة بتحريض من الأتراك (الطبري:تاريخ،جـ٩،ص٢٨٢-٢٨٦).

[٣] من المعروف عن الخليفة المستنجد بالله انه كان كثير الخروج (ينظر:ابن الجوزي:المنتظم،جـ١٠،٤٦١-٤٦٢).

[٤]من المعروف أن اللون الأسود هو شعار خلفاء بني العباس.

العرب وعظماء الترك والديلم وفارس ومادي والغز والتبت ونواحي سمرقند التي تبعد مسيرة ثلاثة أشهر عن بلاد العرب، فيتوجه الموكب إلى المسجد الجامع[1] في باب البصرة، وتزين جميع الطرق والأسواق التي يمر بها أبدع زينة بالأقمشة والحرير ذات الألوان الزاهية فيستقبله الناس بالهتافات والتهليل ويخرون سجداً بين يدي هذا الملك الذي يسمونه الخليفة، وهم ينادون: "السلام على أمير المؤمنين ونور الإسلام" والخليفة يرد عليهم التحية بلثم أطراف بردته، فإذا ما دخل الجامع، يرتقي منبراً من خشب فيشرع في إلقاء خطبته على الجماهير ويفسر لهم أحكام شريعتهم، ثم ينهض كبار المسلمين فيرتلون الدعاء له، ويشيدون بعظمته وفضله، فيهتف الجميع "آمين"، ثم يمنحهم الخليفة مباركته ويؤتى له بجمل ينحره، وهذا هو قربان العيد عنهم، فيوزع اللحم على العظماء والامراء، والسعيد من يذوق أضحية خليفته.

وبعد هذا يبارح الموكب المصلى، فيعود الخليفة وحده بطريق الشارع المشرف على دجلة، ويواكبه عظماء المسلمين في قوارب تمخر مياه النهر حتى يدخل الخليفة قصره، وقد جرت العادة أن تكون عودة الخليفة بغير الطريق التي خرج منها، ويقوم الحراس طوال أيام السنة على منع الناس من وطء موضع أقدام الخليفة، والخليفة لا يبارح قصره إلا في العام القابل، وهو عظيم التقوى والصلاح.

ويقوم على الجانب الغربي من مدينة بغداد، بين نهر دجلة ونهر آخر يأتي من الفرات بناء المارستان[2]،وهو مجموعة من البنايات الواسعة، يأوي إليها المعوزون من المرضى رغبة في الشفاء، ولهذا المارستان قوامون من الأطباء يبلغ عددهم الستين طبيباً، يعالجون المرضى ويطبخون لهم الأدوية، والخليفة يجهزهم بما يحتاجون إليه من بيت المال، وفيها أيضا بناية تدعى (دار المارستان) يأوي إليها المجانين المغلوبون على عقولهم بتأثير حر القيظ الشديد![3]والأطباء يقيدونهم بالأغلال حتى يثوبوا إلى

---

[1] يقصد جامع المنصور في الجانب الغربي.

[2] يقصد المارستان العضدي.

[3] وفضلاً عن هؤلاء، فإن هذا البيمارستان يستقبل من يغلب عليه العشق أو يفرط في الشراب (ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد،جـ١، ص١٢٤) أو من يوسوس له في آخر حياته، وهناك إشارة عن نقل البلاذري وهو المؤرخ المعروف إلى البيمارستان لوسوسته في أواخر حياته (ابن النديم:الفهرست، ص١٠٨).

سابق رشدهم، ويعيشون مدة مكوثهم فيها بنفقة الخليفة، ويقوم أطباء الخليفة بتفقدهم مرة في كل شهر، فيسرحون من عاد إلى الصواب منهم ليعود إلى أهله، وتشمل خيرات الخليفة كل من أم بغداد من المرضى والمجاذيب، فالخليفة جزيل الإحسان همه عمل الخير.

ويقيم ببغداد نحو (أربعين) ألف يهودي، وهم يعيشون بأمان وعزة ورفاهة في ظل أمير المؤمنين الخليفة، وبينهم عدد من كبار العلماء ورؤساء المثيبة[1] وعلماء الدين، ولهم في بغداد عشر مدارس مهمة، ورئيس المدرسة الكبرى هو الربي صموئيل بن علي الرباني، والغاؤون، رئيس المثيبة (غاؤون يعقوب) وهو ينسب إلى سبط لاوي من آل النبي موسى (عليه السلام).

واما رأس المدرسة الثانية، فهو ر. حنينة أخوه، شيخ اللاويين، ونائب رأس المثيبة. ورئيس المدرسة الثالثة ر. دانيال، ورئيس المدرسة الرابعة الحبر العازر، ورئيس المدرسة الخامسة ر. العازر بن صمح رأس المجمع العلمي، ويرتقي نسبه إلى صموئيل النبي، وقد اشتهر هو وأخوته بالتجويد ورخامة الصوت والترتيل على الطريقة التي كان يرتل بها أجدادهم اللاويون في بيت المقدس، ورئيس المدرسة السادسة ر. حسداي الملقب بفخر الأحبار، ورئيس المدرسة السابعة ر. حجاري، ورئيس المدرسة الثامنة ر.عزرا صاحب سر المثيبة، ورئيس المدرسة التاسعة ر. ابراهيم ويكنى أبا طاهر، ورئيس المدرسة العاشرة والختامية (السيوم) ر. زكاي بن بستناي.

وهؤلاء الأساتذة العشرة يعرفون بالمعتكفين، لا عمل لهم غير النظر في مصالح أبناء طائفتهم ويقضون بين الناس طوال أيام الأسبوع، كل في مدرسته، خلا نهار الاثنين حيث يجتمعون في مجلس كبيرهم رأس المثيبة (غاؤون يعقوب) للنظر في شؤون الناس مجتمعين.

أما رئيس هؤلاء العلماء جميعهم، هو الربي دانيال بن حسداي الملقب "سيدنا رأس الجالوت[2]" ويسميه المسلمون "سيدنا ابن داود" لأن بيده وثيقة تثبت انتهاء نسبه إلى الملك داود، وهو يستمد سلطانه من كتاب عهد يوجه إليه من الخليفة أمير المؤمنين

---

[1] أي الرؤساء الروحانيون للطائفة اليهودية.

[2] الرئيس السياسي للطائفة اليهودية الذي يمثلهم عند الخليفة (المترجم).

عملاً بالشرع المحمدي[1]، وينتقل هذا المنصب إلى ذريته بالوراثة، وعند نصب الرئيس يمنحه الخليفة ختم الرئاسة على أبناء ملته كافة.

وتقضي التقاليد المرعية بين اليهود والمسلمين وسائر الرعية بالنهوض أمام رأس الجالوت وتحيته عند مروره بهم، ومن خالف ذلك عوقب بضربه مائة جلدة وعندما يخرج رأس الجالوت لمقابلة الخليفة يسير معه الفرسان من اليهود والمسلمين ويتقدم الموكب مناد ينادي بالناس: "اعملوا الطريق لسيدنا ابن داود" ويكون الرئيس ممتطياً صهوة جواده وعليه حلة من حرير مقصب، وعلى رأسه عمامة كبيرة تتدلى منها قطعة قماش مربوطة بسلسلة منقوش عليها شعار الخليفة، وعندما يمثل في حضرة الخليفة يبادر إلى لثم يده، وعندئذ ينهض الخليفة وينهض معه الحجاب ورجال الحاشية، فيجلس الرئيس فوق كرسي مخصص لجلوسه قبالة الخليفة.

ويسري نفوذ رأس الجالوت على جميع طوائف اليهود المنتشرة في شنعار (العراق) وبلاد خراسان، وسبأ (اليمن) وبلاد ما بين النهرين (الجزيرة) وجبال اراراط (أرمينية وبلاد اللان)[2] المحوطة بالجبال الشاهقة، والتي لا ينفذ إليها إلا من سوى الأبواب الحديد التي شيدها الاسكندر، فتهدمت بعده، وطوائف اليهود المنتشرين في سيبيرية وبلاد التوغرميم (التركمان) وبلاد كرجستان (جورجية) حتي شواطئ نهر جيحون وحدود سمرقند وبلد الطيبات (التبت) وديار الهند.

ففي هذه الأقطار كلها لا يعين الربيون والحزانون[3]إلا بمعرفة رأس الجالوت، وهو يشخصون إلى بغداد بعد نصبهم لمقابلة الرئيس، ويحملون إليه الهدايا والعطايا من أقصى المعمور.

ويمتلك الرئيس العقارات الواسعة والمزارع والبساتين في جميع أنحاء بابل (العراق) وأكثرها بما ورثه عن أجداده، واملاكه هذه مصونة ليس من حق أحد ان

---

[1] ذكرت المصادر التاريخية العربية نصوصاً عدة من هذه العهود، وزدات على ذلك بأن فصلت في مراسيم تنصيب هؤلاء الرؤساء، والتي كانت تجري في حضرة الوزير العباسي وبحضور اقضى القضاة وكبار رجال الدولة (ابن الفوطي:الحوادث الجامعة،ص٢١٨؛ الأشرف الغساني:العسجد المسبوك،جـ٢،ص ٥٦١).

[2] بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب وتشمل معظم الأراضي الواقعة في جمهورية أذربيجان اليوم(ياقوت الحموي:البلدان،جـ٥،ص ٨).

[3] مفردها الحزان: وهو الخطيب الذي يرتقي المنبر ويصلي بالجماعة (المترجم).

ينتزعها منه، وله إيراد سنوي عظيم من الفنادق والأسواق والمتاجر ماعدا الهدايا التي تتوارد عليه من البلدان القصية، فهو على ذلك واسع الثروة، وعلى جانب عظيم من الحكمة والفقه بأحكام التوراة والتلمود.

ويجري الاحتفال بنصب رأس الجالوت الجديد[1] بمهرجان مشهور، إذ يبعث إليه الخليفة بإحدى ركائبه الملوكية فيتوجه إلى قصر الخلافة، أو في ركابه الأمراء والنبلاء، ومعه الهدايا والتحف النفيسة للخليفة ورجال قصره، وعندما يمثل بين يدي الخليفة يتسلم منه كتاب العهد، ثم يضع أمير المؤمنين يده على رأس الرئيس الجديد، ومن ثم يعود إلى داره بموكبه الخاص وحوله الجماهير الغفيرة، وتنفخ أمامه البوقات وتقرع الطبول، وبعدها يحتفل بتحديد نصب رؤساء المثيبة بان يضع الرئيس الأكبر يده على رأس كل منهم.

وبين يهود بغداد عدد كبير من العلماء وذوي اليسار، ولهم فيها ثماني وعشرون كنيسة، قسم منها في جانب الرصافة، ومنها في جانب الكرخ على الشاطئ الغربي من نهر حدقل (دجلة) الذي يمرّ في المدينة فيشطرها شطرين.

وكنيسة رأس الجالوت بناء جسيم فيه الأساطين الرخام المنقوشة بالأصباغ الزاهية المزوقة بالفضة والذهب، وتزدان رؤوس الأساطين بكتابات من المزامير بحروف من ذهب، وفي صدر الكنيسة مصطبة يصعد إليها بعشر درجات من رخام، وفوقها الأريكة المخصصة لرأس الجالوت أمير آل داود.

وتبلغ استدارة بغداد عشرين ميلاً[2]،وتمتد حولها الرياض والحقول وبساتين النخيل مما لا مثيل له في جميع العراق، ولها تجارة واسعة، يقصدها التجار من جميع أقطار العالم للبيع والشراء، وفي بغداد عدد كبير من العلماء الفلاسفة والمتفننين في جميع العلوم والمعارف والسحريات.

---

[1] كناية عن تقاليد كانت متبعة بين اليهود، وهي أن يضع الرئيس يده على رأس مرؤوسيه عند توليهم المناصب المهمة وهي تقاليد محفوظة من عهد النبي موسى (عليه السلام) المترجم.

[2] لقد ذكر رحالة يهودي آخر وهو فتاخيا الذي زار بغداد بعد بنيامين بحوالي عشر سنوات أن استدارة بغداد كانت مسيرة ثلاثة أيام.

رحلة الربي فتاخيا[*] Petachia الراتسبوني
إلى بغداد سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م [1]

كان الرّبي فتاخيا (بناخيا) ابن الرّبي داود وأخ من توسافيست Tosaphist الرّبي إسحاق حلوان Halavan، والرّبي نخمان (او نحمان) من راتيسبون، ولد الرّبي فتاخيا هناك في النصف الأول من القرن الثاني عشر للميلاد، وبعد أن استقر في براغ لبضعة سنوات شرع من هناك برحلاته عبر أراضي بولندا وكييف والقرم والترتر وارمينية وميديا وفارس والعراق وسوريا وفلسطين واليونان، قام برحلاته بعد عشر أو خمس عشرة سنة من رحلة بنيامين التطيلي اليهودي، وان روايتيهما وأوصافهما تكمل الواحدة الأخرى، وان إشارات فتاخيا إلى الكرايت اليهودي تعد المصدر الوحيد للمعلومات عنهم حتى ظهرت دراسات الأستاذ تريكلاند Trigland في القرن الثامن عشر للميلاد.

ومن المؤكد أن فتاخيا كان في دمشق ما بين سنة ١١٧٤م و ١١٨٧م، إذ انه قد وصل المدينة بعد سيطرة صلاح الدين عليها، وفي الحقبة التي مازال الصليبيون يسيطرون على القدس. ورواية فتاخيا ووصفه تسمى بالعبرية سبوب Sibbub أي الرحلة الدائرية.

والواقع أنها ليست رواية فتاخيا نفسه انما قد جمعت القصة من الملاحظات الشفوية التي طرحها فتاخيا على الربي جودا Juda بن صموئيل الفقيه الذي يبدو انه كان مرافقا له في جزء من طريق رحلته.

واعتمد النص على مخطوط قد طبع في براغ عام ١٥٩٩م وترجم إلى الألمانية في التدورف Altdorf عام ١٦٨٧ والى اللاتينية من قبل فاجنسايل wagenseil في

---

[*] ترجم الرحلة من الأصل الإنجليزي الدكتور عبد الجبار ناجي.
(Jewish travellers) edited by Elkan Nathan Adler/ London P.64-81.

[1] والملاحظ أن هذه الرحلة على الرغم من جزالة وصفها لبغداد ولا سيما أبواب بغداد ليست معروفة عند الباحثين مقارنة بمعرفتهم برحلة بنيامين التطيلي، يراجع كتاب (الرحالة اليهود بالإنجليزية) ص ٦٤-٨٢.

السنة ذاتها في ستراسبورغ، والى الفرنسية من قبل كرمولي Carmoly في بـاريس سنة ١٨٣١، والى الإنجليزية من قبل الدكتور بنش Benisch في لندن عـام ١٨٥٦ (وطبع طبعة ثانية في ١٨٦١)، وحققها الدكتور جرونهت Grunhut في القدس.

بدأ فتاخيا رحلته من براغ في بوهيما متوجها إلى بولندا ثم منها إلى كييف في روسيا، ومن روسيا سافر مدة ستة أيام على نهر الرينر، ومن جانبه الآخر بدأ رحلاته عبر أراضى بلاد الـ Kedar التي تفتقر إلى السفن لذلك فإنه استخدم في رحلته عربات تجرها الخيول فاستغرقت رحلته من بلاد الـ Kedar باتجاه بلاد الخزر مسافة ستة عشر يوماً.

من نينوى إلى بغداد:

ركب الرّبي على متن سفينة في دجلة وانحدرت مع تيار النهر ووصل خلال خمسة عشر يوماً إلى حديقة Garden مثيبة بابل، ولولا التيار النهري هذا لاستغرقت الرحلة شهراً، هناك ابرشيات في كل قرية أو مدينة، وصلنا إلى حديقة المثيبة، وكانت تضم حديقة جميع أصناف الفواكه، وهي واسعة جداً وفيها نبات اللفاح [وهو نبات عشبي من فصيلة الباذنجانية (المترجم)]، وهذا النبات له وجه يشبه وجه الإنسان وأوراقه عريضة.

ومن هناك سافر برحلة استغرقت يوماً واحداً إلى بغداد في بابل[1] ليس هنالك من أحد يمكنه صعود النهر وذلك بسبب سرعة جريان مياهه وعنفها، ولكنهم يستخدمون الجمال والحمير على اليابسة ويربطون جلوداً منفوخة على ظهور الجمال.

بغداد وهي العاصمة، كرسي الخليفة أو السلطان، وهو الملك العظيم الذي يدير الأمم ويحكمها، ومدينة بغداد كبيرة جداً، فطولها مسيرة يوم رحلة واحد من طرفها إلى طرفها الآخر، واستدارتها تستغرق رحلة ثلاثة أيام.

وهناك في بغداد ألف يهودي[2] يتنقلون فيها وهم ملتحفون بلباس ولا يجرأ أي شخص هناك النظر إلى أي امرأة كذلك لا يجرأ أحد من دخول بيت لأصدقائه خشية

---

[1] كذا وردت في الأصل، والملاحظ أن الأجانب حتى مدة قريبة يسمون بغداد بابل (المترجم).

[2] يلاحظ أن بنيامين التطيلي جعلهم أربعة آلاف، وهناك نسخة أخرى عند عزرا حداد مترجم الرحلة ورد فيها الرقم ألف يهودي (المترجم).

أن يرى زوجة ذلك الجار الذي سيباشره بالقول: أيها الرجل الوقح من أين أتيت ؟ ع
انه يطرق الباب بمطرقة من التنك (tin) حينما يأتي إليه الشخص ويتحدث معه، كس
الجميع يمشي في المدينة ملتفا بعباءة من الصوف ولها شراشيب Fringes.

أما رأس المثيبة في بغداد فكان الرّبي صموئيل اللاوي بن علي وهو رأس المثيبة Academy وهو السيد المطاع كله حكمة في الشريعة المكتوبة والشفوية وفي كل الحكم المصرية ولاشيء يخفى عليه فهو يعرف الأسماء المقدسة وهو ضليع في التلمود.

ليس هناك أحد من اليهود في جميع بابل واشور وميديا وفارس من لا يعرف الأربع والعشرين كتابا في استعمال النقاط والفواصل لتوضيح المعاني Punctuation والنحو والحروف الزائدة عن الحاجة أو المحذوفة حتى الشخص الجاهل فإنه يعرف ذلك.

لرأس المثيبة حوالى ألفي تلميذ في وقت واحد، ويتحلق حوله كثر من خمسمائة تلميذ وجميعهم له اطلاع جيد غير انهم قبل بلوغهم سن النضج للدراسة في المثيبة يرسلون إلى المدينة (بغداد) تحت إشراف معلمين آخرين، وحينما يصلوا السن يجلبون أمام رأس المثيبة.

الروش جولا Rosh Gola أي العميد هو الرّبي العازر ويأتي بعده رأس المثيبة ويشغل رأس المثيبة بيتا كبيراً مزدان بالرسوم والزخارف، وكان أيضا يلبس أثوابا مزينة بالذهب، ويجلس في مكان أعلى من التلاميذ الذين كانوا يجلسون على الأرض، فهو يشرح إلى المترجم ثم ينقل المترجم ما قاله الرأس إلى التلاميذ، أما التلاميذ فإنهم كانوا يوجهون أسئلتهم إلى المترجم (أو العميد)، فإن لم يستطع العميد الإجابة عن الأسئلة فإنه يوجهها إلى رأس المثيبة، وكان المترجم (العميد) هو الذي يفسر رسائل التلمود Tractate من جهة بينما يقوم عميد (أو مترجم) آخر بشرحها من الجهة الأخرى، وان المقالة أو الرسالة التي تفسر وتشرح ترنم أولا وقبل كل شيء ثم يقوم المترجم بتفسيرها وشرحها.

كان الرّبي دانيال رأس الجالوت قد توفي قبل وصول الرحالة فتاخيا بسنة، وكان حجة ذا مكانة عالية مقارنة برأس المثيبة، وكان جميعهم يحتفظ بكتاب نسب يتسلسل حتى مؤسسي القبائل، والرّبي دانيال كان ينحدر من بيت داود، وان الملك هو الذي يعين رأس الجالوت بناء على توجيه الرجال البارزين بين اليهود وكان هناك أميران

من بيت داود يعدون من الرجال المؤهلين لرئاسة المثيبة، وكان بعض الوجهاء يفضلون الربي داود من بين هذين الأميرين بينما يفضل الآخرون الربي صموئيل، ولم يصلوا بشأن هذه المسألة إلى تفاهم. فكلاهما من الرجال الحكماء، الربي دانيال لم يخلف ولدا وله بنات فقط، والربي صموئيل لديه كتاب في النسب يرجع صموئيل في التاريخ إلى صموئيل الرمهي Ramah بن الكنه Elkanah – ربما الكاهنة – وهو أيضا ليس له ولد يخلفه وله بنات فقط، كانت الكنه خبيرة ومتضلعة في التلمود والكتاب المقدس، وهي التي تصدر توجيهاتها وتقدم الدروس في الكتاب المقدس إلى الشباب عبر شباك، إنها كانت داخل البناء بينما كان التلاميذ في الخارج يسمعونها ولا يرونها.

وكان هناك قاض في جميع البلاد الآشورية وفي دمشق وفي مدن فارس وميديا وكذلك في بلاد بابل يعين من قبل الربي صموئيل رأس المثيبة، وليس هناك أي قاض لم يعينه الربي صموئيل، وان الربي صموئيل هو الذي يمنح الإجازة في كل مدينة فيما يخص القضاء والتعليم، وان سلطته معترف بها في جميع البلدان وكذلك في بلاد (اسرائيل).

وكان الجميع يحترمه ولدى الربي صموئيل حوالي ستين شماسا الذين يجعلون الناس يطيعونه بوساطة استعمال العصي، وبعد أن يغادر التلاميذ فإن الكبار منهم هم الذين يتلقون الدرس من الربي صموئيل في علم النجوم وغيرها من فروع المعرفة.

مغادرة الربي فتاخيا بغداد في جولة ثم العودة إليها وصف بغداد بعد عودته

لقد شاهد هناك – في بغداد – جملا طائرا، كان منخفض العنق وسيقانه هزيلة، وان أي شخص يرغب في امتطائه عليه أن يربط نفسه إليه لئلا يسقط، وان راكبه يقطع في يوم واحد مسافة يقطعها الرجل ماشيا بخمسة عشر يوما، ومن الممكن أن يسير أسرع من ذلك إذا استطاع الراكب أن يصمد وفي ثانية واحدة يقفز هذا الجمل الطائر مسافة ميل[1].

[1] يبدو أن هذه القصة خيالية متأثرة في صياغتها بقصص ألف ليلة وليلة، فالمصادر العربية لا تذكر مثل هذا الجمل الطائر في بغداد في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي !.

وقد قادوا فتاخيا (لا يذكر من الذي قاده) أيضا إلى أبواب ببغداد، وهـــي أبـــواب ارتفاعها مائة ذراع وسعتها (عرضها) عشـــرة اذرع، والأبـــواب مطليـــة بالنحـــاس ومزخرفة برسوم هندسية بطريقة عجيبة لم يستطع أحد أن يصنع مثلها، وحدث مـــرة أن مسمارا قد سقط من أحدها فتعذر على أي شخص إعادته إلى موضعه وبلغ من شدة بريقها أن الخيول المستعملة كانت تجفل إلى الوراء عند رؤية الأبواب بســـبب بريـــق البوابات. ولذلك فإنهم اضطروا إلى سكب الخل الفائر على البوابات فذهـــب بريقـــها، ولذلك تمكنت الخيول من الدخول عبرها من دون أن تجفل، وعلى أية حال فإن بريـــق النحاس ما زال موجوداً في الجزء الأعلى من الباب، إذ لم يسكب عليه الخل، وكـــانت هذه البوابات في أحد الأيام أبواب القدس[1].

ولرأس المثيبة في بغداد خدم كثيرون أو حاشية كثيرة، وانهم يجلدون أي شخص لم ينفذ أوامره بسرعة أو حالا، لذلك فإن الناس تخافه، وهو مع ذلـــك رجـــل مســـتقيم ومتواضع ومملوء معرفة في الشريعة، واته يرتدي أثوابا ملونة ومذهبة كـــالملك، وان قصره مزين بزينة غالية كقصر الملك.

انتهت ملاحظات فتاخيا، وانه بعد بغداد رحل إلـــى حـــدود بـــابل القديمـــة، إذ استغرقت رحلته إلى قصر نبوخذ نصر مدة يومين.

---

[1] كما أن هذه الملاحظة غيرصحيحة لأن ابن الجوزي وغيره يذكر أن باب الظفرية مثلا قد جلب من المدينة المدورة وان أحد الأبواب جلبه الخليفة المعتصم بعد تغلبه على الروم في عمورية ودخـــل ضمن أبواب دار الخلافة.ويبدو أن الباب الذي وقف عليه فتاخيا هو باب الطلسم،إذ كـــان مزينـــا ومزخرفا بزخارف هندسية رائعة (المترجم).

رحلة ابن جُبير(*)
إلى بغداد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م

هذه المدينة العتيقة، وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية، ومثابة الدعوة الإمامية القرشية الهاشمية قد ذهب اكثر رسمها، ولم يبق منها إلا شهير اسمها. وهي بالإضافة إلى ما كانت عليه قبل إنحاء الحوادث عليها والتفات أعيـــن النوائـــب إليـــها كـــالطلل الدارس، والأثر الطامس، أو تمثال الخيال الشاخص، فلا حسن فيها يستوقف البصـــــر ويستدعي من المستوفز العقلة والنظر إلا دجلتها التي هي بين شرقيها وغربيها منــــها كالمرآة المجلوة بين صفحتين أو العقد المنتظم بين لبتين فهي تردها ولا تظمأ، وتتطلــع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ، والحسن الحريمي بين هوائها ومائها ينشأ، هو من ذلـك على شهرة في البلاد معروفة موصوفة، ففتن الهوى، إلا أن يعصم الله منها، مخوفة.

واما أهلها فلا تكاد تلقي منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، ويذهـــب بنفســـه عجباً وكبرياء، يزدرون الغرباء، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء، ويســـتصغرون عمن سواهم الأحاديث والأنباء، قد تصور كل منهم في معتقده وخلده أن الوجود كلـــه يصغر بالإضافة لبلده، فهم لا يستكرمون في معمور البسيطة مثوى غير مثواهم، كأنهم لا يعتقدون أن لله بلاداً أو عباداً سواهم يسحبون أذيالهم أشرا وبطراً، ولا يغيرون فـــي ذات الله منكراً، ويظنون أن اسنى الفخار في سحب الإزار، ولا يعلمـــون أن فضلـــه، بمقتضى الحديث المأثور، في النار، يتباعدون بينهم بالذهب قرضاً وما منهم من يحسن الله قرضاً، فلا نفقة فيها إلا من دينار تقرضه، وعلى يدي مخسر للميزان تعرضـــه، لا تكاد تظفر من خواص أهلها بالورع العفيف، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلـــها إلا على من ثبت له الويل في سورة التطفيف، لا يبالون في ذلك بعيب، كأنهم مـــن بقايـــا مدين قوم النبي شعيب، فالغريب فيهم معدوم الإرفاق، متضاعف الأنفاق، لا يجد مـــن أهلها إلا من يعامله بنفاق، أو يهش إليه هشاشة انتفاع واسترفاق، كأنهم من التزام هـــذه الخلة القبيحة على شرط اصطلاح بينهم واتفاق، فسوء معاشرة أبنائها يغلب على طبـــع

(*) أبو الحسن، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م): رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، المعروفة اختصارا بـ (رحلة ابن جبير)، (الطبعة الثانية، بيروت١٩٨٦، من صفحة ١٧٣- ١٨٤).

هوائها ومائها، ويعلل حسن المسموع من أحاديثها وأنبائها، استغفر الله إلا فقهاءهم المحدثين، ووعاظهم المذكرين، لا جرم أن لهم في طريقة الوعظ والتذكير، ومداومة التنبيه والتبصير، والمثابرة على الإنذار المخوف والتحذير ،مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحط كثيراً من أوزارهم، ويسحب ذيل العفو على سوء آثارهم ويمنع القارعة الصماء أن تحل بديارهم، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد، ويرمون تفجير الجلامد، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه، فالموفق فيهم لا يزال في مجلس ذكر أيامه كلها، لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة.

مجالس علم ووعظ

فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الإمام رضي الدين القزويني[1] رئيس الشافعية، وفقيه المدرسة النظامية، والمشار إليه بالتقديم في العلوم الاصولية، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور، فصعد المنبر، وأخذ القراء أمامه في القراءة على كراسي موضوعة، فتوقوا وشوقوا، وآتوا بتلاحين معجبة، ونغمات محرجة مطربة، ثم اندفع الشيخ الإمام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في أفانين من العلوم، من تفسير كتاب الله عز وجل، وإيراد حديث رسوله، صلى الله عليه وسلم، والتكلم على معانيه، ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب فأجاب، وما قصر، وتقدم وما تأخر، ودفعت إليه عدة رقاع منها فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على كل واحدة منها وينبذ بها إلى أن فرغ منها.

وحان المساء فنزل وافترق الجمع، فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقوراً هيناً ليناً، ظهرت فيه البركة والسكينة، ولم تقصر عن إرسال عبرتها فيه النفس المستكينة، ولا سيما آخر مجلسه، فإنه سرت حميا وعظه إلى النفوس حتى أطارتها خشوعاً، وفجرتها دموعاً، وبادر التائبون إليه سقوطاً على يده ووقوعاً، فكم ناصية جز، وكم مفصل من مفاصل التائبين طبق بالموعظة وحزّ فبمثل مقام هذا الشيخ المبارك ترحم العصاة، وتتغمد الجناة، وتستدام العصمة والنجاة، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن

---

[1] أبو الخير، أحمد بن اسماعيل بن يوسف الطالقاني، له مصنفات عدة منها (البيان في مسائل القرآن) وقد رد فيه على الحلولية والجهمية. وكتاب (حظائر القدس) وقد ذكر فيه أربعة وستين اسماً لها (ابن قاضي شهبة:طبقات الشافعية،جـ٢،ص٢٤-٢٥).

مقامه، ويتغمد ببركة العلماء الأولياء عباده العاصين من سخطه وانتقامه برحمته وكرمه، انه المنعم الكريم، لا رب سواه، ولا معبود إلا إياه.

وشهدنا له فيها مجلساً ثانياً اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور، وحضر ذلك اليوم مجلسه سيد العلماء الخراسانية، ورئيس الأئمة الشافعية، ودخل المدرسة النظامية بهز عظيم وتطريف آماق، تشوقت له النفوس، فاخذ الإمام المتقدم الذكر في وعظه مسروراً بحضوره، ومتجملا به، فأتى بافانين من العلوم، على حسب مجلسه المتقدم الذكر، ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندي[1] المتقدم الذكر في هذا التقييد، المشتهر بالمآثر والمكارم، المقدم بين الأكابر والأعاظم.

ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه، الإمام الأوحد جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي، بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي[2] وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي، وهو يجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف الفرا كل الصيد، آية الزمان، وقرة عين الأيمان رئيس الحنبلية والمخصوص في العلوم بالرتب العلية، إمام الجماعة وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة ومالك أزمة الكلام في النظم والنثر،

---

[1] صدر الدين محمود بن محمد بن ثابت الخجندي رئيس الشافعية في اصبهان، قتل سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م (ابن الأثير:الكامل في التاريخ،جـ٩ ،ص٢٣٦).

[2] ذكر ابن الجوزي (المنتظم،جـ١٠ ،ص٣٦٥-٣٦٦،ص٥٢٣) انه في سنة ٥٧٠هـ/١١٩٢م سلمت إليه الجهة المسماة بنفشة (توفيت سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م) الجارية المقربة من الخليفة المستضيء بأمر الله (٥٥٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٧٩م) الدار التي كانت لنظام الدين أبي نصر بن جهير لاتخاذها مدرسة ومقراً لأصحاب المذهب الحنبلي، وكانت بشاطيء دجلة بباب الأزج، ويقول مؤلف كتاب (دليل خارطة بغداد،ص١٧٣)، إنها دار المدرسة الشاطئية التي أوقفها بنفسه لابن الجوزي ليدرس فيها.

والغائص في بحر فكره على نفائس الدّر، فأما نظمه فرضي الطباع[1]،مهياري الانطباع[2]، وأما نثره فيصدع بسحر البيان، ويعطل المثل بقسّ وسحبان.

ومن أبهرْ آياته وأكبر معجْزاته، انه يصعد المنبر ويبتدئ القرّاء بالقرآن، وعددهم نيف على العشرين قارئاً، فينزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة يتلونها على نسق بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة، وقد أتوا بآيات مشتبهات، لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عدداً، أو يسميها نسقاً، فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشان في إيراد خطبته، عجلا مبتدراً، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه درراً، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فقراً، واتى بها على نسق القراءة لها، لا مقدماً ولا مؤخراً. ثم اكمل الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو أن أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء آية أية على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة الغراء بها عجلا! "أَفَسِحْرٌ هَـذَا أَمْ أَنْتُـمْ لا تُبْصِرُونَ"[3]، "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ"[4]، فحدث ولا حرج عن البحر، وهيهات ليس الخبر عنه كالخبر!ثم انه اتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الأنفس احتراقاً، إلى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها، ويمسح على رأسه داعياً له، ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأ النفوس إنابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلو لم نركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل، لكانت الصفقة الرابحة والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على أن منّ بلقاء من تشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله.

---

[1] رضي الطباع: تشبيه بالشريف الرضي (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م) النقيب والشاعر المشهور (ابن الجوزي: المنتظم،جـ٩،ص ١٤٦-١٥٠).

[2] مهياري الانطباع: تشبيه ايضاً بمهيار الديلمي أبو الحسن بن مرزويه (ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م) الشاعر المشهور (ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٥،ص٣٥٩-٣٦٣).

[3] سورة الطور: الآية ١٥.

[4] سورة النمل: الآية ١٦.

وفي إثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل، وتطير إليه الرقاع، فيجاوب أسرع من طرفة عين، وربما كان اكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، لا اله سواه.

ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له، بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر، بباب بدر في ساحة قصور الخليفة، ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة، وخص بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة[1] ووالدته[2] ومن حضر من الحرم، ويفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع، وقد بسط بالحصر، وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس، فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحبر المتكلم، فصعد المنبر وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان، وقد تسطر القراء أمامه على كراسي موضوعة، فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوقوا ما شاءوا، واطربوا ما أرادوا، وبدرت العيون بإرسال الدموع، صدع بخطبته الزهراء الغراء، واتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات، ومشى الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب إلى أن اكملها، وكانت الآية "اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ"[3] فتمادى على هذا السين وحسن أي تحسين فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه، ثم اخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، وكنى عنها بالستر الأشرف، والجناب الأرأف، ثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهة لا روية، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات على النسق مرة أخرى، فأرسلت وابلها العيون، وأبدت النفوس سر شوقها المكنون وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، بالتوبة معلنين، وطاشت الألباب والعقول، وكثر الوله والذهول، وصارت النفوس لا تملك تحصيلا، ولا تميز معقولا، ولا تجد للصبر سبيلاً.

ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق، بديعة الترقيق، تشعل القلوب، ويعود موضعها النسيبي زهداً، وكان آخر ما انشده من ذلك، وقد اخذ المجلس مأخذه من الاحترام، وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام:

---

[1] يقصد الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م).

[2] يقصد زمرد خاتون (المتوفاة سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م).

[3] سورة غافر: الآية ٦١.

أين فؤادي أذابـه الوجـد وأين قلبي فما صحا بعد
يا سعد زدني جوى بذكرهم بالله قل لي فديت يا سعد

ولم يزل يرددها والانفعال قد اثر فيه، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيـه، إلى أن خاف الإفحام، فابتدر القيام، ونزل عن المنبر دهشا عجلا، وقد أطـار القلـوب وجلا، وترك الناس على أحر من الجمر، يشيعونه بـالمدامع الحمـر. فمـن معلـن بالانتحاب، ومن متعفر في التراب، فيا له من مشهد ما أهول مرآه، وما اسعد من رآه! نفعنا الله ببركته، وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته، بمنه وفضله.

وفي أول مجلسه انشد قصيدا نير القبس، عراقي النفس، في الخليفة، أوله:

في شغل من الغرام شاغل من هاجه البرق بسفح عاقل

يقول فيه عند ذكر الخليفة:

يا كلمات الله كوني عوذة من العـيون للإمام الكامل

ففرغ من إنشاده وقد هز المجلس طربا، ثم اخذ في شأنه وتمادى في إيراد سـحر بيانه، وما كنا نحسب أن متكلما في الدنيا يعطي من ملكه النفوس والتلاعب بـها مـا أعطى هذا الرجل، فسبحان من خص بالكمال من يشاء من عباده، إلا اله غيره.

وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه بالإضافـة إلى ما عهدناه من متكلمي الغرب، وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة، شرفها الله، مجـالس من قد ذكرناه في هذا التقييد، فصغرت، بالإضافة لمجلس هذا الرجل الفذ، في نفوسـنا قدرا، ولم نستطب لها ذكرا، وأين تقعان مما أريد وشتان بيـن الـيزيدين، وهيـهات! الفتيان كثر، والمثل بمالك يسير ! ونزلنا بعـده بمجلـس يطيـب سـماعه، ويـروق استطلاعه.

وحضرنا له مجلسا ثالثا، يوم السبت الثالث عشر لصفر، بـالموضع المذكـور بازاء داره على الشط الشرقي، فأخذت معجزاته البيانية مأخذها، فشـهدنا مـن أمـره عجبا، صعد بوعظه أنفاس الحاضرين سحبا، وأسال من أدمعهم وابلا سكبا، ثم جعـل يردد في آخر مجلسه ابياتا من النسيب شوقا زهديا وطربا، إلى أن غلبته الرقة فوثـب من أعلى منبره والها مكتئبا، وغادر الكل منتدما على نفسه منتحبا لهفان ينـادي: يـا حسرتا واحربا، والمنادون يدورون بنحيبهم دور الرحى، وكل منهم بعد من سكرته مـا صحا، فسبحان من خلقه عبرة لأولي الألباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الأسباب لا الـه سواه.

ثم نرجع إلى ذكر بغداد:

هي كما ذكرناه جانبان: شرقي وغربي، ودجلة بينهما فأما الجانب الغربي فقد عمه الخراب واستولى عليه، وكان المعمور أولا، وعمارة الجانب الشرقي محدثه لكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوي على سبع عشرة محلة، كل محلة منها مدينة مستقلة، وفي كل واحدة منها الحمامان والثلاثة والثمانية منها بجوامع يصلى فيها الجمعة، فاكبرها القرية[١] وهي التي نزلنا فيها بربض منها يعرف بالمربعة على شط دجلة بمقربة من الجسر[٢]، فحملته دجلة بمدها السيلي، فعاد الناس يعبرون بالزوارق، والزوارق فيها لا تحصى كثرة فالناس ليلا ونهارا من تمادي العبور فيها في نزهة متصلة رجالا ونساء، والعادة أن يكون لها جسران: أحدهما مما يقرب من دور الخليفة والآخر فوقه لكثرة الناس والعبور في الزورق لا ينقطع منها.

ثم الكرخ، وهي مدينة مسورة، ثم محلة باب البصرة، وهي أيضا مدينة، وبها جامع المنصور، رحمه الله وهو جامع كبير عتيق البنيان حفيله.

ثم الشارع، وهي أيضا مدينة، فهذه الأربع اكبر المحلات، وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان، وهي مدينة صغيرة، فيها المارستان[٣] الشهير ببغداد، وهو على دجلة، وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس ويطالعون أحوال المرضى به، ويرتبون لهم اخذ ما يحتاجون إليه، وبين أيديهم قومة يتناولون طبخ الأدوية والأغذية، وهو قصر كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية، والماء يدخل إليه من دجلة.

وأسماء سائر المحلات يطول ذكرها، كالوسيطة وهي بين دجلة ونهر يتفرع من الفرات وينصب في دجلة، يجيء فيه جميع المرافق التي في الجهات التي يسقيها

---

[١] بالضم والفتح تصغير القرية: محلة كبيرة فيها محال وسوق كبير بعضها حريم في دار الخلافة في الجانب الشرقي (ياقوت الحموي،جـ٤،ص٣٤٠).

[٢] ذكر ابن الجوزي (المنتظم،جـ١٠،ص٥٢١)، أن إحدى جهات الخليفة المستضيء بالله المسماة (بنفشة) أمرت بنصب جسر جديد مكان الجسر العتيق الذي نقل إلى نهر عيسى، ومكان هذا الجسر كما يحدده مؤلفا كتاب (دليل خارطة بغداد،ص١٩٢) بين باب القرية وباب الغربة وهو جسر سوق الثلاثاء الذي ظل قائما حتى عهد الخليفة الناصر لدين الله.

[٣] يقصد البيمارستان العضدي.

الفرات، ويشق على باب البصرة الذي ذكرنا محلته نهر آخر منه وينصب أيضا في دجلة.

ومن أسماء المحلات العتابية، وبها نصنع الثياب العتابية، وهي حرير وقطن مختلفات الألوان، ومنها الحربية، وهي أعلاها وليس وراءها إلا القرى الخارجة عن بغداد إلى أسماء يطول ذكرها.

وبإحدى هذه المحلات قبر معروف الكرخي، وهو رجل من الصالحين مشهور الذكر في الأولياء، وفي الطريق إلى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متسع السنام، عليه مكتوب: هذا قبر عون[1] ومعين، من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وفي الجانب الغربي أيضا قبر موسى بن جعفر، رضي الله عنهما، إلى مشاهد كثيرة ممن لم تحضرنا تسميته من الأولياء والصالحين والسلف الكريم، رضي الله عن جميعهم.

وبأعلى الشرقية خارج البلد محلة كبيرة بازاء محلة الرصافة، وبالرصافة كان باب الطاق المشهور على الشط، وفي تلك المحلة مشهد حفيل البنيان، له قبة بيضاء سامية في الهواء، فيه قبر الإمام أبي حنيفة، رضي الله عنه، وبه تعرف المحلة، وبالقرب من تلك المحلة قبر الإمام أحمد بن حنبل[2]،رضي الله عنه، وفي تلك الجهة أيضا قبر أبي بكر الشبلي رحمه الله، وقبر الحسين بن منصور الحلاج، وببغداد من قبور الصالحين كثير، رضي الله عنهم، وبالغربية هي البساتين والحدائق، ومنها تجلب الفواكه إلى الشرقية.

---

[1] لقد فند مؤلفا كتاب (دليل خارطة بغداد، ص١٦٨-١٧٠) ما ذكره كي لسترنج في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية)، بان هذا المشهد هو على الأرجح، القبر المسمى اليوم (قبة الست زبيدة) وقد اثبتا من خلال إيراد العديد من النصوص التاريخية لبعض المؤرخين والبلدانيين المعاصرين لابن جبير أمثال ياقوت الحموي وابن الساعي، انه قبر السيدة زمرد خاتون المتوفاة سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٥م، وان قبر عون ومعين على مقربة من تربة (سلجوقي خاتون) زوجة الخليفة الناصر لدين الله.

[2] اعتمادا على جل المصادر التي ترجمت للإمام أحمد بن حنبل، فإنه وبعد موته في سنة ٢٤٠ أو ٢٤١هـ/٨٥٤ أو ٨٥٥م دفن في مقبرة باب حرب في الجانب الغربي وليس في الجانب الشرقي كما يقول ابن جبير ! ؟

دار الخلافة

واما الشرقية فهي دار الخلافة، وكفاها بذلك شرفا واحتفالا ! ودور الخليفة مع آخرها، وهي تقع منها في نحو الربع أو أزيد، لان جميع العباسيين في تلك الديار معتقلون اعتقالا جميلا، لا يخرجون ولا يظهرون، ولهم المرتبات القائمة بهم، وللخليفة من تلك الديار جزء كبير، قد اتخذ فيها المناظر المشرفة والقصور الرائقة والبساتين الأنيقة.

وليس له اليوم وزير إنما له خديم يعرف بنائب الوزارة، يحضر الديوان المحتوي على أموال الخلافة وبين يديه الكتب فينفذ الأموز، وله قيم على جميع الديار العباسية، وأمين على سائر الحرم الباقيات من عهد جده وأبيه وعلى جميع من تضمه الحرمة الخلافية، يعرف بالصاحب مجد الدين أستاذ الدار [١]،هذا لقبه، ويدعى له اثر الدعاء للخليفة، وهو قلما يظهر للعامة اشتغالا بما هو بسبيله من أمور تلك الديار وحراستها والتكفل بمغالقها وتفقدها ليلا ونهارا.

ورونق هذا الملك إنما هو على الفتيان والأحابش المجابيب، منهم فتى اسمه خالص، وهو قائد العسكرية كلها، أبصرناه خارجا أحد الأيام وبين يديه وخلفه أمراء الأجناد من الأتراك والديلم وسواهم، وحوله نحو خمسين سيفا مسلولة في أيدي رجال قد احتفوا به فشاهدنا من أمره عجبا في الدهر، وله القصور والمناظر على دجلة.

وقد يظهر الخليفة في بعض الأحيان بدجلة راكبا في زورق، وقد يصيد في بعض الأوقات في البرية، وظهوره على حالة اختصار تعمية لأمره على العامة فلا يزداد أمره مع تلك التعمية إلا اشتهارا، وهو مع ذلك يحب الظهور للعامة ويؤثر التحبب لهم، وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدوا بأيامه رخاء وعدلا وطيب عيش، فالكبير والصغير منهم داع له.

أبصرنا هذا الخليفة المذكور، وهو أبو العباس احمد الناصر لدين الله بن المستضيء بنور الله محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف، ويتصل نسبه

---

[١] أبو الفضل مجد الدين بن الصاحب أستاذ دار الخليفة، قتل سنة ٥٨٢هـ/١١٩٢م (ابن الأثير:الكامل في التاريخ،جـ٩،ص١٨٩).

إلى أبي الفضل جعفر المقتدر بالله، إلى السلف فوقه من أجداده الخلفـــاء رضـــوان الله عليهم بالجانب الغربي أمام منظرته به وقد انحدر عنها صـــاعدا فـــي الـــزورق إلـــى قصره[1] بأعلى الجانب الشرقي على الشط، وهو في فتاء مـــن ســـنه، أشـــقر اللحيـــة صغيرها كما اجتمع بها وجهه، حسن الشكل، جميل المنظر، ابيـــض اللـــون، معتـــدل القامة، رائق الرواء، سنه نحو الخمس وعشرين سنة، لابسا ثوبا ابيض شـــبه القبـــاء برسوم ذهب فيه، وعلى رأسه قلنسوة مذهبة مطوقة بوبر أسود من الأوبـــار الغاليـــة القيمة المتخذة للباس مما هو كالفنك وأشرف، متعمدا بذلك زي الأتراك تعمية لشـــأنه، لكن الشمس لا تخفى وان سترت، وذلك عشية يوم السبت السادس لصفر سنة ثمـــانين، وأبصرناه أيضا عشي يوم الأحد بعده متطلعا من منظرته المذكورة بالشـــط الغربـــي وكنا نسكن بمقربة منها.

والشرقية حفيلة الأسواق عظيمة الترتيب، تشتمل مـــن الخلـــق علـــى بشـــر لا يحصيهم إلا الله تعالى الذي أحصى كل شيء عددا، وبها من الجوامع ثلاثة كل يجتمع فيها: جامع الخليفة متصل بداره، وهو جامع كبير، وفيه سقايات عظيمة ومرافق كثيـرة

---

[1] عكف الباحثون المهتمون بخطط بغداد وعمارتها ومنذ عشرينيات القرن الماضي على مسألة تحديد هوية أحد الصروح العباسية الباقية وهو القصر العباسي الكائن خلف وزارة الدفاع، ولقد أفـــرزت تلك الدراسات تصورات متفاوتة متعددة بشأن هوية هذا القصر، فقد ذهب قسم على أن هذا القصر هو القصر المأموني، في حين رأى قسم آخر انه قصر أم حبيب، بينما ذهب قسم ثالث على انـــه دار المسناة التي بناها الخليفة الناصر لدين الله، ولقد تعرض الرأيان الأولان لنقد علمي بناء استند إلى معطيات خططية ثابتة في عمارة بغداد، واما الرأي الثالث، فقد لاقـــى قبـــولا بيـــن أوســـاط المعنيين بشؤون خطط بغداد القديمة، إذ قدم مؤيدوه إشارات واضحة مستندة على استقراء وتحليل نص ابن جبير هذا ومقارنته بنصوص أخرى ولاسيما نص المؤرخ ابن الفوطـــي فـــي الكتـــاب المنسوب إليه (الحوادث الجامعة) ونص القفطي في كتابه (أخبـــار الحكمـــاء)، (دليـــل خارطـــة بغداد،ص١٨٧-١٨٨؛ د.عماد عبد الســـلام رؤوف:خطـــط بغـــداد فـــي دراســـات المؤرخيـــن المحدثين،ص٤٥-٤٦).

كاملة، مرافق الوضوء والطهور، وجامع السلطان[1]،وهو خارج البلد، ويتصـــل بـه قصور تنسب للسلطان ايضا المعروف بشاه شاه، وكان مدبر أمر أجداد هذا الخليفـــة، وكان يسكن هنالك، فابتنى الجامع أمام مسكنه، وجامع الرصافة، وهو علـــى الجـانب الشرقي المذكور، وبينه وبين جامع هذا السلطان المذكور مسافة نحو الميل، والرصافة تربة الخلفاء العباسيين رحمهم الله، فجميع جوامع البلد ببغداد المجمع فيها أحد عشر.

الحمامات والمساجد والمدارس

وأما حماماتها فلا تحصى عدة، ذكر لنا أحد أشياخ البلـد: أنـها بيـن الشـرقية والغربية نحو الألفي حمام وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل للناظر أنـه رخـام أسود صقيل، وحمامات هذه الجهات أكثرها على هذا الصفة لكثرة القار عندهـم لأن شأنه عجيب يجلب من عين بين البصرة والكوفة، وقد أنبط الله ماء هذه العين ليتولـد منه القار، فهو يصير في جوانبها كالصلصال، فيجرف ويجلب وقد انعقـد، فسـبحان خالق ما يشاء، لا اله سواه.

واما المساجد بالشرقية والغربية فلا يأخذها التقديـر فضـلا عـن الإحصـاء، والمدارس بها نحو الثلاثين وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسـة إلا وهـي يقصـر القصر البديع عنها وأعظمها واشـهرها النظاميـة [2]، وهـي التـي ابتناهـا نظـام الملك[3]،وجددت سنة أربع وخمس مائة، ولهذه المدارس أوقـاف عظيمـة وعقـارات محبسة تتصير إلى الفقهاء المدرسين بها، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم، ولـهذه البلاد في أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد، فرحم الله واضعها الأول ورحم من تبع ذلك السنن الصالح.

---

[1] هو الجامع الذي بناه السلطان السلجوقي ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م،وأتمه بهروز الخادم سـنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م (ابن الجوزي:المنتظم،جـ٩،ص٦٤١).

[2] بدأ العمل في بناء المدرسة النظامية سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م وانتهى سنة ٤٥٩هـ / ١٠٠٦م.

[3] ويعرف ايضا بباب خراسان، أو الباب الوسطاني، ومازالت بعض آثاره قائمة قرب قبر الشيخ عمر السهروردي (دليل خارطة بغداد،ص١٦٠).

أبواب الشرقية الأربعة

وللشرقية أربعة أبواب: فأولها وهو في أعلى الشط باب السلطان[1] ثم باب الظفرية[2]، ثم يليه باب الحلبة[3]، ثم باب البصلية[4]، هذه الأبواب التي هي في السور المحيط بها من أعلى الشط إلى أسفله، هو ينعطف عليها كنصف دائرة مستطيلة، وداخلها في الأسواق أبواب كثيرة، وبالجملة فشأن هذه البلدة أعظم من أن يوصف، وأين هي مما كانت عليه ؟ هي اليوم داخلة تحت قول حبيب:

لا أنت أنت ولا الديار ديار *

---

[1] نسبة إلى السلطان السلجوقي ارطغرل وهو الباب الشمالي ويقع عند باب المعظم الحالي (دليل خارطة بغداد،ص١٦٠).

[2] سمي بذلك لقربه من ميدان السباق قبل إنشاء السور، وقد عرف في العهد الأخير بآسم (باب الطلسم) وظل قائما حتى نسفه الأتراك بالبارود بعد خروجهم من بغداد عام ١٩١٧، وموقعه في شرق محلة باب الشيخ الحالية (دليل خارطة بغداد،ص١٦١).

[3] ويعرف ايضا بـ (باب كلواذي) لان الطريق الذي يخرج منه يؤدي الى قرية كلواذى وموقع هذا الباب في محل (الباب الشرقي) الحالي (دليل خارطة بغداد،ص١٦٢).

[4] أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور، توفي سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م (ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٢،ص١١-٢٦).

الفصل الثالث

بغداد في كتابات البلدانيين والرحالة
خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/
الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين

رحلة السائح الهروي[*] الى بغداد[1]

دار السلام وقبة الإسلام ومقر الإمام (عم) بها قبر الإمام موسى بن جعفر الكاظم (رضهما) عمره اثنان وثمانون سنة[2]،وبها الإمام محمد بن علي بن موسى الجواد، ولد بالمدينة عاش سبعاً وعشرين سنة[3](رضه)، وبها الإمام الأمين محمد بن الإمام الرشيد (رضه) وجماعة من الأشراف في مقابر قريش (رضهم) وقبر أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة (رضهما).

محلة الرصافة بها قبر الإمام الراضي محمد بن المقتدر والإمام المستكفي والإمام المطيع والإمام الطائع والأمام القادر والإمام القائم والإمام المقتدي والإمام المستظهر والإمام المقتفي والإمام المستنجد (رضهم).

وفي مدينة السلام، الإمام المعتضد والإمام المكتفي بدار طاهر بن الحسين،وقيل لم يكن في الخلافة من اسمه علي بعد علي بن أبي طالب (رضه) غير المكتفي وبها المتقي والإمام المستضيء في دار جدته في الجانب الغربي، وبها قبر الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني مات سنة أربعين ومائتين[4] وله سبع وسبعون من جملة

---

[*] أبو الحسن، علي بن أبي بكر(ت٦١١هـ/١٢١٤م): الإشارات إلى معرفة الزيارات، (دمشق١٩٢٩، من صفحة ٧٣-٧٥).

[1] ذكر الهروي في مقدمة كتابه (الإشارات إلى معرفة الزيارات) انه ابتدأ زيارته إلى المدن الإسلامية في إثناء خلافة الناصر لدين الله، ويحتمل أن زيارته بغداد كانت في العقد الأخير من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

[2] تشير كل المصادر التي ترجمت للإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) انه توفي وعمره خمس وخمسون أو سبع وخمسون سنة (ابن خلكان:وفيات الأعيان، جـ٥، ص٣١٠).

[3] وقيل أربع وعشرون أو خمس وعشرون سنة (ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٤،ص١٧٥).

[4] وقيل سنة إحدى واربعين ومائتين(الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ٤،ص٤٢٢).

الإبدال، وقيل لما مات مسح الموضع الذي صلوا عليه فكان أربعة وستون جريبا مكسرة[1].

وبمقبرة الخيزران قبر الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن المرزبان من أبناء فارس، ولد في عصر الصحابة (رضهم)، حج مع أبيه سنة ست وتسعين وله من العمر ستة عشر سنة ولقي من الصحابة عبد الله بن أبي[2] أوفى وأبا الطفيل عامر بن واثلة[3] وانس بن مالك[4]، مات سنة خمسين ومائة وعمره سبعين سنة وعنده أبو عبد الله الجرجاني[5] ومحمد بن يحيى طلبته ونور الهدى الزينبي[6] والشيخ أبو بكر الشبلي وأبو الحسن النوري[7] والسيرافي وحمادة وعبد الله بن عمر الاشرف بن علي زين العابدين وعنده جماعة من الأشراف في مشهد النذور وقبر شريح بن يونس.

وبجبانة دار السلام من الأولياء والصالحين مثل أبي جعفر الدعاء[8] وأبي محمد ابن مصعب وأحمد بن نصر الخزاعي وعفان ومسلم وأبي الحسن بن سمعون

---

(1) ذكر الخطيب البغدادي عن بنان بن أحمد القصبائي، انه حضر جنازة أحمد بن حنبل مع من حضرها من الرجال ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألف امرأة وكانت الصفوف من الميدان إلى القنطرة ربع القطيعة (تاريخ،جـ٤،ص٤٢٢).

(2) الأسلمي يكنى أبا معاوية، توفي سنة ٨٧هـ/٧٠٥م (ابن عبد البر القرطبي:الاستيعاب في معرفة الأصحاب،جـ٢،ص٢٦٤-٢٦٥).

(3) ابن عمير بن جابر، يقال انه آخر من رأى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من الصحابة، توفي سنة ١٠٠هـ/٧١٨م (ابن عبد البر القرطبي:الاستيعاب في معرفة الأصحاب،جـ٣،ص١٤-١٥).

(4) توفي سنة ٩٣هـ/٧١١م (البخاري:التاريخ الكبير،جـ١،ص٢٧-٢٨).

(5) هنالك أسماء عدة من العلماء الجرجانيين يكنون بهذه الكنية، وفدوا على بغداد ونهلوا من علمائها، ودرسوا في مساجدها ومدارسها وتوفوا بها ودفنوا في مقابرها.

(6) النقيب أبو طالب الحسين بن عمر بن علي، تولى نقابة العباسيين، توفي سنة ٥١٢هـ/١١١٨م (ابن الجوزي:المنتظم،جـ١٠،ص١٥٠-١٥١).

(7) الأصوب، أبو الحسين احمد بن محمد الصوفي المعروف بالثوري (ابن الأثير:اللباب في تهذيب الأنساب،جـ٣،ص٣٣٠).

(8) العابد المعروف، توفي سنة ٢٢٨هـ/٨٤٢م (ابن الأثير:اللباب،جـ١،ص٥٠٣).

القاضي[1] في باب حرب، وقبور الشريكين اللذين لم يتخاونـا ولـهما حكايـة، وقـبر الناطور.

والحربية الشيخ أبو الحسن القزويني[2]، وخلف دار القز الشيخ ابراهيم الحربـي صاحب الكرامات وأخته إلى جانبه بظاهر قطفتا.

وبجانبه دار السلام، جعفر ومحمد أبناء الحسن (رضهم)، والشيخ حسن الحـلاج والشيخ أبو الكرم والشيخ أبو الفوارس[3] واسماعيل الديري وعبد الرحمن المسعودي[4] والشيخ معروف الكرخي وأولاد عبد العزيز وأبو بكر الأدمي[5] وأبو عبد الله الحـارث ابن أسد المحاسبي وأبو الغالب الماوردي[6] وداود الطائي [7] وأبـو الحسـن حسـري وأسامة ابن زيد [8] والصحيح أن أسامة مات بالجرف[9] وبأذربيجان مـن أعمـال بلـد توريز[10] على مسيرة يوم منها قرية يقال لها عصارة عندها جبل عليه قبر يزعمـون انه قبر أسامة بن زيد والصحيح ما تقدم ذكره بل الذي هو في أذربيجان هو عمرو بـن

[1] الأصوب، أبو الحسين محمد بن احمد بن اسماعيل الواعظ المعروف بأبن سمعون البغدادي، توفـي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م)، (ابن الجوزي:المنتظم:جـ٩،ص٥٣).

[2] علي بن عمر بن محمد بن الحسن الحربي من زهاد بغداد، توفي سـنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م (ابـن الأثير: اللباب،جـ٣،ص٥٣).

[3] هنالك أسماء عدة من العلماء الذين يكنون بهذه الكنية دفنوا في مقابر بغداد.

[4] عبد الله بن عتبة بن مسـعود الـهذلي، المحـدث الثقـة، توفـي سـنة ١٦٠هـ/٧٧٦م (ابـن الجوزي:المنتظم،جـ٥،ص٢٩٠).

[5] احمد بن محمد بن عبد الله الآدمي الشاشي (ابن الأثير:اللباب،جـ١،ص١٩).

[6] محمد بن الحسن بن علـي بـن الحسـن المـاوردي البصـري، نزيـل بغـداد، توفـي سـنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م)،(ابن الأثير:اللباب،جـ٣،ص١٥٧).

[7] أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي، الزاهد المعروف، قدم إلى بغداد أيام الخليفة المهدي ثـم عاد إلى الكوفة وفيها كانت وفاته في سـنة ١٦٠هـ/٧٧٦م أو ١٦٥هـ/٧٨١م (الخطيـب البغدادي:تاريخ، جـ٨، ص٣٤٧؛ ابن الجوزي:المنتظم، جـ٥، ص٣٢٢؛ ابن خلكـان:وفيـات الأعيان،جـ٢،ص٢٥٩).

[8] الصحابي الجليل توفي في المدينة المنورة سنة ٥٤هـ/٧٧٣م (ابن عبد البر:الاسـتيعاب، جـ١، ص٥٧).

[9] إحدى ضواحي المدينة المنورة.

[10] يقصد تبريز.

زيد والصحيح ما تقدم ذكره بل الذي هو في أذربيجان هو عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي.

وبالشونيزية من الإبدال والأولياء والصالحين جعفر بن المفيد[1] والشيخ حسين بن هداب بن محمد الديري المعروف بالنوري[2] وأبو القاسم حمزة بن محمد بن الحسن الزبيري وأبو بكر القلزمي وأبو العباس احمد بن مسروق الطوسي[3] ومشهد بنانة ابنة أبي بكر الصديق (رضه)[4] والشيخ حماد الدباس والعبادي[5] وولده[6] ومحمد الخالدي وعبد الله ابن محمد النيسابوري[7] وأبو القاسم بن طاهر بن سعد بن فضل الله الميهني والشيخ مجاور الحرمين[8] وأبو الحسن بن أبي الفتوح بن منير وابراهيم الرازي والشيخ أبو القاسم الجنيد وأبو سعد اسعد بن محمد الميهني وعمر المقدسي ويونس القرشي والشيخ أبو على المطهر والشيخ سري السقطي وأبو جعفر بن وهب تلميذه والرشيد خال العبادي مات في السماع والشيخ أبو محمد القارمي من أهل الكلام وأبو الحسن بن حمزة وسمنون المحب وأبو المعمر ابن عبد العزيز الأنصاري صاحب الحديث ومنصور بن عمار بن كثير والنوري صاحب القنديل وأبو محمد رويم وأبو الحسن بن مهدي.

---

(١) أبو بكر محمد بن جعفر بن الحسن بن محمد المفيد البغدادي الملقب بـ (غندر) الحافظ الفهم، توفي سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م (ابن الأثير:اللباب،جـ٣،ص٢٤٤).

(٢) أبو عبد الله النوري الضرير المقرئ، توفي سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م (ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تأريخ بغداد،ص١٧٤).

(٣) أبو بكر العباس الصوفي، نزيل بغداد، توفي سنة ٢٩٩هـ/٨٨٢م (الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ٥،ص١٠٣).

(٤) على الأرجح أنها من ذريته.

(٥) أبو الحسين ازدشير بن أبي منصور الملقب بالأمير، توفي سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م (ابن الأثير:اللباب،جـ٢،ص٣١٠).

(٦) أبو منصور المظفر، توفي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م في عسكر مكرم وحمل ميتاً إلى بغداد (ابن الأثير: اللباب،جـ١،ص٣١٠).

(٧) أبو بكر الفقيه الشافعي، توفي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م (ابن الأثير:اللباب، جـ٣،ص٣٤١).

(٨) هو الشيخ عبد الغني بن أبي بكر،الزاهد وصاحب الزاوية، توفي سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م (ابن كثير:البداية والنهاية،جـ١٣،ص٣١).

وقبور الشهداء الحنفية الذين شاهدوا ليلة القدر ولهم حكاية، وأبو عبد الله المرتعش[1] وبشر الحافي وأبو بكر احمد بن محمد بن عبد الرحمن وأبو الطيب[2] طاهر الطبري وأبو بكر الدينوري[3] وبكر بن شذان ويوسف بن عمرو بن مسرور وعثمان بن عيسى التقلاني بمقبرة الجامع المنصوري.

وبمقبرة الفيل جماعة من الصالحين والأولياء مثل الخلال[4] وأصحابه وزاويته بها اثر أصابع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(رضه) كما ذكروا والله اعلم.

---

[1] على الأرجح أبو جعفر المرتعش أحد كبار مشايخ الكوفية، سكن بغداد وتوفي فيها سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م (ابن الأثير:اللباب،جـ٢،ص١٩٣).

[2] القاضي والفقيه الشافعي،توفي سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م (ابن الأثير:اللباب،جـ٢، ص٢٧٤).

[3] محمد بن علي بن الحسن المعروف بـ (برهان) أحد أصحاب الكرامات (ابن الأثير:اللباب،جـ١،ص٥٢٦).

[4] هو أبو بكر، أحمد بن محمد بن هارون، توفي سنة ٣١١هـ/٩٢٣م (ابن الجوزي:المنتظم،جـ٧،ص٤٥).

وصف ياقوت الحموي[*]
مدينة بغداد

بغداد:أم الدنيا وسيدة البلاد، قال ابن الأنباري[١]:اصل بغداد للأعاجم، والعرب تختلف في لفظها، إذ لم يكن اصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغتهم، قال بعض الأعاجم: تفسيره بستان رجل، فباغ بستان وداد اسم رجل، وبعضهم يقول: بغ اسم للصنم، فذكر انه اهدي إلى كسرى خصي من المشرق فاقطعه اياها، وكان الخصي من عباد الأصنام ببلده فقال: بغ داد أي الصنم أعطاني، وقيل: بغ هو البستان وداد أعطى، وكان كسرى قد وهب لهذا الخصي هذا البستان فقال: بغ داد فسميت به؛ وقال حمزة بن الحسن: بغداد اسم فارسي معرب عن باغ داذويه، لأن بعض رقعة مدينة المنصور كان باغاً لرجل من الفرس اسمه داذويه، وبعضها اثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطها فاعتل فقالوا: هلدوه وروز أي خلوها بسلام، فحكي ذلك للمنصور فقال: سميتها مدينة السلام؛ وفي بغداد سبع لغات[٢]: بغداد وبغدان، ويأبى أهل البصرة ولا يجيزون بغداذ في آخره الذال المعجمة وقالوا: لأنه ليس في كلام العرب كلمة فيها دال بعدها ذال، قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق: فقلت لأبي إسحاق ابراهيم بن السري فما تقول في قولهم خرداذ ؟ فقال: هو فارسي ليس من كلام العرب، قلت انا: وهذا حجة من قال بغداذ فإنه ليس من كلام العرب، وأجاز الكسائي بغداد على الأصل، وحكى ايضاً مغداذ ومغداد ومغدان، وحكى الخارزنجي: بغداد بدالين مهملتين، وهي في اللغات كلها تذكر وتؤنث، وتسمى مدينة السلام ايضاً، فاما الزوراء: فمدينة

(*) أبو عبد الله شهاب الدين الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، الطبعة الثانية،بيروت ١٩٩٥، من صحيفة ٤٥٦-٤٦٤).

(١) أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الحسن بن الانباري النحوي، يعد أوحد زمانه بالنحو والأدب، له العديد من المصنفات منها (غريب الحديث) و(المشكل) وغيرها، توفي سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م(الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ٣،ص١٨١-١٨٦).

(٢) عند أبو عبيد البكري (معجم ما استعجم،جـ١،ص٢٤٠)، "أربع لغات"، لكن علماء اللغة يؤكدون ما ذكره ياقوت الحموي (الفيروز ابادي:القاموس المحيط،جـ١،ص ٣٥١؛ الزبيدي:تاج العروس،جـ٢،ص٣٠٥).

المنصور خاصة، وسميت مدينة السلام لأن دجلة يقال لها وادي السلام، وقال موسى ابن عبد الحميد النسائي: كنت جالساً عند عبد العزيز بن أبي رواد فأتاه رجل فقال له: من أنت ؟ فقال له: من بغداد فقال: لا تقل بغداد فإن بغ صنم وداد أعطى، ولكن قل مدينة السلام، فإن الله هو السلام والمدن كلها له، وقيل: إن بغداد كانت قبل سوقاً يقصدها تجار أهل الصين بتجارتهم فيربحون الربح الواسع، وكان اسم ملك الصين بغ فكانوا إذا انصرفوا إلى بلادهم قالوا: بغ داد أي أن هذا الربح الذي ربحناه من عطية الملك، وقيل إنما سميت مدينة السلام لأن السلام هو الله فأرادوا مدينة الله، واما طولها فذكر بطليموس في كتاب الملحمة المنسوب إليه أن مدينة بغداد طولها خمس وسبعون درجة وعرضها أربع وثلاثون درجة داخلة في الإقليم الرابع، وقال أبو عون وغيره: إنها في الإقليم الثالث، قال: طالعها السماك الأعزل، بيت حياتها القوس، لها شركة في الكف الخضيب ولها أربعة أجزاء من سرة الجوزاء تحت عشر درج من السرطان، يقابلها مثلها من الجدي عاشرها مثلها من الحمل عاقبتها مثلها من الميزان، قلت أنا: ولا شك أن بغداد أحدثت بعد بطليموس بأكثر من ألف سنة ولكني أظنّ أن مفسري كلامه قاسوا وقالوا: وقال صاحب الزيج: طول بغداد سبعون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلث، وتعديل نهارها ست عشرة درجة وثلثا درجة، أطول نهارها أربع عشرة ساعة وخمس دقائق وغاية ارتفاع الشمس بها ثمانون درجة وثلث، وظل الظهر بها درجتان، وظل العصر أربع عشرة درجة، وسمت القبلة ثلاث عشرة درجة ونص، وجهها عن مكة مائة وسبع عشرة درجة في الوجود ثلاثمائة درجة، هذا كله نقلته من كتاب المنجمين ولا أعرفه ولا هو من صناعتي، وقال أحمد بن حنبل: بغداد من الصراة إلى باب التبن وهو مشهد موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب، ثم زيد فيها حتى بلغت كلواذي والمخرّم وقطربل، قال أهل السير: ولما اهلك الله مهران بأرض الحيرة ومن كان معه من العجم أستمكن المسلمون من الغارة على السواد وانتقضت مسالح الفرس وتشتت أمرهم واجترأ المسلمون عليهم وشنوا الغارات ما بين سورا وكسكر والصراة والفلاليج والاستانات، قال: أهل الحيرة للمثنى[1]: إن بالقرب منا قرية تقوم فيها سوق عظيمة في كل شهر مرة فيأتيها تجار فارس والأهواز وسائر البلاد، يقال لها بغداد، وكذا كانت إذ ذاك، فأخذ المثنى على البرّ حتى آتى الأنبار،

[1] يقصد: المثنى بن حارثة الشيباني.

يقال لها بغداد، وكذا كانت إذ ذاك، فأخذ المثنى على البرّ حتى آتى الأنبار، فتحصن فيها أهلها منه، فأرسل إلى سفروخ مرزبانها ليسير إليه فيكلمه بما يريد وجعل له الأمان فعبر المرزبان إليه، فخلا به المثنى وقال له: أريد أن أغير على سوق بغداد وأريد أن تبعث معي أدلاء فيدلوني الطريق وتعقد لي الجسر لأعبر عليه الفرات، ففعل المرزبان ذلك، وقد كان قطع الجسر قبل ذلك لئلا تعبر العرب عليه، فعبر المثنى مع أصحابه وبعث معه المرزبان الأدلاء، فسار حتى وافى السوق ضحوة، فهرب الناس وتركوا أموالهم فأخذ المسلمون من الذهب والفضة وسائر الأمتعة ما قدروا على حمله، ثم رجعوا إلى الانبار، ووافى معسكره غانماً موفوراً، وذلك في سنة ١٣ للهجرة، فهذا خبر بغداد قبل أن يمصرها المنصور، لم يبلغني غير ذلك[١].

في بدء عمارة بغداد

كان أول من مصرها وجعلها مدينة، المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ثاني الخلفاء، وانتقل إليها من الهاشمية، وهي مدينة كان قد اختطها أخوه أبو العباس السفاح قرب الكوفة، وشرع في عمارتها سنة ١٤٥ ونزلها ١٤٩، وكان سبب عمارتها أن أهل الكوفة كانوا يفسدون جنده فبلغه ذلك من فعلهم، فانتقل عنهم يرتاد موضعاً، وقال ابن عياش: بعث المنصور رواداً وهو بالهاشمية يرتادون له موضعاً يبني فيه مدينة ويكون الموضع واسطاً رافقاً بالعامة والجند، فنعت له موضع قريب من بارماء، وذكر له غذاؤه وطيب هوائه، فخرج إليه بنفسه حتى نظر إليه وبات فيه، فرأى موضعاً طيباً فقال لجماعة، منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب المرزباني[٢]وعبد الملك بن حميد الكاتب: ما رأيكم في هذا الموضع ؟ قالوا: طيب موافق، فقال: صدقتم ولكن لا مرفق فيه للرعية، وقد مررت في طريقي بموضع تجلب إليه الميرة والأمتعة في البرّ والبحر وأنا راجع إليه وبائت فيه، فإن اجتمع لي ما أريد من طيب الليل فهو موافق لما أريده لي وللناس، قال: فأتى موضع بغداد وعبر موضع قصر السلام ثم صلى العصر، وذلك في صيف وحر شديد، وكان

---

[١] لقد وردت هذه الرواية عند الطبري(تاريخ،جـ٣،ص٤٧٣-٤٧٥) وكذلك ابن الفقيه الهمذاني (البلدان،ص٢٨٠-٢٨١) ومن المحتمل جدا أن ياقوتاً نقلها منهما وكذلك الروايات اللاحقة.

[٢] تصحيف من الناسخ؛ فالمقصود هو (المورياني) الوزير.

في ذلك الموضع بيعة فبات أطيب مبيت وأقام يومه فلم ير إلا خيراً فقال: هذا موضع صالح للبناء، فإن المادة تأتيه من الفرات ودجلة وجماعة الأنهار، ولا يحمل الجند والرعية إلا مثله، فخط البناء وقدر المدينة ووضع أول لبنة بيده فقال: بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا على بركة الله، وذكر سليمان بن مختار أن المنصور استشار دهقان بغداد، وكانت القرية في المربعة المعروفة بأبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي، وما زالت داره قائمة على بنائها إلى أن خرب كثير مما يجاورها في البناء، فقال: الذي أراه يا أمير المؤمنين أن تنزل في نفس بغداد، فإنك تصير بين أربعة طساسيج: وطسوجان في الجانب الغربي وطسوجان في الجانب الشرقي، فاللذان في الغربي قطربل وبادوريا، واللذان في الشرق نهر بوق وكلواذي، فإن تأخرت عمارة طسوج منها كان الآخر عامراً، وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة ودجلة تجيئك بالميرة من القرب وفي الفرات من الشام والجزيرة ومصر وتلك البلدان، وتحمل إليك طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط في دجلة، وتجيئك ميرة أرمينية وأذربيجان وما يتصل بها في تامرا، وتجيئك ميرة الموصل وديار بكر وربيعة وأنت بين انهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر والقنطرة لم يصل إليك عدوك، وأنت قريب من البر والبحر والجبل، فاعجب المنصور هذا القول وشرع في البناء، ووجه المنصور حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط فاحضروا، وأمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة، فجمعهم وتقدم إليهم أن يشرفوا على البناء وكان ممن حضر الحجاج بن أرطاة وأبو حنيفة الإمام، وكان أول العمل في سنة ١٤٥، وأمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعاً ومن أعلاه عشرين ذراعاً، وان يجعل في البناء جرز القصب مكان الخشب، فلما بلغ السور مقدار قامة اتصل به خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، فقطع البناء حتى فرغ من أمره وأمر أخيه ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن.

وعن علي بن يقطين قال: كنت في عسكر أبي جعفر المنصور حين سار إلى الصراة يلتمس موضعاً لبناء مدينة، قال فنزل الدير الذي في الصراة في العتيقة فما زال على دابته ذاهباً جائياً منفرداً عن الناس يفكر، قال: وكان في الدير راهب عالم فقال لي: لم يذهب الملك ويجيء ؟ قلت: انه يريد أن يبني مدينة، قال: فما اسمه ؟

قلت: عبد الله بن محمد، قال: أبو من ؟ قلت: أبو جعفر، قال: هل يلقب بشيء ؟ قلت: المنصور، قال: ليس هذا الذي يبنيها، قلت: ولم ؟ قال: لأنا قد وجدنا في كتاب عندنا نتوارثه قرناً عن قرن أن الذي يبني هذا المكان رجل يقال له مقلاص، قال: فركبت من وقتي حتى دخلت على المنصور ودنوت منه، فقال لي: ما وراءك ؟ قلت: خبر القيه إلى أمير المؤمنين وأريحه من هذا العناء، فقال: قل، قلت أمير المؤمنين يعلم أن هؤلاء معهم علم، وقد أخبرني راهب هذا الدير بكذا وكذا، فلما ذكرت له مقلاص ضحك واستبشر ونزل عن دابته فسجد واخذ سوطه واقبل يذرع به، فقلت في نفسي: لحقه اللجاج، ثم دعا المهندسين من وقته وأمرهم بخط الرماد، فقلت له: أظنك يا أمير المؤمنين أردت معاندة الراهب وتكذيبه، فقال: لا والله ولكني كنت ملقباً بمقلاص وما ظننت أن أحداً عرف ذلك غيري، وذاك إننا كنا بناحية السراة في زمان بني امية على الحال التي تعلم، فكنت أنا ومن كان في مقدار سني من عمومتي واخوتي نتداعى ونتعاشر، فبلغت النوبة إلي يوماً من الأيام وما املك درهماً واحداً فلم أزل أفكر واعمل الحيلة إلي أن أصبت غزلاً لداية كانت لهم، فسرقته ثم وجهت به فبيع لي واشتري لي بثمنه ما احتجت إليه، وجئت إلى الداية وقلت لها: افعلي كذا واصنعي كذا، قالت: من أين لك ما أرى ؟ قلت: اقترضت دراهم من بعض أهلي، ففعلت ما أمرتها به، فلما فرغنا من الأكل وجلسنا للحديث، طلبت الداية الغزل فلم تجده فعلمت أنني صاحبه، وكان في تلك الناحية لص يقال له مقلاص مشهور بالسرقة، فجاءت إلى باب البيت الذي كنا فيه فدعتني فلم اخرج إليها لعلمي أنها وقفت على ما صنعت، فلما ألحت وأنا لا اخرج قالت: اخرج يا مقلاص، الناس يتحذرون من مقلاصهم وأنا مقلاصي معي في البيت، فمزح معي اخوتي وعمومتي بهذا اللقب ساعة، ثم لم اسمع به إلا منك الساعة فعلمت أن أمر هذه المدينة يتم على يدي لصحة ما وقفت عليه، ثم وضع أساس المدينة مدوراً وجعل قصره في وسطها وجعل لها أربعة أبواب واحكم سورها وفصيلها، فكان القاصد إليها من الشرق يدخل من باب خراسان والقاصد من الحجاز يدخل من باب الكوفة والقاصد من المغرب يدخل من باب الشام والقاصد من فارس والأهواز وواسط والبصرة واليمامة واليحرين يدخل من باب البصرة.

قالوا: فانفق المنصور على عمارة بغداد ثمانية عشر ألف ألف دينار، وقال الخطيب في رواية: انه انفق على مدينته وجامعها وقصر الذهب فيها والأبواب والأسواق إلى أن فرغ من بنائها أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثمانين ألف درهم،

وذاك أن الأستاذ من الصناع كان يعمل في كل يوم بقيراط إلى خمس حبات والروزجاري بحبتين إلى ثلاث حبات، وكان الكبش بدرهم والحمل بأربعة دوانيق والتمر ستون رطلاً بدرهم، قال الفضل بن دكين: كان ينادى على لحم البقر في جبانة كندة تسعون رطلاً بدرهم، ولحم الغنم ستون رطلاً بدرهم، والعسل عشرة أرطال بدرهم.

قال: وكان بين كل باب من أبواب المدينة والباب الآخر ميل، وفي كل ساف من أسواف البناء مائة ألف لبنة واثنان وستون ألف لبنة من اللبن الجعفري، وعن ابن الشروي قال: هدمنا من السور الذي يلي باب المحول قطعة فوجدنا فيها لبنة مكتوباً عليها بمغرة: وزنها مائة وسبعة عشر رطلاً، فوزناها فوجدناها كذلك.

وكان المنصور كما ذكرنا بنى مدينته مدورة وجعل داره وجامعها في وسطها، وبنى القبة الخضراء فوق إيوان، وكان علوها ثمانين ذراعاً، وعلى راس القبة صنم على صورة فارس في يده رمح، وكان السلطان إذا رأى أن ذلك الصنم قد استقبل بعض الجهات ومدّ الرمح نحوها علم أن بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة، فلا يطول عليه الوقت حتى ترد عليه الأخبار بان خارجياً قد هجم من تلك الناحية، قلت أنا: هكذا ذكر الخطيب وهو من المستحيل والكذب الفاحش، وانما يحكى مثل هذا عن سحرة مصر وطلسمات بليناس التي اوهم الأغمار صحتها تطاول الأزمان والتخيل أن المتقدمين ما كانوا بني آدم، فأما الملة الإسلامية فإنها تجلّ عن مثل هذه الخرافات، فإن من المعلوم أن الحيوان الناطق مكلف الصنائع لهذا التمثال لا يعلم شيئاً مما ينساب إلى هذا الجماد ولو كان نبياً مرسلاً، وايضاً لو كان كلما توجهت إلى جهة خرج منها خارج لوجب أن لا يزال خارجي يخرج في كل وقت لأنها لا بد أن تتوجه إلى وجه من الوجوه والله أعلم، قال: وسقط رأس هذه القبة سنة ٣٢٩، وكان يوم مطر عظيم ورعد هائل، وكانت هذه القبة تاج البلد وعلم بغداد ومأثرة من مآثر بني العباس، وكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيف وثمانون سنة، ونقل المنصور أبوابها من واسط وهي أبواب الحجاج، وكان الحجاج أخذها من مدينة بازاء واسط تعرف بزند ورد، يزعمون أنها من بناء سليمان بن داود عليه السلام، وأقام على باب خراسان باباً جيء به من الشام من عمل الفراعنة، وعلى باب الكوفة باباً جيء به من الكوفة من عمل خالد القسري وعمل هو باباً لباب الشام، وهو أضعفها، وكان لا يدخل أحد من عمومة المنصور ولا غيرهم من شيء من الأبواب إلا راجلاً إلا داود بن علي عمه، فإنه كان

متفرساً وكان يحمل في محفة، وكذلك محمد المهدي ابنه، وكانت تكنس الرحاب في كل يوم ويحمل التراب إلى خارج، فقال له عمه عبد الصمد: يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير فلو أذنت لي أن انزل داخل الأبواب، فلم يأذن له، فقال: يا أمير المؤمنين عدني بعض بغال الروايا التي تصل إلى الرحاب، فقال: يا ربيع بغال الروايا تصل إلى رحابي ؟ تتخذ الساعة قني بالساج من باب خراسان حتى تصل إلى قصري، ففعل ومد المنصور قناة من نهر دجيل الآخذ من دجلة وقناة من نهر كرخايا الآخذ من الفرات وجرهما إلى مدينته في عقود وثيقة، من أسفلها محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها، فكانت كل قناة منها تدخل المدينة وتنفذ في الشوارع والدروب والأرباض تجري صيفاً وشتاءً لا ينقطع ماؤها في شيء من الأوقات، ثم اقطع المنصور أصحابه القطائع فغمرها وسميت بأسمائهم، وقد ذكرت من ذلك ما بلغني في مواضعه حسب ما قضى به ترتيب الحروف، وقد صنف في بغداد وسعتها وعظم رفعتها وسعة بقعتها وذكر أبو بكر الخطيب في صدر كتابه من ذلك ما فيه كفاية لطالبه.

فلنذكر الآن ما ورد في مدح بغداد

ومن عجيب ذلك ما ذكره أبو سهل بن نوبخت قال: امرني المنصور لما أراد بناء بغداد بأخذ الطالع، ففعلت فإذا الطالع في الشمس وهي في القوس، فخبرته بما تدل النجوم عليه من طول بقائها وكثرة عمارتها وفقر الناس إلى ما فيها ثم قلت: وأخبرك خلة أخرى أسرك بها يا أمير المؤمنين، قال: وما هي ؟ قلت: نجد في أدلة النجوم انه لا يموت بها خليفة ابداً حتف انفه، قال: فتبسم وقال الحمد الله على ذلك، هذا من فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ولذلك يقول عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفى:

أعاينت في طول من الأرض أو عرض	كبغداد من دار بها مسكن الخفض
صفا العيش في بغداد واخضر عوده	وعيش سواها غير خفض ولا غض
تطول بها الأعمار أن غذاءها	مريء وبعض الأرض أمرأ من بعض
قضى ربها أن لا يموت خليفة	بها أنه ما شاء فى خلقه يقضى
تنام بها عين الغريب ولا ترى	غريبا بأرض الشام يطمع فى الغمض

فإن جزيت بغداد منهم بقرضها فما أسلفت إلا الجميل من القرض

وأن رميت بالهجر منهم وبالقلى فما أصبحت أهلا لهجر ولا بغض

وكان من أعجب العجب أن المنصور مات وهو حاج، والمهدي ابنه خرج إلى نواحي الجبل فمات بماسبذان بموضع يقال له الرذ، والهادي ابنه مات بعيساباذ قرية أو محلة بالجانب الشرقي من بغداد، والرشيد مات بطوس، والأمين اخذ في شبارته وقتل بالجانب الشرقي، والمأمون مات بالبذندون من نواحي المصيصة بالشام، والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر وباقي الخلفاء ماتوا بسامرا، ثم انتقل الخلفاء إلى التاج من شرقي بغداد كما ذكرناه في التاج، وتعطلت مدينة المنصور منهم.

وفي مدح بغداد قال بعض الفضلاء: بغداد جنة الأرض ومدينة السلام وقبة الإسلام ومجمع الرافدين وغرة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف، وبها أرباب الغايات في كل فن، وآحاد الدهر في كل نوع، وكان أبو إسحاق الزجاج[١] يقول: بغداد حاضرة الدنيا وما عداها بادية، وكان أبو الفرج الببغا[٢] يقول: هي مدينة السلام بل مدينة الإسلام، فإن الدولة النبوية والخلافة الإسلامية بها عششتا وفرختا وضربتا بعروقهما وبسقتا بفروعهما، وان هواءها أغذى من كل هواء وماءها أعذب من كل ماء، وان نسيمها ارق من كل نسيم، وهي من الإقليم الأعتدالي بمنزلة المركز من الدائرة، ولم تزل بغداد موطن الأكاسرة في سالف الأزمان ومنزل الخلفاء في دولة الإسلام، وكان ابن العميد[٣] إذا طرأ عليه أحد من منتحلي العلوم والاداب وأراد امتحان عقله سأله عن بغداد، فإن فطن بخواصها وتنبه على محاسنها وأثنى عليها جعل ذلك مقدمة فضله وعنوان عقله، ثم سأله عن الجاحظ، فإن وجد اثراً لمطالعة كتبه والاقتباس من نوره والاغتراف من بحره وبعض القيام بمسائله قضى له بأنه غرة شادخة في أهل العلم والاداب، وان وجده ذاماً لبغداد

---

(١) ابراهيم بن السري بن سهل، توفي سنة ٣١١هـ/٩٢٣م ودفن في مقبرة باب حرب (ابن الأثير: اللباب، جـ٢، ص٦٢).

(٢) عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي، الأديب والكاتب والشاعر، توفي سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، (ابن الجوزي: المنتظم، جـ٩، ص١٠٣-١٠٤).

(٣) أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين الملقب (ذي الكفايتين)، وزير ركن الدولة البويهي، كان اديباً فاضلاً بليغاً، توفي سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، (ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ١٤، ص١٩١-٢٤٠).

غفلاً عما يحب أن يكون موسوماً به من الانتساب إلى المعارف التي يختص بها الجاحظ لم ينفعه بعد ذلك شيء من المحاسن، ولما رجع الصاحب[1] عن بغداد سأله ابن العميد عنها، فقال: بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد، فجعلها مثلاً في الغاية في الفضل، وقال ابن زريق الكاتب الكوفي:

سافرت أبغي لبغداد وساكنها مثلاً، قد اخترت شيئاً دونه الياس
هيهات بغداد والدنيا بأجمعها عندي وسكان بغداد هم الناس

وقال آخر:

بغداد يا دار الملوك ومجتنى صنوف المنى يا مستقر المنابر
ويا جنة الدنيا ويا مجتنى الغنى ومنبسط الآمال عند المتاجر

وقال أبو يعلى محمد بن الهبارية: سمعت الشيخ الزاهد أبا إسحاق ابراهيم بن علي ابن يوسف الفيروز اباذي[2] يقول: من دخل بغداد وهو ذو عقل صحيح وطبع معتدل مات بها أو بحسرتها، وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

ما مثل بغداد في الدنيا ولا الدين على تقلبّها في كل ما حين
ما بين قطربل فالكرخ نرجسة تندى ومنبت خيري ونسرين
تحيا النفوس برياها إذا نفحت وخرست بين أوراق الرياحين
سقياً لتلك القصور الشاهقات وما تخفى من البقر الإنسية العين
تستنّ دجلة فيما بينها فترى دهم السفين تعالى كالبراذين
مناظر ذات أبواب مفتحة أنيقة بزخاريف وتزيين
فيها القصور التي تهوى بأجنحة بالزائرين إلى القوم المزورين
من كل حرّاقة تعلو فقارتها قصر من الساج عال ذو أساطين

---

[1] أبو القاسم اسماعيل بن عباد الملقب (كافي الكفاة) وزير مؤيد الدولة البويهي، توفي سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م (ابن الجوزي:المنتظم،جـ٩،ص٣٠-٣٢).

[2] المعروف بالشيرازي الفقيه، سكن بغداد وتوفي بها سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م (ابن الأثير:اللباب في تهذيب الأنساب،جـ٢،ص٤٥١).

وقدم عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس إلى بغداد فرأى كثرة الناس بها فقال: ما مررت بطريق من طرق هذه المدينة إلا ظننت أن الناس قد نودي فيهم، ووجد على بعض الأميال بطريق مكة مكتوباً:

أيا بغداد يا أسفي عليك! ... متى يقضى الرجوع لنا إليك؟
قنعنا سالمين بكلّ خير ... وينعم عيشنا في جانبيك

ووجد على حائط بجزيرة قبرص مكتوباً:

فهل نحو بغداد مزار فيلتقي ... مشوق ويحظى بالزيارة زائر
إلى الله أشكو لا إلى الناس أنه ... على كشف ما ألقى من الهمّ قادر

وكان القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي قد نبا به المقام ببغداد فرحل إلى مصر، فخرج البغداديون يودعونه وجعلوا يتوجعون لفراقه، فقال: والله لو وجدت عندكم في كل يوم مداً من الباقلي ما فارقتكم، ثم قال:

سلام على بغداد من كل منزل ... وحق لها مني السلام المضاعف
فو الله ما فارقتها عن قلى لها ... واني بشطى جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت عليّ برحبها ... ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
وكانت كخلّ كنت أهوى دنوّه ... وأخلاقه تنأى به وتخالف

ولما حج الرشيد وبلغ زرود التفت إلى ناحية العراق وقال:

أقول وقد جزنا زرود عشيّة ... وكادت مطايانا تجوز بنا نجدا
على أهل بغداد السلام فإنني ... أزيد بسيري عن ديارهم بعدا

وقال ابن مجاهد المقري: رأيت أبا عمرو بن العلاء[1] في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: دعني مما فعل الله بي، من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من جنة إلى جنة، وعن يونس بن عبد الأعلى قال: لي محمد بن إدريس الشافعي، رضي الله عنه: أبا يونس دخلت بغداد ؟ فقلت: لا، فقال: أبا يونس ما رأيت الدنيا ولا الناس، وقال طاهر بن المظفر بن طاهر الخازن:

---

[1] المازني البصري، أحد القرّاء السبعة، وأعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر والنحو، توفي سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م (ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٣،ص٤٦٦-٤٧٠).

سقى الله صوب الغاديـــات محلـــة ببغداد بين الخلد والكرخ والجسـو

هي البلدة الحسناء خصّت لأهلـــها بأشياء لم يجمعن مذ كنّ في مصـو

هواء رقيق في اعتـــدال وصحـــة وماء له طـــعم ألذّ من الخـــــمر

ودجـلتها شطّان قد نظـــــما لنـــا بتاج إلى تاج، وقصر إلى قصــــر

ثراهـــــا كمسك والميـــاه كفضـــة وحصباؤها مثل اليواقـيت والـــدّر

قال أبو بكر الخطيب:أنشدني أبو محمد الباقي قول الشاعر:

دخــــلنا كارهين لها فلما الفناها خرجنا مكرهينا

فقال: يوشك هذا أن يكون في بغداد، قيل وأنشد لنفسه في المعنى وضمنه البيت:

على بغـــداد معـدن كـل طيــب ومغنـــى نزهـــة المتنزّهينـــــا

ســلام كلمـــا جرحــــت بلحـــظ عيـــون المشــتهين المشــــتهينا

دخــــلنا كارهـــين لـــها فلـــم الفناهـــا خــــرجنا مكـــــرهينا

وما حـــبّ الديـــار بنـــا ولكـــن امر العيش فرقة مـــن هوينـــــا

قال محمد بن علي بن حبيب الماوردي[1]: كتب اليّ أخي من البصرة وأنا ببغداد:

طيب الهـــــواء ببغداد يشوّقني قدما إليها وان عاقت معاذيـــر وكيـــف

صبري عنها بعدما جمعت طيب الهواءين ممدود ومقصور؟

وقلد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر اليمن، فلما أراد الخروج قال:

أيرحـــل آلـــف ويقيـــم الـــف وتحيا لوعـــة ويمـــوت قصـــف؟

علـــى بغـــداد دار اللهـــــو سلام مـــا ســـجا للعيـــن طـــرف

ومـــا فارقتـــها لقلـــى ولكـــن تناولنى مـــن الحدثـــان صـــرف

---

[1] أبو الحسن البصري البغدادي مؤلف كتاب الأحكام الســلطانية والولايـــات الدينيـــة توفـــي ســـنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م.

ألا روح ألا فـــرج قريـــــب الاجار من الحـــــدثان كـــهف

لعـل زماننـــا سـيعود يومــــاً فيرجـــــع آلف ويســـر إلــف

فبلغ الوزير هذا الشعر فأعفاه، وقال شاعر يتشوق بغداد:

ولما تجـــاوزت المدائن ســائرا وأيقنت يا بغداد أنـــي علـــى بعـــد

علمـــــت بان الله بالغ أمـــره وان قضاء الله ينفـــذ فـــى العبـــد

وقلت وقلبي فيه ما فيه من جـوى ودمعى جار كالجمان على خـــدي

ترى الله يا بغـــداد يجمـــع بيننـــا فألقى الذي خلفت فيك على العـــهد؟

وقال محمد بن علي بن خلف النيرماني:

فدى لك يا بغداد كل مـــــــدينة من الأرض حتى خطتى وديارـيـــا

فقد طفت في شرق البلاد وغربها وسيرت خيلــــى بينـــها وركابيــا

فلم أر فيها مثل بغــــــداد منزلاً ولم أر فيها مثل دجـــــــلة واديــا

ولا مثل أهليها ارق شــــــمائلاً وأعذب الفاظا وأحـــــلى معانيــا

وقائلة: لو كـــان ودك صـــادقاً لبغداد لم ترحل فقلت جـــــوابيا

يقيم الرجال الموسرون بـــأرض وترمى النوى بالمقترين المـــراميا

وصف القزويني[*]
مدينة بغداد

أم الدنيا وسيدة البلاد وجنة الأرض ومدينة السلام، وقبة الإسلام ومجمع الرافدين، ومعدن الظرائف ومنشأ أرباب الغايات، هواؤها الطف من كل هواء، وماؤها أعذب من كل ماء، وتربتها أطيب من كل تربة، ونسيمها ارق من كل نسيم!

بناها المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولما أراد المنصور بناء مدينة بعث رواداً يرتاد موضعاً، قال له: أرى يا أمير المؤمنين أن تبنى على شاطئ دجلة، تجلب إليها الميرة والأمتعة من البر والبحر، وتأتيها المادة من دجلة والفرات، وتحمل إليها طرائف الهند والصين، وتأتيها ميرة أرمينية وأذربيجان وديار بكر وربيعة، لا يحمل الجند الكثير إلا مثل هذا الموضع، فأعجب المنصور قوله وأمر المنجمين، وفيهم نوبخت، باختيار وقت للبناء فاختاروا طالع القوس الدرجة التي كانت الشمس فيها، فاتفقوا على أن هذا الطالع مما يدل على كثرة العمارة وطول البقاء، واجتماع الناس فيها وسلامتهم عن الأعداء، فاستحسن المنصور ذلك ثم قال نوبخت: وخلة أخرى يا أمير المؤمنين، قال: وما هي ؟ قال: لا يتفق بها موت خليفة ! فتبسم المنصور وقال: الحمد الله على ذلك، وكان كما قال: فإن المنصور مات حاجاً، والمهدي مات بماسبذان، والهادي بعيساباد، والرشيد بطوس، والأمين اخذ في شبارته وقتل بالجانب الشرقي، والمأمون بطرسوس، والمعتصم والواثق والمتوكل والمستنصر بسامرا، ثم انتقل الخلفاء إلى التاج، وتعطلت مدينة المنصور من الخلفاء، قال عمارة بن عقيل:

أعاينت في طول من الأرض أو عرض ... كبغداد من دار بها مسكن الخفض

صفا العيش في بغداد واخضر عوده ... وعيش سواها غير خفض ولا غض

قضى ربها أن لا يموت خليفة ... بها انه ما شاء فى خلقه يقضى

---

[*] أبو عبد الله، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م): آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت د.ت، من صفحة ٣١٣-٣٢٨).

ذكر أبو بكر الخطيب أن المنصور بنى مدينة بالجانب الغربي، ووضع اللبنة الأولى بيده، وجعل داره وجامعها في وسطها، وبنى فيها قبة فوق ايوان كان علوها ثمانين ذراعاً. والقبة خضراء على رأسها تمثال فارس بيده رمح، فإذا رأوا ذلك التمثال استقبل بعض الجهات ومد رمحه نحوها، فعلموا أن بعض الخوارج يظهر من تلك الجهة، فلا يطول الوقت حتى يأتي الخبر أن خارجياً ظهر من تلك الجهة، وقد سقط راس هذه القبة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة في يوم مطير ريح، وكانت تلك القبة علم بغداد وتاج البلد، ومأثرة بني العباس.

وكان بجانبها الشرقي محلة تسمى باب الطاق، كان بها سوق الطير فاعتقدوا أن من تعسر عليه شيء من الأمور فاشترى طيراً من باب الطاق وأرسله، سهل عليه ذلك الأمر. وكان عبد الله بن طاهر مقامه ببغداد، ولم يحصل له إذن الخليفة، فاجتاز يوماً بباب الطاق فرأى قمرية تنوح، فأمر بشرائها واطلاقها، فامتنع صاحبها ان يبيعها إلا بخمسمائة درهم، فاشتراها وأطلقها وانشأ يقول:

ناحت مطوقة بباب الطاق	فجرت سوابق دمعى المهراق
كانت تغرد بالأراك وربما	كانت تغرد فى فروع الساق
فرمى الفراق بها العراق فأصبحت	بعد الأراك تنوح فى الأشواق
فجعت بإفراج فأسبل دمعها	أن الدموع تبوح بالمشتاق
تعس الفراق وتب حبل وتينه	وسقاه من سم الأساود ساقى
ماذا أراد بقصده قمرية	لم تدر ما بغداد فى الأفاق
بي مثل ما بك يا حمامة	فاسألى من فك أسرك أن يحل وثاقى!

هذه صفة المدينة الغربية، والان لم يبق منها اثر، وبغداد عبارة عن المدينة الشرقية. كان اصلها قصر جعفر بن يحيى اليرمكي، والان هي مدينة عظيمة كثيرة الأهل والخيرات والثمرات، تجبى إليها لطائف الدنيا وظرائف العالم إذ ما من متاع ثمين ولا عرض نفيس إلا ويحمل إليها، فهي مجمع لطيبات الدنيا ومحاسنها، ومعدن لأرباب الغايات وآحاد الدهر في كل علم وصنعة.

وبها حريم الخلافة، وعليه سور ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه إلى دجلة كشبه الهلال، وله أبواب: باب سوق التمر باب شاهق البناء عال، اغلق من أول أيام الناصر واستمر إغلاقه. ذكر أن المسترشد خرج منه فأصابه ما أصابه فتطيروا به وأغلقوه، وباب النوبي وعنده العتبة التي يقبلها الملوك والرسل إذا قدموا بغداد، وباب العامة وعليه باب عظيم من الحديد نقله المعتصم من عمورية لم ير مصراعان اكبر منهما من الحديد.

ومن عجائبها دار الشجرة من أبنية المقتدر بالله، دار فيحاء ذات بساتين مؤنقة، وانما سميت بذلك لشجرة كانت هناك من الذهب والفضة في وسط بركة كبيرة أمام أبوابها، ولها من الذهب والفضة ثمانية عشر غصناً، ولكل غصن فروع كثيرة مكللة بأنواع الجواهر على شكل الثمار، وعلى أغصانها أنواع الطير من الذهب والفضة، إذا هب الهواء سمعت منها الهدير والصفير، وفي جانب الدار عن يمين البركة تمثال خمسة عشر فارساً، ومثله عن يسار البركة، قد البسوا أنواع الحرير المدبج مقلدين بالسيوف، وفي أيديهم المطارد يحركون على خط واحد، فيظن أن كل واحد قاصد إلى صاحبه.

ومن مفاخرها المدرسة التي أنشأها المستنصر بالله[1]، لم يبن مثلها قبلها في حسن عمارتها ورفعة بنائها، وطيب موضعها على شاطئ دجلة وأحد جوانبها في الماء لم يعرف موضع اكثر منها أوقافاً ولا ارقه منها سكاناً، وعلى باب المدرسة إيوان ركب في صدره صندوق الساعات على وضع عجيب، يعرف منه أوقات الصلوات وانقضاء الساعات الزمانية نهاراً وليلاً، قال أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي[2]:

---

[1] يقصد المدرسة المستنصرية التي بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م وافتتحها سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م، وهي أول مدرسة في تاريخ الدولة العربية الإسلامية تعنى بتدريس الفقه على المذاهب الأربعة فضلاً عن التفسير وعلوم القران والطب والرياضيات والعربية وغيرها، ويعدها الباحثون أول جامعة إسلامية بحسب مفهوم الجامعة اليوم (ابن كثير:البداية والنهاية،جـ١٣، ص١٣٩؛ الدكتور ناجي معروف:تاريخ علماء المستنصرية،ص٣٠).

[2] من المعروف أن أبا الفرج بن الجوزي، توفي سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م، وهذا يعني أنه لم يدرك الخليفة المستنصر بالله الذي تولى الخلافة سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م خلفاً لأبيه الخليفة الناصر لدين الله،ولا المدرسة المستنصرية التي بنيت سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م وافتتحت سنة

يا أيها المنصـــور يـــا مالكـاً	برأيه صعب الليالى يهـــــون!
شـــيدت لله ورضـــــوانه	اشرف بنيان يروق العــــيون
إيوان حسن وصفـــه مدهـــش	يحار فى منظـــــره النلظرون!
تهدي إلـــى الطاعـــات ساعاته	الناس وبالنجم هم يهــــتدون
صـــور فـــيه فلـــك دائـر	والشمس تجري ما لها من سكون
دائـــرة مـــن لازورد حـــلت	نقطة تبر فيه ســر مصـــــون
فتلك في الشـــكل وهـــذا معـاً	كمثل هاء ركبت وســـط نون
فهي لاحيـــاء العلـــى والنـــدى	دائرة مركـــزها العالمـــــون

وأما أولو الفضل من العلماء والزهاد والعباد والشعراء والصناع فلا يعلم عددهم إلا الله. ولنذكر بعض مشاهيرها إن شاء الله.

ينسب إليها القاضي أبو يوسف[1]، ذكر انه كان رآه رجل يهودي وقت الظـهيرة يمشي راكباً على بغلة، واليهودي يمشي راجلاً جائعاً ضعيفاً، فقال القاضي: اليس نبيكم يقول الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر؟ قال: نعم،قال: فأنت في السجن وأنا في الجنــة والحالة هذه ! فقال القاضي: نعم يا عدو الله، بالنسبة إلى ما اعد الله لي من الكرامة في الآخرة في السجن، وأنت بالنسبة إلى ما اعد الله لك في الآخرة من العذاب في الجنة !

٦٣١هـ/١٢٣٣م،وهذه الأبيات على الأرجح لابنه محيي الدين يوسف أستاذ دار الخلافة ومدرس المذهب الحنبلي في المدرسة المستنصرية، إذ يذكر ابن كثير (البداية والنهاية،جـ١٣،ص٢١١) عن ابن الساعي، أن لمحيي الدين يوسف أشعار حسنة في مدح الخلفاء في المواسم والأعياد.

[1] يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان، تولى القضـــاء ببغـداد بجانبيها الغربي والشرقي، وهو أول من دعي (قاضي القضاة) في الإسلام، صنف العديـــد مـن الكتب، منها كتاب الخـراج توفـي سـنة ١٨٢هـ/٧٩٨م (وكيـع،محمـد بـن خلـف بـن حيان:أخبار القضاة،جـ٣،ص٢٥٤-٢٦٤).

وحكي أن الهادي الخليفة اشترى جارية فأستفتى فقال الفقهاء: لا بد من الأستبراء أو الأعتاق والتزويج، فقال القاضي أبو يوسف: زوجها من بعض أصحابك وهو يطلقها قبل الدخول وحلت لك.

وحكي أن الرشيد قال لزبيدة: أنت طالق ثلاثاً أن بت والله في مملكتي ! فاستفتوا في ذلك فقال أبو يوسف: تبيت في بعض المساجد فإن المساجد لله! فولاه القضاء بجميع مملكته.

وحكي أن زبيدة قالت للرشيد: أنت من أهل النار، فقال لها: إن كنت من أهل النار فأنت طالق ثلاثاً! فسألوا عنه فقال: هل يخاف مقام ربه ؟ قالوا: نعم، قال: فلا يقع الطلاق لان الله تعالى يقول: ولمن خاف مقام ربه جنتان.

وينسب إليها القاضي يحيى بن أكثم[1]، كان فاضلاً غزير العلم ذكي الطبع، لطيفاً حسن الصورة حلو الكلام، كان المأمون يرى[2] له لا يفارقه، ويضرب به المثل في الذكاء ولي القضاء وهو ابن سبع عشرة سنة فقال بعض الحاضرين في مجلس الخليفة: اصلح الله القاضي! كم يكون سن عمره؟ فعلم يحيى انه قصد بذلك استحقاره لقلة سنه، فقال: سن عمري مثل سن عمر بن عتاب بن أسيد[3]حين ولاه رسول الله، عليه السلام، قضاء مكة![4] فتعجب الحاضرون من جوابه.

وحكي انه كان ناظر الوقوف ببغداد فوقف العميان له وقالوا: يا أبا سعيد اعطنا حقنا ! فأمر بحبسهم، فقيل له: لم حبست العميان وقد طلبوا حقهم ؟ فقال: هؤلاء يستحقون أبلغ من ذلك، انهم شبهوني بأبي سعيد اللوطي من مدينة كذا ! وكان هذا قصدهم فما فات القاضي ذلك.

---

[1] أبو محمد من ولد اكثم بن صيفي التميمي، كان عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام ولاه الخليفة المأمون القضاء ببغداد، ثم بعدها قاضي القضاة، توفي سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م (وكيع،محمد بن خلف بن حيان:أخبار القضاة، جـ١،ص٢٤٣).

[2] ذكر محمد بن خلف وكيع (أخبار القضاة،جـ٣،ص٢٧٣) أن القاضي يحيى بن أكثم كان أحد المقربين من الخليفة المأمون، وقد رافقه في مناسبات عدة منها إلى فم الصلح لخطبة بوران من الحسن بن سهل.

[3] ابن أبي العيص بن أمية، اسلم يوم فتح مكة سنة ٨هـ/ ٦٢٩م (ابن سعد:الطبقات الكبرى،جـ٥، ص٤٤٦).

[4] كان ذلك سنة ٨هـ/٦٢٩م.

وحكي انه اجتاز بجمع من مماليك الخليفة صبياناً حساناً فقال لهم: لولا أنتم لكنا مؤمنين، فعرف المأمون ذلك فأمر أن يذهب كل يوم إلى باب داره أربعمائة مملوك حسن الصورة، حتى إذا ركب يمشون في خدمته إلى دار الخلافة ركاباً.

وينسب إليها أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، كان أصله من مرو وجيء به حملاً إلى بغداد فنشأ بها، فلما كان أيام المعتصم وقع في محنة المعتزلة، جمع المعتصم بينه وبين المعتزلة وكبيرهم القاضي أبو داؤد[1] قالوا: إن القرآن مخلوق! قال لهم أحمد: ما الدليل على ذلك ؟ قالوا: قوله تعالى:"مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ"[2]،فقال لهم أحمد: المراد من ذكر هاهنا الذكر عند قوله تعالى:"ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ"[3]، فالذكر مضاف إلى القران فيكون غير القرآن، وهاهنا مطلق وفي ص مقيد، فيجب حمل المطلق على المقيد. فانقطعت حجتهم، فقال المعتصم لأبي داؤد: ما تقول في هذا ؟ فقال القاضي: هذا ضال مضل يجب تأديبه !

وعن ميمون بن الإصبع قال: كنت حاضراً عند محنة أحمد، فلما ضرب سوطاً قال: بسم الله، فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابع قال: لا يصبنا إلا ما كتب الله لنا !

وعن محمد بن اسماعيل قال: سمعت شاباً يقول: ضربت لأحمد ثمانين سوطاً لو ضربت فيلاً لهدته فجرى دمه تحت الخشب! ثم أمر بحبسه فانتشر ذكر ذلك وأستقبح من الخليفةً، وورد كتاب المأمون من طرسوس يأمر بأشخاص أحمد، فدعا المعتصم عند ذلك احمد وقال للناس: أتعرفون هذا الرجل ؟ قالوا: نعم هو أحمد بن حنبل، قال: انظروا إليه ما به كسر ولا هشم، وسلمه إليهم.

وحكى صالح بن أحمد قال: دخلت على أبي وبين يديه كتاب كتب إليه: بلغني أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق، وما عليك من الدين، وقد بعثت إليك أربعة آلاف

---

[1] أبو عبد الله احمد بن أبي داؤد فرج بن جرير الأيادي القاضي، وهو الذي امتحن الإمام أحمد بن حنبل والزمه بالقول بخلق القران الكريم سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م، عينه الخليفة المعتصم قاضي القضاة، ولما تولى الواثق الخلافة، احتفظ ابن أبي داؤد بمنصبه، توفي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م (ابن خلكان:وفيات الأعيان، جـ١،ص٨١-٩١).

[2] سورة الأنبياء: الآية ٢.

[3] سورة ص: الآية ١.

درهم على يد فلان، لا من زكاة ولا من صدقة وانما هي من ارث أبي! فقال أحمد: قل لصاحب هذا الكتاب: أما الدين فصاحبه لا يرهقنا ونحن نعافيه، والعيال في نعمة من الله، قال: فذهبت إلى الرجل وقلت له ما قال أبي، والله يعلم ما نحن فيه من الضيق، فلما مضت سنة قال: لو قبلناها لذهبت !

وحكى أحمد بن حرار قال: كانت أمي زمنة عشرين سنة فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل وسله أن يدعو الله لي، فذهبت ودققت الباب فقالوا: من ؟ قلت: رجل من ذاك الجانب، وسألتني أمي الزمنة أن أسألك أن تدعو الله لها، فسمعت قائلاً يقول: نحن أحوج إلى من يدعو الله لنا! فوليت منصرفاً فخرجت عجوز من داره وقالت: أنت الذي كلمت أبا عبد الله؟ قلت: نعم، قالت: تركته يدعو الله لها، فجئت إلى بيتي ودققت الباب، فخرجت أمي على رجليها تمشي وقالت: قد وهب الله لي العافية.

وذكروا أن أحمد بن حنبل جعله المعتصم في حل يوم قتل بابك الخرمي[1] أو يوم فتح عمورية[2]،وتوفي احمد سنة إحدى وأربعين ومائتين عن تسع وسبعين سنة.

وحكى أبو بكر المروزي قال: رأيت أحمد بن حنبل بعد موته في المنام في روضة، وعليه حلتان خضراوان وعلى رأسه تاج من نور، وهو يمشي مشياً لم اكن اعرفه، فقلت: يا أحمد ما هذه المشية ؟ قال: هذه مشية الخدام في دار السلام ! فقلت: ما هذا التاج الذي أراه فوق رأسك ؟ فقال: إن ربي أوقفني وحاسبني حساباً يسيراً، وحباني وقربني وأباحني النظر وتوجني بهذا التاج، وقال لي: يا أحمد هذا تاج الوقار توجتك به كما قلت القران كلامي غير مخلوق.

وينسب إليها أبو علي الحسين بن صالح بن خيران، كان عالماً شافعي المذهب جامعاً بين العلم والعمل والورع، طلبه علي بن عيسى وزير المقتدر لتوليته القضاء فأبى وهرب فختم بابه بضعة عشر يوماً، قال أبو عبد الله بن الحسن العسكري: كنت صغيراً وعبرت مع أبي على باب أبي علي بن خيران، وقد وكل به الوزير علي بن عيسى، وشاهدت الموكلين على بابه فقال لي أبي: يا بني ابصر هذا حتى تتحدث إن عشت أن انساناً فعل به هذا فامتنع عن القضاء، ثم أن الوزير عفا عنه وقال: ما أردنا

---

[1] سنة ٢٢٣هـ/٨٣٧م.

[2] سنة ٢٢٣هـ/٨٣٧م.

بالشيخ أبي علي إلا خيراً، وأردنا أن نعلم الناس أن في ملكنا رجلاً يعرض عليه قضاء الشرق والغرب وهو لا يقبل، توفي ابن خيران في حدود عشرين وثلاثمائة.

وينسب إليها أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، كان عالماً بعلم التفسير والحديث والفقه والأدب والوعظ، وله تصانيف كثيرة في فنون العلوم، وكان ايضاً ظريفاً سئل وهو على المنبر: أبو بكر أفضل أم علي ؟ فقال: الذي كانت ابنته تحته! فقالت السنة: فضل أبا بكر ! وقالت الشيعة: فضل علياً! وكانت له جارية حظية عنده فمرضت مرضاً شديداً فقال وهو على المنبر: يا الهي يا الهي ما لنا شيء إلا هي، قد رميتني بالدواهي والدواهي والدواهي ؟ ونقل انهم كتبوا على رقعة إليه وهو على المنبر: أن هاهنا امرأة بها داء الابنة والعياذ بالله تعالى فماذا تصنع بها ؟ فقال:

يقولون ليلى في العراق مريضة فيا ليتني كنت الطبيب المداويا

توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وينسب إليها الوزير علي بن عيسى[1] وزير المقتدر ووزير ابنه المطيع، ركب يوم الموسم كما كان الوزراء يركبون في موكب عظيم، فرآه جمع من الغرباء قالوا: من هذا ؟ وكانت امرأة عجوز تمشي على الطريق قالت: كم تقولون من هذا ؟ هذا واحد سقط من عين الله تعالى، فابتلاه الله بهذا كما ترونه ! فسمع هذا القول علي بن عيسى، فرجع إلى بيته واستعفى من الوزارة وجاور مكة إلى أن مات[2].

وينسب إليها أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، ذكر أيوب العطار انه قال له بشر: إلا أحدثك عن بدو أمري ؟ بينما أنا امشي إذ رأيت قرطاساً على وجه الأرض عليه اسم الله تعالى، فأخذته وكنت لا املك إلا درهما واحداً اشتريت به الماورد

---

[1] من أشهر الوزراء في العصر العباسي، كلف بأعمال الوزارة في عهد الخليفة المقتدر لمرات عدة قام بإصلاحات مالية وادارية عدة، توفي سنة ٣٣٤و ٣٣٥هـ/٩٤٥ و٩٤٦م (الهلال الصابيء:تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء،ص٣٤٣؛ الخطيب البغدادي: تاريخ،جـ١٢،ص١٤-١٦).

[2] كان الوزير علي بن عيسى بن داود الجراح قريباً من الخلافة العباسية، فكان يستدعى بين حين وآخر لتولي منصب الوزارة كما حدث في سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م أو للإشراف على بعض الأمور الإدارية كالنظر في المظالم وغيرها، وفضلاً عن ذلك فانه اتصل بالأمير معزّ الدولة البويهي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م الذي أكرمه واجل قدره، ولما توفي ببغداد تولى الوزير الصيمري وزير معزّ الدولة تجهيزه ودفنه (الهلال الصابيء: تحفة الأمراء،ص٣٤٣؛ الهمذاني،محمد بن عبد الملك:تكملة تاريخ الطبري،ص٣٦١-٣٣٢).

والمسك، غسلت القرطاس بالماورد وطيبته بالمسك ثم رجعت إلى منزلي ونمت، فاتاني آت يقول: طيبت اسمي لأطيبن ذكرك وطهرته لاطهرن قلبك !

وحكت زبيدة اخت بشر أن بشراً دخل علي ليلة من الليالي، فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارجها وهو كذلك إلى أن اصبح، فقلت له: في ماذا كنت تفكر ؟ قال: في بشر اليهودي وبشر النصراني وبشر المجوسي ! ونفسي ما الذي سبق مني حتى خصني الله تعالى دونهم ؟ فتفكرت في تفضيله وحمدته على أن جعلني من خاصته والبسني لباس أحبائه.

وحكي أن بشراً الحافي دعي إلى دعوة، فلما وضع الطعام بين يديه أراد أن يمد يده إليه فما امتدت حتى فعل ذلك ثلاث مرات فقال بعض الحاضرين الذي كان يعرف بشراً: ما كان لصاحب الدعوة حاجة إلى إحضار من اظهر أن طعامه ذو شبهة.

وحكي أن أحمد بن حنبل سئل عن مسألة في الورع فقال: لا يحل لي أن أتكلم في الورع وأنا آكل من غلة بغداد ! لو كان بشر بن الحارث حاضراً لأجابك فإنه لا يأكل من غلة بغداد ولا طعام السواد ! توفي سنة تسع وعشرين ومائتين عن خمس وسبعين سنة.

وحكى الحسن بن مروان قال: رأيت بشراً الحافي في المنام بعد موته فقلت له: أبا نصر ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ولكل من تبع جنازتي ! وكانت جنازته قد رفعت أول النهار، فما وصل إلى القبر إلا وقت العشاء لكثرة الخلق، وقال لي خزيمة: رأيت احمد بن حنبل في المنام فقلت له: ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب! قلت فما فعل الله ببشر؟ قال: بخ بخ ! من مثل بشر تركته بين يدي الخليل وبين يديه مائدة الطعام، والخليل مقبل عليه وهو يقول له: كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم ! وقال غيره: رأيت بشراً الحافي في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وقال يا بشر أما استجبت مني وكنت تخافني كل ذلك الخوف ؟ ورآه غيره فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: قال لي يا بشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على وجه الأرض احب اليّ منك !

وينسب إليها أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي[1]، كان عديم النظـــير فـــي زمانه علماً وورعاً وحالاً، كان يقول: ثلاثة أشياء عزيزة: حسن الوجه مع الصيانـــة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإجابة مع الأمانة، مات أبوه أسد المحاسبي وخلـــف من المال الوفا ما اخذ الحارث منه حبة وكان محتاجاً إلى دانق، وذاك لان أبـــاه كـــان رافضياً، فقال الحارث: أهل ملتين لا يتوارثان!

وحكى الجنيد: أن المحاسبي اجتاز بي يوماً فرأيت اثر الجوع في وجه، فقلت: يا عم لو دخلت علينا ساعة! فدخل فعمدت إلى بيت عمي، وكان عندهم أطعمة فـــاخرة، فجئت بأنواع من الطعام ووضعته بين يديه فمد يده واخذ لقمة رفعها إلى فيـــه يلوكـــها ولا يزدردها، ثم قام سريعاً ورمى اللقمة في الدهليز وخرج ما كلمني، فلما كان الغـــد قلت: يا عم سررتني ثم نغصت علي! فقال: يا بني أما الفاقـــة فكـــانت شـــديدة، وقـــد اجتهدت أن أنال من الطعام الذي جعلته بين يدي، ولكن بيني وبين الله علامة، وهي أن الطعام إذا لم يكن مرضياً يرفع منه إلى انفي زفر لا تقبله نفسي ! توفي ســـنة ثـــلاث واربعين ومائتين.

وينسب إليها أبو الحسن السري بن المغلس السقطي خال أبـــي القاســـم الجنيـــد وأستاذه وتلميذ معروف الكرخي، دعا له أستاذه معروف وقال له: أغنـــى الله قلبـــك! فوضع الله تعالى فيه الزهد، وقيل: إن امرأة اجتازت بالسري ومعها ظرف فيه شـــيء فسقط من يدها وانكسر، فاخذ السري شيئاً من دكانه وأعطاها بدل ما ضـــاع عليـــها، فرأى معروف ذلك فأعجبه وقال له: ابغض الله إليك الدنيا ! فتركها وتزهد كمـــا دعـــا له.

وحكي أن امرأة جاءت إلى السري وقالت: يا أبا الحسن، أنا من جـــيرانك، وان ابني أخذه الطائف، وأني أخشى أن يؤذيه، فإن رأيت أن تجيء معـــي أو تبعـــث إليـــه أحداً، فقام يصلي وطول صلاته فقالت المرأة: أبا الحسن، الله الله في ولدي! انى أخشى أن يؤذيه السلطان ! فسلم وقال لها: أنا في حاجتك، فما برحت حتـــى جـــاءت امـــرأة وقالت لها: لك البشرى فقد خلوا عن ابنك !

---

[1] البصري الأصل، الزاهد المشهور وأحد رجال الطريقة، له العديد من المصنفـــات فـــي الزهـــد والأصول منها (الرعاية) و(شرح المعرفة) و (المسائل في الزهد) وغيرها، (ابن خلكـــان:وفيـــات الأعيان،جـــ٢،ص٥٧-٥٨).

حكى الجنيد قال: دخلت على السري فإذا هو قائد يبكي وبين يديه كوز مكسور، قلت: ما سبب البكاء؟ قال: كنت صائماً فجاءت ابنتي بكوز ماء فعلقته حتى يبرد فأفطر عليه، فأخذتني عيني فنمت فرأيت جارية دخلت علي من هذا الباب في غاية الحسن، فقلت لها: لمن أنت ؟ قالت: لمن لا يبرد الماء في الكيزان الخضر ! وضربت بكمها الكوز ومرت وهو هذا، قال الجنيد: فمكثت اختلفت إليه مدة طويلة أرى الكوز المكسور بين يديه.

وحكي أن السري كل ليلة إذا افطر ترك لقمة، فإذا اصبح جاءت عصفورة وأكلت تلك اللقمة من يده، فجاءت العصفورة في بعض الأيام ووقعت على شيء من جدار حجرته ثم طارت وما أكلت اللقمة، فحزن الشيخ لذلك وقال: بذنب مني نفرت العصفورة، حتى تذكر انه اشتهى الخبز بالقديد فأكل، فعلم أن انقطاع العصفورة بسبب ذلك، فعهد أن لا يتناول أبداً شيئاً من الادام فعادت العصفورة.

وحكي أنه اشترى كرّ لوز بستين ديناراً، وكتب في دستوره ثلاثة دنانير ربحه، فارتفع الربح وصار اللوز بتسعين ديناراً، فأتاه الدلال وأخبره انه بتسعين ديناراً فقال: إني عقدت عقداً بيني وبين الله تعالى أني أبيعه بثلاثة وستين لأجله لست أبيعه بأكثر من ذلك ! فقال الدلال: وإني عقدت عقداً بيني وبين الله تعالى أني لا أغش مسلماً! توفي السري سنة إحدى وخمسين ومائتين.

وينسب إليها أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد، اصله من نهاوند ومولده بغداد، كان أبوه زجاجاً وكان هو خرازاً، صحب الحارث المحاسبي وخاله السري السقطي، وكان الجنيد يفتي على مذهب سفيان الثوري، كان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة. وعن جعفر الخلدي: أن الجنيد عشرين سنة ما كان يأكل في كل أسبوع إلا مرة.

حكى أبو عمرو الزجاجي قال: أردت الحج فدخلت على الجنيد فأعطاني درهماً شددته في مئزري، فلم انزل منزلاً إلا وجدت رزقاً فما احتجت إلى إخراج الدرهم، فلما عدت إلى بغداد ودخلت عليه مد يده واخذ الدرهم.

وحكى بعض الهاربين عن ظالم قال: رأيت الجنيد واقفاً على باب رباطه فقلت: يا شيخ آجرني أجارك الله! فقال: ادخل الرباط، فدخلت فما كان إلا يسيراً حتى وصل الطالب بسيف مسلول فقال للشيخ: اين مشى هذا الهارب ؟ فقال الشيخ: دخل الرباط، فمر على وجهه وقال: تريد أن تقويه علي ! قال الهارب: قلت للشيخ كيف دللته علي،

إبليس لو دخل الرباط قتلني؟ فقال الشيخ: وهل نجوت إلا بقولي دخل الرباط ؟ فما زال منا الصدق ومنه اللطف.

وحكي أن رجلاً أتى الجنيد بخمسمائة دينار، وكان هو جالساً بين أصحابه، وقال له: خذ هذا وانفق على أصحابك، فقال له: هل لك غيرها؟ قال: نعم لي دنانير كثيرة ! قال: فهل تريد غيرها ؟ قال: نعم. قال: خذها إليك فأنت أحوج إليها منا.

قال أبو محمد الجزري: لما كان مرض موته كنت على رأسه وهو يقرأ ويسجد فقلت أبا قاسم: ارفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد هوذا صحيفتي تطوى، وأنا أحوج ما كنت الساعة! ولم يزل باكياً وساجداً حتى فارق الدنيا سنة ثمان وستين ومائتين.

وقال جعفر الخلدي: رأيت الجنيد بعد موته في المنام قلت: ما فعل الله بك يا أبا قاسم ؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات، ونفذت تلك العلوم وأمحت تلك الرسوم، وما بقينا إلا على الركيعات التي كنا نصليها في جوف الليل !

وينسب إليها أبو الحسن علي بن محمد المزين الصغير[1]، كان من المشايخ الكبار صاحب الحالات والكرامات، حكى أبو عبد الله بن خفيف قال: سمعت أبا الحسن بمكة يقول: كنت في بادية تبوك فقدمت إلى بئر لأسقي منها، فزلقت رجلي فوقعت في قعر البئر فرأيت في البئر زاوية، فأصلحت موضعاً وجلست عليه لئلا يفسد الماء ما علي من اللباس، وطابت نفسي وسكن قلبي، فبينما أنا قاعد إذا أنا بشخشخة فتأملت فإذا حية عظيمة تنزل علي، فراجعت نفسي فإذا نفسي ساكنة، فنزلت ولفت ذنبها عليَّ وأنا هادئ السر لا اضطرب شيئاً، وأخرجتني من البئر وحلت عني ذنبها، فلا أدري الأرض ابتلعتها أم السماء رفعتها ؟ فقمت ومشيت إلى حاجتي.

وحكى جعفر الخلدي: عزمت على السفر فودعت أبا الحسن المزين وقلت زودني شيئاً، فقال: إن ضاع شيء وأردت وجدانه أو أردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد رد الي ضالتي أو اجمع بيني وبين فلان، قال: فما دعوت في شيء إلا استجبت، توفي بمكة مجاوراً سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

---

[1] أصله من بغداد، صحب الجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري(ابن الجوزي: المنتظم، جـ٨، ص١٨٧).

وينسب إليها محمد بن إسماعيل يعرف بخير النساج[1] كان من أقران الثوري، عاش مائة وعشرين سنة، كان اسود عزم الحج، أخذه رجل على باب الحرم وقال: أنت عبدي واسمك خير! فمكث على ذلك مدة يستعمله في نسج الخز ثم عرف انه ليس عبده ولا اسمه خير، قال له: أنت في حلٍ من جميع ما عملتَ لك وفارقه.

وحكي أن رجلاً جاءه وقال له: يا شيخ أمس قد بعت الغزل وشددت ثمنه في مئزرك، وأنا جئت خلفك وحللته فقبضت يدي! فضحك الشيخ وأومى إلى يده فحلت وقال: أصرف هذه الدراهم في شيء من حاجتك ولا تعد إلى مثلها، ورئي في المنام بعد موته، قيل له: ما فعل الله بك ؟ قال: لا تسألني عن هذا، استرحت من دنياكم الوضرة!

وينسب إليها أبو محمد رويم بن أحمد البغدادي[2] كان من كبار المشايخ وكان عالماً بعلم القراءة والفقه على مذهب داود، وكان يقول: من حكمة الحكيم، الشريعة على أخوانه،الورع، التضييق على نفسه، لأن حكم الشريعة اتباع العلم، وحكم الورع التضييق على نفسه.

حكي انه اجتاز وقت الظهيرة بدرب في بغداد وكان عطشان، فاستقى من بيت فخرجت جارية بكوز ماء فاخذ منها وشرب، فقالت الجارية: صوفي يشرب بالنهار ! فما افطر بعد ذلك، توفي سنة ثلاث وثلاثمائة.

وينسب إليها أبو سعيد احمد بن عيسى الخراز[3] كان من المشايخ الكبار، صحب ذا النون المصري والسري السقطي وبشراً الحافي، وكان أبو سعيد يمشي بالتوكل.

---

[1] في اللباب (جـ٣، ص٣٠٧) (أبو الحسن خير بن عبد الله النساج الصافي من أهل سر من رأى، سكن بغداد وكان له حلقة يتكلم فيها، صحب أبا حمزة الصوفي وغيره، وصحبه الجنيد واحمد بن عطاء،يحكى عنه كرامات كثيرة،عاش مائة وعشرين سنة، ومات سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة) وفي المنتظم (جـ ٨، ص١٥١) (محمد بن اسماعيل المعروف بخير النساج بلغ من العمر مائة وعشرين سنة).

[2] وقيل رويم بن أحمد أو ابن محمد بن رويم بن يزيد (ابن الجوزي: المنتظم، جـ٧، ص٤٥٤-٤٥٥).

[3] الصوفي، له تصانيف في علم القوم، وهو من أقران الجنيد، توفي سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م، وقيل غير ذلك (ابن الأثير:اللباب في تهذيب الأنساب،جـ١،ص٤٢٩).

حكى عن نفسه قال: دخلت البادية مرة بغير زاد فأصابني فاقة، فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بأن وصلت إلى العمارة، ثم فكرت في نفسي أني سلوت، واتكلت على غيري فآليت الا ادخل المرحلة إلا إذا حملت إليها، فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها إلى صدري، فلما كان نصف الليل سمعوا صوتاً عالياً: يا أهل المرحلة أن لله ولياً في هذه المرحلة فالحقوه! فجاءت جماعة وأخرجوني وحملوني إلى القرية.

وينسب إليها الأستاذ علي بن هلال الخطاط، ويعرف بابن البواب[1] كان عديم النظر في صنعه، لم يوجد مثله لا قبله ولا بعده، فإن الكتابة العربية كانت بطريقة الكوفية ثم أن الوزير أبا الحسن بن مقلة[2] نقلها إلى طريقته، وطريقته أيضاً حسنة، ثم أن ابن البواب نقل طريقة ابن مقلة إلى طريقته التي عجز عنها جميع الكتاب من حسنها وحلاوتها وقوتها وصفاتها، ولا يعرف لطافة ما فيها إلا كبار الكتاب، فإنه لو كتب حرفاً واحداً مائة مرة لا يخالف شيء منها شيئاً لأنها قلبت في قالب واحد، والناس كلهم بعده على طريقته، توفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة[3].

وينسب إليها أبو نؤاس الحسن بن هانئ، كان أديباً فصيحاً بليغاً شاعراً أوحد زمانه. حكي أن الرشيد قرأ يوماً: ونادى فرعون في قومه قال:"يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ"[4] ؟ فقال: اطلبوا لي شخصاً أنذل ما يكون حتى أوليه مصر، فطلبوا شخصاً مخبلاً كما أراد الخليفة، فولاه مصر وكان اسمه خصيباً[5].

---

[1] صاحب الخط الحسن، قيل لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولا قاربه، هذب طريقة الوزير ابن مقلة في الكتابة ونقحها وكساها طلاوة وبهجة، (ابن الجوزي:المنتظم،جـ٩،ص١٨٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان،جـ٣،ص٣٤٢-٣٤٣).

[2] محمد بن علي بن الحسين يكنى أبا محمد، استوزره الخليفة المقتدر بالله سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م وعزله سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م (ابن خلكان:وفيات الأعيان، جـ٥، ص١١٣-١١٧).

[3] وقيل توفي سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م (ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ٥،ص١١٧).

[4] سورة الزخرف: الآية ٥١.

[5] ابن عبد الحميد بن الضحاك الجرجاني الأصل، (ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص١٨٨).

فلما ولي[1] أحسن السيرة وباشر الكرم وأنتشر ذكره في البلاد حتى قيل:

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا ... فأين لنا أرض سواه نزور

فتى يشـــتري حسن الثناء بماله ... ويعـلم أن الدائرات تدور

فقصده شعراء العراق وأبو نؤاس معهم وهو صبي، فلما دنوا من مصـــر قـــالوا ذات يوم: نحن من ارض العراق وندخل مصر فلا يأخذن علينا المصريـــون خطـــأ أو عيباً! ليعرض كل واحد منا شعره حتى نعتبره، فإن كان شـــيء منـــها محتاجـــاً إلـــى إصلاح اصلحناه، فاظهر كل واحد ما معه على القوم، فقالوا لأبي نؤاس: هـــات مـــا عندك فقال: عندي هذا:

والليل لـــيل والنهـــار نهار ... والبغل بغل والحمار حمار

والديك ديك والدجاجة زوجه ... والبط بـــط والهزار هزار

فضحكوا وقالوا: هذا ايضاً له وجه للمضاحك! فلما دخلوا على الخصيب وضعوا كرسياً كل واحد من الشعراء يقف عليه ويورد شعره حتى أوردوا جميعهم، بقي أبـــو نؤاس فقال بعض الشعراء: ارفعوا الكرسي، ما بقيَ أحد! فقال أبو نـــؤاس: أصـــبروا حتى أورد بيتاً واحداً، ثم بعد ذلك إن أردتم فارفعوا، فأنشأ يقول:

أنت الخصيب وهذه مصر فتشابها فكلاهما بحر!

فتحيّر الشعراء وأنشد قصيدة خيراً من قصائدهم كلها.

وحكي أن محمد الأمين أمر بحبسه وأمر أن لا يترك عنده كاغد ودواة، فحبس فـــي داره، فدخل عليه خادم من خدام الخليفة ونام عنده وعليه جبة سوداء فاخذ قطعة جـــص من الحائط وكتب على جبة الخادم:

ما قدر عبدك بي نـــواس ... وهو ليس بذي لبـــاس

ولغـــيره أولى بهـــا ... إن كنت تعمل بالقيـــاس

ولئن قـــتلت أبا نؤاســـك ... قيل من هو أبو نـــؤاس؟

فقرأوا وفرجوا عنه.

---

[1] ولاه الخليفة الرشيد على ديوان الخراج، فكان يقال له صـــاحب ديـــوان الخـــراج بمصـــر (ابـــن خلكان:وفيات الأعيان،جـــ١،ص٦١).

وذكر انه رئي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك ؟ قال: قد غفــر لــي بأبيات قلتها وهي تحت وسادتي، فوجدوا تحت وسادته رقعة فيها مكتوب:

يا رب إن عظمت ذنوبي كـثرة   فلقد علمت بان عفوك اعظــم

إن كان لا يرجوك إلا المحســن   فمن الذي يرجوه عبد مجـــرم

أدعوك يا ربي إليك تضرعـــاً   فإذا رددت يدي فمن ذا يرحـم

مالي إليك وسيلة غير الرجـــا   وكريم عفوك ثم أني مســـلم

رحلة ماركو بولو
الى بلداش (بغداد)[*]

إن بلداش مدينة كبيرة، وكانت فيما سبق المقر الرسمي للخليفة أو الحبر الأعظم لجميع المسلمين، شأن البابا بالنسبة للمسيحيين جميعاً، ويمر في وسطها نهر عظيم[١] ينقل التجار بوساطته بضائعهم من بحر الهند واليه[٢]، وتقدر المسافة هنا بملاحة سبعة عشر يوماً، وذلك بسبب كثرة التعاريج في مجراه. ومن يقومون بالرحلة يرسون بعد مغادرتهم النهر بمكان يسمى كيسي[٣]، ومنه يتقدمون إلى البحر على انهم قبل رسوهم هناك يمرون بمدينة تسمى البصرة Balsara، تقع بالقرب منها أحراش من النخيل تنتج أجود بلح (تمر) في العالم، ويقوم ببلداش صناعة الحرير المغزول بخيوط الذهب (القصب)، وكذلك صناعة الدمسق، فضلاً عن القطيفة (المخمل) المحلاة بأشكال الطير والحيوان، وتكاد جميع اللألي المنقولة إلى أوربا من الهند أن تجري فيها عملية الثقب في هذا البلد، وتدرس الشريعة الإسلامية بها بكل عناية وانتظام، كما يدرس السحر والفوزيقي والفلك وعلم الفراسة والعرافة (استطلاع الغيب)، وهي اجمل وأوسع مدينة توجد في هذا الجزء من العالم، لقي الخليفة سالف الذكر[٤]، الذي يعرف عنه انه جمع كنوزاً أعظم وأضخم مما جمعه أي ملك آخر على الزمان كله[٥]، مصرعه البائس التعس في الظروف التالية في المدة التي شرع فيها أمراء التتار في

---

[*] ترجم الرحلة إلى الإنجليزية ونشرها وليم مارسدن وترجمها إلى العربية عبد العزيز توفيق جاويد (مصر ١٩٧٧، من صفحة ٣٨-٤٢).

[١] يقصد نهر دجلة.

[٢] يقصد الخليج العربي.

[٣] يقصد جزيرة قيس أو كيش التي تقع على الساحل الشرقي للخليج العربي وهي مرفأ السفن الآتية من الهند (ياقوت الحموي:معجم البلدان،جـ٤،ص٤١٩).

[٤] يقصد الخليفة العباسي الأخير (المستعصم بالله).

[٥] لقد بالغ ماركو بولو كثيراً في هذا الجانب، فالخليفة المستعصم بالله على الرغم من اقتنائه المجوهرات والذهب إلا انه لم يكن وبأي حال أغنى رجل في عصره، هناك ملوك أوربا المولعون بجمع العقد النفيسة واللألئ كذلك ملوك سلالة كن الصينية وملوك الهند وغيرهم.

بسط سلطانهم[١] كان بينهم أربعة أشقاء[٢] يحكم أكبرهم المسمى مانك[٣] في المقر الرسمي للأسرة[٤]، ولما اخضعوا إقليم كاثاي[٥] وغيره من الأصقاع القائمة بتلك الناحية من العالم، لم تقنع نفوسهم بما فتحوا، بل تطلعت جشعاً إلى المزيد من الأرض، فصوروا بأخيلتهم فكرة الإمبراطورية العالمية الشاملة، واقترحوا أن يقتسموا العالم فيما بينهم، حتى إذا استقر ذلك الهدف أمام أعينهم، اتفقوا أن يتقدم أحدهم نحو الشرق، وان يقوم آخر بفتوحاته في الجنوب[٦]، على حين يوجه الاثنان الآخران عملياتهما نحو الأصقاع الباقية من العالم، وكان القسم الجنوبي[٧] من نصيب اولاعو[٨] الذي جمع جحفلاً جراراً ما آن أتم به إخضاع الولايات التي يخترقها طريقه حتى مضى قدماً في عام ١٢٥٥[٩] لمهاجمة تلك المدينة بلداش.

وأدرك اولاعو ما عليه بغداد من قوة عظيمة ومن تعداد هائل لسكانها فعمد إلى استخدام الوسائل الاستراتيجية اكثر منه إلى القوة في إخضاعها، ولكي يخدع أعداءه

---

(١) بدأ نشاط التتار (المغول) السياسي والعسكري سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، أي قبل تبوأ الخليفة المستعصم بالله بحوالى ثلاثة وعشرين سنة.

(٢) لم يكن هؤلاء أشقاء،إنما أبناء عمومة، لأن دولة التتار (المغول) لم تحافظ على وحدتها بعد وفاة مؤسسها تموجين (جنكيزخان) سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٤م.

(٣) لقد انتخب الخان منكو، سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م اثر اجتماع مجلس القورلتاري (رشيد الدين فضل الله الهمذاني:جامع التواريخ، مجـ١،جـ٢،ص٢٣٦).

(٤) في منطقة قراقورم التي تقع حاليا في منغوليا.

(٥) يقصد المناطق التي تقع شرق نهر جيحون.

(٦) الأصوب نحو الغرب.

(٧) الأصوب القسم الغربي.

(٨) يقصد هولاكو.

(٩) تتفق الروايات التاريخية، أن هولاكو استعد للزحف على بغداد سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م وهو في همذان عندما أرسل للخليفة المستعصم بالله يتوعده ويهدده إن لم يعلن استسلامه، وفي شهر محرم من سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م زحف بقواته وحاصر بغداد (رشيد الدين فضل الله الهمذاني جامع التواريخ،مجـ١،جـ٢، ص٢٦٧-٢٧١، ابن كثير :البداية والنهاية،جـ١٢،ص٢٠٠).

عن عدد جنده، وكانوا يأتلفون من مائة ألف[١] راكب فضلاً عن المشاة، ووضع فريقاً من جيشه قبالة أحد جوانبها، ووضع فريقاً آخر من مداخل المدينة، بحيث تخفيه إحدى الغابات، ووضع نفسه على راس الفريق الثالث[٢] ثم تقدم بجرأة حتى أصبح على مسافة قريبة من البوابة، واستخف الخليفة بتلك القوة الظاهرة الضعف، ولوثوقه في كفاية الصيحات الإسلامية المعتادة لإثارة الحماسة، لم يدر بخلده شيء اقل من القضاء عليها قضاءً مبرماً، ومن اجل ذلك الغرض خرج إلى ظاهر المدينة ومعه حراسه[٣]، ولكن ما كاد اولاغو يراه مقترباً، حتى تظاهر بالتقهقر أمامه إلى أن استدرجه بهذه الوسيلة إلى ما وراء الغابة حيث اتخذ الفريقان الآخران قواعدهما، وعندما أطبق عليه الفريقان من الجانبين اصبح جيش الخليفة محاصراً وهزم، واخذ الخليفة نفسه أسيرا[٤]، واستسلمت المدينة للفاتح، وعند دخول المدينة اكتشف اولاً ولدهشته العظيمة برجاً مملوءاً بالذهب، فأستدعى الخليفة أمامه، وبعد توبيخه على شحه الذي منعه من إنفاق كنوزه في إنشاء جيش للدفاع عن عاصمته تلقاء الغزو القوي الذي ظلت مهددة به

---

[١] تشير المصادر التاريخية العربية الى أن عدد جيش هؤلاكو الذي حاصر بغداد بلغ مائتي ألف مقاتل (ابن كثير: البداية والنهاية،جـ١٣،ص٢٠٠؛ عبد الحي، أبو الفلاح:شذرات الذهب،جـ٣،ص٢٧٠).

[٢] لقد وضع هولاكو خطة تعبوية مفصلة للإطباق على بغداد من جميع جهاتها، فقد أوكل لقسم كبير من قواته مهمة حصار الجانب الغربي واسند قيادتها إلى اثنين من قادته وهما بايجو وسوغونجان، في حين جعل نفسه في القلب مع قوة رئيسة ضاربة وكانت مهمتها حسب الخطة الموضوعة الالتفاف على الجانب الشرقي للمدينة، بينما أوكل مهمة الإسناد والدعم للقائد كيوك (ابن العبري:مختصر تاريخ الدول،ص٢٧١، رشيد الدين الهمذاني:جامع التواريخ:مجـ١،جـ٢،ص٢٨١، ابن كثير:البداية والنهاية،جـ١٣،ص٢٠٠).

[٣] لم يخرج الخليفة على رأس هذه القوة، إنما قائدة الدويدار الصغير مجاهد الدين بن ايبك (ابن طقطقا: الفخري،ص٢٩٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية،جـ١٣،ص٢٠١).

[٤] لا توجد رواية واحدة في المصادر التاريخية تشير الى أن الخليفة المستعصم بالله اسر في معركة، إنما خرج من تلقاء نفسه بعد إلحاح الحاشية المحيطة به، وبعد أن استأذن هولاكو بالخروج لعقد صلح معه، لكن هولاكو العاتي الجبار تنصل من التزاماته الأدبية والأخلاقية تجاه وعده للخليفة بالحفاظ على حياته، فأمر بقتله مع أولاده والمقربين إليه (ابن العبري:مختصر تاريخ الدول،ص٢٧١- ٢٧٢؛ رشيد الدين الهمذاني: جامع التواريخ،مجـ١،جـ٢،ص٢٩٠).

طويلاً، وهناك انتهت حياته التعيسة بين أكداس ما كنز من الثروة والكنوز، وفي رأي أن الرب يسوع المسيح رأى هنا أن من الخير أن ينتقم لما وقع من مظالم على خلصائه المسيحيين الذين كان مقت ذلك الخليفة لهم بليغاً، فمنذ أن تولى الخلافة في ١٢٢٥[١]، كان شغله الشاغل في كل يوم تدبير الوسائل لإدخال كل من يقيم في دولته منهم في دينه، أو في حالة رفضهم ذلك، صياغة الحجج التي يتذرع بها لإعدامهم[٢]، وتشاور الخليفة مع علمائه من أجل هذا الغرض فأكتشفوا في الإنجيل فقرة هذا نصها: "لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل"[٣]، "وذلك يتأتى بالصلاة والدعاء بذلك إلى رب الجلالة[٤]"، وسر الخليفة بهذا الاكتشاف وان اقتنع في قرارة نفسه بأن الأمر من المحال، فأصدر الأوامر بجمع جميع المسيحيين النساطرة واليعاقبة الذين يسكنون في بغداد والذين كان عددهم عظيماً، ووجه إلى هؤلاء هذا السؤال: هل تؤمنون بأن كل ما ورد في إنجيلكم صحيح أم لا ؟ فأجابوه بأنه صحيح، فقال الخليفة: "إن كان صحيحاً ما تقولون، فلنر أيكم سيعطينا البرهان على إيمانه، لأن من المؤكد انه إن لم يوجد بينكم واحد ولو جزء ضئيل من الإيمان بربه قدر حبة خردل، فسيكون لي الحق أن أعدكم من الآن قوماً شريرين وفسدة وعديمي الإيمان، من اجل ذلك فإني أمنحكم مهلة عشرة أيام ينبغي أن تتمكنوا قبل انقضائها من زحزحة الجبل القائم أمامكم بفضل قوة من تعبدون وإلا فلتعتنقوا شرعة نبينا، وانتم على الحالين آمنون، فإن لم تفعلوا وجب عليكم جميعاً أن تتوقعوا نكال وأنكر مصرع".

---

[١] هذا التاريخ ليس دقيقاً، فقد تولى الخليفة المستعصم بالله الخلافة سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م.

[٢] لا توجد إشارة واحدة تفيد بان الخليفة المستعصم بالله قد اضطهد الأقليات الدينية بوجه عام والمسيحية بوجه خاص لا في بغداد ولا في غيرها من المناطق وأقاليم الدولة العربية الإسلامية، بل على العكس من ذلك، هناك إشارات عدة في المصادر التاريخية على ممارسة هذه الاقليات ومنها المسيحية واليهودية لطقوسها الدينية المعتادة، وكانت هناك لجنة من الدولة تشرف على شؤون هذه الاقليات وتصادق على قراراتها بشأن اختيار رؤسائها الروحيين والنظر في بعض أمورها(الأشرف الغساني:العسجد المسبوك، جـ٢،ص٥٥٨، ٥٦١، ٥٧٥، ٥٧٦).

[٣] متي: الآية ١٧، الأصاح٢٠.

[٤] في متي (الآية ١٧، الإصحاح٢١)، "هذا الجنس من الشياطين لا يطرد إلا بالصلاة والصوم".

وعند سماع هذه الكلمات ارتعدت فرائض المسيحيين اشفاقاً على حياتهم، لما عرفوه من قلب قاس لا يرحم ومن توق إلى اغتصاب ما يملكون من ثروات، ولكنهم مع ذلك لإمتلائهم بالثقة من فاديهم وانه سينقذهم مما يتعرضون له من خطر، عقدوا اجتماعاً وأخذوا يتشاورون فيما ينبغي لهم عمله، ولم يخطر على بالهم إلا شيء واحد وهو الابتهال إلى بارئهم أن يمنحهم من لدنه عوناً من رحمته، ولبلوغ تلك الغاية، انطرح كل منهم كبيراً أم صغيراً على الأرض ساجداً ليل بنهار، وهم يذرفون الدمع بغزارة دون أن يهتموا بأي عمل آخر عدا الضراعة إلى الله، فلما أن واصلوا ذلك مثابرين ثمانية أيام كاملة، جاء التجلي **الإلهي** آخر الأمر على صورة حلم رآه أسقف يعيش عيشة تقوى مثالية ويوجهه إلى البحث عن إسكافي(صانع أحذية) معين (لا يعرف اسمه) ليس له إلا عين واحدة، ودعوته إلى ذلك الإنجيل على اعتبار انه شخص قادر على القيام فعلاً بزحزحته عن مكانه بفضل الله ونعمائه.

فلما أن وجد القوم ذلك الإسكافي وابلغوه نبأ الرؤيا، أجاب بأنه لا يشعر في نفسه انه جدير بالقيام بذلك، إذ أن استحقاقاته (جداراته) ليست بالدرجة التي تؤهله للمكافأة بمثل تلك النعمة الوافرة، على انه لما ألح عليه المسيحيون المساكين المروعون، قبل في نهاية الأمر.

وينبغي أن يكون مفهوماً انه كان رجلاً شديد التمسك بالأخلاق الفاضلة والحديث الورع، قد احتفظ بنقاء عقله والإخلاص لربه، واظب على صلوات القداسات وغيرها من الواجبات الإلهية، واظهر الحمية في أعمال الصدقة والبر والتشدد في أداء الصوم، وحدث له ذات يوم أن امرأة حسناء شابة جاءت إلى دكانه ليصنع لها حذاء وبينما هي تمد له قدمها، كشفت بالصدفة عن جزء من ساقها، فاستثار فيه جمالها رغبة ملحة، ولكنه تدارك نفسه وصرف المرأة على الفور، واخذ يتذكر كلمات الإنجيل التي تقول: "إن اعثرتك عينك فأقلعها وألقها عنك، خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى في جهنم النار ولك عينان[1]"، ومد يده على الفور فقلع عينه اليمنى بإحدى آلات صنعته مظهراً بهذا العمل فوق كل ريب وشبهة عظمة إيمانه.

---

[1] متي: الآية ١٨، الإصحاح ٩.

فلما أن وافى اليوم المحدد، أقيمت الصلوات الدينية في ساعة مبكرة من الفجر، وانطلق موكب رهيب إلى الوادي الذي يقف فيه الجبل، وقد حمل الصليب المقدس في المقدمة، ولاعتقاد الخليفة انه موكب سينتهي إلى الفشل من جانب المسيحيين، فإنه اثر أن يشهد بنفسه، فحضر ترافقه كوكبة من حرسه بقصد القضاء عليهم في حالة فشل المحاولة، وهنا اقبل الصانع التقي وقد جثا أمام الصليب، ورفع اكف الضراعة إلى السماء، فالتمس من خالقه بذلة وخشوع أن يشمل الأرض بنظرة من رحمته، ومن اجل مجد اسمه وعظمته، ومن اجل تأييد الإيمان المسيحي وتثبيته أن يمد يد العون لشعبه في القيام بذلك العمل المفروض عليهم، وبذلك يظهر جبروته لكل من ينالون من شريعته.

ولما أن ختم صلاته، صاح بصوت مرتفع: "آمرك أيها الجبل أن تزحزح نفسك!"، وعندما نطق هذه الكلمات تحرك الجبل واهتزت الأرض في الحين نفسه بطريقة مدهشة ومروعة، وبهت الخليفة وكلّ من أحاطوا به ومسهم الرعب وظلوا مذهولين أمداً طويلاً[1]، واعتنق كثير من رجاله النصرانية، بل انه حتى الخليفة نفسه اعتنق المسيحية سراً[2]، حيث ظل على الدوام يحمل صليباً يخفيه تحت أثوابه، ووجد حول عنقه بعد أن لقي مصرعه، ولهذا السبب لم يدفنوه في مدافن أسلافه[3]، وتخليداً لتلك النعمة الفريدة التي حباهم بها الله، لا يبرح جميع المسيحيين نساطرة ويعاقبة، يحتفلون منذ تلك اللحظة بطريقة وقورة بعودة ذلك اليوم الذي حدثت فيه المعجزة محتفظين كذلك بصوم إثناء سهرهم ليلة الذكرى في التهجد[4].

---

[1] من الضروري الإشارة، أن ماركو بولو قد أملى قصة رحلاته وهو في الأسر على زميل له في السجن، وقد استنسخت مخطوطات كثيرة منها على يد أفراد آخرين مع اختلافات كثيرة، وهناك اليوم حوالى مائة نسخة من هذه الرحلات تختلف لغة ما بين فرنسية وإيطالية ولاتينية وليس بينها اثنتان متفقتان، وهذه القصة المعجزة التي ساقها خيال ماركو بولو في النسخة اللاتينية، حدثت في تبريز سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٥، والخليفة المستعصم بالله لم يسافر إلى تبريز كما انه قتل قبل هذا التاريخ ! ؟.

[2] لا توجد إشارة بالمرة على هذا الادعاء سواءً في المصادر العربية أو الأجنبية.

[3] لقد استباح هولاكو بغداد وأوقع السيف في رقاب أهلها وقتل خليفتها وخليفة المسلمين المستعصم بالله غيلة وغدراً على طريقة أسلافه المغول برميه إلى الخيول لتدوس عليه وتمزق جسده ومن ثم طمس جثته.

[4] لم تكن أوربا بمأمن من هجمات المغول، فقد هاجموا الأقسام الشرقية منها وعاثوا فيها فساداً وخراباً ودماراً ووضعوا السيف في رقاب أهلها، حتى عدهم الأوربيون قصاصاً جديداً ابتلاهم به الله كما ابتلاهم بقبائل الهون من قبل.

وصف شيخ الربوة الدمشقي(*)
مدينة بغداد

لما استخلف الله من بني العباس، السفاح، بنى مدينة قريبة من الكوفة وسماها الهاشمية، ثم رحل عنها إلى الأنبار فعمرها وسكنها ولم يزل بها إلى أن مات، فلما ملك أخوه المنصور بنى على الدجلة بغداد، ويقال إن اصل اسمها "بك دار" ومعناها دار العدل بالتركية، كأنهم قالوا الحاكم العادل، وسميت مدينة السلام لأنها يسلم فيها على الخلفاء ولأنها على دجلة نهر السلام، وفي تسميتها بغداذ وبغذاد وبغداد، وكان ابتداء بنائها في سنة خمس واربعين ومائة وتم بناؤها في سنة وأربعين، ثم ضاقت بالجند والرعية فبنى المهدي ولد المنصور مدينة تجاها سماها الرصافة سنة إحدى وخمسين، وبغداد في عصرنا سبع محال[1] لا تفتقر محلة منها إلى أخرى على شط دجلة، فالذي على الجانب الشرقي هي الرصافة مدينة مسورة وجامع السلطان غير مسور، وفي الجانب الغربي مدينة المنصور وتسمى باب البصرة، وكانت في العظم فوق الوصف وبها ثلاثون ألفُ مسجد وخمسة آلاف حمام[2]، ذكر هذا ابن واضح[3]، ومشهد موسى بن جعفر، والجانب الشرقي يشقه نهر، والجانب الغربي يشقه نهر عيسى، ولبغداد من المدن والبلاد صرصر وقصر ابن هبيرة مدينة بناها يزيد بن عمو بن هبيرة، والنهروان مدينة يشقها نهر يسمى النهروان، وجرجرايا وكربلاء وعكبرا والبردان والنعمانية ودير العاقول وجبل وفم الصلح، ودجيل نهر يشق قرى مصرها صعرة يقين، ونهر الملك على شاطئه نحو ثلاث مائة قرية عامرة.

(*) أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أبي طالب(ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧): نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر، (الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٨، صفحة٢٥٠).

[1] لقد ذكر ابن بطوطة (الرحلة،ص٢٢٤)، والذي زار بغداد سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م أن عدد المحال في الجانب الغربي تحديداً سبع عشرة محلة، واما الجانب الشرقي فمع انه لم يذكر عدد محلاته إلا انه وصفه بأنه حافل بالأسواق، عظيم الترتيب.

[2] لقد ذكر اليعقوبي (البلدان،ص٢٥٠) وهو مصدر رواية شيخ الربوة الآنفة الذكر أن عدد الحمامات في الجانب الغربي عشرة آلاف حمام.

[3] اليعقوبي.

وصف أبي الفداء(*)
مدينة بغداد

قال في اللباب[1]، وانما سميت بغداد بهذا الاسم لأن كسرى اهدي إليه خصي من المشرق فأقطعه بغداذ وكان لهم صنم يعبدونه بالمشرق يقال له البغ، فقال ذلك الخصي "بغ داذ"، يقول أعطاني الصنم، والفقهاء يكرهون هذا الاسم من اجل هذا، وسماها المنصور مدينة السلام، لأن دجلة كان يقال له (وادي السلام)، قال وكان ابن مبارك يقول لا يقال بغداذ يعني بالذال المعجمة، فإن بغ شيطان وداذ عطية وإنها شرك، وانما يقال بغداد بالدالين المهملتين، وبغدان ايضاً[2]وقال بعضهم إن بغ بالعجمية البستان وداذ اسم رجل يعني بستان داذ.

والحريم ببغداد هو حريم دار الخلافة، قال ياقوت الحموي في المشترك بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين ثم مثناة من تحتها ساكنة وفي آخرها ميم، قال ومقدار الحريم قريب من ثلث بغداد وعلى الحريم سور ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه إلى دجلة من الجانب الشرقي كهيئة الهلال أو كنصف دائرة وله أبواب أولها باب الغربة وهو على دجلة ثم يليه باب سوق التمر وهو باب شاهق واغلق في أيام الإمام الناصر واستمر غلقه، ثم باب البدرية، ثم باب النوبي وفيه العتبة التي كانت يقبلها الملوك والرسل، ثم باب العامة ويقال له ايضاً باب عمورية، ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه إلا باب البستان تحت المنظرة التي تنحر تحتها الضحايا، ثم باب المراتب وبينه وبين دجلة نحو رميتي سهم، قال وجميع ما يشتمل عليه هذا السور يقال له حريم دار الخلافة وفيه محال وأسواق ودور كثيرة للرعية وهو كأكبر مدينة تكون، قال وبين دور الرعية التي داخل هذا السور وبين دجلة سور آخر وداخل السور الثاني دور الخلافة لا

(*) عماد الدين بن اسماعيل بن عمر (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): تقويم البلدان (تحقيق رينود وماك كوكين ديسلان، بيروت، نسخة مصورة عن طبعة باريس، من صفحة ٢٩٢-٢٩٣).

[1] يقصد كتاب (اللباب في تهذيب الأنساب)، الذي صنفه المؤرخ ابن الأثير الجزري من كتاب (الأنساب) للسمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م.

[2] ينظر: (اللباب، جـ١، ص١٦٢).

بداخلها شيء من دور العامة[1]، قال في اللباب، والسندية بكسر السين المهملة وسكون النون وكسر الدال المهملة، قال وهي قرية بنواحي بغداد ينسب إليها السندواني واما النسبة إلى إقليم السند فسندي ليفرق بينهما.

ومن متنزهات بغداد المحوّل، من المشترك بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الواو ثم لام، وهي بلدة عن بغداد في الغرب والجنوب على فرسخ وهي كثيرة الأشجار متسعة الأنهار كأنها غوطة دمشق[2].

قال في المشترك، وسوق الثلاثاء كان يقام في الجانب الشرقي عند نهر معلى في بقعة بغداد قبل بناء بغداد وكان في كل شهر يقام هناك سوق في يوم الثلاثاء، فينسب الموضع إلى اليوم الذي كان يقام فيه السوق، ثم صار محلة من محال بغداد وصار به معظم سوق البزّازين[3].

---

[1] ينظر: (المشترك وضعاً المفترق صقعاً،ص١٢٩-١٣٠).

[2] ينظر: (المشترك وضعاً،ص٣٨٧-٣٨٨).

[3] ينظر: (المشترك وضعاً،ص٣٦٠).

رحلة ابن بطوطة[*]
إلى بغداد سنة٧٢٧هـ/١٣٢٦م

مدينة دار السلام، وحضرة الإسلام، ذات القدر الشريف، والفضل المنيف، مثوى الخلفاء، ومقر العلماء.

قال أبو الحسين بن جبير، رضي الله عنه: وهذه المدينة العتيقة، وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية، ومثابة الدعوة الامامية القرشية، فقد ذهب رسمها، ولم يبق إلا اسمها. وهي بالإضافة إلى ما كانت عليه قبل إنحاء الحوادث عليها والتفات أعين النوائب إليها كالطلل الدراس، او تمثال الخيال الشاخص، فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعي من المستوفز الغفلة والنظر، إلا دجلتها التي هي بين شرقيّها وغربيّها كالمرأة المجلوة بين صفحتين، أو العقد المنتظم بين لبتين، فهي تردها ولا تظمأ، وتتطلع منها مرآة صقيلة لا تصدأ، والحسن الحريمي بين هوائها ومائها ينشأ.

قال ابن جزي[1]: وكأن أبا تمام حبيب بن اوس اطلع على ما آل إليه أمرها حين قال فيها:

لقد أقام على بغداد ناعيها	فليبكها لخراب الدهر باكيها
كانت على مائها والحرب موقدة	والنار تطفأ حسنا في نواحيها

---

[*] أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة اختصارا بـ(رحلة ابن بطوطة)، (تحقيق كرم البستاني، بيروت ١٩٦٤، من صفحة ٢٢٤-٢٣١).

[1] محمد الكلبي، كاتب السلطان أبى عنّان المريني، وقد تولى كتابة مذكرات ومشاهدات وانطباعات ابن بطوطة عن البلاد التي شاهدها بأمر من السلطان نفسه خشية اندثار أخبار هذه الرحلة ولاسيّما أن الهنود قد سلبوا ابن بطوطة خلال بعض جولاته في الهند كل ما دونه من مذكرات، ويلحظ في القسم المتعلق ببغداد أن محمد الكلبي قد أضاف بعض الأوصاف التي ذكرها ابن جبير، والذي سبق أن زار بغداد سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م، وفضلاً عن ذلك فأنه (أي محمد الكلبي) قد ضمن هذا القسم كما في الأقسام الأخرى العديد من الأستشهادات الشعرية التي سمعها عن والده أو نقلها من بعض الكتب وليس من ابن بطوطة ! ؟.

ترجى لها عودة في الدهر صالحة فالآن اضمر منها اليأس راجيها
مثل العجوز التي ولت شبيبتها وبان عنها جمال كان يحظيها

وقد نظم الناس في مدحها وذكر محاسنها فأطنبوا، ووجدوا مكان القول ذا سعة فأطالوا وأطابوا، وفيها قال الإمام القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي البغدادي[1] وأنشدنيه والدي رحمه الله مرات:

طيب الهواء ببغداد يشوقني قراباً إليها وان عاقت مقادير
وكيف أرحل عنها اليوم إذ جمعت طيب الهواءين ممدود ومقصور

وفيها يقول ايضاً رحمه الله تعالى ورضي عنه:

سلام على بغداد في كل موطن وحق لها منى السلام المضاعف
فو الله ما فارقتها عن قلى لها واني بشطئ جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت علي برحبها ولم تكن الأقدار فيها تساعف
وكانت كخل كنت أهوى دنوه واخلاقه تنأى به وتخالف[2]

وفيها يقول ايضاً مغاضباً لها، وانشدنيه والدي رحمه الله غير ما مرة:

بغداد دار لأهل المال واسعة وللصعاليك دار الضنك والضيق
ظللت امشي مضافاً في أزقتها كأنني مصحف في بيت زنديق

وفيها يقول القاضي أبو الحسن علي بن النبيه من قصيدة:

آنست بالعراق بدراً منيراً فطوت غيهباً وخاضت هجيراً
واستطابت ريا نسائم بغداد فكادت لولا البرى أن تطيرا
ذكرت من مسارح الكرخ روضاً لم يزل ناضراً وماء نميرا
واجتنت من ربي المحول نوراً وأجتلت من مطالع التاج نورا

---

[1] فقيه وأديب وشاعر، رحل عن بغداد إلى بلاد المغرب العربي، وظل في شوق إليها، توفي سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م (ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،جـ ٨،ص٥١٦).

[2] وردت هذه الأبيات ايضاً عند ابن بسام (الذخيرة،جـ ٨،ص٥١٦).

ولبعض نساء بغداد في ذكرها:

اها علـى بغدادهـا وعراقـها	وظبائها والسـحر فى أحداثـها
ومجالها عند الفـرات بأوجـه	تبدو أهلتها على أطـواقها
متبخترات في النعيـم كأنمـا	خلق الهوى العذري من أخلاقـها
نفسي الفداء لها فأي محاسـن	فى الدهر تشرق من سنا إشـواقها

ولبغداد جسران اثنان معقودان على نحو الصفة التي ذكرناها فـي جسـر مدينـة الحلة[1]، والناس يعبرونها ليلاً ونهاراً رجالاً ونساء، فهم في ذلـك نزهـة متصلـة، وببغداد من المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحـد عشـر مسـجداً، منـها بالجانب الغربي ثمانية، وبالجانب الشرقي ثلاثة، والمساجد سواها كثيرة جداً، وكذلـك المدارس إلا أنها خربت، وحمامات بغداد كثيرة وهي من أبدع الحمامـات، وأكثرهـا مطلية بالقار، مسطحة به، فيخيل لرائيه انه رخام اسود.

وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة تنبع ابداً به، ويصير في جوانبـها كالصلصال، فيجرف منها، ويجلب إلى بغداد، وفي كل حمام منها خلوات كثـيرة كـل خلوة منها مفروشة بالقار، مطلي نصف حائطها مما يلي الأرض به، والنصف الأعلـى مطلي بالجص الأبيض الناصع، فالضدان بها مجتمعان متقابل حسنهما.

وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه انبوبان أحدهما يجري بالمـاء الحـار والآخر بالماء البارد، فيدخل الإنسان الخلوة منها منفرداً لا يشـاركه أحـد إلا إن أراد ذلك، وفي زاوية كل خلوة ايضاً حوض آخر للاغتسال، فيه ايضـاً انبوبـان يجريـان بالحار والبارد، وكل داخل يعطي ثلاثاً من الفوط: إحداها يـتزر بـها عنـد دخولـه، والآخر يتزر بها عند خروجه، والأخرى ينشف بها الماء عن جسـده، ولـم أر هـذا الإتقان كله في مدينة سوى بغداد، وبعض البلاد تقاربها في ذلك.

---

[1] مما جاء في وصف ابن بطوطة لهذا الجسر (ص٢٢٠)، "جسر عظيم معقود على مراكب متصلـة منتظمة فيما بين الشطين، تحف بها من جانبيها سلاسل من حديد مربوطة في كلا الشـطين إلـى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل".

ذكر الجانب الغربي من بغداد

الجانب الغربي منها هو الذي عمر اولاً، وهو الآن خراب اكثره، وعلى ذلك فقد بقي منه ثلاث عشرة محلة كأنها مدينة بها الحمامان والثلاثة، وفي ثمان منها المساجد الجامعة،ومن هذه المحلات محلة باب البصرة، وبها جامع الخليفة أبي جعفر المنصور، رحمه الله، والمارستان فيما بين محلة باب البصرة ومحلة الشارع على الدجلة، وهو قصر كبير خرب بقيت منه الآثار، وفي هذا الجانب الغربي من المشاهد قبر معروف الكرخي، رضي الله عنه، وهو في محلة باب البصرة، وبطريق باب البصرة مشهد حافل البناء في داخله قبر متسع السنام، عليه مكتوب: هذا قبر عون من أولاد علي بن أبي طالب، وفي هذا الجانب قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق والد علي بن موسى الرضا، والى جانبه قبر الجواد، والقبران داخل روضة عليهما دكانة ملبسة بالخشب عليه ألواح الفضة.

ذكر الجانب الشرقي منها

وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الأسواق، عظيمة الترتيب، واعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء، كل صناعة فيه على خدة، وفي وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الأمثال تضرب بحسنها، وفي آخره المدرسة المستنصرية، ونسبتها إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر بن أمير المؤمنين الظاهر بن أمير المؤمنين الناصر، وبها المذاهب الأربعة، لكل مذهب إيوان فيه المسجد، وموضع التدريس، وجلوس المدرس في قبّة خشب صغيرة على كرسي عليه البسط، ويعقد المدرس وعليه السكينة والوقار لابساً ثياب السواد معتماً، وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يمليه، وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الأربعة، وفي داخل هذه المدارس الحمام للطلبة ودار الوضوء.

وبهذه الجهة الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة: أحدها جامع الخليفة، وهو المتصل بقصور الخلفاء ودورهم، وهو جامع كبير فيه سقايات ومطاهر كثيرة للوضوء والغسل، لقيت بهذا المسجد الشيخ الإمام العالم الصالح مسند العراق سراج الدين أبا حفص عمر بن علي بن عمر القزويني[1]، وسمعت عليه فيه جميع

---

[1] توفي سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٨م (السيوطي:طبقات الحفاظ،جـ١،ص ٥٣٠).

مسند أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي، وذلك في شهر رجب الفرد عام سبعة وعشرين وسبعمائة[1] قال: أخبرتنا به الشيخة الصالحة المسندة بنت الملوك فاطمة بنت العدل تاج الدين أبي الحسن علي بن علي بن أبي البدر قالت: أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز الطبيب المارستاني قال: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن شعيب السنجري الصوفي قال: أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي قال: اخبرنا أبو محمد عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي عن أبي عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي عن أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدرامي، والجامع الثاني جامع السلطان، وهو خارج البلد وتتصل به القصور تنسب للسلطان، والجامع الثالث جامع الرصافة، وبينه وبين جامع السلطان نحو الميل.

ذكر قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها

وقبور الخلفاء العباسين، رضي الله عنهم، بالرصافة، وعلى كل قبر منها اسم صاحبه، فمنها قبر المهدي[2]وقبر الهادي وقبر الأمين وقبر المعتصم[3]وقبر الواثق[4]وقبر المتوكل[5] وقبر المنتصر[6] وقبر المستعين وقبر المعتز وقبر المهتدي وقبر المعتمد وقبر المعتضد وقبر المكتفي وقبر المقتدر وقبر القاهر وقبر الراضي وقبر المتقي وقبر المستكفي وقبر المطيع لله وقبر الطائع وقبر القائم وقبر القادر وقبر المستظهر وقبر المسترشد وقبر الراشد وقبر المقتضي وقبر المستنجد وقبر المستضيء وقبر الناصر وقبر الظاهر وقبر المستعصم[7]، وهو أخرهم، وعليه دخل التتر بغداد

---

(1) يوافق سنة ١٣٢٦م

(2) المعروف أن الخليفة محمد المهدي توفي بقرية الرذّ التابعة لماسبذان من إقليم الجبال ينظر:(الطبري: تاريخ،جـ ٨،ص١٦٨).

(3) دفن في سامراء (البلاذري: فتوح،ص٣٦٤).

(4) دفن في سامراء (البلاذري: فتوح،ص٣٦٤).

(5) دفن في قرية الماحوزة قرب سامراء (البلاذري: فتوح،ص٣٦٤).

(6) دفن في سامراء (البلاذري: فتوح،ص٣٦٥).

(7) يؤكد الدكتور عماد عبد السلام رؤوف(خطط بغداد،ص٧٢)، انه اعتماداً على نص نقله ابن طقطقا في كتاب مخطوط عن المؤرخ ابن الساعي، فإن جثمان الخليفة العباسي الأخير مدفون في مقبرة

بالسيف، وذبحوه بعد أيام من دخولهم، وانقطع من بغداد اسم الخلافة العباسية وذلك في سنة أربع وخمسين وستمائة[1].

وبقرب الرصافة قبر الإمام أبي حنيفة، رضي الله عنه، وعليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية، فسبحان مبيد الأشياء ومغيرها، وبالقرب منها قبر الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل[2]، رضي الله عنه، ولا قبة عليه، ويذكر أنها بنيت على قبره مراراً فتهدمت بقدرة الله تعالى، وقبره عند أهل بغداد معظم، وأكثرهم على مذهبه، وبالقرب منه قبر أبي بكر الشبلي من أئمة المتصوفة، رحمه الله، وقبر سري السقطي[3]وقبر بشر الحافي وقبر داود الطائي وقبر أبي القاسم[4] الجنيد رضي الله عنهم أجمعين.

وأهل بغداد لهم يوم في كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه، هكذا إلى آخر الأسبوع، وببغداد كثير من قبور الصالحين والعلماء، رضي الله تعالى عنهم وهذه الجهة الشرقية من بغداد ليس بها فواكه وانما تجلب إليها من الجهة الغربية لأن فيها البساتين والحدائق، ووافق وصولي إلى بغداد كون ملك العراق بها فلنذكره هاهنا.

كانت تعرف بـ (مشهد النذور) في الأعظمية الحالية وتحديداً في محلة النصة بمشهد أم رابعة، لكن حتى الآن لم يظهر ما يؤكد ذلك، فضلاً عن أن ابن طقطقا نفسه وهو قريب من عصر المستعصم لم يتثبت من رواية ابن الساعي الآنفة الذكر.

[1] هذا التاريخ ليس دقيقاً، فالخلافة العباسية في بغداد سقطت سنة ٦٥٦/١٢٥٨م.

[2] كما سبق القول، فان ابن بطوطة أو كاتب مشاهداته ابن جزي الكلبي قد نقلا ما قاله ابن جبير عن موضع قبر الإمام أحمد بن حنبل وقبر الإمام أحمد بن حنبل كما هو معروف في الجانب الغربي بمقبرة باب حرب وليس الجانب الشرقي !؟.

[3] دفن في مقبرة الشونيزية بالجانب الغربي (الخطيب البغدادي:تاريخ،جـ١،ص١٢٢).

[4] دفن ايضاً في مقبرة الشونيزية بالجانب الغربي(ابن خلكان:وفيات الأعيان،جـ١،ص٣٧٥).

ذكر سلطان العراقيين وخراسان

وهو السلطان الجليل أبو سعيد بهادرخان[١]، وخان عندهم الملك، ابن السلطان الجليل محمد [٢]خذابنده، وهو الذي أسلم من ملوك التتر، وضبط اسمه مختلف فيه، فمنهم من قال إن اسمه خذابنده، وبنده لم يختلف فيه، وتفسيره على هذا القول عبد الله لأن خذا بالفارسية اسم الله، عز وجل، وبنده غلام أو عبد أو ما في معناهما، وقيل: إنما هو خربنده، وتفسير آخر بالفارسية الحمار، فمعناه على هذا غلام الحمار، فشد ما بين القولين من الخلاف، على أن هذا الأخير هو المشهور وكأن الأول غيره من تعصب عليه، وقيل: إن سبب تسميته بهذا الأخير هو أن التتر يسمون المولود بأسم أول داخل على البيت عند ولادته، فلما ولد السلطان كان أول داخل الزمال، وهم يسمونه خربنده، فسمي به، وأخوه خربنده هو قازغان[٣] الذي يقول فيه الناس: قازان، وقازغان وهو القدر، وقيل سمي بذلك لأنه لما ولد دخلت الجارية ومعها القدر.

وخذابنده هو الذي اسلم وقدمنا قصته، وكيف أراد أن يحمل الناس لما اسلم على الرفض، وقصة القاضي مجد الدين[٤]معه، ولما مات ولي الملك ولده أبو سعيد بهادرخان، وكان ملكاً فاضلاً كريماً ملك وهو صغير السن[٥]، ورأيته ببغداد، وهو شامل اجمل خلق الله صورة لا نبات بعارضيه، ووزيره إذ ذاك الأمير غياث الدين

---

[١] ابن السلطان غياث الدين محمد بن خربندا، وهو آخر سلاطين المغول من ذرية هولاكو، تولى أمور السلطنة سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م، وتوفي سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م (ابن كثير:البداية والنهاية،جـ١٤،ص١٧٣-١٧٤؛ ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،جـ٢،ص٣٩-٤١).

[٢] السلطان غياث الدين محمد بن أرغون بن ابغا بن هولاكو، تولى أمور السلطنة بعد وفاة أخيه السلطان محمود قازان سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م، توفي سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م (ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة،جـ٥،ص١١٣-١١٤).

[٣] هو السلطان محمد قازان بن ابغا بن هولاكو، تولى أمور السلطنة سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٥م ودخل في الدين الإسلامي سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٦م وهو أول من اسلم من أمراء المغول، توفي سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م (ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة،جـ٤،ص٢٤٨-٢٥١).

[٤] قاضي شيراز وصاحب الكرامات، وقد ذكر ابن بطوطة(الرحلة،ص٢١٥-٢١٦) قصته عندما كان في شيراز وكيف أمر السلطان خربندا برميه إلى الكلاب، لكن الكلاب آبت ولم تهجم عليه.

[٥] تولى أمور السلطنة وعمره أحد عشر عاماً (ابن كثير:البداية والنهاية،جـ١٤،ص٧٧).

محمد بن خواجه رشيد[1] وكان أبوه من مهاجرة اليهود، واستوزره السلطان محمد خذابنده والد أبي سعيد، رأيتهما يوماً بحراقة في الدجلة، وتسمى عندهم الشبارة، وهي شبه سلورة، وبين يديه دمشق خواجه ابن الأمير جوبان المتغلب على أبي سعيد، وعن يمينه وشماله شبارتان فيهما أهل الطرب والغناء، ورأيت من مكارمه، في ذلك اليوم، انه تعرض له جماعة من العميان فشكوا ضعف حالهم، فأمر لكل واحد منهم بكسوة وغلام يقوده ونفقة تجرى عليه.

ولما ولي السلطان أبو سعيد، وهو صغير كما ذكرناه، استولى على أمره أمير الأمراء الجوبان[2]، وحجر عليه التصرفات حتى لم يكن بيده من الملك إلا الاسم، ويذكر انه احتاج في بعض الأعياد إلى نفقة ينفقها، فلم يكن له سبيل اليها، فبعث إلى أحد التجار فأعطاه من المال ما احب، ولم يزل كذلك إلى أن دخلت عليه يوماً زوجة أبيه دنيا خاتون، فقالت له: لو كنا نحن الرجال ما تركنا الجوبان وولده على ما هما عليه، فأستفهمها عن مرادها بهذا الكلام، فقالت له: لقد انتهى أمر دمشق خواجه بن الجوبان أن يفتك بحرم أبيك، وانه بات البارحة عند طغى خاتون، وقد بعث اليّ وقال لي: الليلة أبيت عندك، وما الرأي إلا أن تجمع الأمراء والعساكر، فإذا صعد إلى القلعة مختفياً برسم المبيت أمكنك القبض عليه، وأبوه يكفي الله أمره.

وكان الجوبان إذ ذاك غائباً بخراسان، فغلبته الغيرة وبات يدبر أمره، فلما علم أن دمشق خواجه بالقلعة أمر الأمراء والعساكر أن يطيفوا بها من كل ناحية، فلما كان بالغد وخرج دمشق ومعه جندي يعرف بالحاج المصري، فوجد سلسلة معرضة على باب القلعة وعليها قفل لم يمكنه الخروج راكباً فضرب الحاج المصري السلسلة بسيفه فقطعها وخرجا معاً، فأحاطت بهما العساكر ولحق أمير من الأمراء الخاصكية يعرف بمصر خواجه وفتى يعرف بلؤلؤ دمشق خواجه فقتلاه، واتيا الملك أبا سعيد برأسه،

---

[1] محمد بن فضل الله بن أبي الحسن بن غياث الدين ابن الوزير رشيد الدين الهمذاني، استوزره السلطان أبو سعيد بعد وفاة وزيره علي شاه، وفوض إليه مقاليد المالك والأمور حتى صار في مرتبة الوزير السلجوقي نظام الملك، اشتهر بحبه للعلم ومصاحبة العلماء، توفي سنة ٧٣٦هـ/ (ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة، جـ ٥،ص٢٩٤-٢٩٥).

[2] نائب والد السلطان أبي سعيد، ومدبر الجيوش والممالك، توفي مقتولا سنة ٧٢٦هـ (ابن كثير:البداية والنهاية،جـ١٤،ص١٤٠).

فرميا به بين يدي فرسه، وتلك عادتهم أن يفعلوا برأس كبار أعدائهم، وأمر السلطان بنهب داره وقتل من قاتل من خدامه ومماليكه، واتصل الخبر بأبيه الجوبان، وهو بخراسان ومعه أولاده: حسن، وهو الأكبر، وطالش، وجلوخان، وهو أصغرهم وهو ابن أخت السلطان أبي سعيد من أمه ساطي بك بنت السلطان خذابنده، ومعه عساكر التتر وحاميتها، فاتفقوا على قتال السلطان أبي سعيد وزحفوا إليه، فلما التقى الجمعان هرب التتر إلى سلطانهم وافردوا الجوبان، فلما رأى ذلك نكص على عقبيه وفر إلى صحراء سجستان وأوغل فيها، واجمع على اللحاق بملك هراة غياث الدين مستجيراً به ومتحصناً بمدينته، وكانت له عليه أياد سابقة، فلم يوافقه ولداه حسن وطالش على ذلك وقالا له: انه لا يفي بالعهد، وقد غدر بفيروز شاه بعد أن لجأ إليه وقتله. فأبى الجوبان إلا أن يلحق به، ففارقه ولداه، وتوجه ومعه ابنه الصغير جلوخان، فخرج غياث الدين لاستقباله وترجل له وادخله المدينة على الأمان ثم غدره بعد أيام، وقتله وقتل ولده، وبعث برأسيهما إلى السلطان أبي سعيد، وأما حسن وطالش فإنهما قصدا خوارزم وتوجها إلى السلطان محمد اوزبك فأكرم مثواهما وأنزلهما إلى أن صدر منهما ما أوجب قتلهما فقتلهما، وكان للجوبان ولد رابع اسمه الدمرطاش، فهرب إلى ديار مصر فأكرمه الملك الناصر وأعطاه الإسكندرية فأبى قبولها وقال: انما أريد العساكر لأقاتل أبا سعيد، وكان متى بعث إليه الملك الناصر بكسوة أعطى هو للذي يوصلها إليه احسن منها ازراء على الملك الناصر، واظهر اموراً أوجبت قتله فقتله، وبعث برأسه إلى أبي سعيد، وقد ذكرنا قصته وقصة قراسنقور فيما تقدم، ولما قتل الجوبان جيء به وبولده ميتين فوقف بهما على عرفات وحملا إلى المدينة ليدفنا في التربة التي اتخذها الجوبان بالقرب من مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فمنع من ذلك ودفن بالبقيع، والجوبان هو الذي جلب الماء إلى مكة، شرفها الله تعالى.

ولما استقل السلطان أبو سعيد بالملك أراد أن يتزوج بنت الجوبان، وكانت تسمى بغداد خاتون[1]، وهي من اجمل النساء، وكانت تحت الشيخ حسن[2] الذي تغلب بعد موت أبي سعيد على الملك، وهو ابن عمته، فأمر فنزل عنها وتزوجها أبو سعيد

---

[1] قتلت سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م (ابن حجر العسقلاني:الدرر الكامنة،جـ١،ص٤١٣).

[2] هو السلطان حسن بن اقبغا المعروف بـ (حسن الكبير) مؤسس الأسرة الجلائرية التي حكمت في أعقاب الايليخانيين، توفي سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٥م.

وكانت أحظى النساء لديه، والنساء لدى الأتراك والتتر لهن حظ عظيم، وهم إذا كتبوا امراً يقولون فيه عن أمر السلطان والخواتين، ولكل خاتون من البلاد والولايات المجابي العظيمة، وإذا سافرت مع السلطان تكون في محلة على حدة، وغلبت هذه الخاتون على أبي سعيد وفضلها على سواها، وأقامت على ذلك مدة أيام، ثم انه تزوج امرأة تسمى دلشاد[1] فأحبها حباً شديداً وهجر بغداد خاتون فغارت لذلك، وسمته في منديل مسحته به بعد الجماع، فمات وانقرض عقبه، وغلبت أمراؤه على الجهات كما سنذكره.

ولما عرف الأمراء أن بغداد خاتون هي التي سمته اجمعوا على قتلها، وبدر لذلك الفتى الرومي خواجه لؤلؤ، وهو من كبار الأمراء وقدمائهم، فأتاها وهي في الحمام فضربها بدبوسه وقتلها، وطرحت هنالك اياماً مستورة العورة بقطعة تليس واستقل الشيخ حسن بملك عراق[2]العرب، وتزوج دلشاد امرأة السلطان أبي سعيد كمثل ما كان أبو سعيد فعله من تزوج امرأته.

---

[1] ابنة دمشق خواجه ابن جوبان.

[2] مع أن ابن بطوطة زار بغداد سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م، إلا انه يشير إلى الوضع السياسي الذي كان سائداً ولا سيّما بعد وفاة السلطان أبي سعيد سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م!.

وصف ابن عبد الحق البغدادي(*)
مدينة بغداد

بغداد، كانت أم الدنيا وسيدة البلاد، فيها سبع لغات: بغداد وبغداذ وبغذاد، ومغداد ومغداذ، ومغدان وبغدان، وهي في اللغات كلها تذكر وتؤنث، وكانت في زمن الفرس قرية تقوم بها سوق للفرس، فأغار عليها المثنى في أيام سوقهم، فانتسفها(1)، قال أحمد بن حنبل: بغداد من الصراط إلى باب التبن(2)، ثم انتقلت إلى الجانب الشرقي من الشماسية إلى كلواذي، وكانت عظيمة فخربت باختلاف العساكر إليها واستيلائهم على دور الناس وأمتعتهم، فلم يبق من الجانب الغربي إلا محال متفرقة، اعمرها الكرخ، وخرب من الجانب الشرقي من الشماسية إلى المخرّم، وبنى السور على ما بقي منه على جانب دجلة حتى جاء التتر إليها فخرب أكثرها، وقتلوا أهلها كلهم، فلم يبق منهم غير آحاد كانوا أنموذجا حسناً، وجاءها أهل البلاد فسكنوها وباد أهلها، وهي الآن غير التي كانت، وأهلها غير من عهدناهم، والحكم لله تعالى.

(*) صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، (تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٥٤م، جـ١، صفحة ٢٠٩).

(1) ينظر: الطبري (تاريخ،جـ٣،ص٤٧٣-٤٧٤).

(2) ورد ذلك ايضاً عند الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٧١).

رحلة الرحالة الفارسي
حمد الله مستوفي القزويني(*) الى بغداد
سنة ٧٤٠هـ/١٣٤٠م

في الإقليم الثالث، وهي المدينة العاصمة للعراق العربي. تأسست في الأزمنة الإسلامية، وتقع على ضفة نهر دجلة وطولها من جزائر السعيدات أو الخالدات ٧٧ درجة وعرضها شمال خط الاستواء ٣٣ درجة، وفي أيام خسرو كان هناك في الموضع الذي شغلته بغداد الآن، قرية على الضفة الغربية من نهر دجلة تعرف كرخ(١) التي بناها سابور الثاني وعلى الضفة الشرقية من دجلة تقع ساباط(٢) وهي قرية من توابع النهروان، وفي السهل الواقع شمال هذه القرية خطط خسرو انو شروان حديقة التي أعطاها اسم حديقة المعدل وهي Bagh-I Dad ثم صار الاسم بعد ذلك بغداد ليكون اسما مخصصاً وملائماً للموضع. ويطلق العرب عليها اسم مدينة السلام ويطلق الفرس عليها اسم الزوراء.

المنصور حفيد حفيد العباس عم النبي وكان ثاني خليفة من الخلفاء العباسيين ويكنى بأبي الدوانيق (لشدة بخله) قد أسس المدينة في سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م على الضفة الغربية للنهر، وشيّد عدة مباني وعند بداية أعمال البناء كان إشارة Sign القوس في

(*) ترجم الرحلة الدكتور عبد الجبار ناجي من كتاب نزهة القلوب بالإنكليزية:
Nuzhat –AL- Qulub , By Hamd –Allah Mustawfi al – Qazwini in 740 H./1340 Tram stated by G. Le Strange London 1919 P.39-43.

(١) الكرخ عند ياقوت الحموي نبطية ويرى الأستاذ ستريك أنها آرامية (كركا) وتعني المدينة الحصينة، وفي بغداد فان الكرخ هو المحلة التي نقل إليها المنصور الأسواق إلى خارج المدينة المدورة، ويبدو أن حمد الله القزويني يقصد بالقرية بغداد كانت قرية وسوق قبل أن تبنى مدينة السلام ورد ذكرها سنة ١٢ هـ/٦٣٣م ينظر: (ياقوت الحموي:معجم البلدان،جـ١،ص٤٥٧ وجـ٤ ص٤٤٨؛كذلك مقالة:.El (al Karkh) بقلم M. Streck and J-Lassnar, vol. IV, p652.

(٢) ساباط ربما التي يقصدها ساباط كسرى بالمدائن، والساباط عند العرب سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ، فهي ليست كما وصفها حمد الله القزويني تقع مقابل الكرخ على ضفة الغربية دجلة الشرقية وكأن بغداد المنصور قد شغلت موضعها ينظر:(ياقوت الحموي:معجم البلدان،جـ٣،ص١٦٦).

صعود أو في ارتفاع، وقد حول ابنه المهدي محل إقامته، قصره، إلى الضفة الشرقية وبنى هناك القصر الجديد للخلافة وأحاطه بأرباع سكنية أخرى حيث قام ابنه هارون عند تسلمه الخلافة بإكماله بعد عمل مجهود كبير، هذا هو إذن حجم المدينة التي امتدت بيوتها إلى مسافة الربعة فراسخ طولا على امتداد ضفاف النهر وفرسخ ونصف عرضا، وفي عهد ابنه الخليفة المعتصم الذي كان بخدمته غلمان اتراك كثر، وقد صار هؤلاء الأتراك مصدر إزعاج لأهالي بغداد، نقل المعتصم كرسي الخلافة إلى سلمراء، حيث مضى المعتصم في تشييد الكثير من القصور، وحكم هنا في سامراء سبع خلفاء من أحفاده وأحفاد احفاده وهم: الواثق والمتوكل والمستنصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد حتى جاء عهد المعتضد حفيد المتوكل(وهو الخليفة العباسي السادس عشر) فنقل كرسي الخلافة ثانية إلى بغداد.

وجميع الخلفاء الذين جاءوا بعد زمن المعتضد قد مكثوا في بغداد وبالتتابع، إذ بنيت في عهد الخليفة المقتفي الدار الشاطئية وهو القصر الواقع على نهر دجلة وكذلك بني المسجد الكبير في بغداد الشرقية، وحينما جاء عهد الخليفة المستظهر (الخليفة العباسي الثامن والعشرين) شيّد حول مدينة بغداد السور من الطابوق المحروق وأحاطه بخندق وكانت استدارة هذا السور الذي يطوق بشكل دائري الربع أو المحلة المعروفة بالحريم المزدوج[١] Double- Haram للجهة الشرقية ١٨٠٠٠خطوة، فشرق بغداد إذن له أربعة أبواب هي: باب خراسان[٢] (أو باب طريق خراسان) وباب الخلج وباب الحلبة وباب سوق السلطان.

وتقع على الجانب الغربي محلة تعرف كرخ وان السور الذي يحيطها كان مبنياً بالطابوق المحروق بالاتون Kiln burnt، وكان مناخ بغداد ممتازاً قريباً من الدفء

---

[١] لم أجد أحدا من الذين وصفوا بغداد يذكر الحريم المزدوج، ولعله يقصد هنا حريم دار الخلافة في الجانب الشرقي لا الحريم الطاهري في الجانب الغربي (المترجم).

[٢] السور الذي شيده الخليفة المسترشد له أربعة أبواب هي: باب السلطان وهو يوافق باب سوق السلطان عند القزويني وباب الحلبة يوافق ما ذكره القزويني أيضا ويبدو أن باب خراسان أو باب طريق خراسان هو المعروف بباب الظفرية عند الشيخ عمر السهروردي وهو الباب الوسطاني، أما الباب الرابع المعروف فهو باب البصلية أو باب كلواذي ولم يرد انه يسمى باب الخلج،ينظر:(دليل خارطة بغداد،ص١٦٠،١٦١).

غير انه معتدل، وهي مفتوحة إلى الشمال، وهذا المناخ موافق للأجانب والأهالي لكنه يوافق النساء اكثر من الرجال.

وفي أغلبية الفصول فإن المؤونة، المؤن، رخيصة في بغداد فالشحة والندرة غير معروفة ونادرة وحتى حينما تقع فإن هذه الندرة غير شاملة أو عامة وفي حينها تكون المؤن محلياً اكثر غلاء نسبياً، وفواكهها فواكه المناخ الدافئ وموجودة بكثرة أو وفرة وهي جيدة نظير التمر المكتوم والتمر المعروف بالخستاوي والرمان الدراجي والعنب المورقي ونظيره لا يوجد في أي بلاد أخرى، أما الفواكه فواكه المناخ البارد فهي لا تنضج هنا نضوجا ممتازاً، أما القطن والذرة فينموان نمواً جيداً، وكذلك الحبوب الأخرى، ولذلك فإن المن الواحد من الحبوب وفي جميع فصول السنة يقدم محصولا يقدر بعشرين منّا في الوزن، وهذا ما هو معروف فيما يخص الإزكاء والإنماء وفي هذا البلد أيضا شجرة الطرفاء (Gaz)[١] التي يصل حجمها إلى درجة أن محيط جذعها يقاس بقامتين إلى ثلاث قامات، وان شجرة الخروع هي كبيرة جداً، إذ أن رجلاً يمكنه الجلوس على غصنها من دون أن تتكسر.

أما أراضي الصيد بالقرب من بغداد فهي كثيرة وممتازة ووافرة الصيد، وحول البلد سهل الكلأ فيه وافر وغني، والأكثر من هذا فإن محاصيل هذا الإقليم (أو المنطقة) كثيرة ووفيرة جداً في نموها وإنها لكثرتها ما لم تستهلك أو تؤكل بعد الحصاد فإنها لن تعطي نتائج وفيرة، ولهذا السبب فإن الماشية في هذه المنطقة سمينة جداً.

ونهر دجلة يجري عبر المدينة، أما القناة التي تعرف بنهر عيسى فيأتي من الفرات ليلتقي بدجلة في بغداد، وعلى بعد فرسخين اسفل المدينة هناك قناة النهروان، ومن ثم يجري نهر دجلة جنوباً إلى واسط، ومجراه في بغداد يعد شيئاً جميلاً لمشاهدته من عدد من الزوارق والمناظر (انه كطريق حليبي والنجوم في الليل).

فإنه أمر مسل جداً للتأمل، مع انه في الحقيقة فإن هذه الفرحة والسرور لا تستحق المخاطرة بالموت عبر الغرق، والآبار في بغداد ذات مياه مالحة ومجة، ومياهها في اكثر الأقسام تقع على عمق بحوالى خمسة عشر ذراع، ومع ذلك فإن مياه الآبار تستخدم لغسل الملابس والتطهير أو الغسل فقط، والأهالي هنا ذو طلعة بهية يتمتعون بالوسامة وانهم سهلي الطباع ولهم أخلاق لطيفة غير أن الكسل يسيطر على طراز

---

(١) لا يفهم منها شجرة القز، فالطرفاء شيء وشجرة دودة القز أمر آخر.

حياتهم أو طبيعتهم، فهم يقضون أوقاتهم بالراحة، فالحياة سهلة فيما يخص الغني لتوفر عوامل الراحة، وان أي حاجة يريدها الغني لتحقيق حياة جيدة بإمكانه الحصول عليها بسهولة، غير أن الفقير بحصوله على دراهم نحاسية معدودة تكفي لحياته لقناعته.

أغلبية الناس في بغداد يتصفون بالبدانة في أجسامهم، وتصل البدانة عندهم في بعض الأوقات إلى درجة كبيرة، إذ أن خبازاً خلال عهد السلطان اولجتو Uljaytu كان معتاداً على الجلوس في السوق، سوق محلة النظامية، قد وزن بأمر السلطان فكان وزنه يزيد على ٧٤٠ رطلاً[1] بغدادياً (باوند).

لسان أهالي بغداد عربي مع ما فيه من لحن، ولما كانت بغداد المدينة العاصمة فإن المسلمين من جميع المذاهب كثر فيها والأغلبية منهم من السنة الشافعية مع أن الحنابلة أيضا كانوا متنفذين، في الوقت نفسه أن اتباع المذاهب الأخرى لا يحصون لكثرتهم، وان رباطات الدراويش والمدارس كثيرة جداً، وبين المدارس الماثلة مدرسة النظامية التي تعدّ أعظمها جميعاً والمدرسة المستنصرية هي من أكثر المباني في بغداد بهاءً و جمالاً، وحسبما يروى أو يقولون إن ميزة هذه المدينة انه لم يمت ضمن حدودها أي خليفة أو حاكم على الإطلاق.

وهناك خارج المدينة مشاهد كثيرة وأضرحة مقدسة، فهكذا هناك في الجانب الغربي مشاهد الكاظم وحفيده التقي (الإمام السابع والتاسع)، وهذا المكان الآن بلدة صغيرة قائمة لذاتها، وان استدارة هذه المدينة تقاس بـ ٦٠٠٠ خطوة، وهناك ايضاً في هذا الجانب الكثير من القبور الأخرى نظير قبر أحمد بن حنبل (الإمام) وقبور المتصوفة ابن الأدهم، وجنيد البغدادي والسري سقطي ومعروف الكرخي وشبلي والحلاج، وحارث المحاسبي وابن مسروق وابن محمد المرتعش وأبي الحسن الحصري وابي يعقوب البويطي شيخ تلاميذ الشافعي وكذلك الكثير من الشيوخ والعلماء الآخرين.

وفي الجانب الشرقي هناك قبر الإمام أبي حنيفة، بينما هناك في الرصافة التي كانت عبارة عن بلدة صغيرة تقف بمفردها قبور الخلفاء العباسيين وفي شرقي بغداد هناك قبور الشيخ شهاب الدين السهروردي وعبد القادر الكيلاني، والى الشمال من

---

[1] اعتماداً على ما ذكره هنتس (المكاييل،ص ٣٥)، من أن الرطل البغدادي يساوي ٤٠٦,٢٥غم، فإن وزن هذا الرجل ٣٠٠,٦٢٥ كغم !.

المدينة هناك أيضا يقع على بعد أربع فراسخ مشاهد الشيخ مكرم والشيخ سكران، والى جانب هذه القبور والمشاهد هناك الكثير جدا مما لا يمكن حصره.

والمسافات من بغداد إلى مختلف المدن في العراق العربي هي كالآتي:-

إلى الأنبار ١١ فرسخا، والى البصرة ٧٠ فرسخا، والى بعقوبا ٨ فراسخ والى تكريت ٣٢ فرسا والى مدينة النهروان ٥ فراسخ والى النعمانية ٨ فراسخ والى الحلة ١٨ فرسخا والى حديثة ٥٨ فرسخا والى حلوان ٣٥ فرسخا والى سامرا ٢٢ فرسخا والى الكوفة ٢٤ فرسخا والى المدائن ٦ فراسخ والى جبل ١٠ فراسخ والى واسط ٤٠ فرسخا.

وفي الوقت الراهن فإن واردات أراضي بغداد تخصص إلى بيت المال وهي تقدر تقريبا بـ ٨٠٠,٠٠٠ دينار [١] وفوق ذلك فإن المناطق الواقعة حول المدينة مباشرة وتعرف بأسمها الخاص والإداري أفران شاه أو المقاطعات وان المدن أو البلدات الأخرى في الإقليم - العراق العربي- فهي سوف تسمى الآن حسب الحروف الأبجدية، وفيما يخص بغداد فإن الشعراء العرب والفرس على حد سواء قد كتبوا الكثير من الأشعار بحقها فهذا أثير الدين اوماني يقول:

إذا أنت لم تشاهد العالم جميعا في بقعة واحدة
وترى ذلك العالم جميعا يحيا في بحبوحة أو رخاء
فكن مثل الشمس، التي كلها وجه بعين واحدة
وتنظر إلى بغداد فإنك سوف تراها تشبه السماء تحيط بالثريا

وتستمر هذه القصيدة الطويلة نوعا ما.

والشاعر انوري Anuari أيضا يقدم لنا هذه الأبيات:

كم هي مسرة أطراف بغداد، المكان للفضيلة والموهبة
ففي جميع العالم لا يستطيع المرء أن يؤثر إلى بقعة أخرى كهذه

وتستمر هذه القصيدة أيضا، وفوق هذا قال الشاعر العربي:

---

[١] الواضح أن هناك انقطاعا بين الجملة التي تؤشر إلى معدل إيرادات بغداد وبين الجملة اللاحقة التي لا تتعلق بها.

بغداد أرض لأهل المال طيبة   وللمفاليس دار الفنك والضيق

وأخيراً فإنني ايضاً كتبت هذه الرباعية:

بغداد هي الأرض الطيبة، ولكنها طيبة له فقط

ذلك الذي لديه الوسائل لتحـــقيق رغبات قلبه

مثل هذا المرء يمكن أن يقضي حـــياته الغالية[1]

مع نديم، وبذلك لن يفقد لحظة واحدة من شباب

وهناك كثير من الأوصاف الأخرى بحق بغداد قد عبر عنها وقد جالت من ذهني، لكــن هذه النماذج القليلة سوف تفي بالغرض.

---

[1] لقد تصرفت في ترجمة الإشعار بالترجمة الحرفية ما عدا ما ورد في البيت الــذي قالــه الشــاعر العربي فقد اعتمدت ما ذكره ياقوت الحموي للبيت نفسه (ينظر :معجم البلدان، جــ١ ،ص٤٦٤).

وصف الحميري[*]
مدينة بغداد

بغداد: دار مملكة خلفاء بني العباس، وفيها أربع لغات: بغداد بداليـــن مــهملتين وبغداد معجمة الأخيرة، وبغدان بالنون، مغدان بالميم بدلاً من الباء، وتذكـر وتؤنـث، قالوا: وبغداذ بالفارسية عطية الصنم لأن بغ صنم وداذ عطية، ولذلك كره الأصمعـي هذه التسمية، وكانت قرية من قرى الفرس فأخذها أبو جعفر غصباً[1] فبنى فيها مدينـة، وقال الجرجاني: باغ بالفارسية هو البستان الكثير الشجر، وداذ معطي، فمعناه معطـي البستان، قال أبو عثمان النهدي: كنا نسير مع جرير بن عبد الله البجلي حتى انتهى إلـى موضع فقال: أي موضع هذا ؟ قالوا: قطربل، فحرك دابته ثم قال: سمعت النبي صلـى الله عليه وسلم يقول: تبنى مدينة بين دجلة والدجيل والصراة وقطربـل يجبـى إليـها خراج كل أرض وتجمع إليها جبابرة الأرض، وفي رواية يخسف بها (كذا احسب)[2].

وسميت بغداد لأنه اهدي إلى كسرى خصي من المشرق وكان له صنم يقال لــه بغ، فقال الخصي: بغداذي أي أعطاني الهي يعني الصنم، ولـــهذا كـان المتورعـون يكرهون أن يسموا بغداذ بهذا الاسم ويقولون: بغداد بالدال المهملة[3].

وكان أبو جعفر المنصور بعث رجالاً سنة خمس وأربعين ومائة يطلبـــون لــه موضعاً يبني فيه مدينة فطلبوا فلم يرضوا موضعاً حتى جاء موضعاً بالصراة وقـال: هذا موضع أرضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة والصراة.

وكان أبو جعفر هذا هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بنـى مدينة بين الكوفة والجزيرة سماها الهاشمية فأقام بها مدة إلى أن عزم على توجيه ابنـه

---

[*] أبو عبد الله، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (توفي على الأكثر سنة ٩٠٠هـ/١٥٩٤م): الـروض المعطار في خبر الأقطار، (تحقيق الدكتور احسان عباس، الطبعة الثانية، بـيروت ١٩٨٤، مـن صفحة ١٠٩-١١٢)

[1] اعتماداً على الطبري(تاريخ،جـ٧،ص٦١٩) فإن الخليفة أبا جعفر عوّض أصحاب هذه القرية.

[2] وكما سبق قوله، فان الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٣٤-٣٨) قد بيّن ضعف هذا الحديث مـن خلال تجريح رواته.

[3] ينظر :الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص٥٨).

محمد المهدي لغزو الصائفة في سنة أربعين ومائة فصار إلى بغداد فوقف بها وقال: ما اسم هذا الموضع؟ فقيل: بغداد، فقال: هذه والله المدينة[1] التي أعلمني أبي محمد بن علي أني ابنيها وأنزلها وينزلها ولدي من بعدي، ولقد غفلت عنها الملوك في الجاهلية والإسلام حتى يتم تدبير الله تعالى وحكمه فيّ، تصح الروايات وتبيّن الدّلالات والعلامات تأتيها الميرة في الدجلة والفرات من واسط والأبلة والأهواز وفارس وعمان واليمامة وما تتصل بذلك، وكذلك ما يأتي من الموصل وديار ربيعة وأذربيجان وأرمينية والرقة والشام، ورأى أبو بكر الهذلي سفيان بن عيينة ببغداد: بأي ذنوبك دخلتها؟ وقيل الرجل: كيف رأيت بغداد؟ فقال: الأرض كلها بادية وبغداد حاضرتها، وقال آخر: لو أن الدنيا خربت وخرج أهل بغداد لعمروها.

وكان فراغ المنصور من بنائها ونقل الخزائن إليها والدواوين وبيوت الأموال سنة ست واربعين ومائة، وكان استتمامه لجميع أمر المدينة سنة تسع وأربعين[2] وقال أحمد بن أبي يعقوب:[3] بغداد وسط العراق، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ولا في مغاربها سعة وجلالة وكبراً وعمارة وكثرة مياه وصحة هواء، سكنها أهل الأمصار والاكور وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم، يجري في حافتيها النهران الأعظمان دجلة والفرات، فتأتيها التجارات والميرة برّاً وبحراً بأيسر السعي حتى تكامل فيها كل متجر من المشرق والمغرب من ارض الإسلام وغير ارض الإسلام، فإنه يحمل إليها من الهند والسند والصين والتبت والترك والديلم والخزر والحبشة وسائر البلدان القاصية والدانية حتى يكون بها من التجارات اكثر مما في البلدان التي خرجت التجارات منها إليها، وهي مدينة بني هاشم ودار مملكتهم ومحل سلطانهم، لم يستبد بها أحد قبلهم ولم يسكنها سواهم، وهي وسط الدنيا لأنها من الإقليم الرابع، وهو الإقليم الأوسط الذي يعتدل فيه الهواء في جميع الأزمان والفصول، فيكون الحر شديداً في أيام القيظ والبرد شديداً في أيام الشتاء، ويعتدل الفصلان الربيع والخريف، قال: وباعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوهم وانفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس

---

[1] من هذه الفقرة، يقتبس الحميري مادته عن بغداد من كتاب البلدان لليعقوبي (ص٢٣٧-٢٣٨).

[2] الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١ ،ص٦٧).

[3] يقصد اليعقوبي، ينظر البلدان:(ص٢٣٣-٢٣٥).

في العلم والفهم والنظر والتميز والتجارات والحذق بكل مناظر وأحكام كل مهنة وإتقان كل صناعة، فليس عالم أعلم من عالمهم ولا أروى من رواتهم ولا أجدل من متكلمهم ولا أعرب من نحويهم ولا أفصح من قارئهم ولا أمهر من طبيبهم ولا أحذق من مغنيهم ولا ألطف من صانعهم ولا أكتب من كاتبتهم ولا أبين من منطيقهم ولا أعبد من عابدهم ولا أروع من زاهدهم ولا أفقه من حاكمهم ولا أخطب من خطيبهم ولا أشعر من شاعرهم ولا أفتك من ماجنهم.

وكانت بغداد في أيام الاكاسرة قرية من قرى طسوج بادوريا، ومدينة الاكاسرة إذ ذاك المدائن من مدن العراق وهي من بغداد على سبعة فراسخ وبها إيوان كسرى انو شروان، ولم تكن بغداد إلا ديراً على مصب الصراة، ولم يكن ببغداد لملك اثر قديم ولا حديث، أما ملك العرب فبدأ اولاً بالحجاز ثم استقر بدمشق من أيام معاوية رضي الله عنه لا يعرف بنو أمية غيرها، فلما جاء أبو العباس السفاح عرف فضل العراق وتوسطها في الدنيا وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فنزل الكوفة أول مدة ثم انتقل إلى الأنبار فبنى بأعلى شاطئ الفرات الهاشمية وتوفي قبل أن تستتم المدينة، ثم كان من بنيان أبي جعفر لبغداد ما كان، ووضع الأساس وضرب اللبن العظام وحفرت الآبار، وعملت القناة التي من نهر كرخايا وهو الآخذ من الفوات وأجريت إلى داخل المدينة للشرب ولضرب اللبن، وجعل للمدينة أربعة أبواب: باب الكوفة وباب البصرة وباب خراسان وباب الشام، وبين كل باب منها إلى الآخر خمسة آلاف ذراع بالذراع السوداء، وعلى كل باب منها بابا حديد عظيمان جليلان لا يغلق الباب الواحد منهما ولا يفتحه إلا جماعة ورجال، يدخله الفارس بالعلم والرمح الطويل من غير أن يثنيه ولا يميله، وجعل عرض أساس السور تسعين ذراعاً ثم ينخرط حتى يصير في أعلاه خمسة وعشرون ذراعاً وارتفاعه ستون ذراعاً مع الشرفات، وحول السور فصيل عظيم بين حائط السور وحائط الفصيل مائة ذراع، وبالفصيل أبرجة عظام وعليه الشرفات المدورة، وحدد لهم أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعاً وان يبنوا في جميع الأرباض والدروب من الأسواق والمساجد والحمامات ما يكتفي به أهل كل ناحية ومحلة، وأمرهم أن يجعلوا قطائع القواد والجند ذرعاً معلوماً وللتجار ذرعاً معلوماً يبنونه وينزلونه، ولسوقة الناس أهل البلدان، وآخر ما بنى القنطرة الجديدة وبها أسواق كثيرة فيها سائر التجارات مادة متصلة، ثم ربض وضاح مولى أمير المؤمنين المعروف بقصر وضاح حاجب خزانة السلاح، وهناك أسواق، واكثر

من كان فيه في هذا الوقت القريب الوراقون أصحاب الكتب فإن به اكثر من مائة حانوت للوراقين.

والكرخ السوق العظمى مادة من قصر وضاح إلى سوق الثلاثاء طولاً مقدار فرسخين، وكل تجارة لها تجارة معلومة، في تلك الشوارع حوانيت، وليس يختلط قوم بقوم ولا تجاور تجارة تجارة، وأحصيت الدروب والسكك فكانت ستة آلاف درب وسكة، وأحصيت المساجد فكانت ثلاثين ألف مسجد سوى ما زاد بعد ذلك، وحفرت القناة التي تأخذ من الفرات في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها، فتدخل المدينة وتنفذ في أكثر شوارعها، وشوارع الأرباض صيفاً وشتاءً قد هندست هندسة لا ينقطع الماء عنها في وقت، وقناة اخرى من دجلة على هذا المثال سماها دجيلاً، وجر لأهل الكرخ وما اتصل به نهراً يسمى نهر الدجاج لأن أصحاب الدجاج كانوا يقعدون عنده، ونهر عيسى الأعظم الذي يأخذ من معظم الفرات تدخل فيه السفن العظام التي تأتي من الرقة ويحمل فيها الدقيق والتجارات من الشام ومصر، وتصير إلى فرضة عليها الأسواق وحوانيت التجار لا تنقطع صيفاً ولا شتاءً ولهم الآبار التي يدخلها الماء من هذه القنوات، وانما احتيج إلى هذه القنوات لكبر البلد وسعته، وإلا فهم بين دجلة والفرات من جميع النواحي تتدفق عليهم المياه حتى غرسوا النخل الذي حمل من البصرة وغيرها فصار ببغداد اكثر منه بالبصرة والكوفة والسواد، وغرسوا الأشجار فأثمرت ثمرات عجيبة وكثرت البساتين والجنات في أرض بغداد من كل ناحية لطيب المياه وطيب الأرض، وعمل فيها كل ما يعمل في بلد من البلدان، لان حذاق أهل الصناعات انتقلوا إليها من كل بلد واتوها من كل أفق ونزعوا إليها من الأداني والأقاصي، فهذا الجانب الغربي من بغداد وهو جانب الكرخ وجانب الارباض، وفي كل طرف منه مقبرة وقرى متصلة وعمارات مادة.

والجانب الشرقي من بغداد نزله المهدي بن المنصور وهو ولي عهد أبيه وابتدأ بناءه سنة ثلاث وأربعين ومائة[1]،واختط المهدي قصوره بالرصافة إلى جانب المسجد الجامع الذي بالرصافة وحفر نهراً يأخذ من النهروان سماه نهر المهدي يجري في هذا

---

[1] فات على هذا الجغرافي انه قبل هذا التاريخ ذكر أن الخليفة المنصور اختار موضع بغداد سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م وهو بالتأكيد مخالف لرأي اليعقوبي (مصدر مادته عن بغداد)، لكن التاريخ المذكور أعلاه يؤكد ما ذكره اليعقوبي (البلدان،ص٢٥١)! ؟

الجانب، واقطع المهدي أخوته وقواده بعد من اقطع في الجانب الغربي وهو جانب مدينته، وقسمت القطائع في هذا الجانب، وتنافس الناس في النزول مع المهدي لمحبتهم له ولتوسعته عليهم ولأنه كان أوسع الجانبين أرضا، وفي الجانب الشرقي الذي نزله المهدي أربعة آلاف درب وسكة وخمسة ألف مسجد سوى ما زاد الناس وخمسة آلاف حمام سوى ما زاد الناس بعد ذلك، وانتقل المعتصم إلى سر من رأى في سنة ثلاث وعشرين ومائتين واتصل مقامه بها مدة حياته وأيام الواثق والمتوكل، ولم تخرب بغداد ولا نقصت أسواقها لأنهم لم يجدوا منها عوضاً ولأنه اتصلت العمارة والمنازل بين بغداد وسر من رأى.

قال أحمد بن أبي طاهر: اخذ الطول من الجانب الشرقي من بغداد للأمير الناصر لدين الله عند دخوله مدينة السلام فوجده مائتي حبل وخمسين حبلاً وعرضه مائتي حبل وخمسة احبل، تكون ستة وخمسين ألف جريب ومائتين وخمسين جريباً، ووجد طول الجانب الغربي مائتين وخمسين حبلاً وعرضه خمسين حبلاً، ويكون ذلك سبعة عشر ألف جريب وخمسمائة جريب، فجميع ذلك ثلاثة وسبعون ألف جريب وسبعمائة جريب وسبعون جريباً[1].

وحكى الهيثم بن عدي، أن المنصور لما جلس في قصره بباب الذهب أذن لرسل ملك الروم فدخلوا عليه، فقال لرسول ملك الروم، هل ترى عيباً قال: نعم عيوباً ثلاثة، قال: ما هي ؟ قال: النفس خضراء عندك، والحياة في الماء ولا ماء عندك، وعدوك مخالطك ومطلع على سرك، قال: أما الماء فحسبي منه ما بلغ الشفة، واما الخضرة فللجد خلقت لا للعب، وأما السر فلا ابالي علم سري رعيتي أم ولدي وخاصتي، فأمسك الرومي عن الكلام[2]، ثم تعقب أبو جعفر الرأي، فرأى أن القول ما قال، فـاتخذ العباسية وأجرى القناة من دجلة وافرق السوق عن المدينة، فلما فعل ذلك جلس في قصره الخلد نظر إلى التجار من البزّازين والصيرفي والقصاب وطبقات السوقة فتمثل بهذين البيتين:

---

[1] ينظر الخطيب البغدادي (تاريخ،جـ١،ص١٢٠).

[2] ينظر الخطيب (تاريخ،جـ١،ص٧٨).

كما قـــال الحمـــار لســـهم رام	لقد جمعت من شتى الأمـــر
جمعت جديدة وجمعت نصـــلا	ومن عقب البعير وريش نسـو

ثم قال: يا ربيع أن هذه العامة تجمعها كلمة وترأسها السفلة ولا أرينك معرضـــا عنها فإن إصلاحها يسير واصلاحها بعد فسادها عســـير، فأجمعـــها بالرهبـــة وامـــلأ صدورها بالهيبة وما استطعت من رفق بها واحسان إليها فافعل.

وفي هذا الذي ذكرناه من أولية بغداد كفاية وهي أعظم مما قيل واشهر حالا مما ذكر فلنقتصر على هذا القدر، ثم أن دولة بني العباس استمرت مـــن مبايعـــة الســـفاح بالكوفة يوم الخميس لثلاث عشرة خلون من ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة إلـــى أن ملكها التتر حين دخلوا العراق واستولوا على تلك الآفاق وقتلوا الخليفة المستعصم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً. المصادر

❖ ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين (ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م).

١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت ١٩٦٥.

❖ ابن الأثير، أبو الحسن علي الشيباني الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

٢- الكامل في التاريخ، تحقيق نخبة من العلماء،الطبعة الثانية،بيروت ١٩٦٧.

٣- اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت ١٩٨٠.

❖ الأشرف الغساني، أبو العباس عماد الدين (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م).

٤- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق شاكر عبد المنعم، بغداد ١٩٧٥.

❖ الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/٩٧٦م).

٥- الأغاني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، بيروت ١٩٦٣.

❖ الأصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٨هـ / ٩٥٩م).

٦- مسالك الممالك، ليدن ١٩٢٧.

❖ ابن اعثم، أبو محمد احمد الكوفي (ت٣١٤هـ/٩٢٦م).

٧- كتاب الفتوح، تحقيق نعيم زرزور، بيروت ١٩٨٦.

❖ ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين (ت ٥٧٧هـ / ١١٧٩م).

٨- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي، الطبعة الثالثة، الأردن ١٩٨٥.

❖ البخاري، أبو عبد الله اسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م).

٩- التاريخ الكبير، بيروت ١٩٨٦.

❖ ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م).

١٠- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق الدكتور احسان عباس، بيروت ١٩٧٩.

❖ ابن بطوطة،أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

١١- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروفة اختصاراً بـ (رحلة ابن بطوطة)، تحقيق كرم البستاني، بيروت ١٩٦٤.

❖ البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ /١٠٩٤م)
١٢- معجم ما آستعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق الدكتور جمال طلبة، بيروت ١٩٩٨.
❖ البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).
١٣- فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة ١٩٥٦.
١٤- جمل من أنساب الأشراف، تحقيق الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي، بيروت ١٩٩٦.
❖ البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨ م).
١٥- الآثار الباقية عن القرون الخالية، نسخة مصورة عن طبعة لايبزك ١٩٢٣.
❖ ابن تغري بردي، أبو المحاسن الأتابكي (ت ٨٧٤هـ /١٤٧١م).
١٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٧٠.
❖ ابن جُبير، ابو عبد الله محمد بن أحمد الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م).
١٧- رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة اختصاراً بـ (رحلة ابن جُبير، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٦).
❖ الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ /٩٤٢م).
١٨- الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة ١٩٣٨.
❖ ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).
١٩- المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق الدكتور سهيل زكار، بيروت ١٩٩٥.
❖ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين (ت ٨٥٢هـ /١٤٤٨م).
٢٠- الإصابة في تمييز الصحابة، نسخة مصورة عن طبعة دار السعادة، القاهرة ١٣٢٨هـ.
٢١- تقريب التهذيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ١٩٩٥.
٢٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان، حيدر اباد الدكن، الهند ١٩٧٢.

❖ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (توفي على الأكثر سنة ٩٠٠هـ/١٥٩٤م).

٢٣- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس، الطبعة الثانية،بيروت ١٩٨٤.

❖ ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي النصيبي (ت٣٦٧هـ / ٩٧٧م).

٢٤- صورة الأرض، بيروت ١٩٩٢.

❖ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).

٢٥- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، بيروت، د.ت.

❖ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٣م).

٢٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت ١٩٩٤.

❖ الدمياطي، أبو الحسن أحمد ابن أيبك (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م).

٢٧- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ١٩٩٥.

❖ الدينوري، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م).

٢٨- المعارف، بيروت ١٩٨٧.

❖ ابن رستة،أبو علي أحمد بن عمر (توفي أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).

٢٩- الاعلاق النفيسة، ليدن ١٨٩١.

❖ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ / ٨٤٤ م).

٣٠- الطبقات الكبرى، بيروت ١٩٦٨.

❖ سهراب (ابن سرابيون)، (توفي حوالى منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي).

٣١- عجائب الاقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، تحقيق هانس فونس مزيك، فيينا ١٩٢٩.

❖ السيوطي، أبو بكر جلال الدين (ت ٩١١هـ / ١٦٠٥م).

٣٢- طبقات الحفاظ، بيروت ١٩٨٢.

❖ الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م).

٣٣- الدّيارات، تحقيق كوركيس عواد، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٦٨.

❖ أبو شجاع، ظهير الدين محمد الروذرواري (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م).

٣٤- ذيل تجارب الأمم، تحقيق آمدروز، نسخة مصورة عن طبعة مصر، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٦٣.

❖ الشريف الأدريسي، أبو عبد الله محمد (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).

٣٥- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت ١٩٨٩.

❖ شيخ الربوة، أبو عبد الله شمس الدين الدمشقي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م).

٣٦- نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر، نسخة مصورة عن طبعة لايبزك ١٩٢٣.

❖ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م).

٣٧- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الطبعة الخامسة، القاهرة ١٩٨٧.

❖ ابن طقطقا (طقطقي) محمد بن علي الطباطبا (ت ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩م).

٣٨- الفخري في الآداب السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، د.ت.

❖ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).

٣٩- الإستيعاب في أسماء الأصحاب، بهامش كتاب الاصابة في تميز الصحابة، نسخة مصورة عن طبعة دار السعادة، مصر ١٣٢٨هـ.

❖ ابن عبد الحق،صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م).

٤٠- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٥٥.

❖ عبد الحي، أبو الفلاح بن أحمد العسكري الدمشقي (ت١٠٨٩هـ).

٤١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب،بيروت، د.ت.

❖ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م).

٤٢- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، بيروت ١٩٩٤.

❖ ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس الملطي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).

٤٣- تاريخ مختصر الدول، تحقيق الأب انطوان صلحاني، بيروت ١٩٥٨.

❖ أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ /١٣٣١م).

٤٤- تقويم البلدان، تحقيق رينورد وماك كوكين ديسلان، باريس ١٨٥٠.
❖ ابن الفوطي،كمال الدين عبد الرزاق (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م).
٤٥- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق الدكتور مُصطفى جواد، بغداد ١٣٥١ هـ.
❖ الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٦هـ /١٤١٢م).
٤٦- القاموس المحيط، بيروت ١٩٥٢.
❖ .ابن قاضي شهبة، أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م).
٤٧- طبقات الشافعية، تحقيق الدكتور الحافظ عبد العليم خان، بيروت ١٩٨٦.
❖ القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد (ت٦٨٢هـ /١٢٨٣م).
٤٨- آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، د.ت.
❖ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ /١٣٧٢م).
٤٩- البداية والنهاية، بيروت، د.ت.
❖ الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م).
٥٠- ولاة مصر، تحقيق الدكتور حسين نصار، بيروت ١٩٥٩.
❖ ماركو بولو (ت ٧٢٥هـ /١٣٢٤م).
٥١- رحلات ماركو بولو، ترجمها إلى الإنكليزية ونشرها وليم مارسدن وترجمها إلى العربية، عبد العزيز توفيق جاويد، مصر ١٩٧٧.
❖ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م).
٥٢- التنبيه والاشراف، بيروت ١٩٨٦.
❖ ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن المتوكل (ت ٢٩٦هـ / ٩٠٨م).
٥٣- طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٨١.
❖ المقدسي البشاري، أبو عبد الله شمس الدين (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م).
٥٤- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن ١٩٠٩.
❖ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ/١٣١١م).
٥٥- لسان العرب، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، بيروت ١٩٩٦.
❖ مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلاي).

٥٦- أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور عبد الجبار المطلّي، بيروت ١٩٧١.

❖ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق الوراق البغدادي (توفي سنة ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م).

٥٧- الفهرست، تحقيق الدكتور يوسف علي الطويل، بيروت ١٩٩٦.

❖ الهروي السائح، أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ / ١٢١٤م).

٥٨- الإشارات إلى معرفة الزيارات، دمشق ١٩٢٩.

❖ الهلال الصابئ، أبو الحسين بن المحسن (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م).

٥٩- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، د.ت.

٦٠- رسوم دار الخلافة، تحقيق كوركيس عواد، الطبعة الثانية، يروت ١٩٨٦.

❖ الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م).

٦١- جامع التواريخ، نقله إلى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد، القاهرة ١٩٦٠.

❖ الهمذاني،ابن الفقيه أحمد بن أسحاق (توفي حوالي سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م)

٦٢- البلدان، تحقيق يوسف الهادي، بيروت ١٩٩٦.

❖ وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ / ٩١٨م).

٦٣- أخبار القضاة، بيروت، د.ت.

❖ ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

٦٤- معجم الأدباء، نشره د.س. مرغليوث، بيروت، د.ت.

٦٥- معجم البلدان، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٥.

٦٦- المشترك وضعا والمفترق صقعا، تحقيق فردينارد ويستنفلد، طبعة غوتنجن ١٨٤٦.

❖ اليعقوبي: ابن واضح أحمد بن أسحاق (ت ٢٩٢هـ /٩٠٤م).

٦٧- البلدان، ملحق بكتاب الأعلاق النفيسة، ليدن ١٨٩١.

٦٨- تاريخ اليعقوبي، تحقيق خليل المنصور، بيروت،١٩٩٩.

٦٩- مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ماورذ، بيروت ١٩٦٢.

ثانياً.. المراجع

❖ حبيب زيّات.

٧٠- معجم المراكب والسفن في الإسلام، بيروت ١٩٥٠.

❖ الدكتور شاكر مصطفى.

٧١- التاريخ العربي والمؤرخون، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٩.

❖ الدكتور صالح أحمد العلي

٧٢- بغداد مدينة السلام لابن الفقيه الهمذاني (تحقيق)، بغداد، د.ت.

٧٣- معالم بغداد الإدارية والعمرانية، بغداد ١٩٨٨.

٧٤- المواصلات والجسور في بغداد، بحث منشور في مجلة المورد، العدد الرابع، سنة ١٩٧٩.

❖ الدكتور عبد الحي شعبان

٧٥- الثورة العباسية، ترجمه إلى العربية عبد المجيد حسيب القيسي، أبو ظبي ١٩٧٧.

❖ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف.

٧٦- بغداد في دراسات المؤرخين المحدثين، بغداد ٢٠٠٢.

❖ فالترهنتس

٧٧- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه إلى العربية الدكتور كامل العسلي، عمان ١٩٧٠.

❖ كي لسترنج.

٧٨- بغداد في عهد الخلافات العباسية، ترجمه إلى العربية بشير فرنسيس، بغداد ١٩٣٦.

❖ محمد باقر الحسيني.

٧٩- النقود العربية الإسلامية ودورها الحضاري والإعلامي، بغداد ١٩٨٥.

❖ الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة.

٨٠- دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، بغداد ١٩٥٨.

❖ الدكتور ناجي معروف.

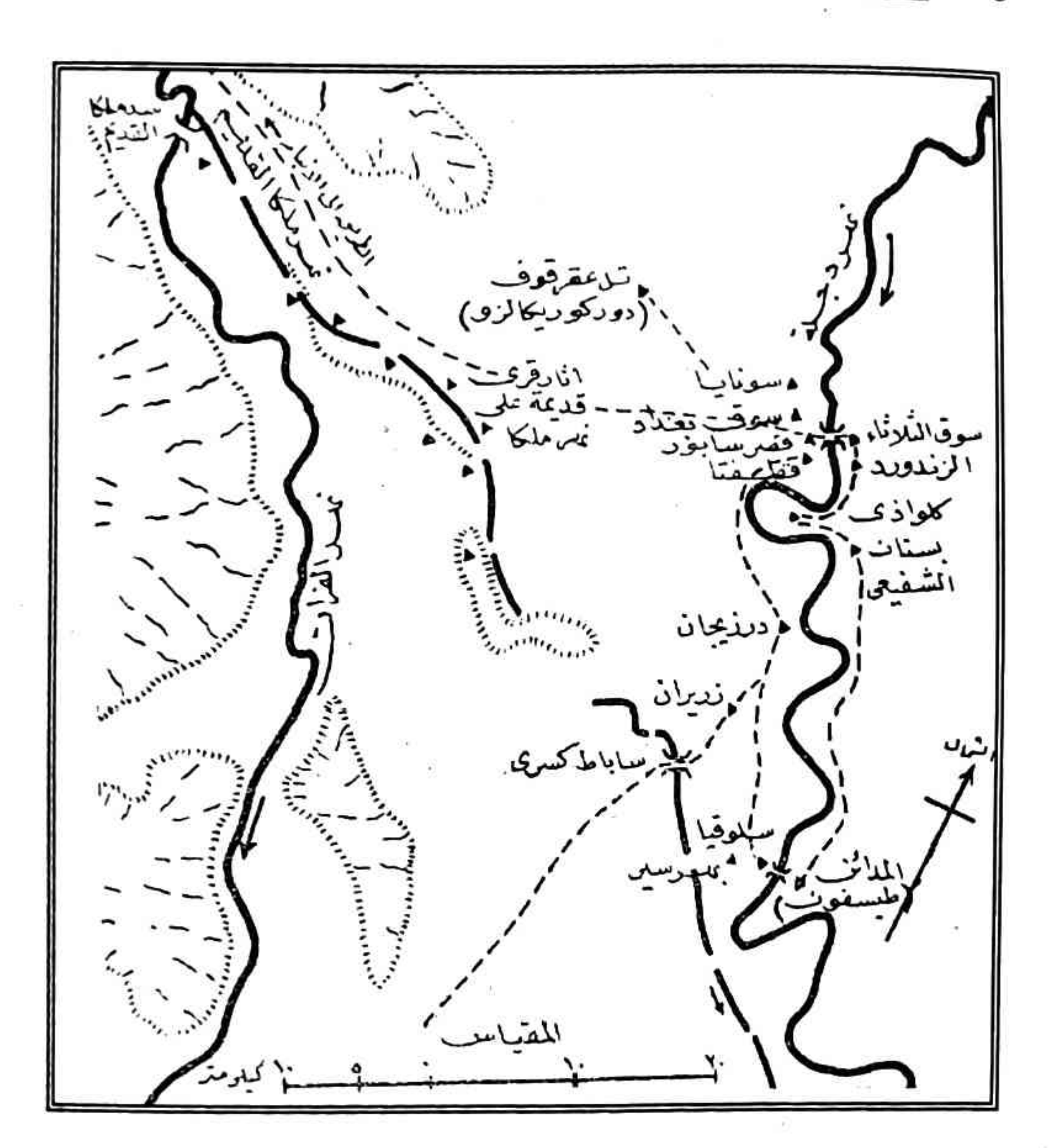
٨١- تاريخ علماء المستنصرية، الطبعة الثالثة، بغداد ١٩٧٥.

❖ الدكتور يعقوب ليسنر

٨٢- خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ترجمه إلى العربية الدكتور صالح أحمد العلي، بغداد ١٩٨٤.

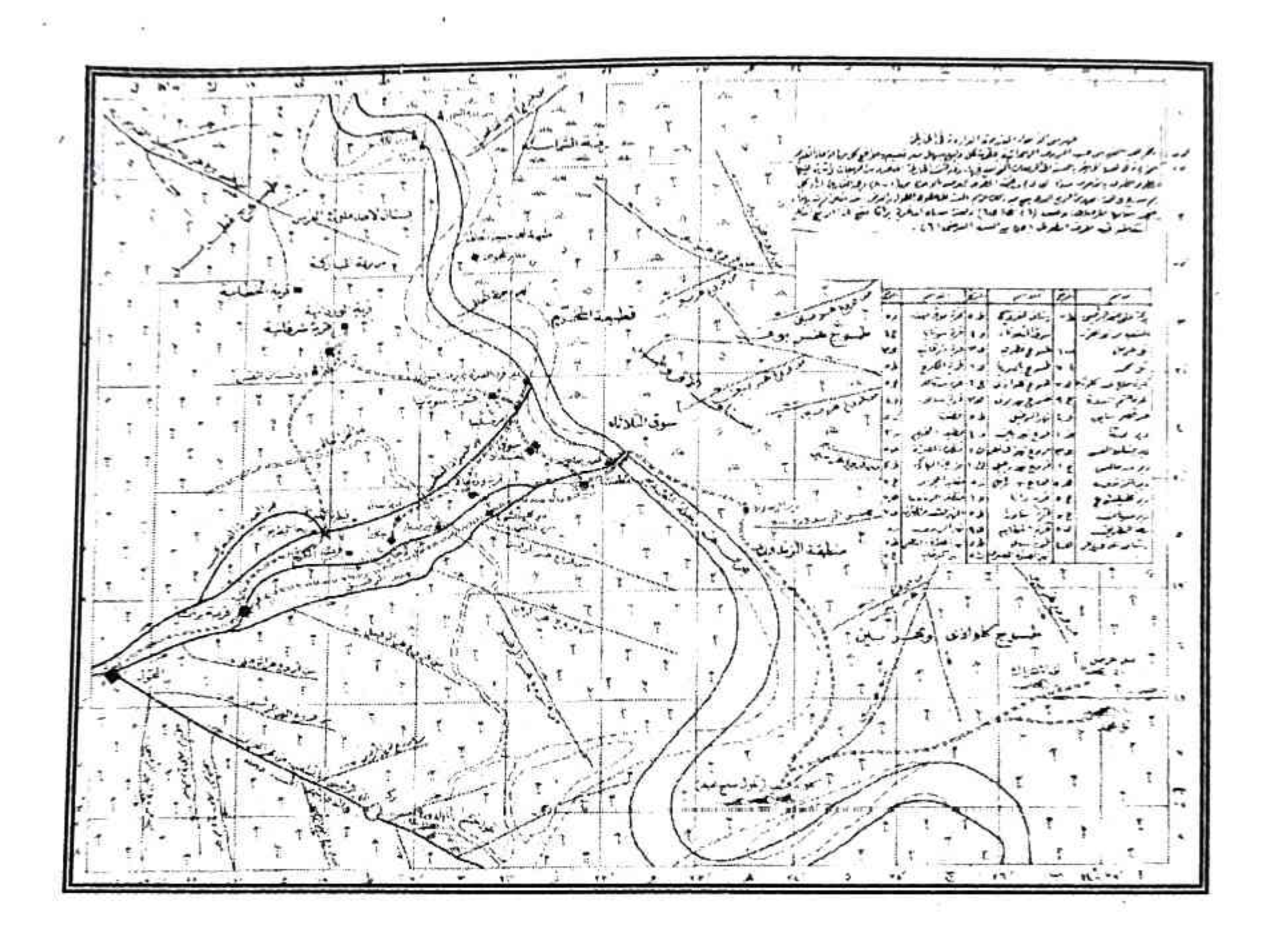
الخرائط والصور والرسوم

أولاً : الخرائط



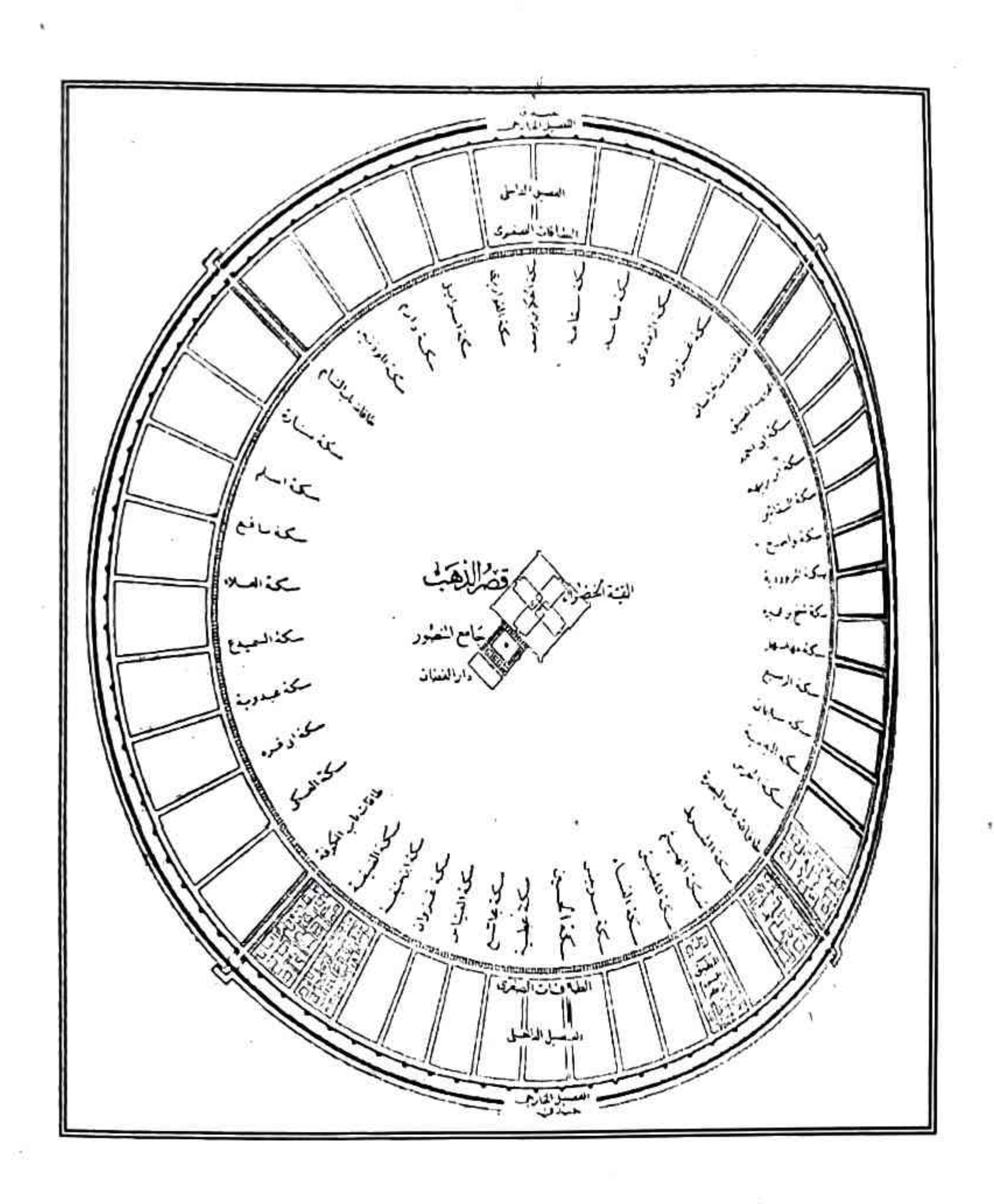
شكل رقم (١)

يُوضح الطريق الذي سلكه القائد المثنى بن حارثة الشيباني للإغارة على بغداد سنة ١٣هـ /٦٣٤م (دليل خارطة بغداد، ص٢٦).



شكل رقم (٢)

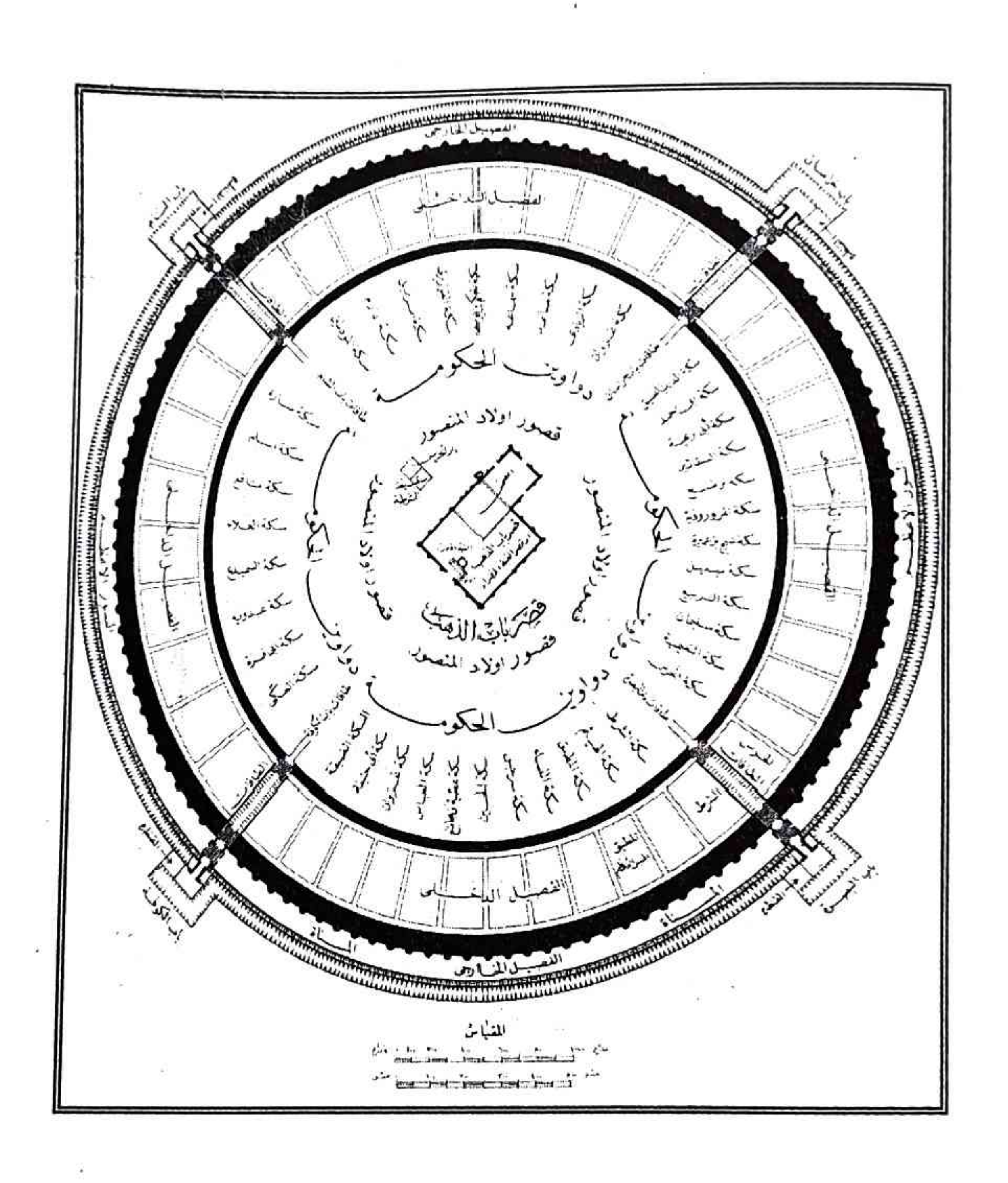
خارطة بغداد في أواخر العهد الساساني وأوائل العهد الاسلامي، إذ كانت تتكون من أربعة طساسيج، اثنين في الجانب الغربي وهما قطربل و بادوريا، واثنين في الجانب الشرقي وهما كلواذى ونهر بوق، فضلاً عن عدد غير قليل من القرى والمزارع (رسم الدكتور أحمد سوسة، بغداد، نشر نقابة المهندسين العراقيين، ١٩٦٨، ص٩٢).



شكل رقم (٣)

رسم تخطيطي لمدينة المنصور المدورة حسب وصف اليعقوبي تحقيق سار وهرزفيلد

(دليل خارطة بغداد، ص٥٧)



شكل رقم (٤)

رسم تخطيطي لمدينة المنصور المدورة

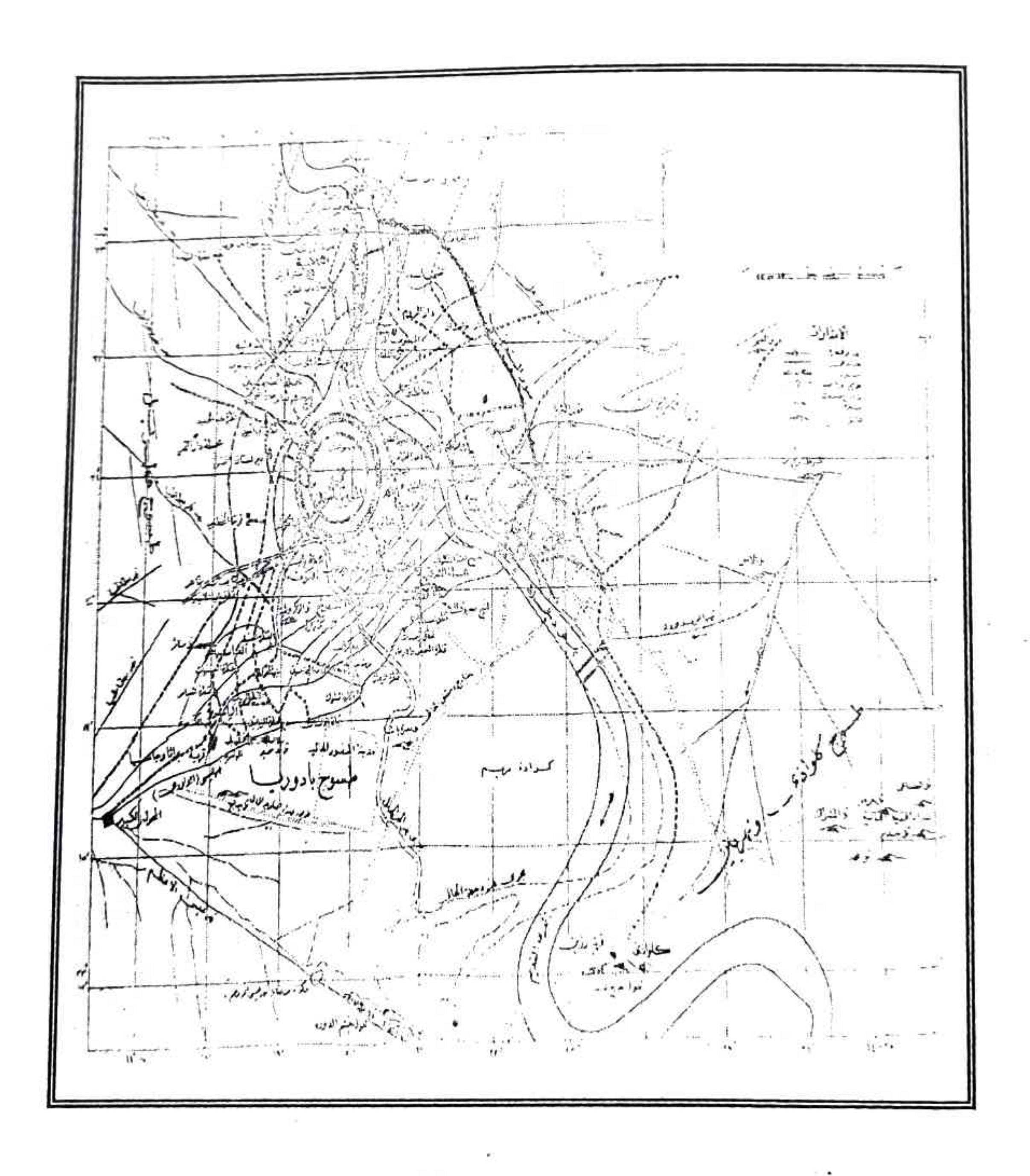
تحقيق الدكتور أحمد سوسة (بغداد، ص٢١.)



شكل رقم (٥)

بغداد في أول ادوارها العباسية

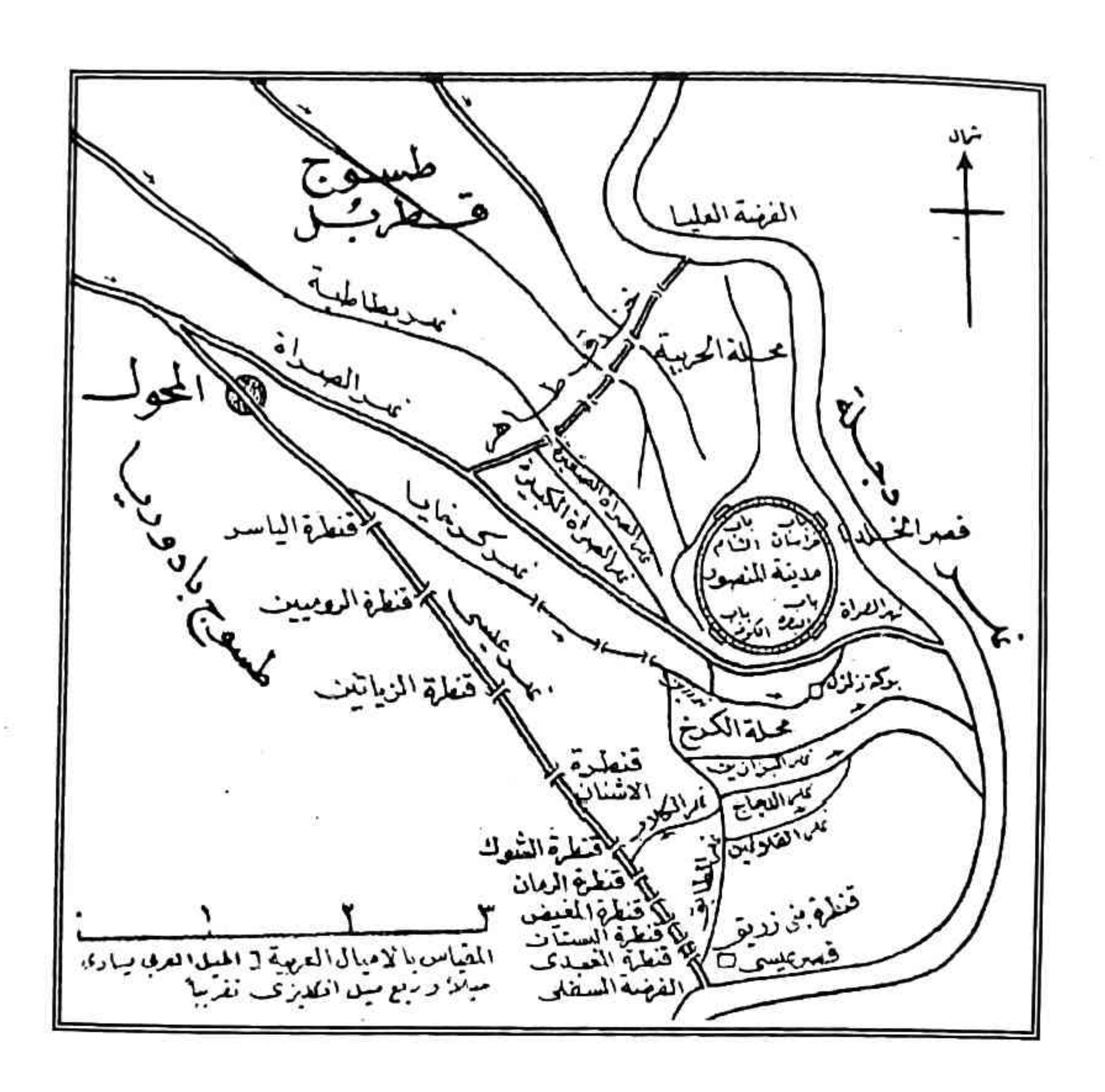
رسم المستشرق الالماني مكســمليان شتريك اعتماداً على وصف سهراب (ابن سرابيون) لأنهار بغداد، (خطط بغداد وأنهار العراق القديمة، ترجمة الدكتور خالد اسماعيل علي، بغداد ١٩٦٨).



شكل رقم (٦)

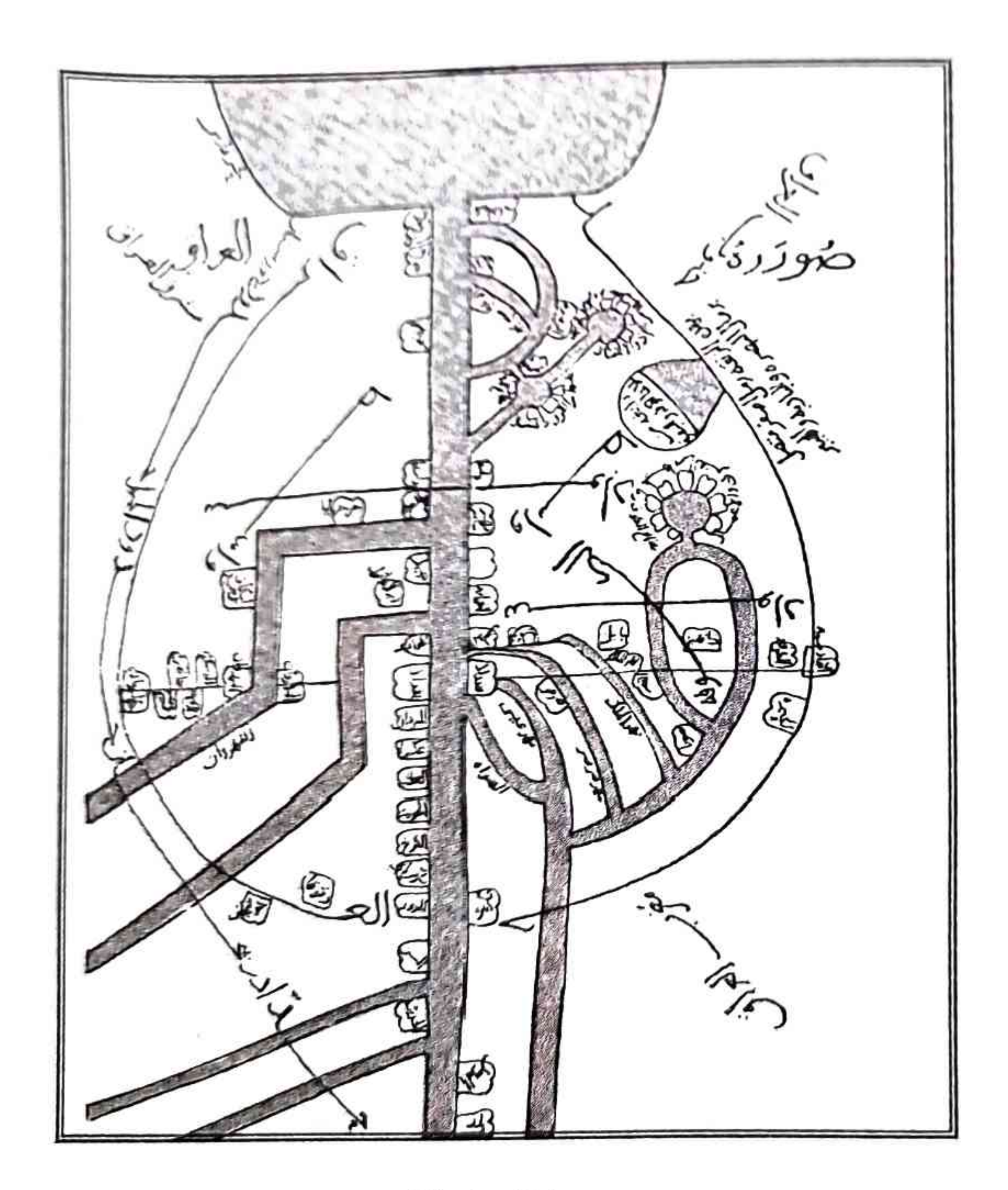
خارطة بغداد في أول أدوارها العباسية

رسم الدكتور أحمد سوسة (مجلة المورد، العدد الرابع، ١٩٧٩).



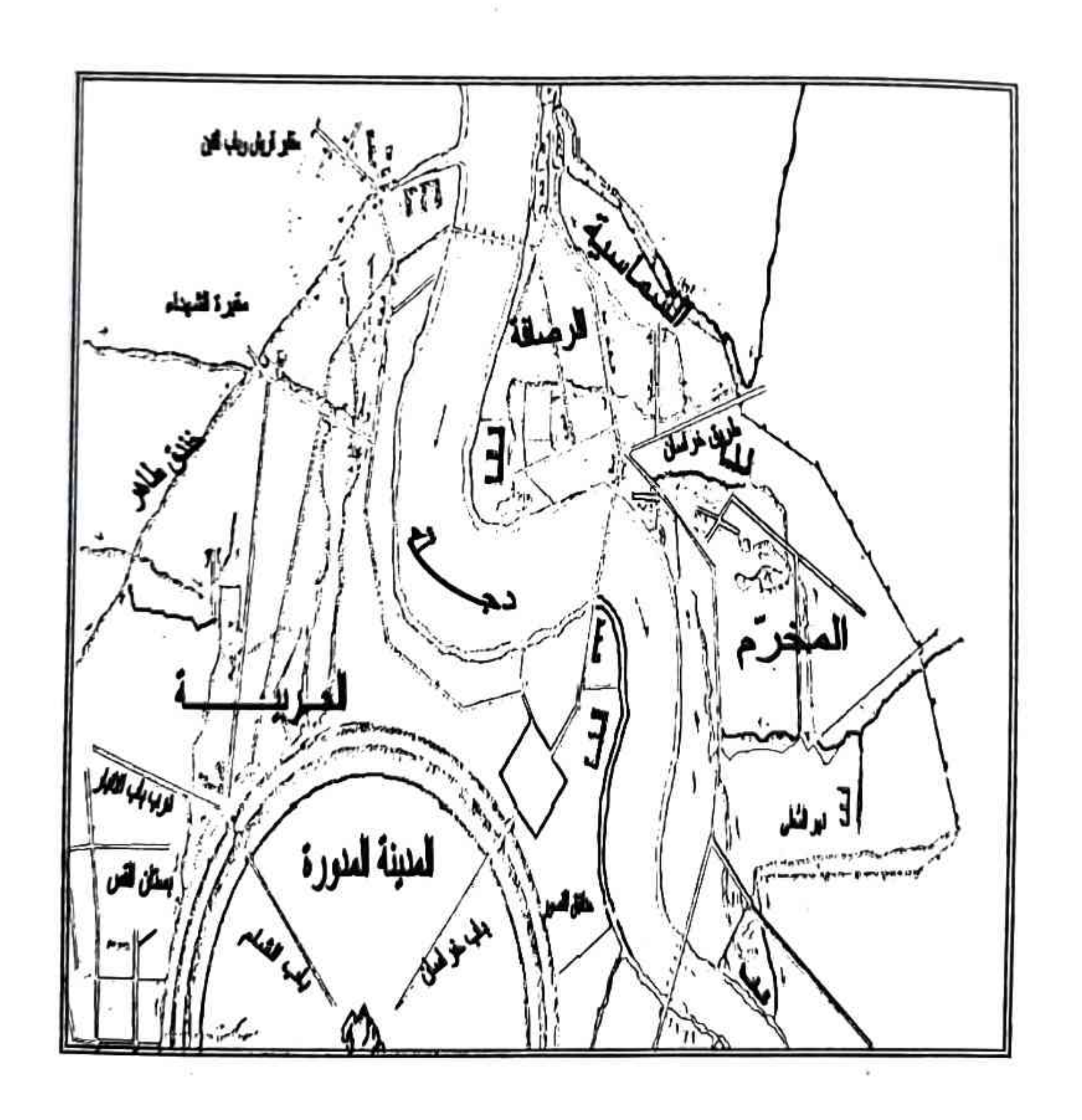
شكلْ رقم (٧)

رسم توضيحي لأنهار بغـــــداد اعتمادا على وصف سهراب (ابن سرابيون) للمستشرق لسترنج (دليل خارطة بغداد، ص٧٠)



شكل رقم (٨)

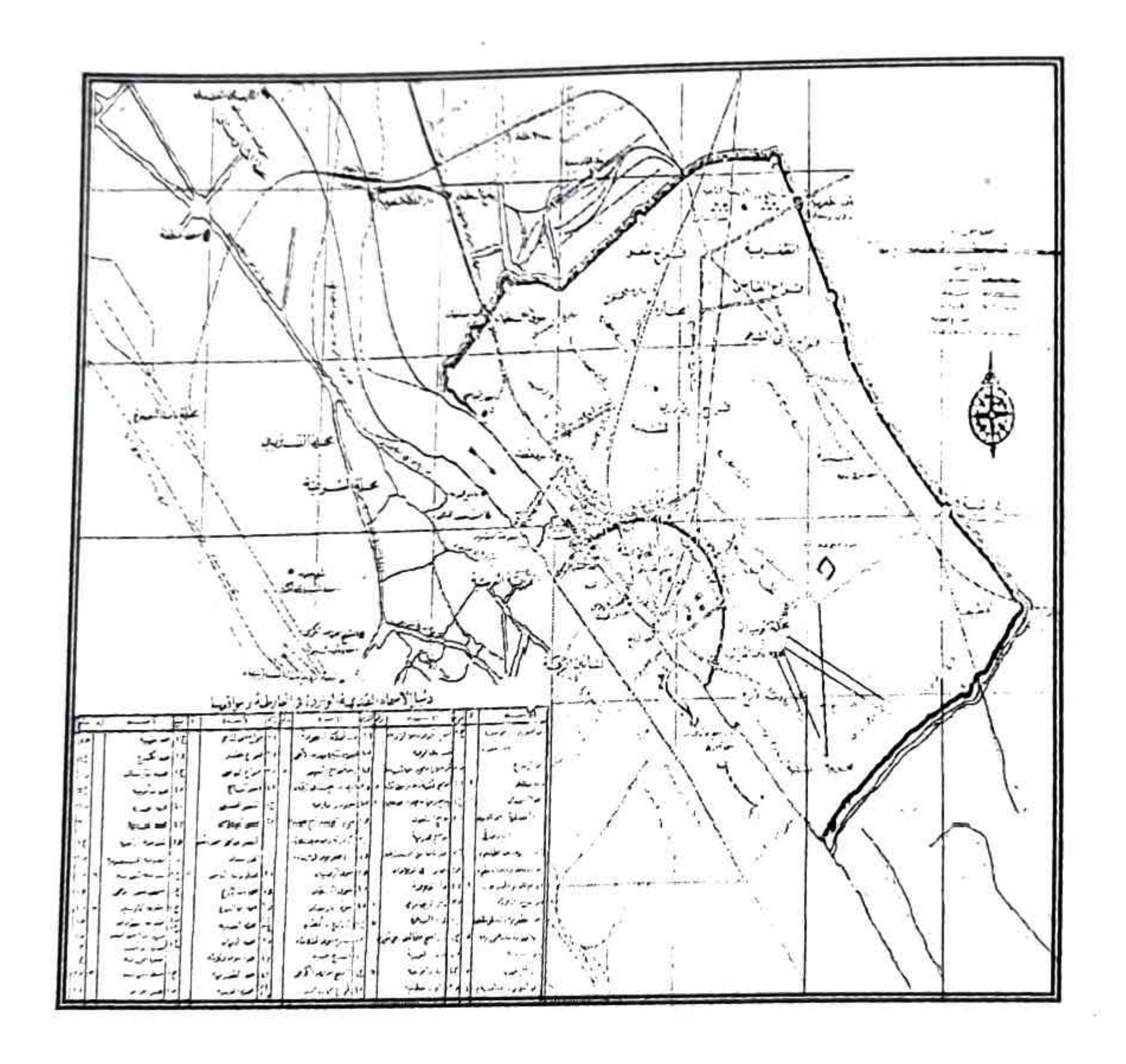
صورة بغداد كما صورها الرحالة المسلم ابن حـوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) ويظهر فيها موقع بغداد وطسوج كلواذى ومنطقة الكرخ ونهر عيسى ونهر الصراة (صورة الارض، ص٢٠٩).



شكل رقم (٩)

يمثل محلات الرصافة والشماسية والمخرم (في الجانب الشرقي)

رسم المستشرق لسترنج (مجلة المورد)

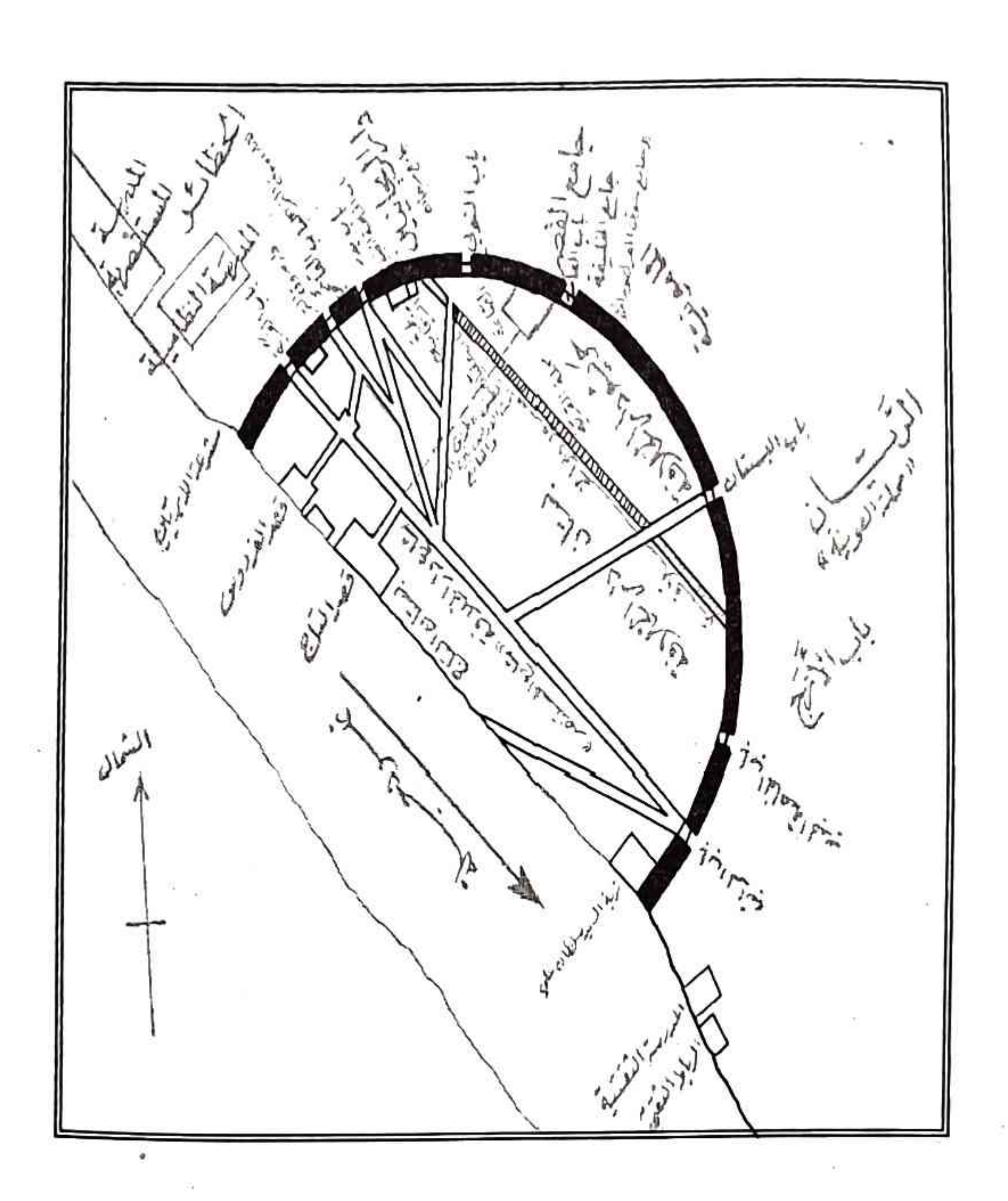


خارطة رقم (١٠)

بغداد في الدور السلجوقي وأواخر الخلافة العباسية

٤٤٧-٦٥٦هـ / ١٠٥٥ - ١٢٥٨م

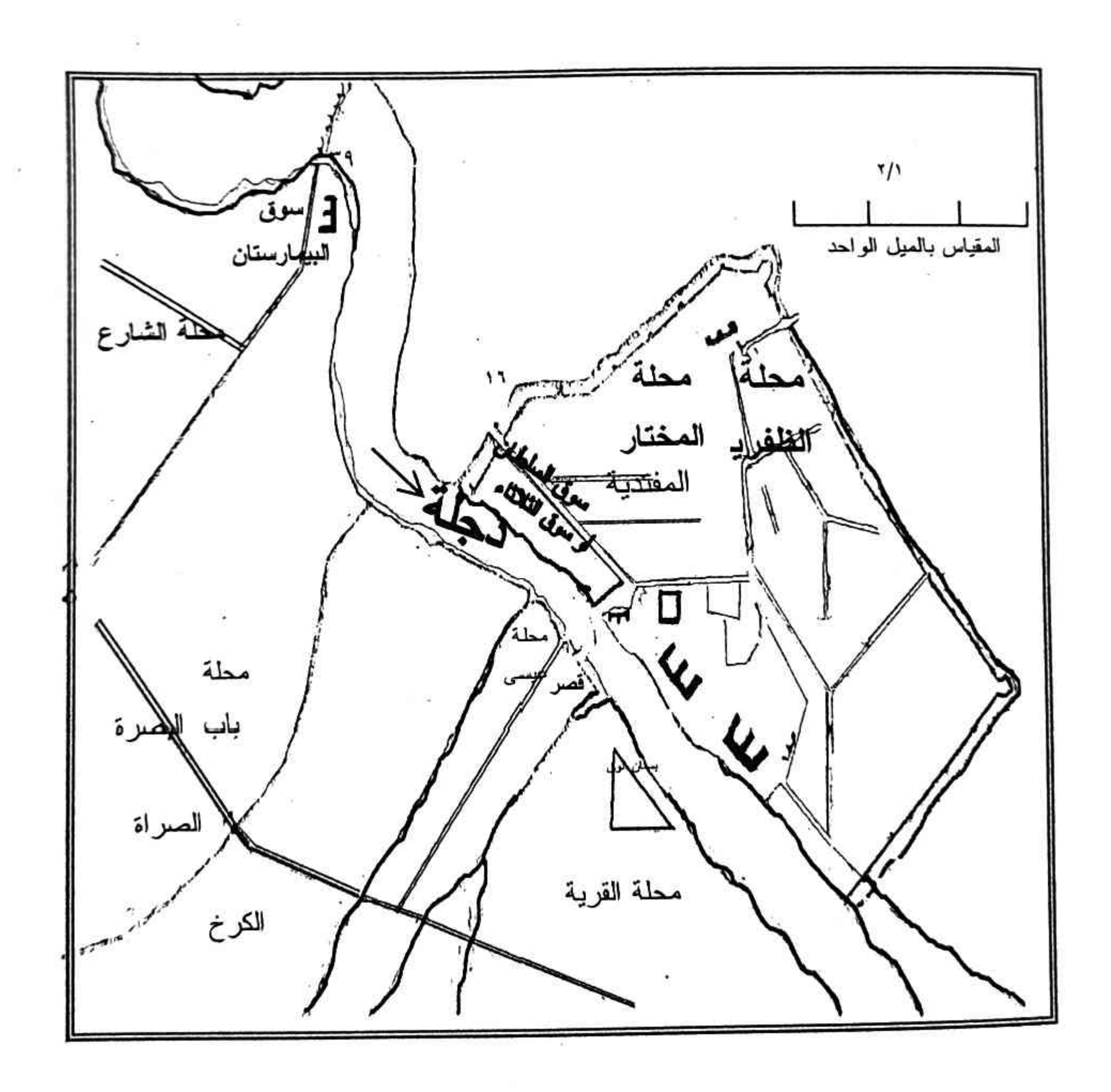
رسم الدكتور أحمد سوسة (بغداد، ص٥١).



شكل رقم (١١)

رسم تخطيطي لسور دار الخلافة الذي يبدو كهيأة هلال يبدأ من دجلة وينتهي بدجلة

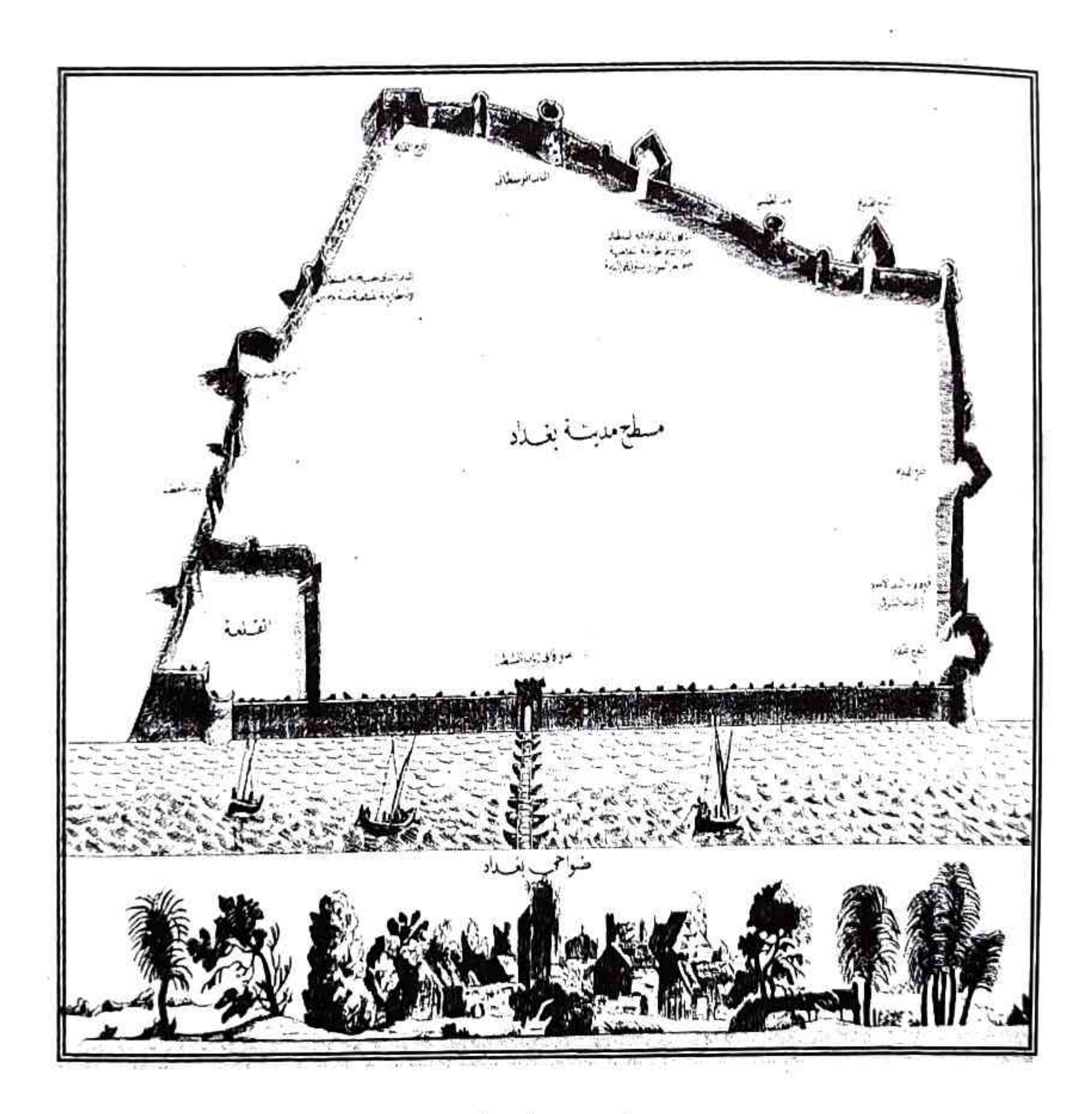
رسم الدكتور مصطفى جواد (مجلة المورد)



شكل رقم (١٢)

خارطة بغداد الشرقية في أواخر الخلافة العباسية

رسم المستشرق لسترنج (مجلة المورد).



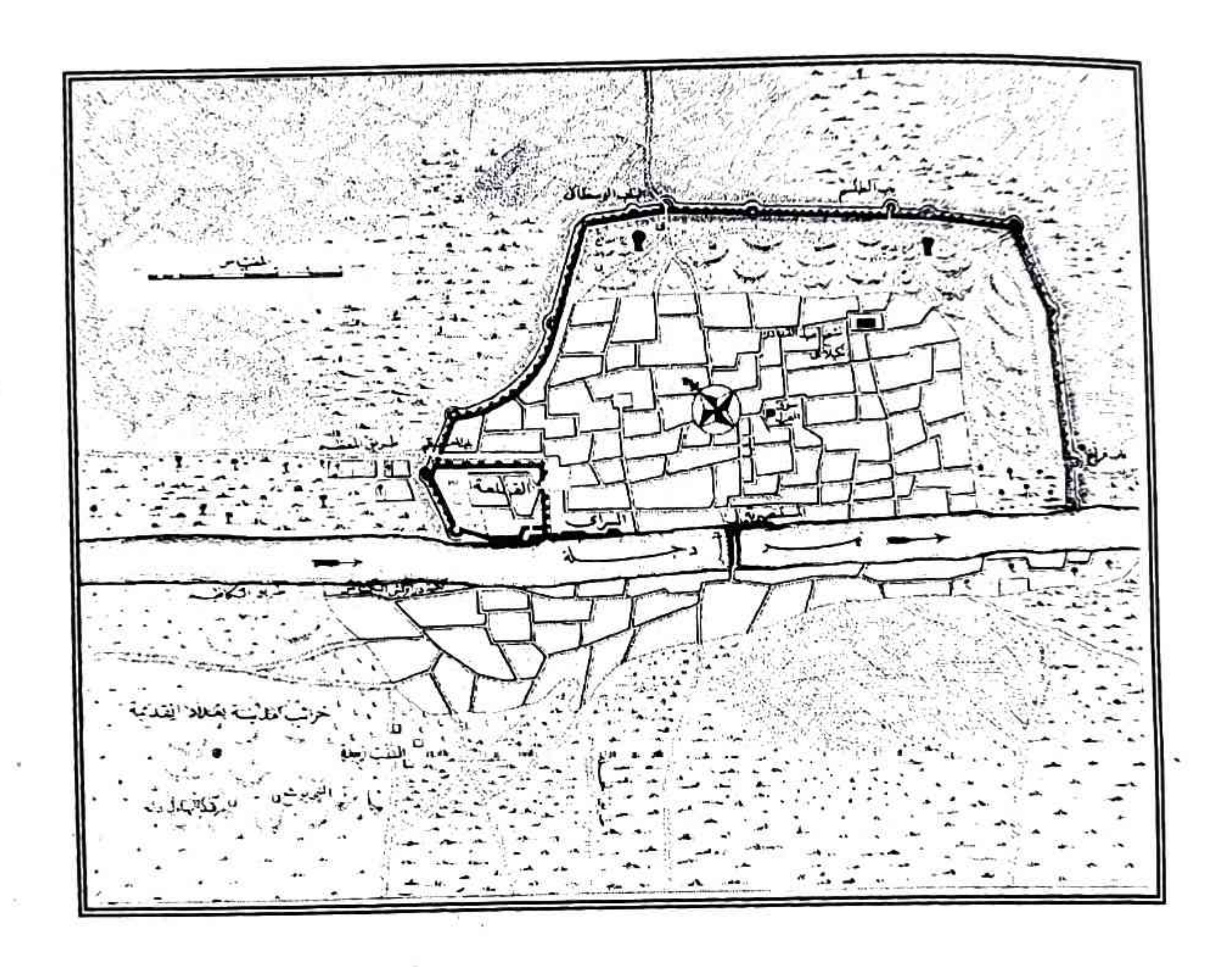
شكل رقم (١٣)

يمثل الخارطة التي وضعها الرحالة الفرنسي جي.بي. تافر نييه لبغداد سنة ١٦٧٦م، ويظهر فيها سور الجانب الشرقي والأبواب الأربعة التي سماها باسمائها المعروفة بها باستثناء باب كلواذي (الباب الشرقي) الذي ســماه قره قابي (الباب الاسود)، علما ان هذا الرحالة زار بغداد مرتين، الأولى في سنة ١٦٣٢م والثانية سنة ١٦٥٢م (بغداد، ص٦٦-٦٧).



شكل رقم (١٤)

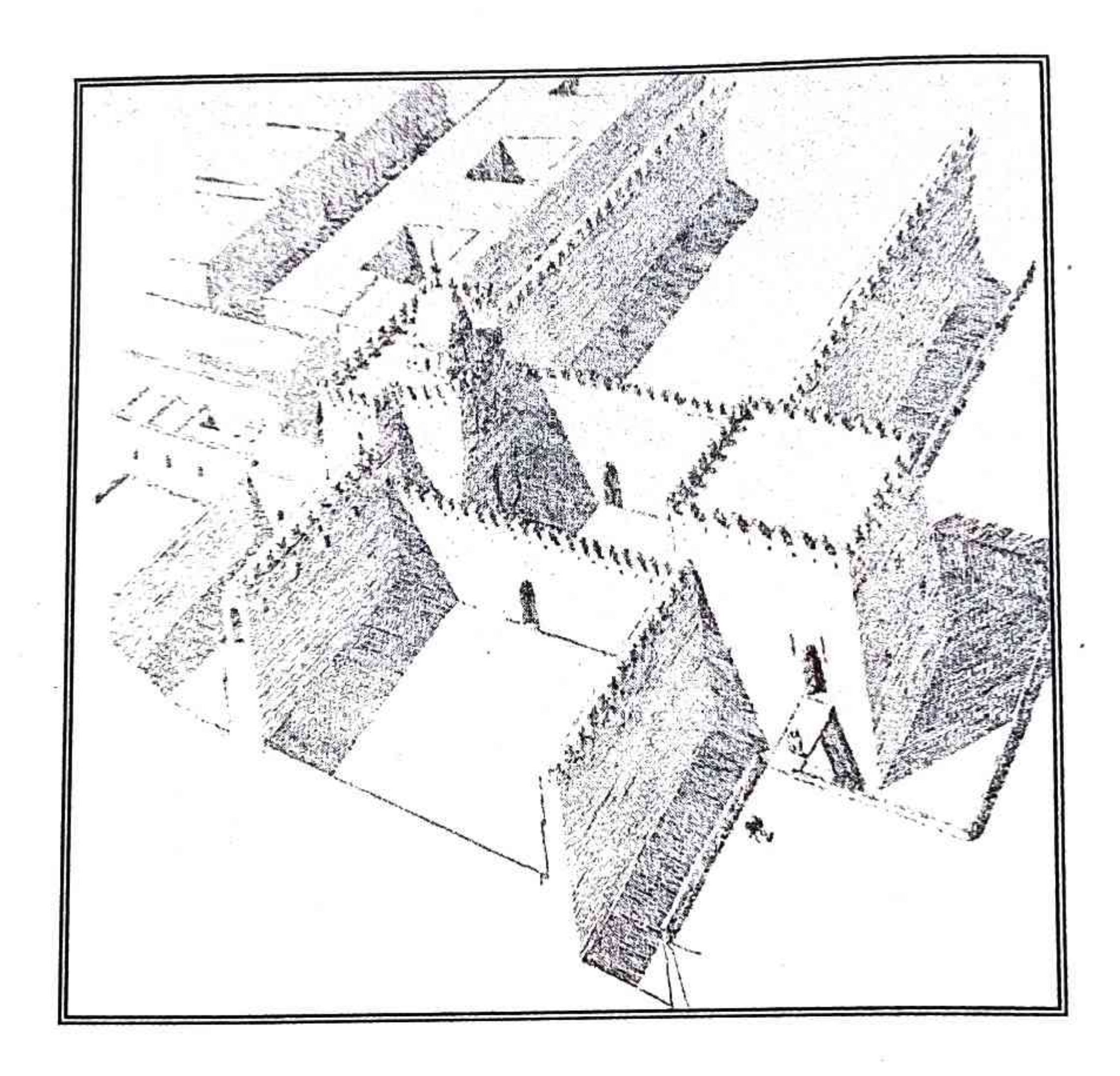
يمثل خارطة بغداد كما رسمها الرحالة الهولندي اوليفر دافر سنة ١٦٨٠م، ويظهر فيها سور بغداد الشرقي والأبواب الأربعة والجسر الذي يربط جانبي المدينة (بغداد، ص٦٧-٦٨).



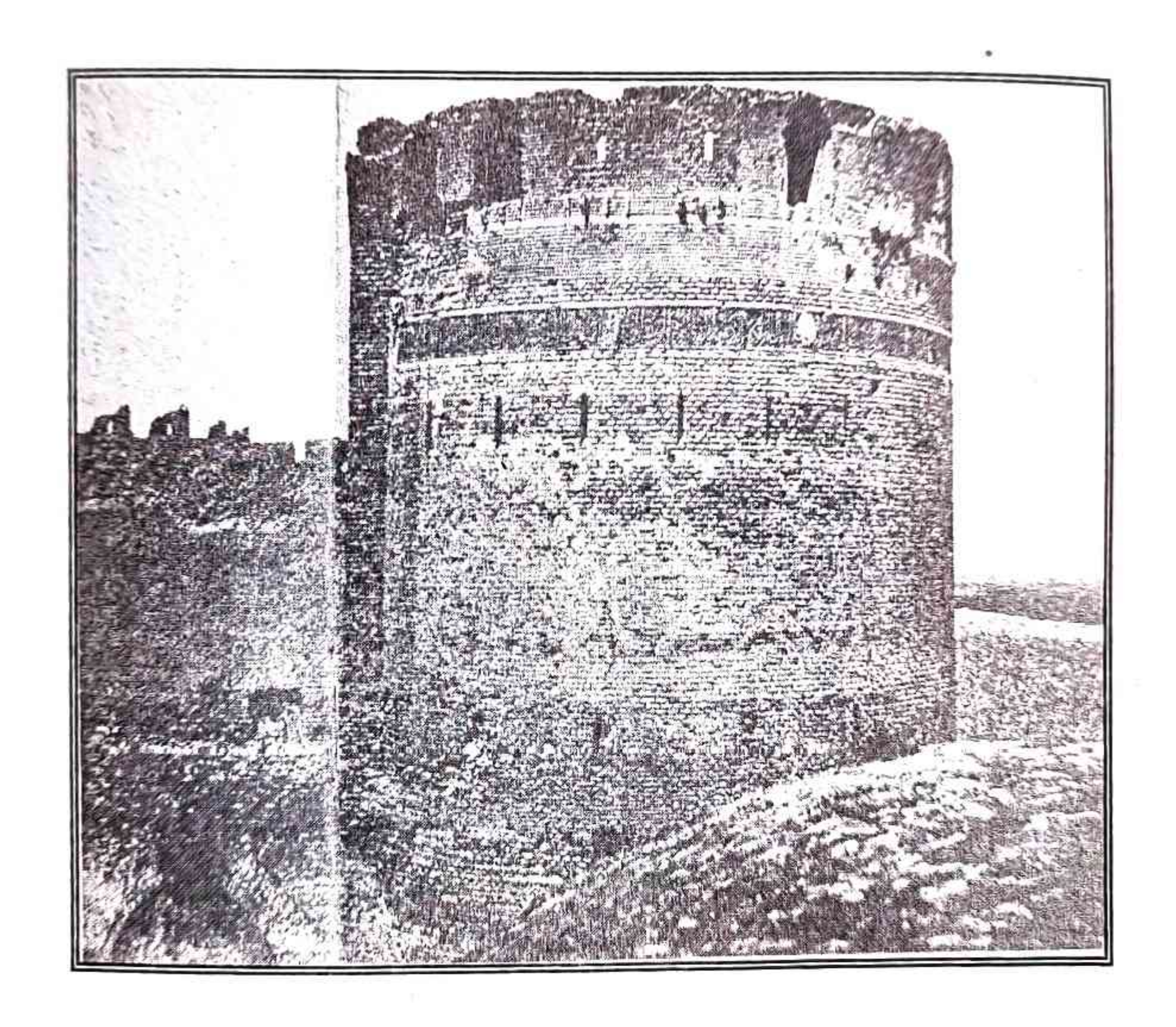
شكل رقم (١٥)

يمثل أول خارطة رسمت لمدينة بغداد على وفق مقياس رسم معين على وفق الأصول المتبعة في وضع الخرائط الحديثة، وضعها الرحالة الدنماركي كارستين نيبور سنة ١٧٧٦م، إذ ثبت فيها سور المدينة الشرقي وأبوابها الاربعة والقلعة وحدود محلات جانبي بغداد الغربي والشرقي، وبآستثناء باب كلواذي (الباب الشرقي) الذي سماه (بلب قرلغ) ومعناه باب الظلمات، فقد سمى الأبواب الثلاثة الأخرى بآسمائها المعروفة.

ثانيا : الصور

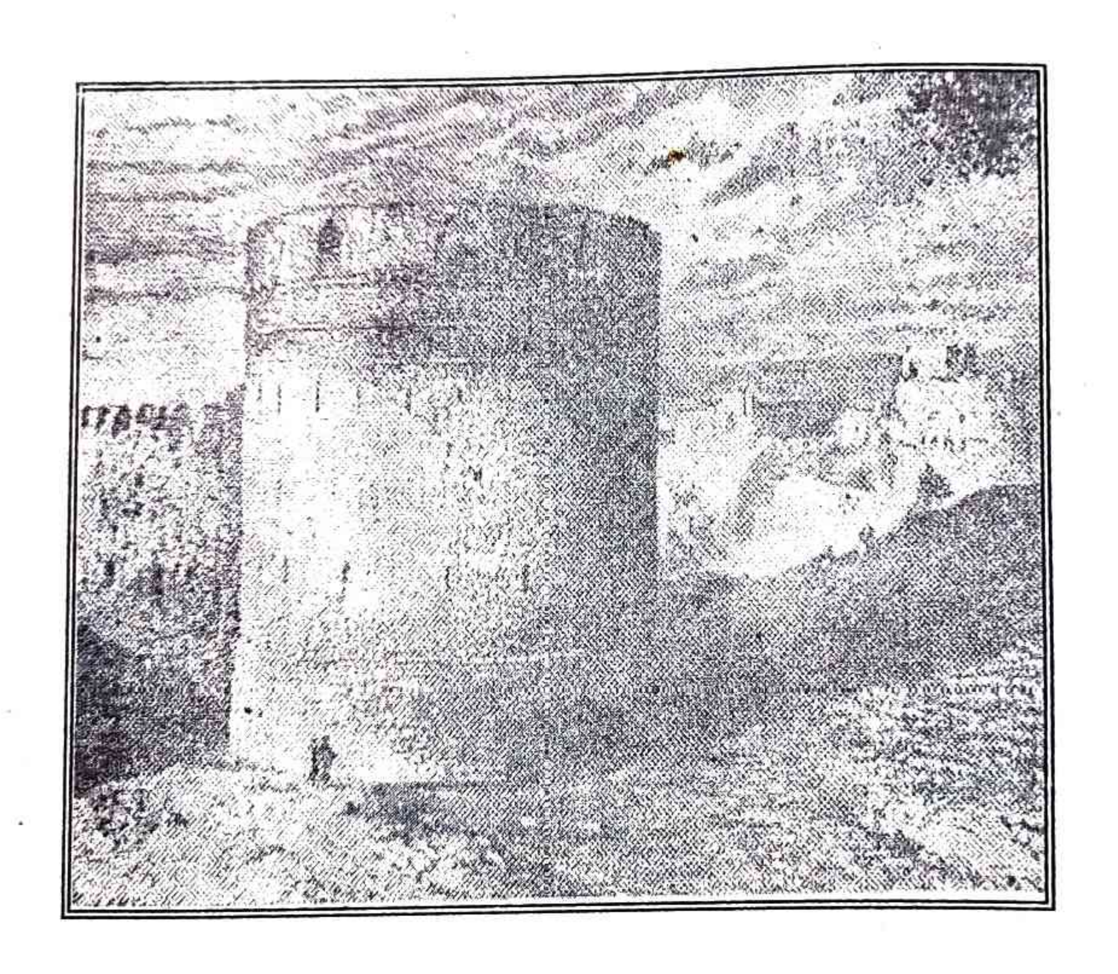


شكل رقم (١٦)
رسم تصويري لأبواب بغداد
تحقيق هرزفيلد، (بغداد، ص٢٤٦).

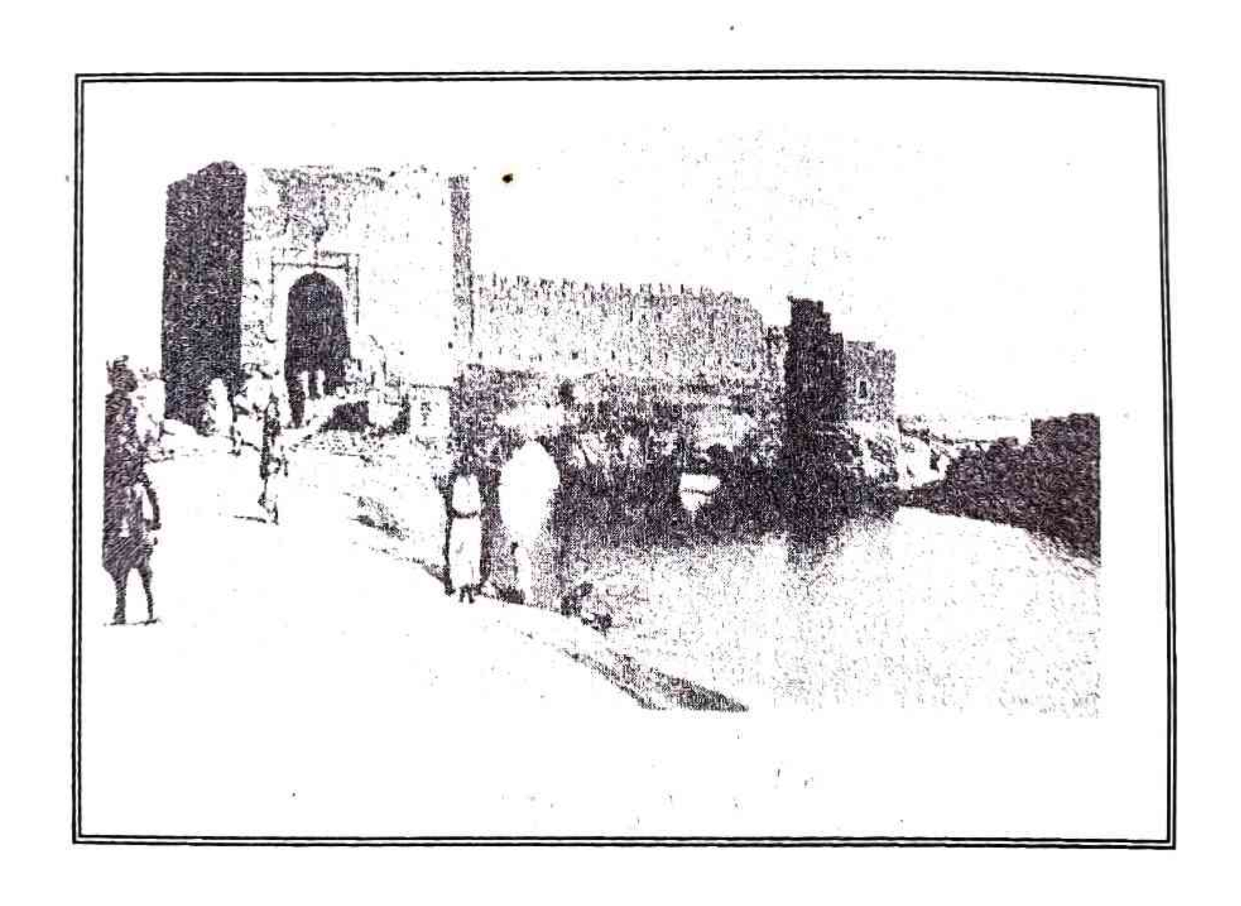


شكل رقم (١٧)

من ابواب سور بغداد الشرقية، باب الحلبة الذي عرف في العصور المتأخرة بـ (باب الطلسم) لأن بأعلى الباب تمثال رجل متربع وعلى كل من يمنته ويسرته أفعى عظيمة، وعد العامة ذلك طلسمة لبغداد تحفظها من الاعداء، وهو من تجديدات وترميمات الخليفة الناصر لدين الله لسور بغداد الشرقية سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م، وقد نسفه الاتراك سنة ١٩١٧م وهم يغادرون بغداد بعد ان اتخذوا منه مخزنا للبارود.

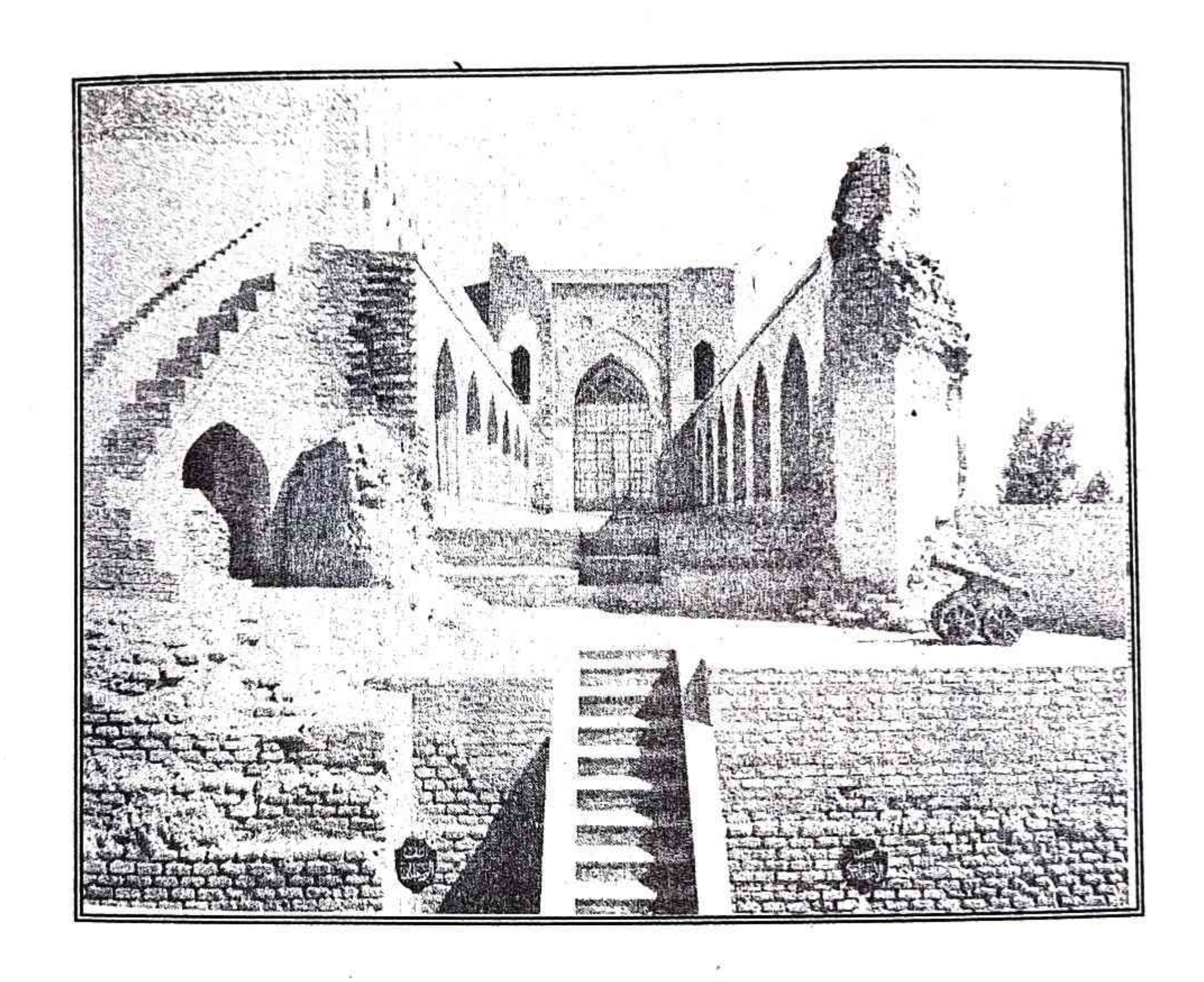


شكل رقم (١٨)
باب الحلبة (باب الطلسم) على ما صوره رحالة قديم زار بغداد.



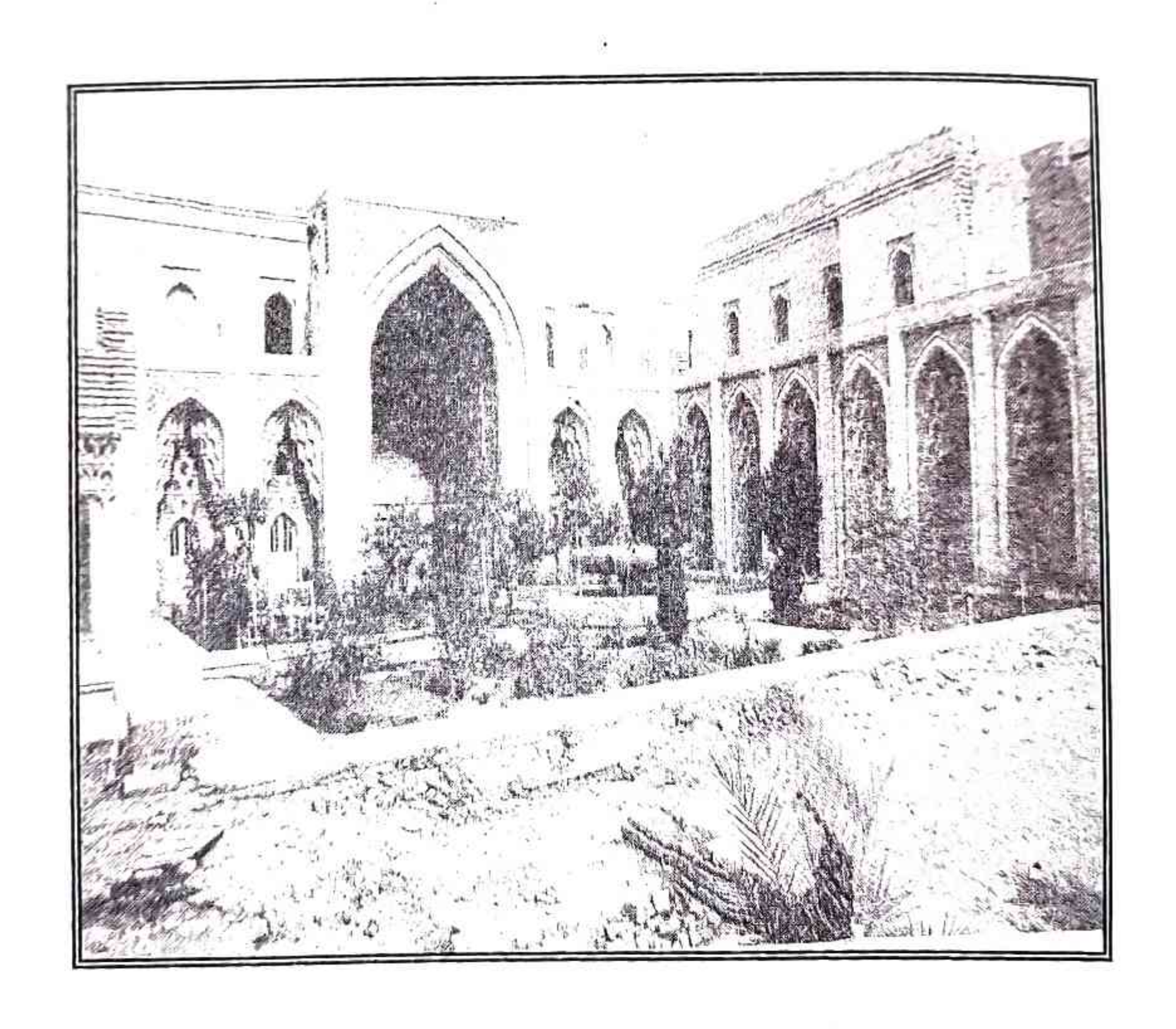
شكل رقم (١٩)

باب الظفرية، وهو الباب المقابل لمحلة الظفرية من محلات شرقي بغداد، وقد عرف في العصور المتاخرة بـــ (الباب الوسطاني).



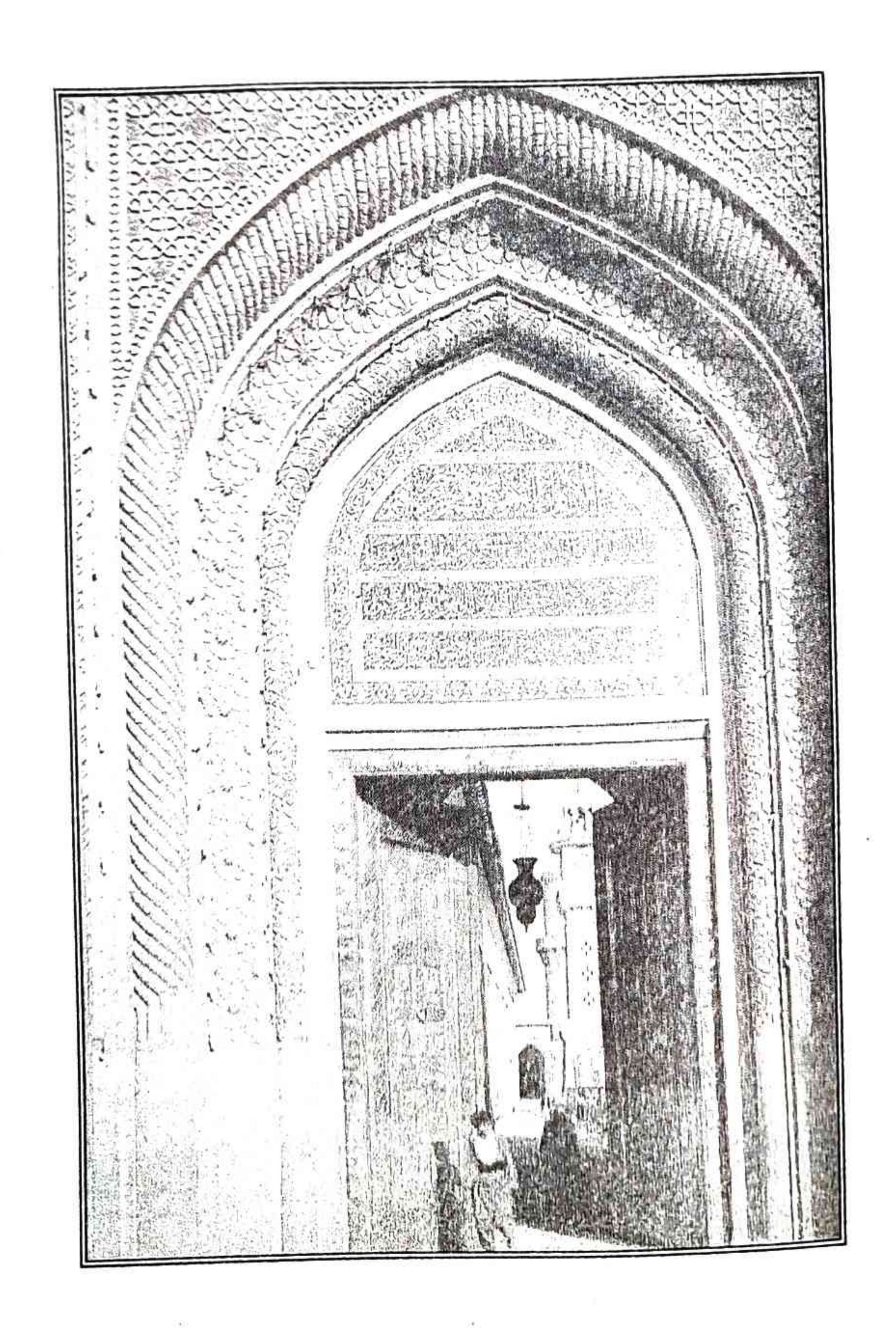
شكل رقم (٢٠)

باب الظفرية (الباب الوسطاني) بعد الترميم.

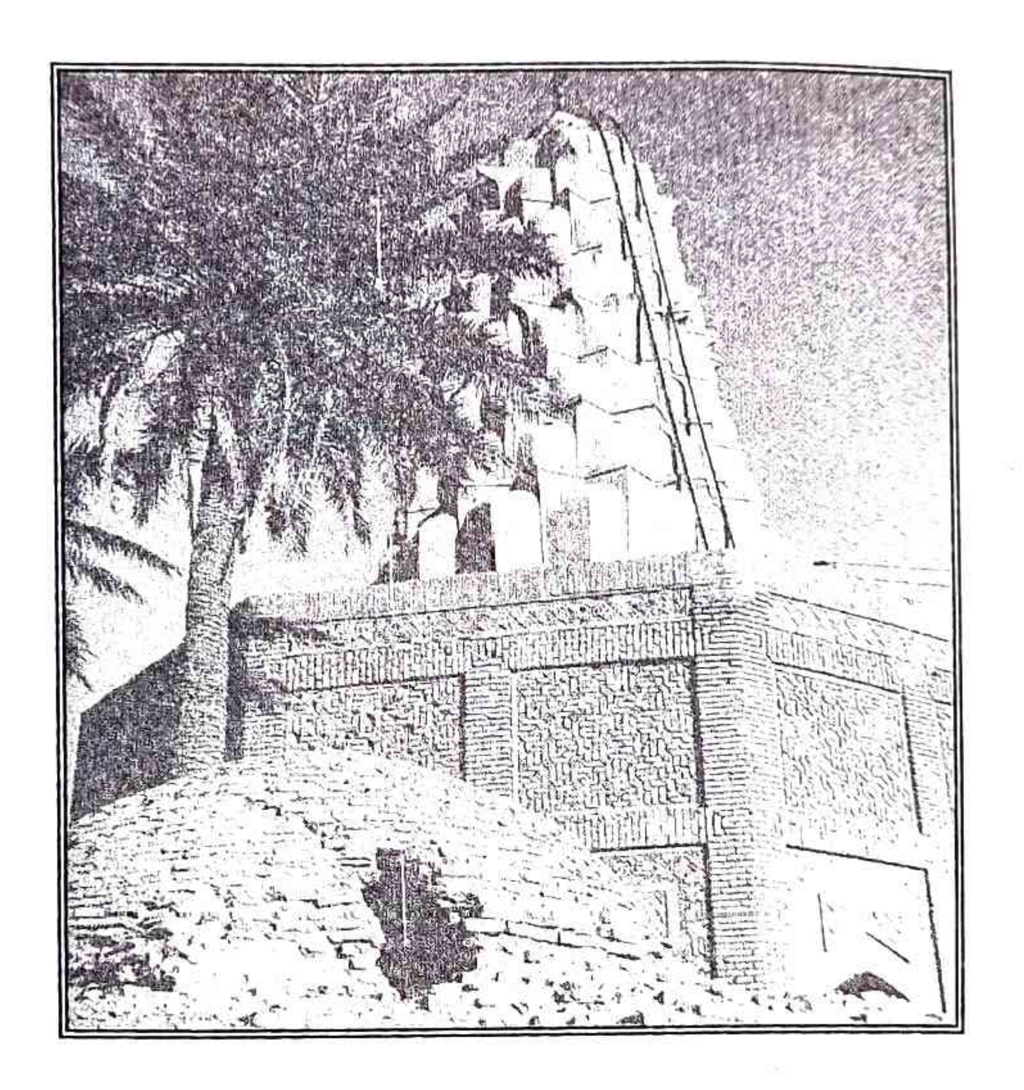


شكل رقم (٢١)

من المعالم التاريخية الباقية في بغداد القصر العباسي او دار المسناة الناصرية.

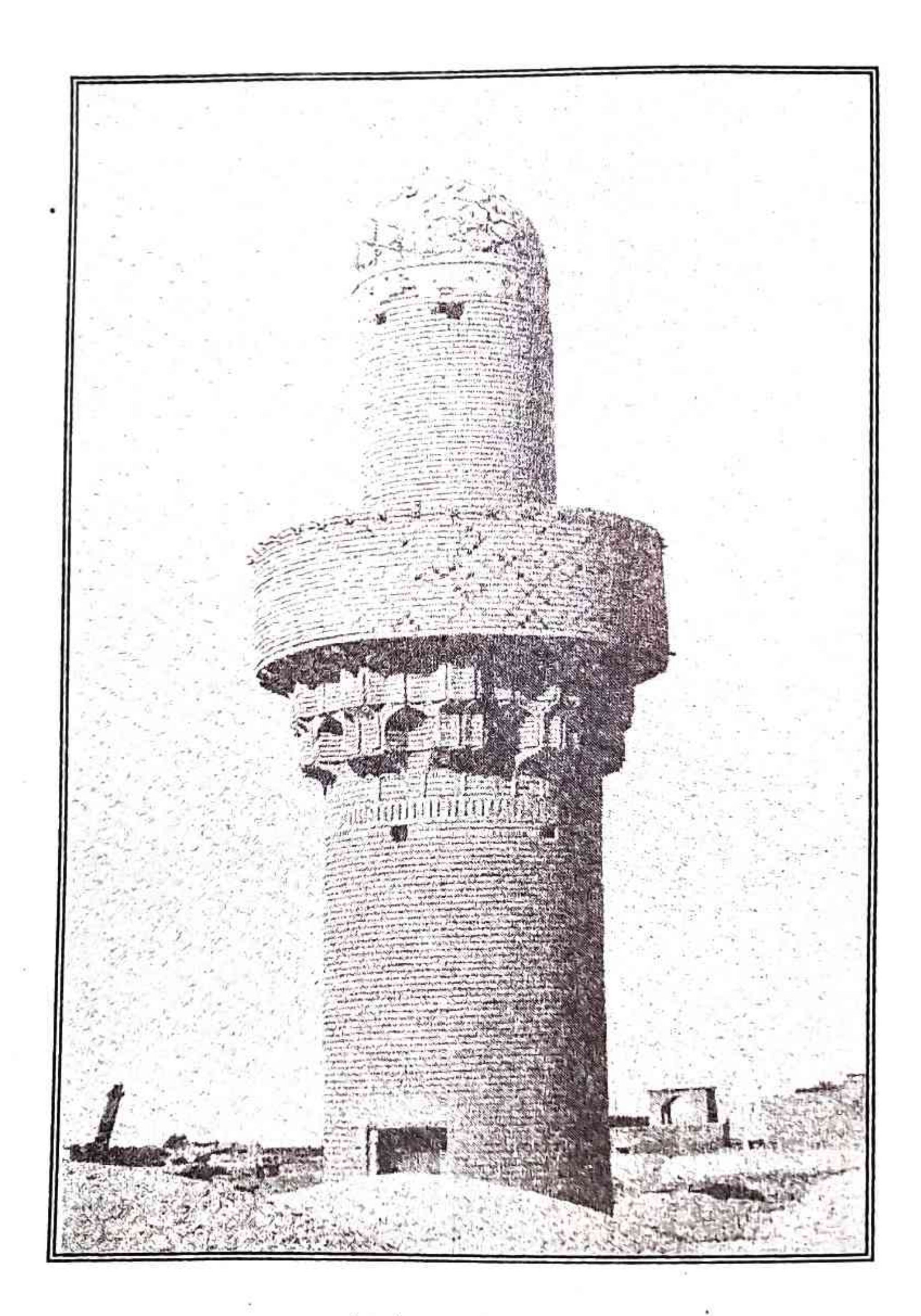


شكل رقم (٢٢)
الصحن الداخلي للقصر العباسي.



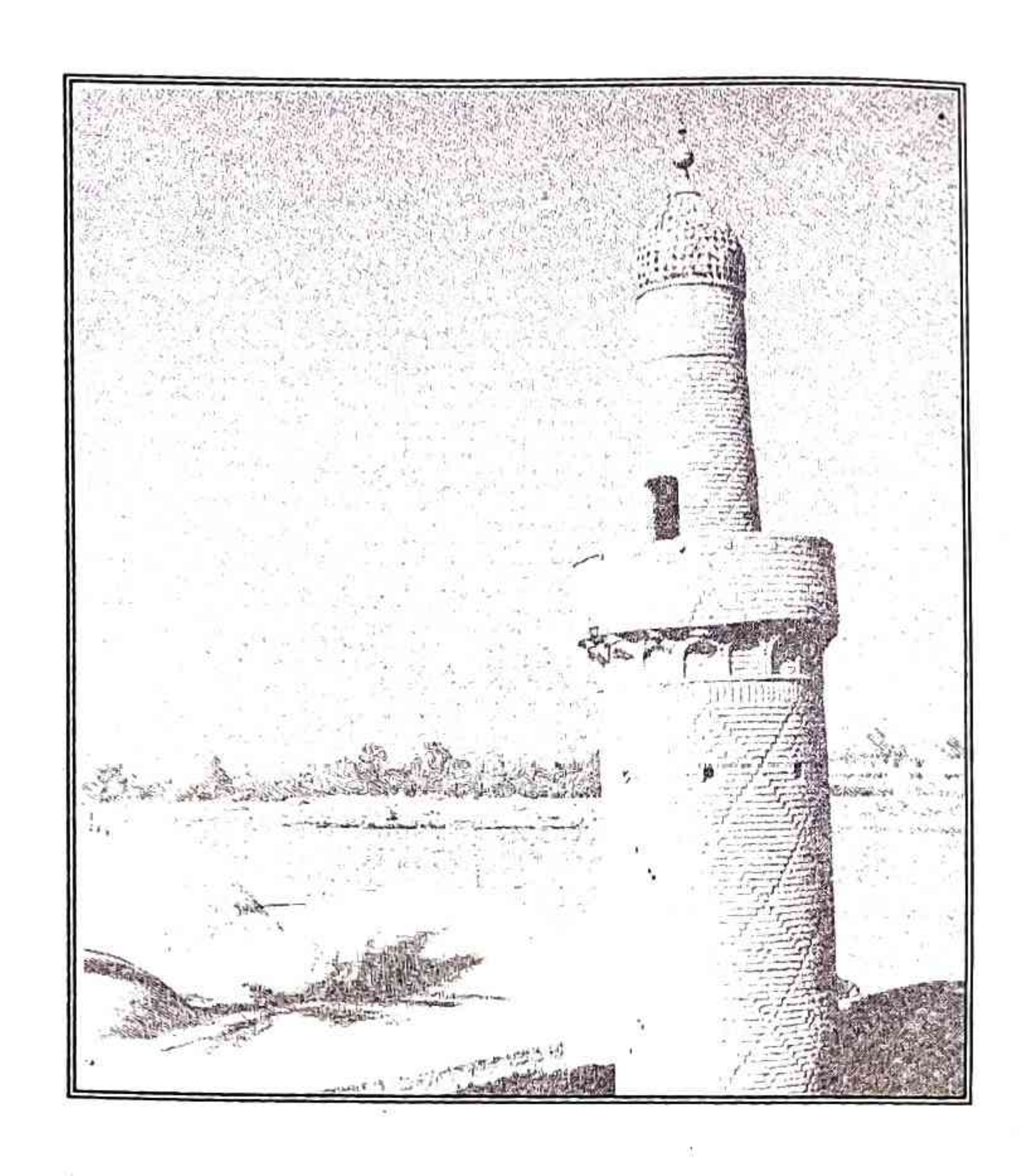
شكل رقم (٢٣)

من المعالم التاريخية الباقية في بغداد قبة زمرد خاتون التي تعرف خطأ عند الناس بقبر السيدة زبيدة، إذ انه من المعروف تاريخيا ان السيدة زبيدة (أمة العزيز بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور) زوج الخليفة هارون الرشيد وام الخليفة محمد الامين توفيت (سنة ٢١٦ هـ/٨٣١م) ودفنت في مقابر قريش (منطقة الكاظمية الحالية)،وقد اثبت الدكتور مصطفى جواد ان هذا القبر هو تربة السيدة زمرد خاتون زوج الخليفة المستضيء بأمر الله وام الخليفة الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٥م،وهو رأي جدير بالقبول ولاسيما ان المرحوم مصطفى جواد اعتمد على روايات لمؤرخين معاصرين للسيدة زمرد خاتون أو قريبين من عهدها أمثال ابن الاثير وسبط ابن الجوزي وابن الساعي وغيرهم (ينظر: دليل خارطة بغداد، ص١٧٠-١٧٢).



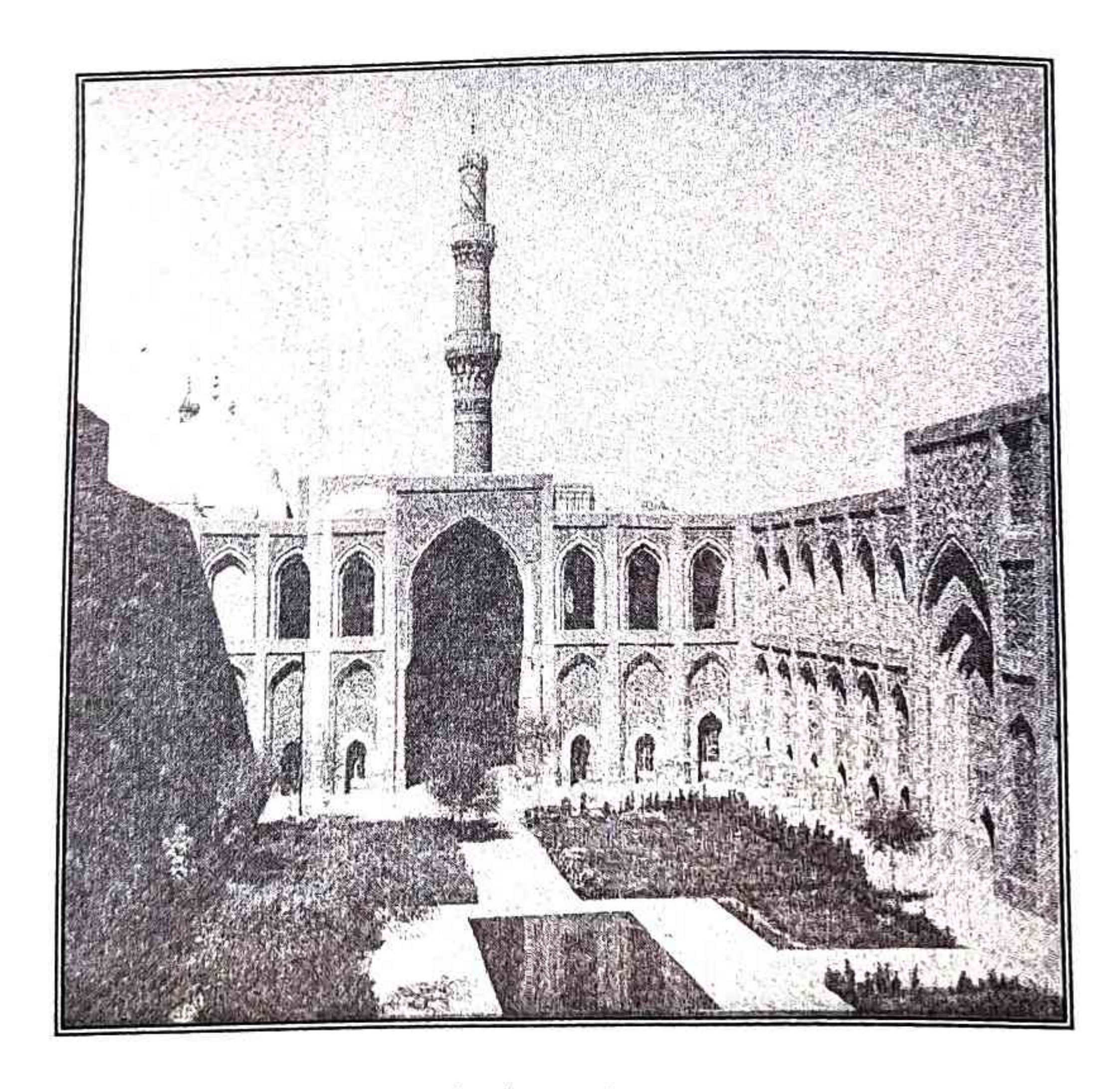
شكل رقم (٢٤)

مئذنة مسجد الحضائر (جامع الخفافين) أو مسجد ام الناصر الذي شيدته السيدة زمرد خاتون، موقعه اليوم على ضفة نهر دجلة اليسرى تحت المدرسة المستنصرية ويعرف بـ (جامع الصاغة) وتعد أقدم منارة في بغداد.



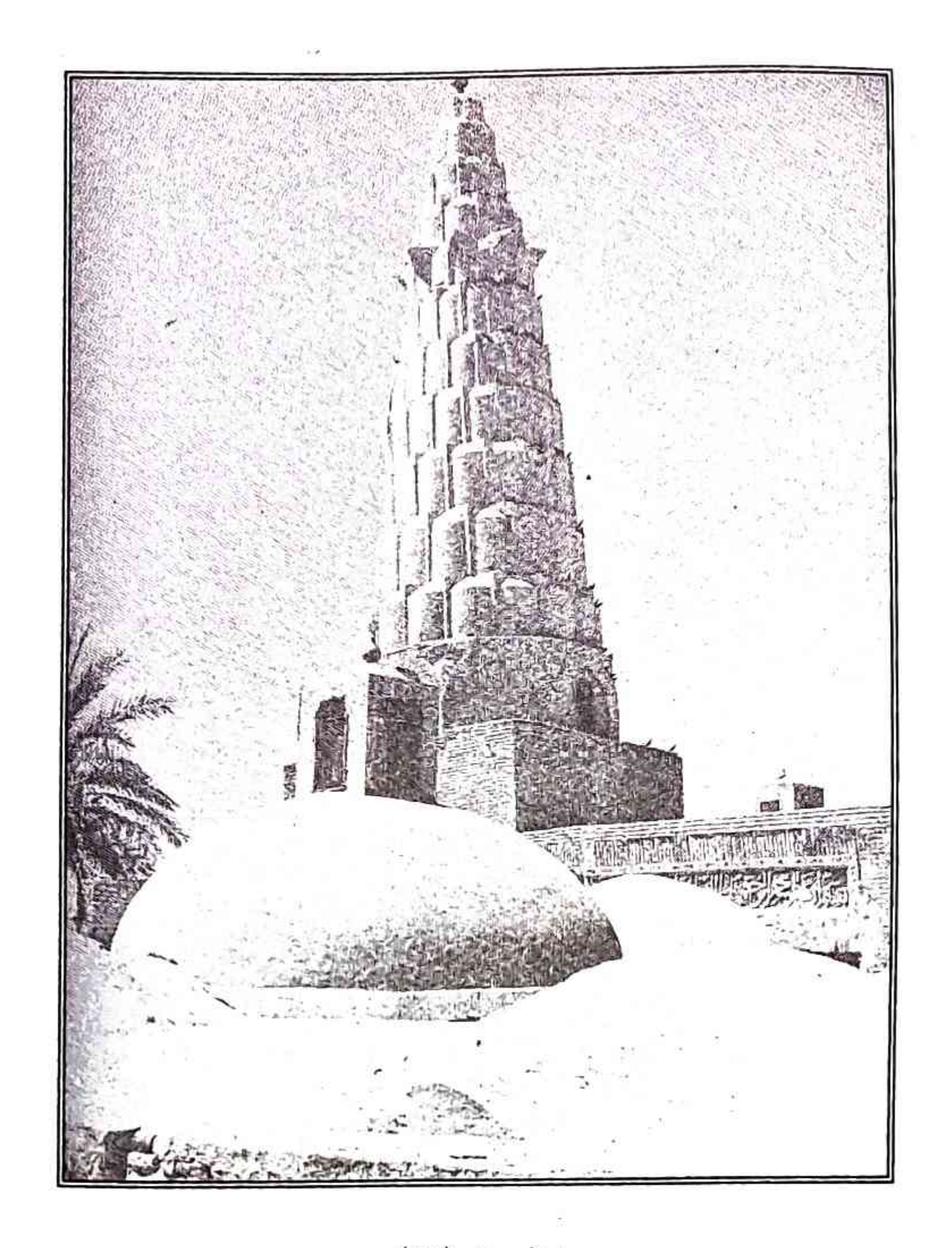
شكل رقم (٢٥)

مئذنة مسجد قمرية نسبة إلى قمرية من أهل بيت الخليفة الناصر لدين الله أو احدى حظاياه، وترقى إلى العهد الأخير من الخلافة العباسية.



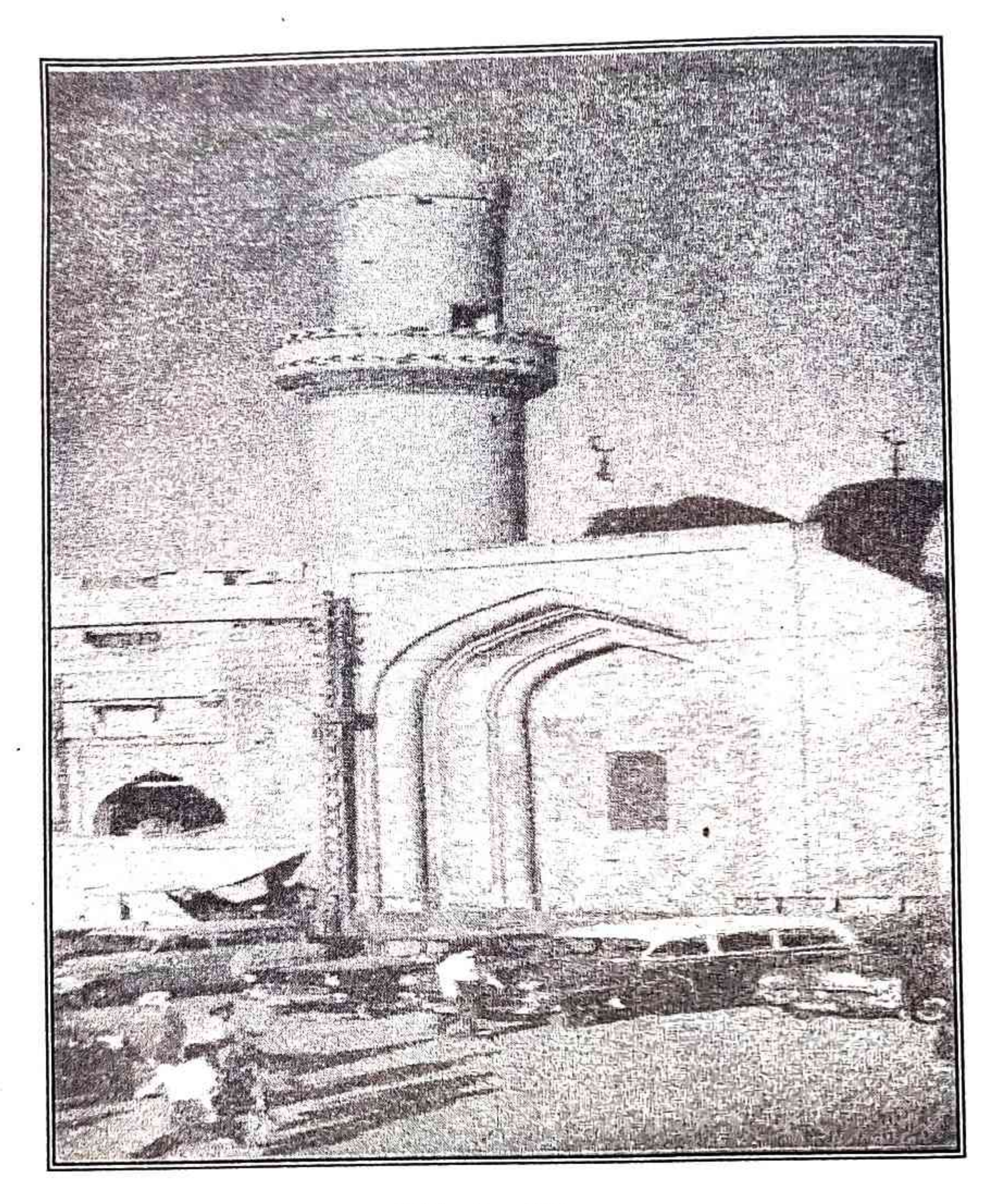
شكل رقم (٢٦)

من المعالم التاريخية الثقافية الباقية في بغداد المدرسة المستنصرية.



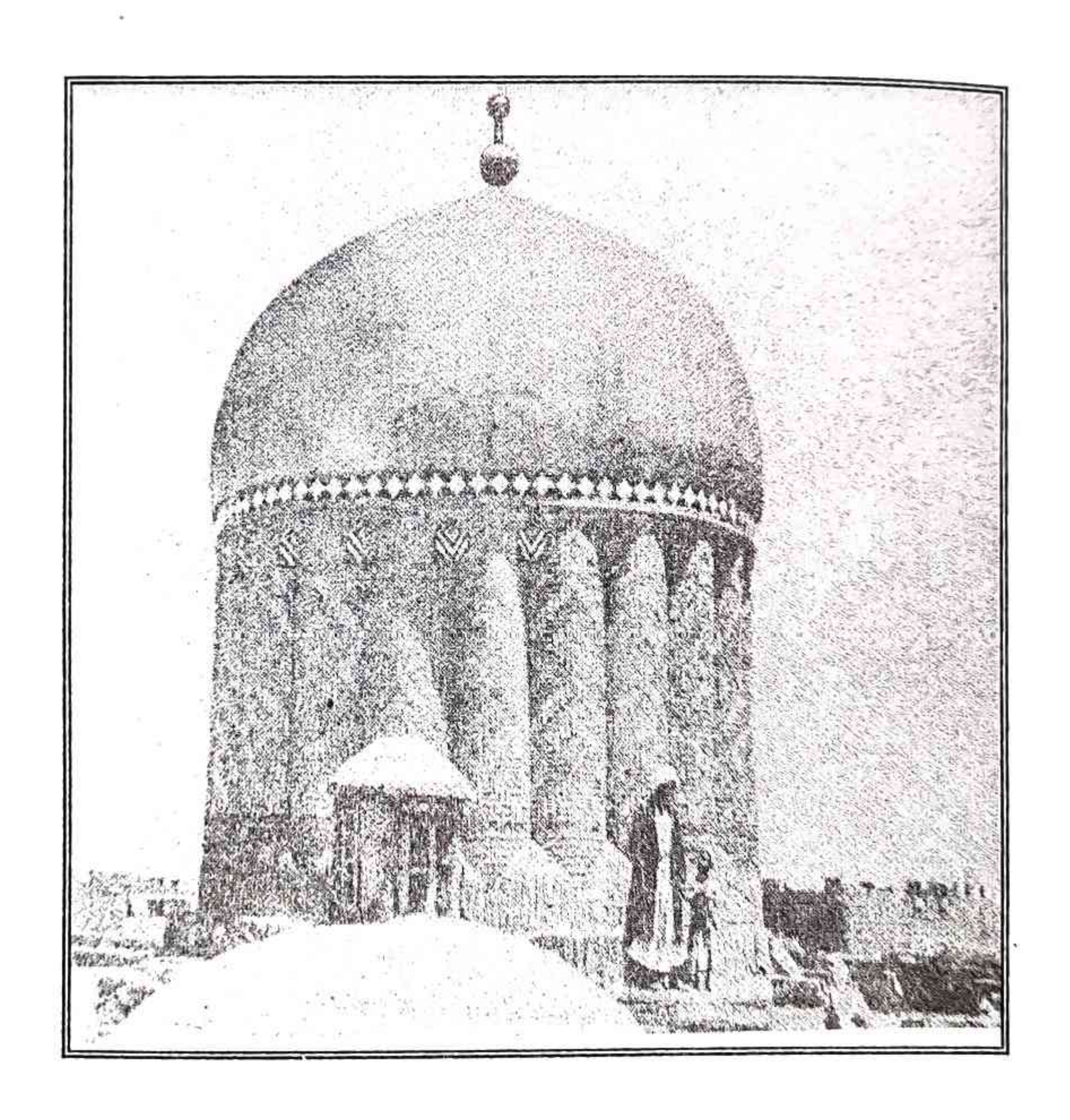
شكل رقم (٢٧)

من المعـــــالم التاريخية البغدادية الباقية قبة تربة الشيخ عمر السهروردي (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) في الجانب الشرقي، وهي على الطراز السلجوقي حيث القبة المخروطية المقرنصة الشبيه بقبة زمرد خاتون.

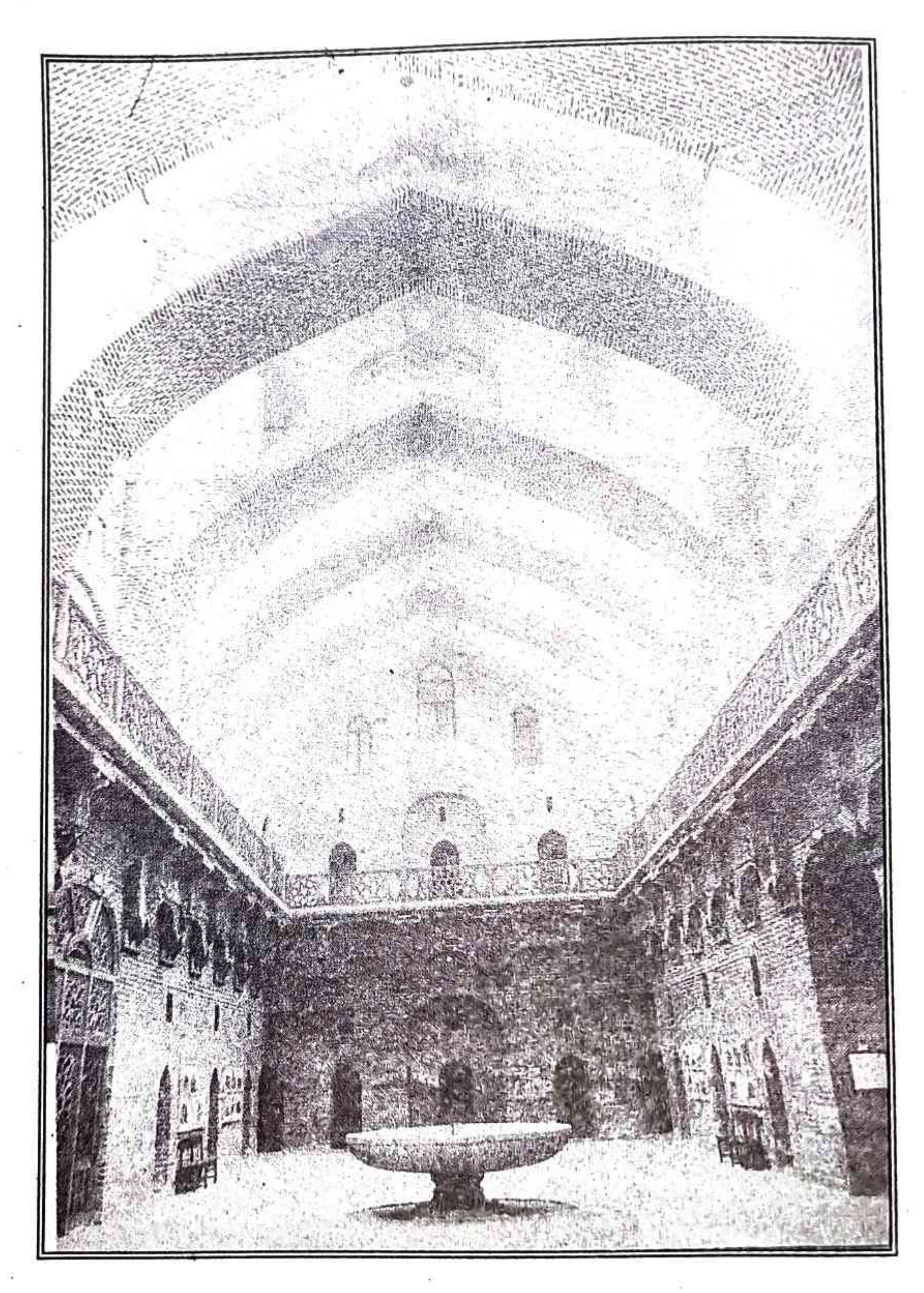


شكل رقم (٢٩)

من المعالم التاريخية الثقافية الباقية في بغداد ، المدرسة المرجانية التي شيدها أمين الدين مرجان مولى الشيخ اويس خان الجلائري (٧٥٥-٧٧٣هـ/ ١٣٥٦-١٣٧٤م) لتدريس الفقه الشافعي والفقه الحنفي ، ولكثرة ما اعتاد الناس الصلاة في جامع المدرسة سميت (جامع مرجان) وهي تعرف اليوم بهذا الاسم.

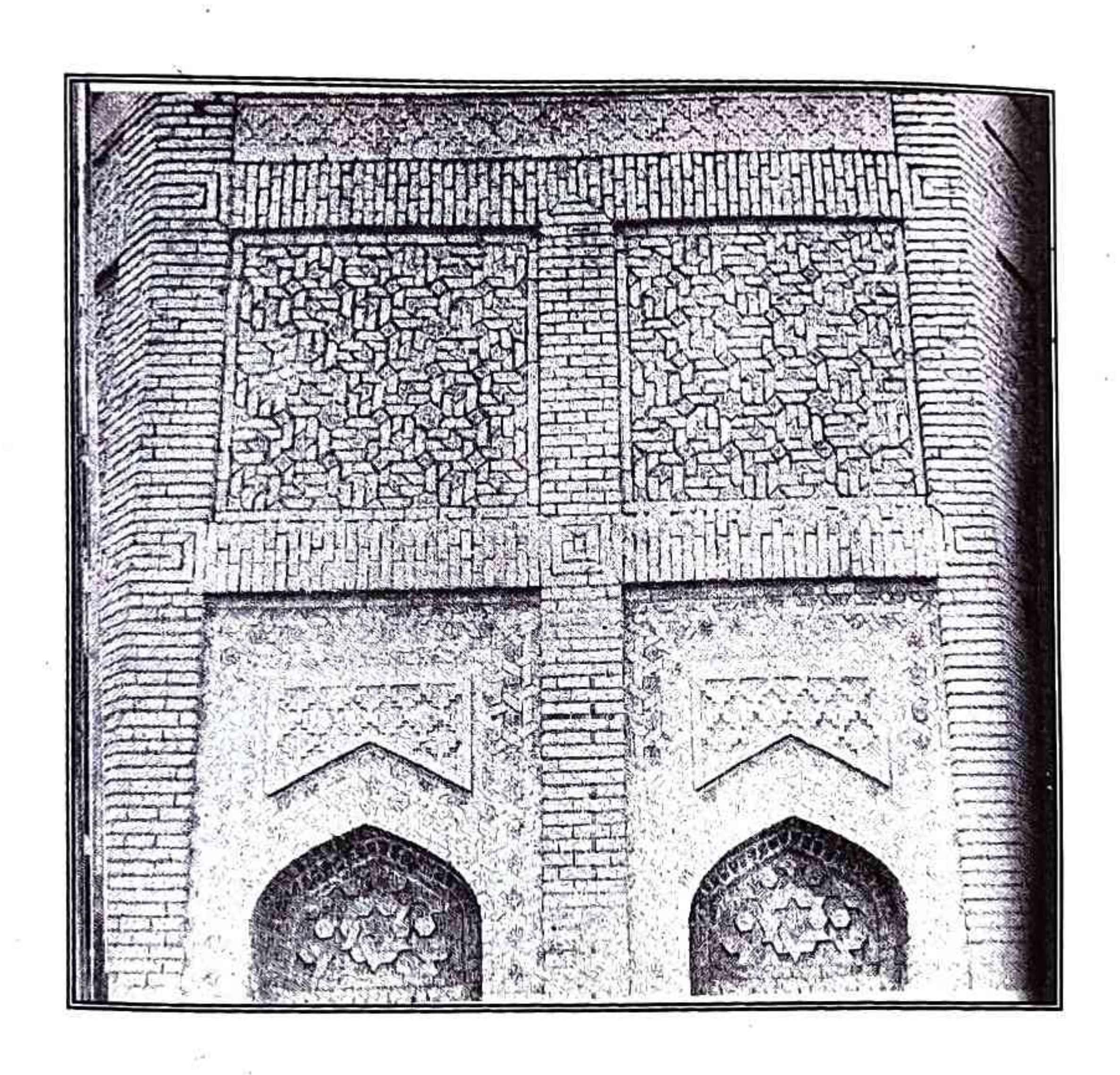


شكل رقم (٣٠)
قبة المدرسة المرجانية.



شكل رقم (٣١)

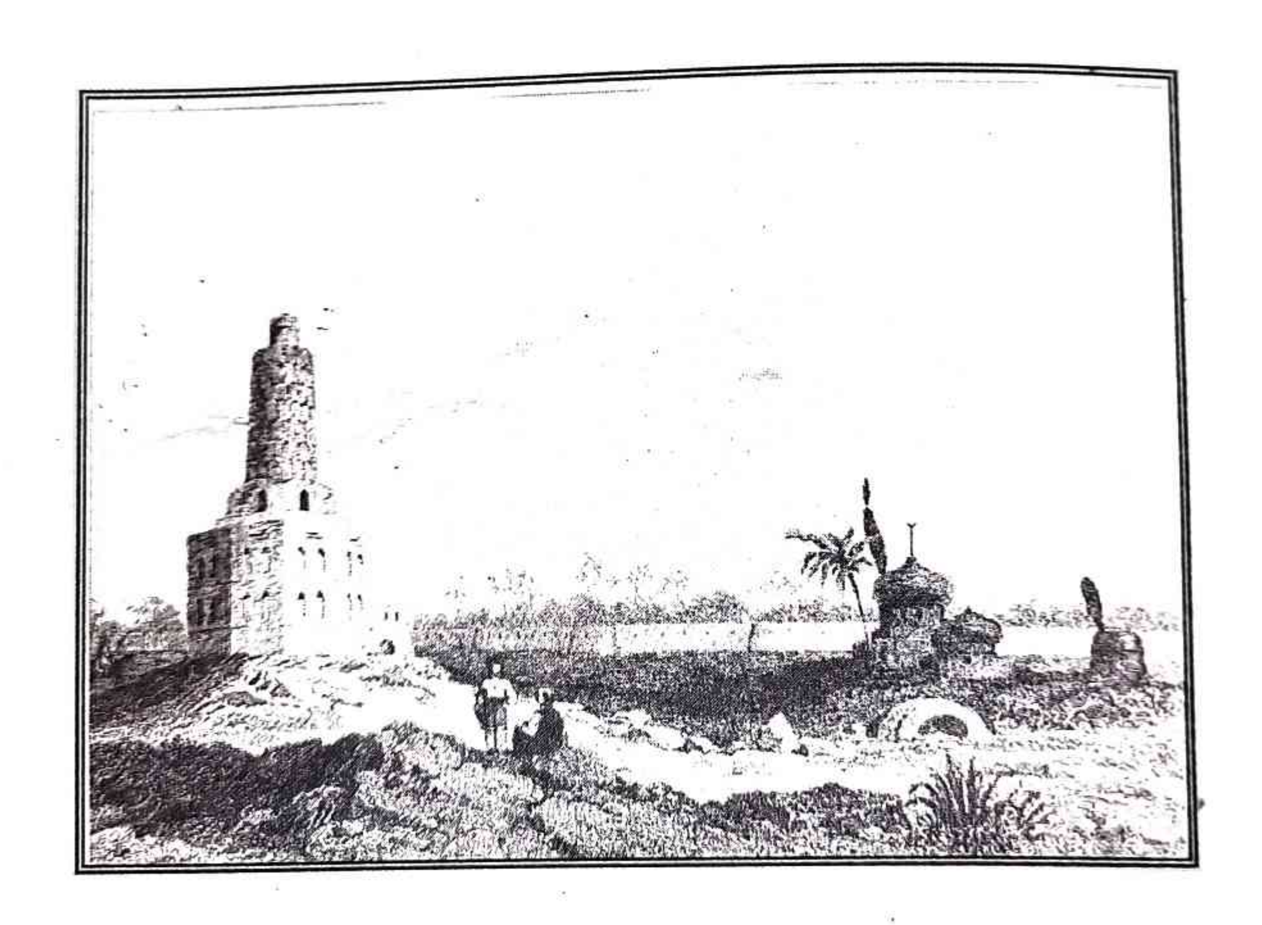
خان مرجان (خان الاورطمة) وهو من موقوفات المدرسة المرجانية.



شكل رقم (٣٢)
الزخرفة الكتابية في مدخل خان مرجان.

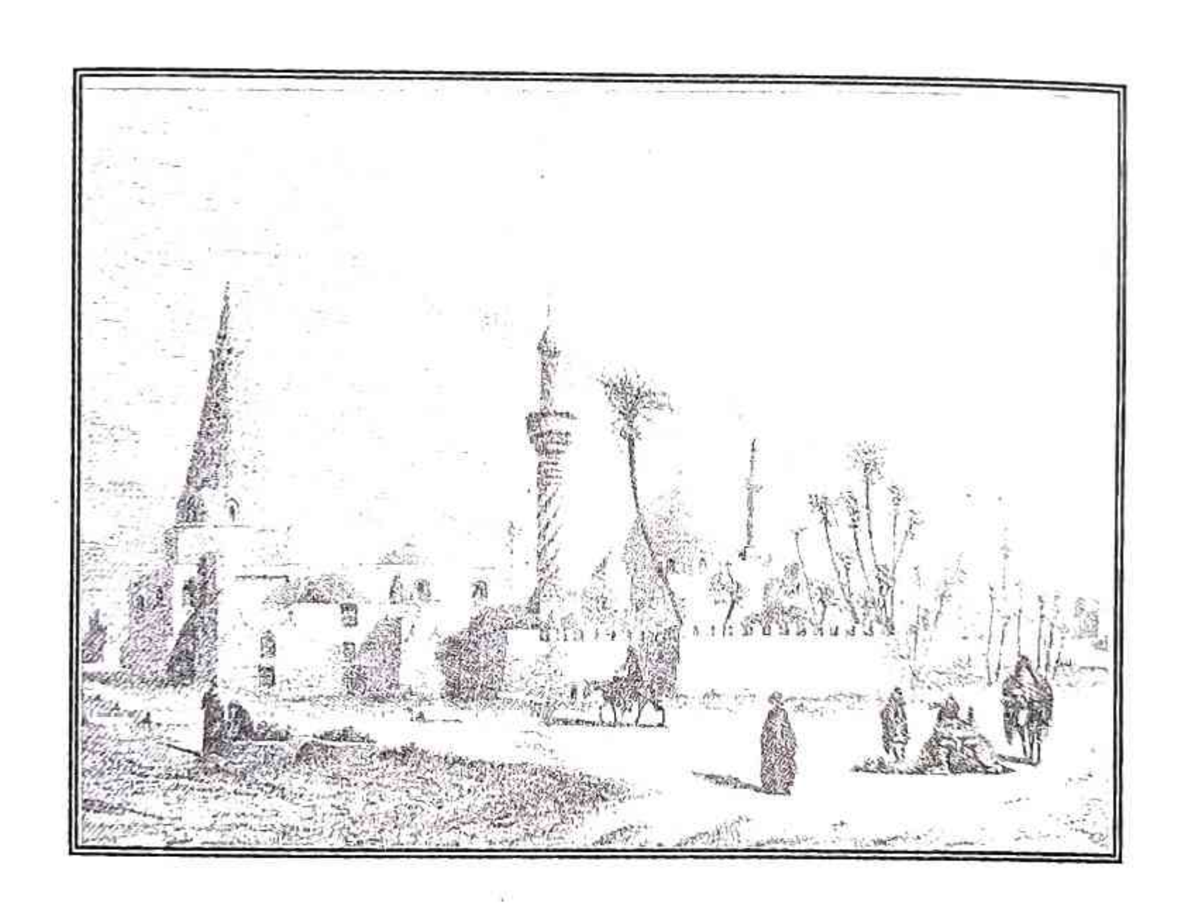
ثالثا : الرسوم

معالم بغداد القديمة بريشة السواح الأجانب في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين.



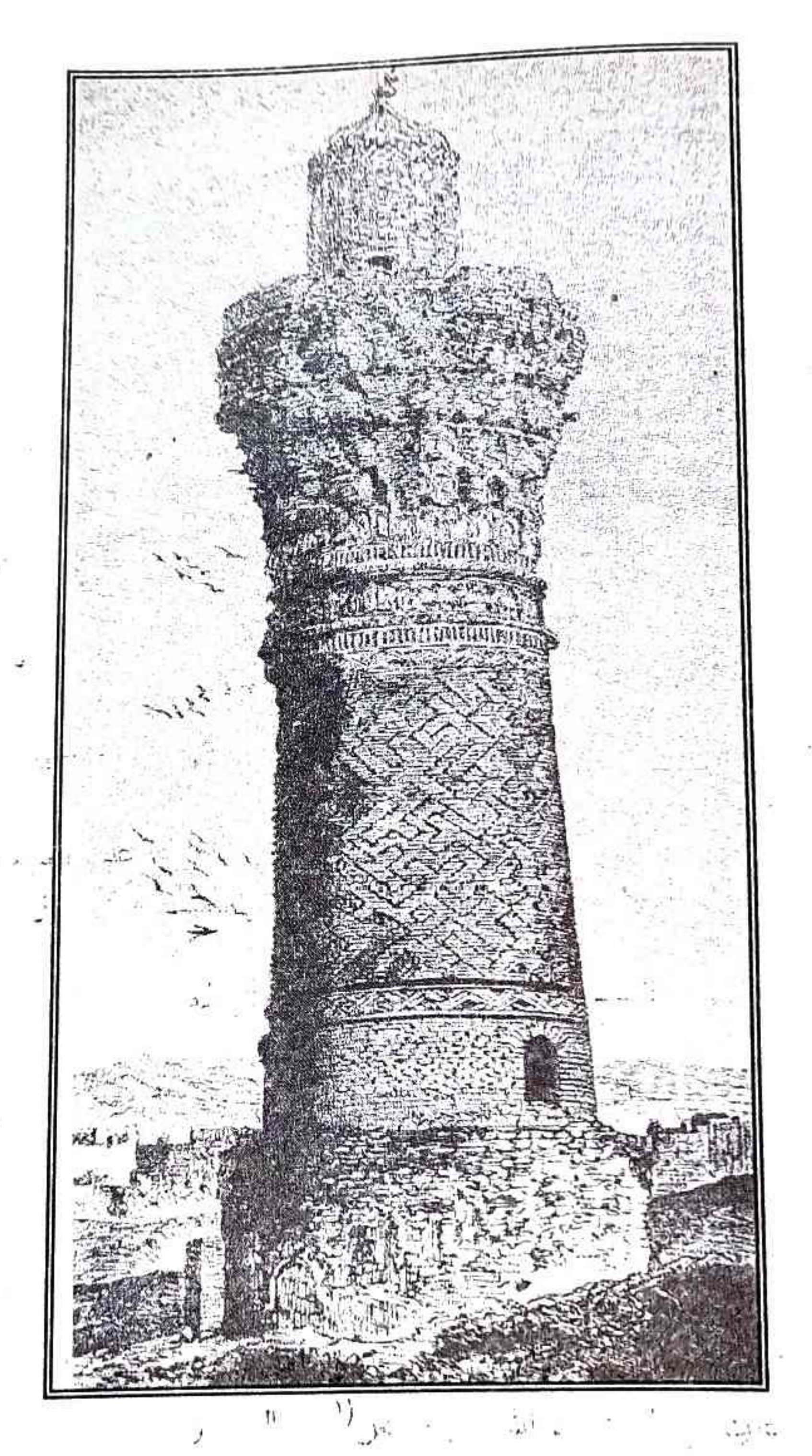
شكل رقم (٣٣)

قبر السيدة زمرد خاتون.



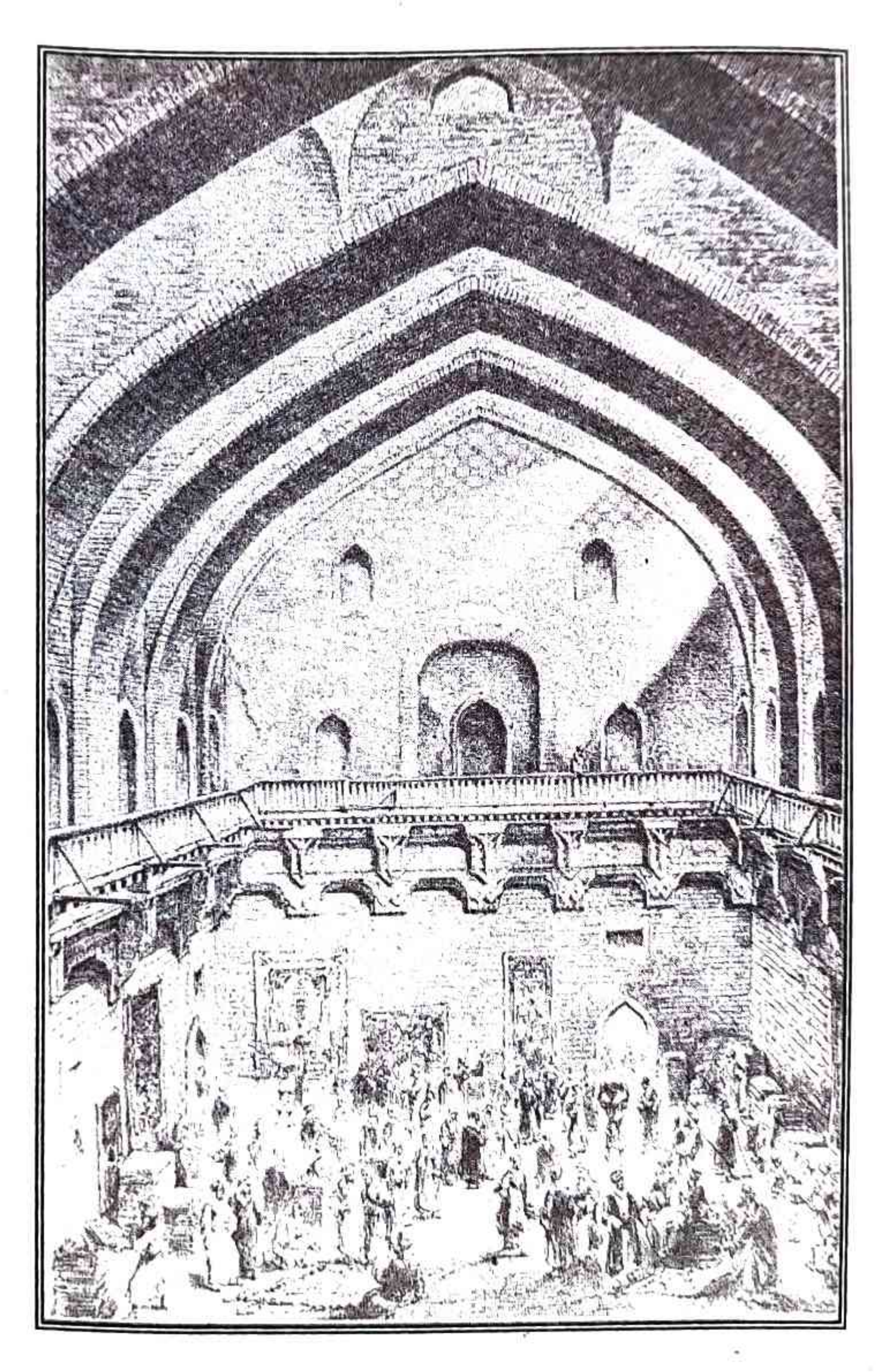
شكل رقم (٣٤)

قبر الشيخ عمر السهروردي.



شكل رقم (٣٥)

مئذنة جامع الخلفاء (منارة سوق الغزل) قبل الترميمات.



شكل رقم (٣٦)

خان مرجان (خان الاورطمة).

هذا الكتاب

خصص قسم الدراسات التأريخية في بيت الحكمة مشاريع كبيرة عن تراث مدينة بغداد السلام في خطته العلمية لعامي، ويعد هذا المشروع الذي خطط له ان يكون في اجزاء عدة عن بغداد في كتابات الرحالة العرب والأجانب منذ التأسيس زمن الخليفة المنصور حتى القرن العشرين. فمدينة بغداد كما وصفها بعض الفضلاء جنة الأرض ومدينة السلام وقبة الاسلام ومجمع الرافدين وثمرة البلاد وعين العراق ودار الخلافة ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف وبها أسباب الغايات من كل فن وآحاد الدهر في كل نوع.

والاوصاف التي سجلها الرحالة والبلدانيون العرب والأجانب هي شهادات واقعية بحق هذه المدينة العظيمة وعطائها الحضاري؛ وهي ايضاً تقدم تسلسلاً موضوعياً عن التطورات التي شهدتها المدينة في مناحيها العمرانية والخططية وما واجهته من محن سياسية متمثلة بعوامل الغزو والتدمير وتصميم اهلها القوي في اعادة البناء والاعمار والاسهام الحضاري.

■ بيت الحكمة/ جمهورية العراق- بغداد

■ هاتف: 3-4141201 -فاكس 8863015
ص.ب 35640

■ رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
63 لسنة 2003

■ مطبعة الميزان 8179839